

كتاب خِطِّ الشَّيْخِ

الجزء السادس



رئيس المجمع العلمي العربي

حقوق الطابع محفوظة للمؤلف

طبع في مطبعة المنيد بدمشق ١٣٤٧ هـ و ١٩٢٨ م

التاريخ المدني

البيع والكنايس والديرة

ببوت العبادة } • لم يختلف التاريخ الصحيح مستنداً يركن اليه في وصف
عند الأقدمين } ببوت العبادة عند قدماء سكان الشام أيام كانوا
يعبدون الأصنام والأوثان تم بعد ذلك أصبحوا يعبدون النيران • فلا نعرف إذاً شيئاً
يعتد به عن هياكل الفينيقيين في صور وصيدا وبيروت وجبيل ولا عن هياكل
مشارف الشام الجنوبية ولا عن ببوت الميران في حلب ولا عن ببوت العبادة عند
الحثيين والبابليين والاشوريين ولا عن هيكل الرمرمر الذي كان يعبد في غرة
ويحججون الى هيكله من الأقطار ولا عن معبد جوبتر الذي أنشأه أدرينانوس الروماني
في جبل جرزيمن من نابلس • لا عن هياكل المسترى (ح. بتر) معبود الرومان الذي
وجد في السخنة بين تدمر ودير الزور ولا عن هيكل اليونان في انطاكية ولا عن هيكل
بزيزة بالغرب من كوسية في الكورة من انطاكية • لا عن بعل صرمد في أطلال دير القلعة
قرب بيت مري بلبان ولا عن هيكل الزهرة في افقة في جبل كسروان • والهيكل
الباقى من هياكل القدماء هو هيكل بعلبك وقليل امشاله حداً عما صير على
ضربان الدهر •

اما بيع اليهود فقد تبين انهم شرعوا بانشاء بيعة لهم في سبي بابل بجمعوت فيها
ويتعبدون • واهم ما كانت من بيعة ببيتهم في القدس بنوها بعد رجوعهم من بابل
بجانب المعبد وقسموها قسمين قسم للرجال وقسم للنساء ثم كثرت البيع في المدن

الصغرى والكبرى في كل بلد كن فيها لليهودية معقدين وأنصار . ولكل كنيسة حزانة مقدسة تقام في داخل البنا على خشب وتجعل متجهة نحو القدس وهي مغطاة بلكتان وفيها الطوامير المقدسة امام الحزانة سنار يذكر بستار المعبد وفي وسطه امام الحزانة شيء أشبه بدير .

هذا غاية ما يقال في هياكل القدماء وبيوت عباداتهم وكيف السبيل الى وصف المعابد القديمة والتاريخ لا يعرف شيئاً يعتد به عن العالم الاسرائيلي بل ولا عن نصارى القرون الاولى . كل ما يعرف عن موسى وعن قضاة اسرائيل وداود او المسيح والحوار بين لا يكاد يملأ سوى صفحات قليلة والنصرانية نفسها لم تنتشر في الشام الا في القرن الرابع لليلاد على يد قسطنطين او ام قسطنطين بن قسطنطين بالي القسطنطينية وهو الذي بنى كنائس كثيرة بدمشق وغيرها حتى يقال انه بني في زمانه اثني عشر الف كنيسة .

ولا بد لنا قبل وصف الكنائس والبيع والأديار ان نعرفها تعريفاً يقر بها من جميع الأذهان ولا يوقع فيها لبساً . فامير كما قالوا في تعريفه بيت يتعبد فيه الرهبان ولا يكاد يكون في مصر الاعظم اما يكون في الصحاري ورؤوس الجبال فان كان في مصر كانت كنيسة او بيعة . وربما فرق بينهما فعملوا الكنيسة لليهود والبيعة للنصارى . وقال بعضهم البيعة متعبد النصارى وقيل كنيسة اليهود . وجاءت لفظة الدير من الدار والجمع اديار والديراني صاحب الدير والذي يسكنه ويحمره ويقال له ديار . ويقال ديار وديرة وأديار وديران ودائرة ودارات وديرة ودير ودور ودوران وادوار ودوار واديرة .

منشأ الأديار
والبيع
أنشئت الأديار الاولى في الشام فهي موطنها الاول
ذلك ان من المسيحيين من اخذوا بالعون العزلة لاول
ظهورهم في صعيد مصر، جبال ايطاكية ينقطعون للنسك . ولما زاد عدد هؤلاء
الناسكين دعت الضرورة الى إنشاء اكواخ منفردة أشبه بعمرات جعلت برؤسة
رئيس . وأنشئت دور عظيمة يعيش فيها لك الزهاد عيشة مشتركة يحجمهم سقف

واحد وتسعون إدارة رئيس واحد . ثم اتحدت تلك الاكواخ واليهوت . ثم أنشئت أديار في المدن تولاها الاساقفة ، المنقل ذلك الى الغرب . وكما كانت الشام منشأ الأديار كذلك كانت اول من وضع هندسة الكنائس ذات القباب فقد جرت في هندستها لاول مرة على مثال المعابد القديمة فالشام اذاً اول من أنشأ الاديار والكنائس كما قامت فيها النصرانية واليهودية .

فلما انه يرد إنشاء الكنائس الى عهد قسطنطين . قد بدأت البيع بالتكاثر في سنة ٣٣٠ للميلاد وذكر بعض المؤرخين ان تيودوسيوس الكبير حول بعض هياكل الوثنيين في بعلبك الى كنائس فني كنيستين في القلعة احدهما في وسط اليهود الكبير القائم امام ميكل الشمس . وقال المسعودي ان هيلاني بنت بابلدا الكنيسة المعروفة بالقمامة (القيامة) في هذا الوقت الذي يظهر منها النار في يوم السبت الكبير الذي صبحه الفصح وكنيسة قسطنطين وديارات كثيرة للنساء ولرجال على الجبل المطل على مدينة بيت المقدس المعروف بطور زيتا وهو بازاء قبة اليهود . عمرت مدينة ايليا عمارة لم يكن قبلها مثلها ولم يزل ذلك عامراً الى ان اخرجته الفرس حين غلبت على مصر والشام . تكاثرت الكنائس والاديار في الشام فلم يمض على انتشار النصرانية قرنان حتى زاد عدد الاديار والبيع على صورة مستغربة حتى ان الغسانيين ولعوا ايضاً بمارة الاديار في الجزء الذي ارتفع سلطانهم عليه من جنوب الشام في ظان ملوك الروم . فشادوا ديراً حالي ودير ابوب ودير الدهماء ودير ضخيم ودير البوة . واشتهر الغساسنة باقامة الديرة والبيع وكانوا كما قيل يعتمدون بيناتهم المواضع الكثيرة الشجر والارياض والمياه ويمجلون في حيطانها وسقوفها الفسافس والذهب ومثلهم كان شأن آل المنذر بالحيرة وبنو الحارث ابن كعب بنجران من يهوتات العرب .

أعظم الكنائس { يظهر ان كنيسة القبر المقدس في القدس هي أقدم كنيسة واقدها } في الشام قامت في مكان نظر اليه في كل وقت بانه مقدس . وذكر الاسقف اوزيب القيصري (٣١٤ - ٣٤٠) وهو والد تاريخ الكنيسة ان في الحفريات التي حرت على عهد الملك قسطنطين اكتشفت مغارة المخلص المقدسة .

وزاد المؤرخون المحدثون ان الملكة هيلانة والدة قسطنطين المتوفاة نحو سنة ٣٢٦ م زارت القدس واكتشفت القبر المقدس وصاب يسوع فالبنايات التي اقيمت في ذلك المكان سنة ٣٣٦ هي من البناء^(١) المدور قد دعي كنيسة القيامة ومؤرخو المسلمين يسمونها كنيسة القيامة كما كان هناك كنيسة كاتدرائية خاصة يرمز الصليب وقد احرق الفرس هذين المكاتبين سنة ٦١٤ . واحداث الراهب، ودست رئيس ديرنيودس في سنة ٦١٦ و ٦٢٦ كنيسة القيامة وكنيسة الصليب وكنيسة الجلجلة واضيفت سنة ٦٢٧ الى الجنوب كنيسة للعدراء .

ولما فتحت القدس وجاء الخليفة عمر بن الخطاب ادركته الصلاة فلم يرض ان يصلي في كنيسة القيامة لئلا يكون بعده للمسلمين حجة في استصفاء تلك الكنيسة العظمى وبني مقابل ذلك جامع عمر في جوار بعة القيامة وبني بجانبها مصلى آخر . ولما انصر الروم على رواية ابن بطريق وبنت هيلانة ام قسطنطين الكنائس في بيت المقدس كان موضع الصخرة وحولها خراب فترك ورموا على الصخرة التراب وهذه التي بُني عليها المسجد الاقصى تم ذهب الخليفة الى بيت لحم فحضرته الصلاة فصلى داخل الكنيسة عند الحية القبلية وكانت الحنية كلها منقوشة بانفسيفساء وكتب عمر للبطررك سجيلاً ان لا يصلي في هذا الموضع من المسلمين الا رجل واحد بعد واحد ولا يجمع فيه صلاة ولا يؤذن فيه ولا يغير فيه شيء . وكنيسة بيت لحم من الكنائس القديمة المشهورة انشأها قسطنطين سنة ٣٣٠ فكانت كاتدرائية كبرى وانشأ يوسنديانوس حيطانها واقامت فيها اديار وكنائس كثيرة حتى اطلق عليها سنة ستائة للميلاد اسم المكان الزاهر .

(١) قال ياقوت قسامة بالضم اعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس وصفها لا ينضبط حسناً وكثرة مال وتبقى عمارة وهي في وسط البلد والدور يحيط بها ولم فيها مقبرة يسمونها القيامة لاعتقادهم ان المسيح قامت قيامته فيها والصحيح ان اسمها قسامة لانها كانت منزلة اهل البلد وكان في ظاهر المدينة يقطع بها ايدي المفسدين وصاب بها اللصوص فلما صلب المسيح في هذا الموضع عظموه اه . .

ومن أشهر كنائس الشام كنيسة دمشق المعروفة بكنيسة مار يوحنا مكات الجامع الاموي اليوم صالح المسلمون على نصفها الشرقي لانهم اعتبروا دمشق بما فتح صلحا وعبوة فكان النصف من هذه الكنيسة العظمى — التي كانت اكبر معايدهم على رواية ابن كثير في النصف الذي فتحه خالد بن الوليد بالسيف . وكان بدمشق خمس عشرة كنيسة كتب بها عمر بن الخطاب كتاب امان واقرا ما بأيدي النصارى اربع عشرة كنيسة فجعل ابو عبدة من الكنيسة الكبرى مسجداً فكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد وهو باب المعبد الاصيل في القبلة قال جرجس بن العميد وقيل ان الوليد بذل للنصارى في كنيسة مار يوحنا اربعين الف دينار فلم يريدوا ان يأخذوا المال فاخذها فاخر بها ولم يعطهم شيئاً . وفي تواريخ دمشق ان النصارى رفعوا الى عمر بن عبد العزيز في خلافته ما يقدم من عهد ابي عبدة بن الجراح من ان كنائسهم لا تهدم ولا تسكن وان الوليد اخذ كنائسهم بغير حق قهراً فلما رأى عمر ذلك منهم دفع لهم مالا يرضيهم به حتى بلغ مائة الف فأبوا فكتب الى محمد بن سويد الفهري ان يدفع اليهم كنائسهم او يرضيهم في ذلك . فلما وصل كتاب عمر الى دمشق اعظم الناس ذلك وفيهم يومئذ بقية من اهل العقه ، فشاورهم محمد بن سويد فقالوا هذا امر عظيم ندفع اليهم مسجدنا وقد اذنا فيه بالصلاة وجمعنا فيه يهدم ويعاد كنيسة . فقل رحل منهم هنا مسألة فأت لم كنائس عظيمة حول مدينتنا وهي ديرمران والكنيسة بباب توما وغيرها من الكنائس ان احبوا ان نعطيهم كنائسهم فلا بقوا حول مدينة دمشق ولا بالغوطة كنيسة الاهدت او نقي لم جميع كنائسهم ويتركوا هذه ونسجل لم بذلك سجلاً فرضي النصارى على ان يسجل لم الخليفة سجلاً منشوراً بامان على ما بدمشق والغوطة من كنيسة ان تهدم او تسكن . وهكذا استخالت كنيسة مار يوحنا الى مسجد جامع للمسلمين اخذوه بحكم الفتح وارضوا ابناء ذمتهم على كل حال . وما تدري كيف آل الى هؤلاء من اليهود او الى النصارى من الصابئة وغيرهم . وامل التقليد القائل بان في الجامع رأس يحيى بن زكريا عليها السلام اتي من كون اكنيسة كانت على اسم مار يوحنا . ويوحنا هو يحيى والله اعلم .

وخاصم النصارى حسناً بن مالك لكابي الى عمر بن عبد العزيز في كنيسة

بدمشق فقال له عمر ان كانت من الخمس عشرة كنيسة التي في عهدهم فلا سيبل لك اليها . وقال غيره خاصمت العرب في كنيسة بدمشق يقال لها كنيسة ابن نضر كان معاوية أقطعهم إياها وأخرجهم عمر بن عبد العزيز منها فدفعها الى النصارى فلما ولي يزيد ردها الى بني نضر . وفي كتاب سجل يحيى بن حمزة ابن الصاري ذكروا لعمر بن عبد العزيز ان عتقاء العرب قد منحروا بهم وبرئيسهم وبيدنيهم وجماعتهم من اهل القرى وان اثلثك العتقاء احلاف وفرق وانهم غلبوهم على كنائسهم وسألوا الوفاء لهم بما في عهدهم وبما في الكتاب الذي كتبه لهم خالد بن الوليد عند فتح مدينتهم فأمرهم ان يأتوا بحجبتهم فأتوا بكتاب خالد بن الوليد فاذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى خالد بن الوليد اهل دمشق يوم فتحها اعطاهم اماناً لانفسهم . لاموالهم وكنائسهم لا تهدم ولا تسكن لهم على ذلك ذمة الله . ذمة الرسول عليه الصلاة والسلام وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين لا يمرض لهم احد الا بخير اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية شهد بهذا الكتاب يوم كتب عمرو بن العاص وعياض بن غنم ويزيد بن ابي سفيان وابو عبدة بن الجراح ومعمربن غياث (عتاب) وشرحبيل بن حسنة وعمير بن سعد ويزيد بن نبيشة وعبد الله بن الحارث وقضاعي بن عمر وكتب في شهر ربيع الاول سنة خمس عشرة » .

قال يحيى بن حمزة فنظرت في كتابهم فوجدته خاصة لهم ، وفحصت عن امرهم فوجدت فتحها بعد حصار ، ووجدت ما وراء حائطها آثاراً وضعت لدفع الخيل ومراكب الرماح ، نظرت في جزيتهم فوجدتها وظيفة عليها خاصة دون غيرهم ، ووجدت اهلها عند فتحها رجلين رجلاً رومياً قتلته الحرب او نفته ، ومساكنهم وكنائسهم قسمة بين المسلمين معروفة لا تخفى ، ورجلاً من اهلها حقن دمه هذا العهد ، فمساكنهم وكنائسهم مع دمايتهم لم تسكن ، ولم تقسم معروفة ليس تخفى ، فقضيت لهم كنائسهم حين وجدتهم اهل هذا العهد وابناء الدلد ، ووجدت من نازعهم ابيماً طراً وذلك لو انهم اسلموا بعد فتحها كان لهم صرفها مساجد ومساكن . فلهم في آخر الدهر ما لهم في اوله وانبت في الاصول قبل واشهد الله عليه وصالح المؤمنين ، وفاء بهذا العهد الذي عهده لهم السابقون الا حيار فلم يكن بينهم خاصة في ذلك اختلاف نظر لهم . . وقضيت

لمن نازعهم بما كان لهم فيها من حلية او آنية او كسوة او عرصة أضافوا ذلك اليها ان يدفع ذلك اليهم باعيانها ان قدروا عليه وسهل قبضه ، او قيمة عدل يوم يظرو فيه شهد الله على ذلك اه .

هذا ما كان من المسلمين مع ابناء ذمتهم ومراعاة اليهود التي أقطعوها على انفسهم . ولم تزل سيرة خلفاء بني أمية وبعض بني العباس مع النصارى وكنائسهم سيرة الخليفة الثاني والعاشر من الصحابة الكرام . فقد بنى ابو جعفر المصور كنيسة في دمشق لبني قسطنطين الخوريقي ، ذكر ذلك ابن عساكر . ولما وقع حريق في كنيسة مريم بدمشق ايام احمد بن طولون امر ان تفرق على اهل الحريق سبعون الف دينار ففضل عنهم اربعة عشر الف دينار فأمر ان تعرق عليهم على قدر مساهمتهم ثم امر فترق على اهل دمشق وغوطتها مال عظيم وأقل من أصابه من ذلك دينار .

مبدأ عدم الكنائس
اول حادثة وقع في تحريب الكنائس قبل الاسلام كان
لما تار بفلسطين اهل السامرة وهدموا في سنة احدى وعشرين
وخمسة الكنائس كلها واحرقوها من بيسان الى بيت لحم وقتلوا النصارى وعذبوهم
عذاباً شديداً فأعاد يوستينيانوس الكنائس وكتب الى عامله في فلسطين ان يعفي
اهلها من الحراج ويحرمها الكنائس . الديارات وبني يمارستاناً للغرباء في القدس .
وبقدر ما رأى النصارى من عدل المسلمين معهم ايام عزهم اخذ بعض ملوكهم
بعد القرن الثالث يحكمون العواطف بدل العقل في الكنائس والبيع وكان من اثر
ذلك ان نالت السياسة من بهت العادة فكان اذا احس القائم بأمر المسلمين ان قومه
في شدة بلاد غير المسلمين انقم من اهل ذمته في بلاده ، وسلط العامة من طرف خفي
ليخربوا كنائس النصارى ويهيمهم .

قال الفلقشندي وفي السنة الاخيرة من رئاسة البطريرك قسما وهي سنة ثلاث
عشرة وثلاثمائة أحرق المسلمون كنيسة مريم بدمشق ونهبوا ما فيها وتبعوا كنائس
اليعاقبة والفساطرة . وقال ابن بطريق ان هذه الحادثة وقعت في رجب سنة ثني
عشرة وثلاثمائة وذلك ان المسلمين في دمشق ثاروا فهدموا كنيسة مريم الكاثوليكية

وكانت عظيمة كبيرة حسنة اتفق فيها مائتا الف دينار ، ونهبوا ما كان فيها من ابنية وغير ذلك من حلي وستور ، ونهبت ديارات وخاصة دير النساء الذي كان في جانب الكنيسة وشعثوا كنائس كثيرة للملكية ، وهدموا كنيسة النسطورية . وثار المسلمون بالرملة وهدموا للملكية فيها كنيستين كنيسة مارقزماس وكنيسة مار كورقس وهدموا كنيسة عسقلان وقيسارية وذلك سنة ٣١١ . وثار المسلمون بكنيسة بيت المقدس واحرقوا ابواب كنيسة قسطنطين القبلية سنة ٣٢٥ .

وكان الداعي الى ذلك ما وقع من اضطهاد المسلمين في بلاد الروم على الغالب فلم يجد ملوك الاسلام واسطة لتخفيف الشر الواقع على رعاياهم من اهل الاسلام الا بالضغط على النصارى في بلادهم والتأثير في ملوك النصارى بضر بهم في اكبادهم في كنائس هي موى قلوب اباائهم في بيت المقدس وما اليها بدليل ان ابن بطريق نفسه قال بعد ايراد تلك الحوادث : وقع بين الروم المسلمين هدنة مرضية في سنة ست وعشرين وثلاثمائة وقال في حوادث السنة التالية ان المسلمين تاروا في عسقلان فهدموا كنيسة كبيرة بها تعرف بكنيسة مريم الحضراء ونهبوا جميع ما فيها وأحرقوا وعاضد المسلمين اليهود في هدمها . وكان اليهود يشملون النار في الحطب ويجرونه بالبكر الى اعلا السقوف حتى يحرقوها ويخل رصاصها وثقع عمدتها وخربت الكنيسة وبقيت خربة . وروى ايضاً ان الصاحي والي القدس اضطهد بطريرك القدس فاستعدي عليه ملك مصر فأعداه فلم يسمع الوالي لذلك واحتبأ البطريرك في كنيسة القيامة فهاجمها الوالي وأحرقوا ابوابها وسقطت القبة ، وتوجه لرعية الى كنيسة صهيون واحرقوها ونهبوها . وهدم اليهود واخربوا اكثر من المسلمين .

واهم ما نال الكنائس في الشام من الاذى ، كانت على عهد الحاكم بامر الله العاطمي فانه لم يبق في مملكته ديراً ولا كنيسة الا هدمها . ففي سنة ٣٩٨ كتب الحاكم الى دمشق يهدم كنيسة السيدة القاتوليكي فهدمت ، وكتب الى والي الرملة يهدم كنيسة القيامة في القدس وإزالة معالمها والقضاء على آثارها وهدم الاقرايون كنيسة ماري قسطنطين وسائر ما اشتملت عليه حديدتها واستقصوا في إزالة الآثار المقدسة وكان في جوار المقبرة دير للنساء يعرف بدير السري فهدم ايضاً . وكان

التاريخ المدني — البيع والكنائس والديرة

ابتداءً نقضها سنة اربعمائة ووضعت اليد على الاملاك والادواق وجميع ما في تلك الكنائس من آلاتها وحلاها .

ومعلوم ان الحاكم كان من ارباب الدافض في اعماله ، يقر عملاً اليوم وينقضه من الغد ، وسيرته سلسلة غرائب واجايب ، ولذلك لا يستغرب منه اذا امر امس بضرب الصاري في كنائسهم في جميع ارجاء مملكته ، ثم عاد بعد مدة فاعطاهم عهداً كما كان يعطي الخلاء العادلون ومنها هذا المنشور الذي اوردته ابن بطريق :

« بسم الله الرحمن الرحيم امر امير المؤمنين بكتب هذا المنشور لنيقيفور بطريرك بيت المقدس بما رآه من اجابة رغبته ، واطلاق بغيته ، من صيائه وحياطنه ، والذب عنه وعن اهل الذمة من نخلته ، وتمكينهم من صلواتهم على رسوهم في افتراقهم واجتماعهم ، وترك الاعتراض لمن يصلي منهم في عرصة الكنيسة المعروفة بالقيامة وخربتها ، على اختلاف رأيه ومذهبه ، ومفارقته في دينه وعقيدته ، واقامة مايئزمه في حدود ديارته ، وحفظ المواضع الباقية في قبضته ، داخل البلد وخارجه والديارات وببت لحم ولدا ، وما يرسم هذه المواضع من الدور المضوية اليها ، والمعم من تقص المصليات بها ، والاعتراض لاحباسها المطلقة لها ، ومن هذه جداراتها وسائر ابذيتها ، احساناً من امير المؤمنين اليهم ، ودفع الاذى عنهم وعن كافتهم ، وحفظاً لذمة الاسلام فيهم ، فمن قرأه او قري عليه من الاولياء والولاة ، ومتولي هذه النواحي وكافة الحماة ، وسائر المتصرفين في الاعمال ، والمستخدمين على سائر منازلهم ، واثقوات درجاتهم ، واستمرار خدمتهم ، ادعاف نظرهم ، في هذا الوقت وما يليه ، فليعلم ذلك من امير المؤمنين ورسمه ، ويعمل عليه وبحسبه ، وليحذر من تمدي حده ومخالفة حكمه ، ويتجنب مباينة نصه ومجانبة شرحه ، ليقر هذا المنشور في بده حجة ماودعه ، يستعين بها على نيل طلبته ، وادراك بغيته ، ان شاء الله تعالى . وكتب في جمادى الاخرى سنة احدى عشرة واربعائة » . وفي اعلاه بخط الحاكم توقيع : الحمد لله رب العالمين .

قال ابن بطريق وانفتح حينئذ باب رجعة الكنائس ورد ادواقها عليها ، واطلق عمارة جميع الكنائس والديارات التي يستدعي منه الاذن فيها وفي عمارتها بمصر : في سائر بلاد مملكته ، وكتب لكل منهم سجلاً لاعادة اوقافها اليها ، الا ما كان من

الاقواف والكنائس قد بيع في وقت القبض عليها في دمشق وفي جميع بلاد الساحل، وصرف ثمنه في النفقات السلطانية، لضيق الاموال وقلتها، او ما كان منها قد حصل لمن يتوقون شره من المسلمين. ولما تسامح الحاكم بسمارة الكنائس وتجديدها ورد اوقافها عاد الذين اسلموا من الصاري وقت الاضطهاد الى دينهم بامرهم وتسامحه. ولما هلك الحاكم، ببيع لابنه الظاهر واستولت عمته على الملك بالفعل تقدمت بمسير نيقفور بطريك بيت المقدس الى حضرة الملك ليطلبه بعودة الكنائس وتجديد كنيسة القيامة ببيت المقدس وسائر البع في جميع بلاد مصر والشام ورجوع اوقافها اليها.

وكان البطارقة اتبته بسفراء سلام بين ملوك الاسلام وملوك الروم. اذا وقع حيف على المسلمين في بلاد اعدائهم يندبهم ولالة الاسلام الى مطالعة الروم بما ينال الصاري في الشام وغيرها من الاضطهاد ان هم اساءوا الى المسلمين الواقعين في امرهم، او الراحلين اليهم في التجارة. ومما اشترط ملك الروم على الظاهر العبيدي في عقد الهدنة ثلاثة شروط منها ان يعمر الملك الظاهر كنيسة القيامة ببيت المقدس ويجددوها من ماله، ويصير بطريركاً على بيت المقدس، وان تعمر النصارى جميع الكنائس الحراب التي في بلاد الظاهر. وقبل الظاهر ما شرطه الملك من بناء كنيسة القيامة ومن اقامة بطريرك ومن تجديد النصارى بقية الكنائس سوى ما كان منها قد عمل مسجداً.

وقد علل محير الدين الحنبلي عمل الحاكم في هدم البيع تعليلاً غير مقبول كثيراً قال انه بسبب ما أنهي الى الحاكم من الفعل الذي بتعاطاء الصاري يوم الفصح من النار التي بوقدنها في بيت النور يوهمون انها انزل من السماء وقال ان المستنصر بالله ابا تميم معد، هادن ملك الروم على ان يطلق خمسة آلاف امير ليكن من عمارة القيامة التي كان خربها جده الحاكم فأطلق الامرى. قال والذي يظهر ان تخريبها لم يكن تخريباً كلياً بل كان في غالبها.

وقد وقع في العصور التالية بعض حوادث من تخريب كنيسة او بهعة كان السبب فيه داخلياً هو ان يميل اهلها الى عدو خارجي يدام البلاد، فقد استطالوا سنة ٦٥٨ هـ على المسلمين كما يقول المؤرخون فنهزم المسلمون وخرسوا كنيسة مريم

بدمشق وكما وقع لمبة الله النصراني متولي خزانة السلطان فانه « كان تمكن من المسلمين وأذاهم ، ورفع منار النصراني وتسلطوا بجاهه على المسلمين ، وجدد لهم بناء كنيسة صميم وشيد بنيانها ، ورفع بابها ، وحسن عمارتها ، ثم هدم مازاده ، وأعيدت الكنيسة الى ما كانت عليه ، وتولى النصراني هدم ذلك بانفسهم » .

وكل تخريب وقع كان عن دواعٍ كلبية في الغالب يرجع في جملة الى اعتداء النصراني في غير بلاد الاسلام على المسلمين . فان نيقيفور دومستيقس صاحب الروم لما غزا جزيرة افريطش (كريت) في اسطول ونازلها في النصف من المحرم سنة خمسين وثلاثمائة وحاصرها ثمانية اشهر وفتحها وخرب ما فيها من المساجد وسبي من اهلها خلقا كثيرا نام المصريون فغربوا بعض ما عندهم من الكنائس انتقاما من الروم على فعلتهم وهكذا دواليك في تلك العصور المظلمة .

وفي سنة ٨٥٦ صدر مرسوم الملك بالكشف على الاديار وهدم ما استجد بدير صهيون في القدس وانتزع قبر دارد من ايدي النصراني فهدم البناء المستجد وفيها اخرج المسجد من دير السريان وصار زاوية وهدم البناء المستجد ببيت لحم وفي كنيسة القيامة وكشفت جميع الاديار وهدم جميع ما استجد بها . وفي سنة ٨٩٥ هدمت القبة التي احدها النصراني في دير صهيون . والسبب في ذلك على ما يبدو للنظر ان الدولة في تلك الايام حاذرت من ان يكون من بعض الاديار والكنائس اما كن يعتصم فيها تساعد في الايام العصيبة على ان تكون ثكنا وقلاع لمن يدهم البلاد من غير اهل الاسلام .

ومع هذا لم يخل زمن من ظهور حكام استعملوا العدل في تلك الاعصار مع ابناء ذمتهم فقد ذكروا ان المفرج بن الجراح لما تغلب على ارجاء فلسطين الزم النصراني ببناء كنيسة القيامة ببيت المقدس قال ابن بطريق انه عاون على بناء كنيسة القيامة واعاد فيها مواضع بحسب امكانه وقدرته .

١ ولم يحددنا التاريخ بما كان من انواع الكنائس بعد
كنائس دمشق ٢ القرن الثامن ومعظم الكنائس والاديار في الشام
اليوم بعد كنائس القدس وبيت لحم ودمشق هي من مما أنشئ في القرون الأخيرة .
فالكنائس في دمشق جددت بعد سنة ١٨٦٠ اي بعد ان خربت في حوادث تلك
السنة . فلطائفة الروم الارثوذكس ثلاث كنائس اكبرها المريمية وهي اعظمها
ومن أقدم كنائس هذه الديار وفيها مقام البطريرك الانطاكي خربت في أدوار
كثيرة وآخر خرابها في وقعة تيمورلنك ببلغ طولها نحو ٧٠ ذراعاً وعرضها نحو اربعين .
والثانية كنيسة مار يوحنا الدمشقي أنشئت بعد سنة ١٨٦٠ وفي جوارها مدرسة
الروم . والثالثة كنيسة الميدان في محلة القرشي تم بناؤها سنة ١٨٦٢ . ولطائفة الروم
الكاثوليك ثلاث كنائس ايضاً كانت الكبرى كيسة لليهود القرائين فاشتراها الكاثوليك
وأست ابام الحكومة المصرية تم بناؤها سنة ١٨٤٠ على اسم السيدة وهي في حارة
زيتون قرب سور البلد القديم وحرقت في حادثة سنة ١٨٦٠ ايضاً وهي متينة راسخة
البنيان وفيها مقام البطريرك الانطاكي لتلك الطائفة . والكنيسة الثانية في باب الصلي
على اسم القديس جاورجيوس . والثالثة في القرشي على اسم سيدة النياح . وللسريان
الكاثوليك كنيسة على اسم مار موسى الحبشي في حي المسيحيين على الطريق العامة وفيها
دار البطريركية . لها مدرسة متصلة بها حرقت في سنة ١٨٦٠ ايضاً ثم جددت .
وللارمن القديم كنيسة قرب السور وهي قديمة احترقت في حوادث سنة ١٨٦٠
واسمها مار صركيس . لها مدرسة جدد بناؤها بعد الحوادث . وللسريان اليعاوية
كنيسة بالقرب من الباب الشرقي في محلة حناينا جددت سنة ١٨٦٠ باسم القديس
جاورجيوس . وللارمن الكاثوليك كنيسة امام دير الاعازار بن أنشئت بعد سنة
١٨٦٠ على اسم القديس غريغوريوس . وللبرتستانت كنيسة بنت احدهما مسر
موط الانكليزية سنة ١٨٦٨ والثانية ١٨٦٤ بناها القس يوحنا كرقوردالا ميركاني .
وقد أنشئت عدة كنائس واديار في دمشق اهمها دير الاعازار بن كانت شرع
ببنائه قبل حوادث (١٨٦٠) ثم أحرقت وحدد بعد ذلك وفيه مدرستان احدهما
للذكور والثانية للاناث . ولليسوعيين مدرسة للبنات وفيها كنيسة صغيرة . وهناك

دير الفرنسيسكان بالقرب من دير العازارية قيل انه أشي من نحو ٣٥٠ سنة وحدث عقيب حوادث (١٨٦٠) وفيه مدرسة للصبيان . ولطائفة الموارنة دير على اسم مار انطونيوس البادواني حرق (١٨٦٠) وفيه دار البطريركية . وفي سفح الصالحية كنيسة صغرى للسريان الكاثوليك . وأنشئت في العهد الاخير كنيسة في المدرسة الابطالية بطريق الصالحية وأخرى وراء المستشفى العسكري لراهبات الفرنسيسكان وغيرها من الكنائس الصغرى .

وليس في الشهباء^(١) كنائس قديمة وأقدمها لا يرد عهده
كنائس حلب } الى قبل منتصف القرن الماضي فمنها كنيسة الاربعين
للارمن الغريغورين في الصليبة وهي من الكنائس القديمة جددت (١٨٦٩) وكنيسة
السيدة للارمن الغريغورين (١٨٥٠) وكنيسة مار انطونيوس البادوي للآباء
الفرنسيسكان أنشئت (١٦٦٠) ثم جددت وكنيسة انتقال السيدة للسريان الكاثوليك
في حارة الصليبة جددت (١٨٥٠) بعد حريق وقع لها . وكنيسة ام المعونات للارمن
الكاثوليك تم بناؤها (١٨٤٠) ومنها كنيسة بشارة الانجيل للبرتسنتات في محلة جقور
القسطل جعلت كنيسة (١٨٦٧) . وكنيسة مار فرنسيس للآباء الفرنسيسكان في حي
جلوم تم بناؤها (١٨٧٨) . وكنيسة السيدة للروم الارثوذكس في الصليبة جددت بناؤها
(١٨٥١) . وسيدة الانتقال للروم الكاثوليك جددت بعد حريقها (١٨٥١) .
ومار جرجس للروم الكاثوليك في ثرعوس تم بناؤها (١٨٥٠) وكنيسة قلب يسوع
للآباء اليسوعيين في حي تراب الغربا تمت سنة ١٨٨١ وكنيسة مار بطرس للكلدان
في العزيزية (١٨٨٢) وكنيسة مار جرجس للسريان الارثوذكس في جقور قسطل
وهي من الكنائس القديمة اختص بها السريان بعد ان كانت مشتركة بينهم وبين
الارمن في سنة ١٨٩٣ وكنيسة القديس بوناوثورا للآباء الفرنسيسكان تم بناؤها في

(١) نشكر لحضرة الشيخ راغب الطباخ من أدباء حلب على اعطائنا المعلومات

حي الرام سنة ١٩٠٧ وكنيسة للموارنة باسم مار الياس الحى في الصلصة تمت سنة ١٨٩١
وكنيسة الانفس المطهرية في الحميدية تم بناؤها سنة ١٩١٠ .

الكنائس والبيع
في القدس
وفي القدس اديار وكنائس كثيرة بحيث يصح ان
تدعى بلد الكنائس ولطائفه كاثوليك الرومانيين
كنيسة اسمها كنيسة البطريركية ودير المخلص للفرنسيين وله كنيسة وميتم
وصيدلية ومطبعة وكنيسة القديسة حنة وكنيسة الاكس هومو (اي صورة المسيح
المكحلة بالشوك) وكنيسة الدوميسيون وكاتدرائية سان ايتيان وكنيسة الاغوني
واديار سان سبولكر ودي لافلاجلاسيون والدومنيكيين واخوان البعثة الافريقيين
واللعازار بين والآباء الباسيونيس والبندكتيين . ودير البندكتيين واديار الكرمليين
وسيدات صهيون واخوات القديس يوسف واخوات روزير والكلاريين واخوات
ريبارتريين والبندكتيين . ولهم كنائس في المدارس . منها في المدرسة
الاكليريكية البطريركية وميتم الاطفال في دير المخلص والمدرسة الصناعية في الدير
نفسه ومدرسة الذكور للفرنسيين والمدارس الصناعية للذكور لرهبان سيدة صهيون
ومدرسة الذكور لاهوان المدارس المسيحية ومدرسة وميتم بنات اخوات القديس
يوسف وميتم البنات لاهوات الفرنسيين ومدرسة للبنات لاهوات روزير
ومدرسة وميتم لبنات سيدات صهيون ومدرسة البنين والبنات لجمعية الارض المقدسة
الالمانية . ومن المستشفيات مستشفى سارلويس والفرساوي تعاون فيه راهبات القديس
يوسف وملجأ اللقطاء والعجزة والمرضى لاهوات الاحسان وملجأ الحجاج مثل
كازانوف للفرنسيين . والملجأ الكبير الفرنسي لسيدة فرنسا وملجأ الاغسطيين
والمجأ الكاثوليكي الالمانى والملجأ النمساوي الزم المجتمعون او الروم الكاثوليك لم
كنيسة في البطريركية وبعة في سانت فيره نيك ومدرسة اكليريكية كبرى لرهبان
القديسة حنة لاهوان البعثة الافريقية (الآباء البهس) وميتم للبندكتيين وواحد
للسور بين المتحدين وله مدرسة اكليريكية يديرها الآباء البندكتيون وقليل من الارمن
المتحدين مع كنيسة سيدة السلام وبعة وملجأ ومدرسة متصلة بالكنيسة اللاتينية .

وللطوائف البروتستانتية الالمانية كنيسة المخلص الالمانية وملاجي فرسان القديس يوحنا ومستشفى الديا كونيس قيصر ورت ودار للبرص للاخوان المورافيين وميتم للفتيات وميتم سوري للاولاد اسمه شيلر وله ملجأ للعميان ومدرسة لاولاد العرب في القدس . وللطائفة البروتستانتية الانكليزية مدرسة وكنيسة اسقفية وجمعية التبشير الكنائسي لدعوة ابناء العرب من المسلمين واليهود للمذهب ولها كنيسة القديس بولس وميتم للذكور اسمه اسقف كوبا ومدرسة للذكور والبنات ومدرسة عالية وكنيسة يسوع لجمعية يهود لندرا وهذه الارسالية تقوم بنفقة مستشفى كبير وصيدليتين ومدارس للذكور والاناث ومدرسة صناعية ومطبعة . ولرهبنة فرسان القديس يوحنا الانكليزية مستوصف للرمم وبعض الاديار والمدارس تنفق عليها جمعية نبرعات فلسطين وجمعية مبرات ارسالية الشرق الانكليزية . ولطائفة الروم الارثوذكس عدة اديار وكنائس منها دير هيلانة وقسطنطين ودير ابراهيم ودير جيتسماني والقديس باسيلوس والقديس تيودوروس والقديس جورج والقديس ميشل والقديسة كاترينا واوتم وسيدة النجما واسبيريدون وكارالومبوس وديميتريوس ونيقولاس وروح القدس ومدرسة للبنات واخرى المذكور ومستشفى وغير ذلك . وللبعثة الروسية مدرسة كبرى في حي يافا والبنات على جبل الزيتون . وكان للجمعية الروسية الفلسطينية ملجأ كبير للحجاج بالقرب من المعهد الروسي وملجأ المراهبات بالقرب من البيارستان .

وللارمن دير بالقرب من يا - صهيون ولهم مدرسة اكليزيكية ومدرستان للذكور وللاناث وكنيسة القديس يعقوب ودير للنساء اسمه دير الزيتون ودير وبعة جبل صهيون ولهم ملجأ . وللاقباط دير يقيم فيه اسقفهم ودير آخر يقال له دير القديس جورج . وللسريان البعوثيين كنيسة صغرى يقيم فيها اسقف لهم . وللحبش دير وكنيسة في الشمال الغربي من المدينة وللارمن البعوثيين ٢٠ كنيسة . وكثير من معاهد الخير والاحسان وملاجي الزوار ومعاهد للفقراء اسس معظمها مونتفيور وروتشيلد وجمعية الاتحاد الاسرائيلي وغيرهم ولهم اربعة مستشفيات ودار للمعتوهين ومدرسة للعميان وملجأ للشيوخ ومدرسة ابتدائية وصناعية لتتيم ناهيا جمعية الاتحاد الاسرائيلي ومدرسة انكليزية للبنات ومدرسة المانية للبنين وملاجي منها الالمانى

والاسباني وفي القدس مدرسة البنات لاسوج . ولما زار الامبراطور غليوم الثاني ملك
 المانيا مدينة القدس امر بانشاء اربع كنائس وكلها واقعة في اهم بقعة في المدينة
 ثلاث منها مشرفة عليها من الخارج والرابعة داخل المدينة اي السور .
 وقبل الحرب العامة كانت في القدس ٨ اديار للذكور و ٩ اديار للاناث من
 اللاتين وكنيستين للروم الكاثوليك و١٠ احدى الاراس الكاثوليك و ١٤ ديراً للروم
 الذكور و ٤ اديرة للاناث من الروم و ٤ اديار للروس و ٥ للارمن و ٣ للاقباط و ٣
 للحبش و ٢ للسرياني و ٢ للرتستانات الاسقفيين و ١ للانجيليين و ١ للبيكليين
 من الطوائف الرتستانتيه و ٤٠ كنيسةً للامراثيليين وربما زادت بعض الطوائف
 اماكن اخرى للعبادة . وكنائس القدس واديها وبها على غابة من الفخامة لانها
 من انشاء دول كبرى ومكانة القدس في هذا الباب لا تنازعها فيه غير رومية العظمى
 واهم تلك الكنائس في القدس كنيسة القيامة وهي ليست بالكبرى كثيراً بالنسبة
 لكنائس الغرب الهمة بل هي متوسطة الحجم استأثر اهل كل مذهب من مذاهب
 النصرانية ببقعة صغيرة منها لا يتعدونها يكتسونها ويوقدون مرجها ويتعهدونها
 بما يصلحها . والسدانة للمسلمين حتى لا يقع بين اهل تلك المذاهب شيء من التحاسد الذي
 ادى في الازمان السالفة الى قنن وحوادث ، ولكل قطعة من قطع كنيسة القيامة
 وجدار من حدرانها وعمود من عمدتها حادثة تاريخية يذكرونها في تاريخهم الديني .
 ولو كان عني بعمران كل بلد على مثل ما عني بانشاء الاديار والكنائس في
 القدس وما اليها من الارض المقدسة لكانت الشام اعمر اقطار العالم بكنائسها
 واديها فقد قدر بعضهم ما انفق على هذه المعاهد الدينية الكبرى بخمسة عشر مليون
 جنيه قبل ان يصبح فلسطين وطناً قومياً لليهود ، وقبل ان ينشئوا فيها كنائسهم
 ومعايدهم ويشترك يهود العالم في اتمام مشاريع العمران في فلسطين . ولا يدخل في
 هذا التقدير ما في معابد القدس من العاديات والآثار والتحف والطرف فان ذلك
 لا يقوم بتمن . كل هذا بسائق المنافسة السياسية والدينية بين الطوائف المسيحية بعضها
 مع بعض وبين المسيحيين من جهة . الموسوسين من اخرى .
 ولو جئنا نستقصي كنائس فلسطين لطال بنا المجال فمن كنائسها كنيسة

روسية في يافا مطلة على سهل سارون وكنائس صغيرة تابعة لآخوات المدارس المسيحية . آخوات القديس يوسف وكنيس لليهود . ولهم مدرسة مهمة في تل ابيب واهم الاديار فيها دير اللاتين وفيها كنيسة للبرتسنتات الالمان من طائفة الهيكليين واسمها احباب القدس وقد كترت الكنائس في المدن والقرى والغالب ان كنائس القرى سبقت بانشاءها كنائس المدن لان المصرية انتشرت اولاً في القرى وعصى اهل المدن على التدين بها لغلبة التعصب عليهم .

وفي نابلس دير لللاتين وكنيسة للروم وكنيس وكتاب للسامرة ومدرسة للانكليز ومدرسة للراهبات ولها بيع صغيرة وفي اريحا كنيسة للروم واخرى لللاتين وكنيسة بيت لحم من اقدم الكاتدرائيات الباقية لم تخرب في جملة ماخر به الحاكم ، وقد رمت في اوقات مختلفة وزينت ولا سيما في عهد الصليبيين ، وفي بيت لحم عدة اديار وكنائس منها دير للفرنسيين مع دار ضيافة ومدرسة للذكور وصيدلية وكنيسة جميلة وآخوات القديس يوسف دير وميتم ومدرسة للبنات ودير للكرمليين عمر على مثال قصر سانت آصح في رومية وله كنيسة ومدرسة اكليركية وجمع الاب بولوني وفيه مدرستان احدهما صناعية وكنيسة . وراهبات المحبة مستشفى وآخوان المدارس المسيحية مدرسة عظمى والروم دير الولادة وكنيستان احدهما باسم القديسة هيلانة والثانية باسم القديس جورج ومدرسة للذكور واخرى للآناث . وللارمن دير عظيم وهو ودير الفرنسيين ودير الروم اسمه بقلع . وللبرآ تانت الالمان مدرستان وميتم ، وللانكليز مدرسة للفنيات يضاف اليها دار للمعاملات وكلها تحوي كنائس وبعاً . وفي البصرة اربع عشرة بعة وكنيسة ومعظمها من ضخامة البناء ما يذكر بقصور الملوك ، ودير الفرنسيين يزار بعض الآثار التاريخية فيه وهو اثر من آثار القرون الوسطى . وفي صفد كنيسة ومدرسة للروم الكاثوليك وخمس كنائس للاسرائيليين وخمس مدارس ابتدائية دينية ومدرسة عالية للاتحاد الاسرائيلي وكنيسة ومستشفى للبرتسنتات . وفي طبريا كنيسة للروم واخرى لكاثوليك . خمس كنائس لليهود . وللكاثوليك كنائس في حيفا والبصة وشفاعمرو وترشيحه . المقار . وفي الطور اديار كبرى وكنائس .

وفي الرملة دير للآباء الفرنسيسكانيين أسس سنة ١٤٠٠ على يد الأمير فيليب الاسباني ثم خرب سنة ١٧٠٠ ثم أعيد بناؤه . وخرب صلاح الدين كنيسة لدّة التي أنشئت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر . كما خرب كثيراً من الكنائس في عهده وخرب بعضها في الحروب وخرب الآخر قصداً لاسباب سياسية وحربية حافزة . وفي جينين دير ومدرسة الذكور والروم كنيسة ولبرستانات ولاكاثوليك وكل كنيسة مدرسة تابعة لها . وبالجملة فكل بلد من بلاد فلسطين لا يخلو من دير او كنيسة او كنيس مما بلغ من قلة ساكنيه من المسيحيين والاميراثيليين .

والفضل في إنشاء هذه الكنائس لجماعة الرهبان والمبشرين فهم الذين استوكفوا اكف المحسنين في الغرب وصرفوا عقولهم واوقاتهم في إقامة تلك المعاهد المهمة وقد جاء منهم نوابغ في كل قرن خلدوا اسمهم بقدر ما بذلوا من العناية بنشر دينهم واقامة شعائره ومعابده فاستفاد العمران من عملهم فوائداً لا ينكرها منصف . كتب ايليا بطريرك بيت المقدس الى انسطاس ملك الروم : قد بعثت اليك بجعاعة عبيد الله ورؤساء رهبان بريننا وفيهم سابا الفاضل الذي قد صير بريننا مدائن واعمرها وهو نجم فلسطين .

وفي عبر الأردن كنائس مهمة واهمها كنيسة مادبا او ميدبا وقد تقدم الكلام عليها في المصانع وتزيد الآن ان ميدبا (عن مجلة المسيرة) فافت أخواتها بكنائسها الخمسة العشر وانت مرجيوس مشيد الكنائس شيد كنيسة على اسم الرسل القديسين . ومن الكنائس التي بقي ذكرها الى اليوم كنيسة البتول التي يرجع عهدها الى ايام القيصر يوستنيانوس . ولما فاضت جيوش الأعاجم على هذه البلاد حرقوا الكنائس والديرة وذبحت الالوف من الرهبان والنصارى ثم وطئتها أقدام الفاتحين من المسلمين فدمرت تلك الاسقفية وعادت أخربة ينقع فيها البوم عصوراً طويلة .

وكان في أكثر أمهات قرى حوران كنائس مهمة في الاسلام خربت بطول الزمن حتى قيل انه كان في إقليم حوران فقط اربع وثلاثون أسقفية وناهيك بما يقتضي لها من الكنائس . واشتهرت اليوم كنائس تبنّة وبصير خبيب . وفي جبل عجلون عدة كنائس منها ثلاث في الحصن اكبرها كنيسة اللاتين . وفي عجلون عدة

كنائس صغرى جعل بجانبها مدارس . وفي الكرك ثلاث كنائس للروم والكاثوليك والبرتستانت . وقد بلغ الغرام برجال المذاهب المسيحية ان اهل كل مذهب اذا وجدوا خمس عيال في قرية من رعاياهم انتسأوا لهم كنيسة فالكنائس الصغيرة كثيرة جداً في كل بلد . وكل قرية أنشأ فيها اللاتين كنيسة أنشأ فيها البرتستانت ايضاً والعكس بالعكس . اما كنائس لبنان فكثيرة جداً لا تكاد تخلو كل قرية من كنيسة او كنيسةين وربما اكثر لكنها ليست كلها على جانب عظيم من العظمة ولا يرد عهدها الى زمن قديم فان معظم ما كان منها في كسروان وما اليه الى جنوبي الجبل ليس له من العمر اكثر من مئتي سنة ذلك لان الموارنة لم يمتدوا الى كسروان قبل القرن السادس عشر للميلاد . وكان عشهم في شمالي لبنان قبل ذلك . ولقد ترى في بعض المدن اللبنانية كرحلة وهي اكثر البلاد سكاناً في الجبل القديم كثيراً من الكنائس التي لم تقم على ما يظهر الا بسائق المنافسة ف فيها ١٢ كنيسة للكاثوليك وكنيسة للارثوذكس وكنيسة للموارنة وكنيسة ودير لليسوعيين وكنيسة للسريان الكاثوليك وكنيسة للاميركان وفي زحلة ايضاً دير القديس الياس الطوق للرهبنة الباسيلية وفيها كنيسة في المدرسة الشرقية وغير ذلك من الكنائس الملحقة بالمدارس ولا تقل عن ست وعشرين كنيسة . وفي مدينة بيروت وطرابلس واللاذقية وصور وصيدا كنائس كثيرة لكل طائفة ولكل جمعية تبشيرية واهمها ما كانت في بيروت فللروم الارثوذكس وللروم الكاثوليك والبرتستانت الاميركان ولعيرهم من الطوائف كنائس وبيع مهمة جداً واهمها ما كان لليسوعيين او المراسلين الاميركان .

وفي الهدنة التي عقدت بين الملك المنصور قلاوون وولده الملك الصالح وبين حكام الفرنج بعكاسة ٦٨٢ ان تكون كنيسة الناصرة واربع بيوت من اقرب البيوت اليها لزيارة الحجاج وغيرهم من دين الصليب كبيرهم وصغيرهم على اختلاف اجناسهم وانقارهم من عكا والبلاد الساحلية ويصلي بالكنيسة الاقساء والرهبان وتكون البيوت المذكورة لزوار كنيسة الناصرة خاصة واذا نقت الحجارة التي بالكنيسة المذكورة ترمى براً ولا يحط حجر منها على حجر لاجل بنيته ولا يتعرض الى الاقساء والرهبان وذلك على وجه الهبة لاجل زوار دين الصليب .

ومن كنائس لبنان وما اليه كنيسة معاد وكنيسة رثكيدا وكنيسة حدوتون وكنائس اهدن وعبدله ومجددات وصربا وكفر سليمان وقنوبين وبكفيا وادته وبشري وبكري والديمان وزحلة ودير القمر والشرقة ورمانا وغزير وببت حشو ويزمار وبعبدات والقرية وحريصا واميون وجزين وجبيل وافقة والكورة والزادية وبخس ودير مار الياس والشويز وبسكننا وكفتين ودير مار يعقوب المقطع ودير سيدة الراس ودير حماطورة ودير مار جرجس ودير مار الياس النهر ودير ناطور ودير سيدة السورية عد وجه الحجر ودير كفتون ودير جبرائيل ودير ميخائيل المعظمة في برج صافيتا ودير مار جرجس الحميرا ودير الاحمر . ودير مار شربين ودير مار توما قرب صيدنايا . وكان الصليبيون انشأوا عدة كنائس في ارواد وطرطوس وصيدا وبيروت وغيرها من بلاد الساحل فهدمت في الحرب ثم بنيت مساجد ولان بعضها كان بمثابة حصون في ايدي الرهبنة المتجندة مثل الهيكلين والاسبتار بين والتوتونيين . وفي امهات المدن الصغيرة كنائس مهمة مثل بعلبك وعكار والحصن وحمص وحماة وبيروت والقيبات والاسكندرونة وانطاكية . وفي هذه فقط نسم كنائس . فيها أنشئت اول كنيسة في الشام وكانت في جميع ادوارها موضع إعجاب المؤرخين والسائحين ومنها ماهو في القرى مثل صدد ومعلولا وصيدنايا وهذه البقية يات تذكر في باب الاديار لانها بعيدة عن المدن والدير في الحقيقة كنيسة وزيادة . واليهود في حلب ودمشق عدة كنائس ولكنها ليست من المكانة على شيء ولم في تادف وجوبر وغيرهما كنائس قديمة ينسابونها للعبادة ومن عادة الاسرائيليين ان يكون في دار كل غني كنيس وهو عبارة عن غرفة كبيرة تجعل للعبادة واشهرها في دمشق كنيس سوق الجمعة وفي حلب كنائس مهمة لم وكذلك في بيروت .

* * *

عمل الرهبان	}	يتصور القاري مبلغ عناية الرهبان والراهبان
والراهبان العظيم		بدينهم من القاء نظرة على الفصل التالي : للراهبان

الامانيات مدرسة ودار للايتام في القدس ومستشفى في حيفا ومستشفى ومدرسة ليلية ونهارية للاناث في بيروت ومعهد في دمشق وآخر في حلب وقد جئن القدس سنة

١٨٨٧ - وجاء راهبات السجود القدس سنة ١٨٨٨ واسسن فيها ديراً كبيراً ثم جئن بيروت وانشأت داراً للعادة . وللعازر بين محال مهمة وهم يقسمون قسمين قسم الرهبان للعازر بين الاملات جاؤا سورية عام ١٨٩٠ وانشأوا في القدس مدرسة والقسم الثاني رهبان فرنسويون جاؤا سورية منذ نحو قرنين واخذوا الاديار التي كانت لليسوعيين ولهم مدرسة في بيروت واخرى في عينطورة واهدت في لبنان ورابعة في دمشق وخامسة في ريفون .

وجاء الآباء الساليزيون القدس سنة ١٨٩١ ولهم دار للايتام في بيت لحم ودار للايتام زراعية في بيت جمال وثالثة في الناصرة ومدرسة ابتدائية في بيت لحم . وجاء الراهبات الساليزيات القدس سنة ١٨٩١ وهن يشغلن مع الرهبان الساليزيين . واتي راهبات صهيون القدس عام ١٨٥٦ وانشأن معهداً في كنيستهن المسماة اكس هومو . وقدم الآباء البيض القدس عام ١٨٧٨ وانشأوا كنيستين فيها . ونزل آباء القلب المقدس القدس عام ١٨٧٩ وانشأوا مدرسة في بيت لحم . وللراهبات الورديات عمل ديني مثل بنات جنسهن . وجاء القدس آباء سيدة صهيون عام ١٨٨٤ . والدومنيكان او رهبان مار عبد الاحد وردوا على القدس عام ١٨٨٢ واسس الرهبان الصعوديون مأواهم في القدس عام ١٨٨٧ واسس الآباء الترابيون ديراً في العترون وهم معروفون بفن الالبان والزراعة . وجاء راهبات البنديكتيون القدس عام ١٨٩٦ وراهبات هورتوس كونكلوز وهن اميركانيات جئن القدس عام ١٩٠١ .

ولراهبات الناصرة مدرسة في حيفا واخرى في شعاعمرو وثالثة في عكا ودير الناصرة في بيروت وقد جئن سورية سنة ١٨٥٥ . وقدم الراهبات الكرمليات بلاد الشام سنة ١٨٧٣ وانشأن ديرهن المعروف في جبل الزيتون في القدس ولهن دير في بيت لحم وآخر في سفح جبل الكرمل قرب حيفا . وجاء رهبان الفرير الشام سنة ١٨٧٨ ولهم مدرسة في القدس واخرى في حيفا وثالثة في الناصرة ورابعة في بيت لحم وخامسة في بيروت وسادسة في طرابلس وسابعة في اسكندرونه وثامنة في دمشق . وجاء رهبان مار يوحنا الالهي القدس عام ١٨٧٩ فأسسوا مستشفى في طنطور على طريق بيت لحم ولهم مستشفى ومستوصف في الناصرة .

وجاء راهبات سانت كلير الشام عام ١٨٨٤ وأنشأ ديراً على طريق بيت لحم ولهن دير في الناصرة . ووردت راهبات الفرنسيسكان القدس عام ١٨٨٥ وأنشأ ميثاقاً ولهن ميثاق في يافا وأنشأ مدرسة في دمشق . وجاء راهبات المحبة القدس عام ١٨٨٦ ولهن مستشفى ودار للايتام في بيت لحم ومستشفى ومدرسة في حيفا ومستشفى في الناصرة ولهن في بيروت مستشفى عظيم ودار للايتام ، دار للصناعة للذكور والاثاث وثلاث مدارس صغرى في بيروت ومكتب للصنائع في طرابلس ودور نقابة في اهدن وبحسب من لبنان ومدرسة في برج البراجنة وفي كل معهد منها دار للعبادة يختلف اليها اهل المذهب الذي يبشرون به .

ولقد قالوا ان عدد الجمعيات الاجنبية التي تسعى لنسوية افكار المسيحيين في سورية تبلغ ثمانين جمعية ، وأهمها جمعية اليسوعيين وردوا الشام قبل قرنين او ثلاثة فأسسوا الاديار التي ينزلها العازريون اليوم تم غادروا البلاد فلم يعودوا اليها الا عام ١٨٣١ فأنشأوا مدرستهم في غزير من لبنان وفي عام ١٨٢٦ افتتحوا كليتهم العظمى في بيروت ولهم الآن عدة أديار ومدارس في بكفيا والمعلقة وزحلة وغزير ودمشق وحلب وعتايل وجزير وقد أنشأوا بعد الحرب العالمية مدارس صغرى كثيرة . في ربوع جمهورية لبنان ويوشكون ان يتوسعوا في الداخلية كثيراً بمدارسهم وكنائسهم . اما الفرنسيسكان فلم يزالوا في الشام منذ الحروب الصليبية وزادوا عام ١٨٤٨ عدد أديارهم وأنشأوا ملاحية للزوار في القدس ، لهم فيها ستة ملاحية ولهم أديار وملاحية في بيت لحم وعين كرم وطبريا وجبل الطور ، الناصرة وقانا وعكا وصور وصيدا وبيروت وحريصة وطرابلس الشام ، اللاذقية ، دمشق وحلب واسكندرون . لهم مدرسة في حلب .

وكان الكرمليون تركوا الشام مع القافلة الاخيرة من الصليبيين ثم عادوا الى جبل الكرمل عام ١٦٣٦ وبنوا ديراً ، محلاً للضيافة في الجبل ولهم أديار في حيفا ، طرابلس والقيبات من بلاد عكا ومدرسة في بشارتي . وديرهم في الكرمل من أجمل أديار الشام وأجمل المناظر ترى منه . وجاء راهبات القديس يوسف او الراهبات اليوسفيات من مرسيليا الى القدس عام ١٨٤٨ ولهن في فلسطين ١٣ معهداً و٣

مستشفيات احدها في القدس والآخر في يافا والثالث في الناصرة . ولهن في هذه المدن ثلاث دور للايتام ومدرستان نهاريتان وخمس مدارس دينية ومدرسة في بيروت ودير في صيدنايا ومدرسة فيها ودير ومدرسة في دير القمر وديران . مدرستان ليليثان ومستشفى في حلب ودير ومدرسة في اسكندرية .

الاديار في ا « دير اسحاق » كانت بين حمص وسلمية في موضع الشام حسن تزيه على نهر جاري وحوله كروم ومزارع الى جانب ضيعة صغيرة يقال لها جدر ، وهي التي ذكرها الاخطل في قوله :
 كأنني شارب يوم استبد بهم من قرقف عنقتها حمص او جدر
 وقال فيه ابو عبد الرحمن الهاشمي السلمي من اهل سلمية :
 واذا مررت بدير اسحاق فقل جادتك غيت محائب و بروق
 دير يشبه ماؤه بهوائه وهواؤه بلطافة المعشوق
 وليس لهذا الدير من اثر اليوم .

« دير الباعني » كانت قبلي بصرى من ارض حوران وهو دير بجيرا الراهب كما زعموا ولا يعرف الآن .

« دير باعلل » من جوسية على اقل من ميل وجوسية من اعمال حمص على مرحلة منها من طريق دمشق وهو على يسار القاصد الى دمشق — قال هذا ياقوت وذكر ما كان فيه من العجائب والبدائع مما نقلناه في فصل المصانع والقصور ولا يعرف اليوم هذا الدير .

« دير البتراء » كان في وادي مومي دير للراهبان وذكر البولونديون ديراً للرهبان في البتراء كان برأسه القديس موسى اسقف البدو الرحالة يقال ان بانيه اتينوجينوس اوائل القرن السابع للميلاد . وذكر الرحالة تيمتار انه طاف تلك الفيافي سنة ١٢١٧ وعثر بين اخرة البتراء على كنيسة ودير لم يزل يسكنه بعض الرهبان . وهناك الكنيسة الكاتدرائية المثلثة السواعد وقد كانت اما لسائر الكنائس الملكية الكاثوليكية في هذه البلاد الشرقية (عن مجلة المسرة) .

« دير البخت » كان على فرسخين من دمشق ويسمى دير ميخائيل وكان عبد الملك ابن مروان قد ارتبط عنده بختاً وهي جمال الترك فغلب عليها وكان لعلي بن عبد الله ابن العباس قربه جنيئة يتنزه فيها . وقرية دير لبخت معروفة الى اليوم في الجندور . ووجه التسمية في هذا الدير بعيد لانه عرف بهذا الاسم قبل الاسلام على ما ظهر من رواية ابن عساکر في بعض وقائع عمر بن الخطاب في الجاهلية ومروءه بدير البخت واجتماعه براهب اكرمه وثقرس فيه الخير فيما قال .

« دير بصرى » قيل هو الذي كان فيه بحيرا الراهب في حوران . وقضية بحيرا ومسألة هذا الدير مجهولتان .

« دير بلاض » من اعمال حلب مشرف على العمق فيه رهبان لم مزارع وهو دير قديم مشهور لم يبلغنا انه موجود .

« دير البلسد » من اديار الروم الارثوذكس المشهورة على نشرعالي قرب مدينة طرابلس في اقصى حدود جبل لبنان يقال انه من اديار الصليبيين وان اسمه جاء من تركيب بل مونت اي الجبل الجليل وهو اليوم عامر .

« دير بلودان » مر به ابن فضل الله العمري فقال فيه ان بناءه قديم بديع الحسن وافر الغلة كثير الكروم والفواكه والماء الجاري ، بقربه قرية بلودان وهي محاذية لكفر عامر تطل من مشرقها على جبة الزبداني ببلاد دمشق وبه رهبان نظام مر عليه ونزل اليه ونظم فيه ابياتاً ومنها :

حمداً للدير من بلودان دارا ابيّ دير به واسي نصارى
فيهم كل احور الطرف احوى فائق الحسن في حسان المذارى
وفي رواية ان بلودان بالدال المعجمة قال محاسن الشوا الحلبي :
حييا ساكني بلودان عني ورجالا بدير قانون زهرا
ولا يعرف متى زال هذا الدير .

« دير بولس » كان بمواحي الرملة نزله الفضل بن اسماعيل بن صالح بن علي بن عبد الله بن علي بن العباس وقال فيه شعراً لم يسمه في اوله :
عليك سلام الله يا دير من فتى بمهجته شوق اليك طويل

ولا زال من جو السماكين وابل عليك لكي تروى تراك هطول
 روى الكري قال : ودير بولس آخر و « دبر بطرس » (او بطرس) وهما
 معروفان بظهر دمشق في نواحي بني حنيفة في ناحية الغوطة وياهما عني جرير بقوله :
 لما تذكرت بالدير بنت ارقني صوت الدجاج وفرع بالمواقيس
 فقلت للركب اذ جد الرحيل بنا يابعد بهرين من باب الفراديس
 ولا نعرف شيئاً عن هذا الدير .

« دير البنات » وهو دير ابيض البناء مشرف على ارض طرابلس كان للرواهب
 قال فيه الطيبي :

دير البنات الزهر انت المنى	وانت من دون الاماني المرام
لم أنس يوماً فيك اذهبتك	تالله بلى ذهبتك بالمدام
ونحن في غرة ايامنا	والعيش مثل الطيف حلوا للام
والدوح ما جفت له زهرة	والروض طفل ما جفاه الغمام
وبينا خُود كشمس الضحى	واغيد قد فاق بدر التمام
لولا بنات الشعر في خده	لم تدراي الا غيدن الغلام

ولا نعرف اليوم اي اديار البنات هذا .

« دير يوّآ » اي يوحنا وروي بالباء بدل الياء كانت بجانب الغوطة بدمشق
 ليس بكبير ولا رهبانه بكثير ولكنه في رياض مشرقه وانهار متدفقة ويقال بانه
 من اقدم ديرة النصارى . اجنار به الوليد بن يزيد فأقام فيه اياماً وقال فيه :

حبذا يومنا بدير يوّآ حيث نسقي براحه ونُغنى
 واستهنا بالناس فيما يقولون اذا خُبروا بما قد فعلنا

قال ابن فضل الله وهذا الدير اليوم لا وجود له .

« دير حطورا » هو في شرقي طرابلس في جانب الوادي الذي اسفل من طرز به
 والحدث . وهو بناء في سفح الجبل من ذلك الجانب قبالة الطريق السالك الى طرابلس
 وهو حصين جداً لا يسلك اليه الا من طريق واحد وظهر الجبل الذي له ممتنع — قاله
 ابن فضل الله العمري .

« دير الحنابلة » في تاريخ الصالحية صالحة دمشق لم يكن في الجبل اي فاسيون الا بناية يسيرة من الناحية الغربية دير ابي العباس الكهني ودار بهت الضيا وغيرها من الناحية الشرقية دير يقال له دير الحنابلة وكان اولاً لناس من الرهبان فاتفق انهم احدثوا شيئاً فأخرجوا منه ثم بنى الشيخ ابو عمر المدرسة .

« دير حنيناء » دير بالشام وهناك مات معاوية بن هشام بن عبد الملك فقال الكميث يوتيه :

فأي فتى دنياه ودين لمست بدبر حنيناء المنسايا فذلت

تعطلت الدنيا به بعد موته وكانت له حيناً به قد تحأت

وقيل ان الذي رثي بهذا الشعر البطال احد قواداً موية وورسانهم مات بدير حنيناء قافلاً مع معاوية بن هشام من غزوة فأمر معاوية الشعراء برثائه . والرواية في شعر ابي تمام حنيناء بالاء المعجمة ولا يعلم عنه شيء في عصرنا .

« دير الخمان » كان هذا الدير ببلاد اذرعات بني بالحجارة السود على نشز من الارض يشرف على بركة الفوار وهو من البناء الرومي القديم — مسالك الابصار . ولا يعرف اليوم عنه شيء .

« دير خالد » وهو دير صليبا بدمشق كان مقابل باب الفراديس نسب الى خالد ابن الوليد لزمه فيه عند حصاره دمشق قال ابن الكلبي وهو على ميل من الباب الشرقي ولا يعرف عنه شيء آخر وفي هذا الدير يقول ابو الفتح محمد بن علي المعروف بابي البقاء :

جنة لقبت بدير صليبا مبدعاً حسه كمالاً وطيباً

جنته للقام يوماً فظلنا فيه شهراً وكان امراً عجيباً

تجر محقق به ومياه جاربات والروض بيد وضروبا

من بديع الالوان يضيء به الثا كل مما يرى لديه طروباً

كم رأينا بدرأ به فوق غصن مائى قد علا بشكل كتيماً

وسرربنا به الحياة مداماً تطلع الشمس في الكؤوس غروباً

فكان الظلام فيها نهار لسنها تسر من القلوباً

لست اسى ما صرفيه ولا اج - حل مدحي الا لدير صليباً
« ديرة خناصره » ورد ذكره في شعر بني مازن في قول حاجب بن ذبيان المازني
مازن بني تميم من عمرو بن تميم لعبد الملك بن مروان في جذب اصاب العرب قال :
وما انا يوم ديرة خناصرات بمرتد العموم ولا ملهم
ولكني ألت بحال قومي كما ألم الجريج من الكلوم
وخناصره بلد في قلبي حطب وليس للدير ذكر الآن .

« دير الدواكيس » شرقي القدس حسن البناء له سمعة وذكر وكان له وقف يعود
منه على الرهبان السكان جليل فائدة ونفع ولا بن فضل الله فيه وقد مر به غير مرة
ايات منها :

دير الدواكيس ام ريش الطواويس ام الشموس منّا تلك الشاميس
ماوى المياسير لكن بعد اوبتهم منه يُعدّون في حزب المقاليس
مانزل به وأقم فيما تريد وقل إملا كوؤوسي وفرغ عندها كيسى
واقدح زناد سرور من مدامته فهذه النار من تلك المقاليس
« دير رمانين » جمع رمان بلفظ جمع السلامة يعرف ابضاً بدير السابان وهو بين
حلب وانطاكية مطّل على بقعة تعرف بسّر من وهو دير حسن كبير خرب قبل القرن
السابع وآثاره باقية كما قال ياقوت وفيه يقول الشاعر :

ألف المقام بدير رمانينا للروض الفاء والمدام خدينا
والكاس والابريق بمحل دهره وتراه يجني الآس والدرينا

قال ياقوت ودير السابان وهو دير رمانين ونفسيره بالسريانية دير الشيخ .
« دير ساير » كان من نواحي دمشق وهو من اقليم خولان سكنه عمر بن محمد
ابن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الاموي . وخولان كانت بقرب
دمشق خربت بها قبر ابي مسلم الخولاني وبها آثار باقية - ياقوت . وبها ساير اليوم
قرية في سفح جبل الشيخ من عمل وادي العجم .

« دير سعد » كان من ديرة الشام نزله عقيل بن عاتمة المري وكان يصهر اليه
خلفاء بني امية وهذا كل ما عرف عنه قديماً .

« دير سليمان » دير بجسر منبج وهو في جبل عال من جبال دلوك مطل على مرج العين وهو غابة في النزاهة قال ابو الفرج اخبرني جعفر بن قدامة قال ولي ابراهيم ابن المدير عقيب نكبتة وزوالها عنه الثغور الجزرية وكان اكثر مقامه بمنبج نخرج في بعض ولايته الى نواحي دلوك برعبان وخلف بمنبج جارية كان يتخطاها يقال لها غادر فنزل بدلوك على جبل من حالها بدير يعرف بدير سليمان من احسن بلاد الله واترها ودعا بطعام خفيف فأكل وشرب ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب :

ايا ساقبيننا وسط دير سليمان	اديرا الكؤوس فانهلاني وعلائي
وخصا بصافيه ابا جعفر اخي	فذا ثقتي دون الانام وخلصاني
وميلابها نحو ابن سلام الذي	أود ، وعودا بعد ذاك لنعمان
وعُما بها النعمان والصحب اني	نكر عيشي بعد صحي واخواني
ولا نترك نفسي تمت اسقامها	لذكرى حبيب قد سقاني وغناني
ترحلت عنه عن حدود وهجرة	فأقل نحو ي وهو ناك فانكافي
وفارقته والله يجمع شملنا	بلوعة محزون وغلة حرّات
وليلة عين المرج زار خياله	فهيج لي شوقاً وحدد احزاني
فأشرفت اعلى الدير انظر طامحا	بالبحر آفاق وانظر انسان
لعلي ادي ايات منبج رؤية	أسكن من وجددي وتكشف اشجاني
فقطر طرفي واستهل بعبرة	وفدّيت من لو كان يدري لفدّاني
ومثله شوقي اليه مقالي	وناحاه عني بالضمير وناحاني

« دير سمعان » نواحي انطاكية على البحر قال ابن بطلان ونظاير انطاكية دير سمعان وهو مثل نصف دار الخلافة ببغداد يضاف به المجتازون وله من الارتفاع كل سنة عدة قناطر من الذهب والفضة وقيل ان دخله في السنة اربعمائة الف دينار ومنه يصعد الى جبل اللكام — قال هذا في القرن الخامس للهجرة . وفي رواية ان دير سمعان بنواحي حلب بين جبل بني عليم والجبل الاعلى . ودير سمعان ايضا في قرية تعرف بالبقرة من قلبي معرة النعمان وبه قبر عمر بن عبد العزيز مشهور لا ينكر ذكره السيد الرضي في رثائه بقوله :

يا ابن عبد العزيز لو بكت العي
انت تزهنتا عن السب والشت
قبر سمعان لا عدتك العواديه
وقال ابو فراس بن ابي الفرج البزاعي وقد مر به رآه خراباً فغمه :

بادير سمعان قل لي اين سمعان
واين سكانك اليوم الا لي سلفوا
اصبحت قفراً خراباً مثل ما خربوا
وقفتُ اسأله جهلاً ليخبرني
احابتي بلسان الحال انهم
كانوا ويكفيك قولي انهم بانوا

« دير السيق » كان معروفاً قديماً ويقع قلبي البيت المقدس على نسر عظيم عال مشرف على الغور غور اريحا يطل على تلك البساتن الخضراء ومجرى الشريعة وبه رهبان ظراف اكياس الاياتيهم الا قاصد لهم او مارة في مزارع الغور - تحتهم وفوقهم الطريق الآخذة الى الكتيب الاحمر - وقبر موسى عليه السلام في القبة التي بناها عليه الملك الظاهر بيبرس وفي هذا الدير ومشترفه واطلال قلاليته وغرفته قال ابن فضل الله العمري :

ارى حسن دير السيق يزداد كلما
بتوه على نجد من العور مشرف
واشرق في سود الغمام كأنما
وقاء على طود علي كأنما
وزفت اليه الشمس من جنب خدرها
والقت اليه الريح فضل عنانها
ولو كان كالدسرين هان ارتقاؤه
علا نهر ريحا والمجرة فوقه
نظرت اليه والفضاء به نصر
كتخت ملك تحت بسط خضر
تشقق ايلاً عن جلايبه الفجر
مصايحه تحت الدجى الانجم الزهر
وناغاه جنح الليل في افقه البدر
واحني عليها لا تابل له عذر
ولكنه قد حط من دونه التسر
فمن فوقه نهر ومن تحته نهر

« دير شق معلولا » وهو باطن جبة عسال وهو بناء رومي بالحجر الابيض المأق بسقيف وبها صدى فيها ماء ينقط نحو الذي بصيدنايا ، يأخذ النصارى للتبرك

معقدين فيه نحو اعتقادهم في الآخر وإنما الاسم للذي بصيدنايا - قاله في مسالك
الابصار والغالب انه دير الروم الارثوذكس الباقي الى اليوم .
« دير صليبيا » و يعرف بدير السائمة (السائحة؟) وهو بدمشق مطل على الغوطة و يليه
من ابوابها باب الفراديس نزل دونه خالد بن الوليد ايام محاصرة دمشق وهو في موضع نزه
كثير البساتين . بناؤه حسن عجيب والى جانبه دير للنساء فيه رهبان ورواحب واباء
اراد جرير بقوله :

اذا تذكرت بالديرين ارقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس
فقلت للركب اذ جد النجاة بهم يابعد بهرين من باب الفراديس
وقد مر بنا هذان البيتان في دير بولس براهية اخرى . وقال الآخر :
يادير باب الفراديس المهيج لي بلابلأ بقلاليه واشجاره
لو عشت تسعين عاماً فيك مصطبجاً لما قضى منك قلبي بعض اوطاره
قال ابن فضل الله وهذا اليوم اي في الثامن لاعير له ولا اثر وانما صار دوراً وابنية
ومساجد ومدافن وهي بناحية محلة حمام النحاس اه . والدير اثر بعد عين .

« دير صيدنايا » يؤخذ مما قاله صاحب مسالك الابصار انها اثبات احدهما
يقصده النصارى بالزيارة وهو في دمنة القرية والآخر على بعد منها مشرف على
الحبل شماليها بشرق وهو دير مار شربين ويقصد للنزه من بناء الروم بالحجر الجليل
الابيض وهو دير كبير وفي ظاهره عين ماء سارحة وفيها ما يطل على مواطن ما وراء
تنية العقاب ويمتد النظر من طاقاته الشمالية الى ما اخذ شمالاً عن عليك . واما الذي
في القرية فمن بناء الروم بالحجر الابيض ايضاً . يعرف بدير السيدة وله بستان . به ماء
جار في بركة عملت به وعليه اوقاف كثيرة وله معلات واسعة ونأتيه نذر . افرة
وطوائف النصارى من الفرنج تقصد هذا الدير . نأتيه الزيارة . وكنت اراهم
يسألون السلطان في ان يمكنهم من زيارته . اذا كتب لهم زيارة قمامة ولم يكتب معها
صيدنايا يعاودون السؤال في كتابتها لهم ولم فيها . معتقد . قال وحاءت مرة كتب
ريدفرنس (ملك فرنسا) وكتب الاذفونش (ملك اسبانيا) على ايدي رسلهم ومما

سألو فيها تمكين رسلهم من التوجه الى صيدنايا للتعرك بها فاجاب السلطان سؤلهم وحمل الرسل على خيل البريد اليها . وهذا الدير لم يزل عامراً الى اليوم يزوره الناس وفيه راهبات ارثوذكسيات وفي عيد الصليب من كل سنة تجري في قرية اجتماعات وافراح ويأتيه الناس من البلاد المجاورة وغيرها .

« دبر الطور » الطور في الاصل الجبل المشرف ، والطور ها هنا جبل مستدير واسع الاسفل مستدير الرأس لا يتعلق به شيء من الجبال وليس له الا طريق واحد وهو ما بين طبرية والآحون مشرف على الغور ومرج الآحون وفيه عين ثنبح بماء غزير كثير والدير في نفس القلة مبني بالحجر وحوله كروم يعتصرونها ويعرف عندهم بدير التجلي والناس بقصدوته من كل موضع فيقيمون به ويشربون فيه وموضعه حسن يشرف على طبرية والبحيرة وما والاها وعلى اللجون . وما زال هذا الدير عامراً وقد جدد في ادوار مختلفة وفيه بقول مهلهل بن يوسف الموزرع :

نهضت الى الطور سيفه فتيه	سراع النهوض الى ما احب
كرام الجدود حسان الوجوه	كهول العقول شباب اللعب
فاني زمانف بهم لم يُسرّ	واي مكانف بهم لم يطب
انخت الركاب على ديره	وقضيت من حقه ما يجب
وانزلتهم وسط اعتابه	واسقيتهم من عصير العنب
واحضرتهم قرأ مشرفاً	تميل الغصون به في الكؤب
نحت الكؤوس باهزاجه	ومرسوم ارماله بالعجب
وما بين ذاك حديث يروق	وخوض لهم في فنون الادب
فياطيب ذا العيش لولم يزل	وياحسن ذا السعد لولم يغيب

« دير عمان » قال ياقوت : بنواحي حلب ونفسيره بالسريانية دير الجماعة قال

فيه حمدان بن عبد الرحيم الحلبي :

دير عمان ودير سابان هجن غرامي وزدن اشجاني

اذا تذكرت منها زمانف قضيته في عرام ريعاني

ومرّ به ابو فراس بن ابي الفرج البزاعي فقال ارتجالاً :

قد سررنا بالدير دير عمانا ووجدناه دائراً فشجانا
ورأينا منازلنا وطلولا دارسات ولم نر السكنا
وارثنا الأتار من كان فيها قبل نفهم الخطوب عيانا
فبكينا فيه وكان علينا لا عليه لما بكينا بكانا
است انسى يادبر وقفنا فيه لك وان اورثتني النسيانا
من اناس حطوا كدهراً نخلوا لك واسواق دعلوك الانا
فرقتهم بد الخطوب فاصبح ت خراباً من بعدهم اميانا
وكذا شيمة الليالي تمت الـ حي منا وتهدم البنيانا
حرباً ما الذي لقينا من الدهر ر وما ذامن خطبه قددهانا
نحن في غفلة بها وغرور وورانا من الردى ما درانا
ولا نعرف عنه شيئاً الآن .

« دير فاخور » وهو الموضع الذي تعمد فيه المسيح من يوحنا المعمدان كما في كتب الجغرافية .

« دير فيق » هو في ظهر عقبة فيق — عقبة نخدر الى النور من ارض الأردن ومن اعلاها طبرية وبجربتها — وهذا الدير فيما بين العقبة وبين البحيرة في لحف جبل يتصل بالعقبة منقور في الحجر وكان عامراً بن فيه من الرهبان ومن بطرقه من السيار والنصارى يعظمونه . واجتاز به ابو ذؤاس فقال غلام نصراني فيه قصيدة منها :

بحجك قاصداً ما مرجسان فدبر النوبهان فدير فيق
وبالمطرات اذ نلوز بوراً يعظمه ويكي بالشهب
وهذا الدير غير عامر الآن .

« دير القاروس » قال ابن فضل الله انه على جانب اللاذقية من شمالها وهو في ارض مستوية وبناؤه مربع وهو حسن البقعة . وفيه يقول ابو علي حسن بن علي الغزي :

لم انس في القاروس يوماً ابضاً مثل الجبين يزينه فرع الدجى
في ظل هيكله المشيد وقد بدا للعين معقود السكينة ابلجا
واللاذقية دونه في ساطيها بلوره قد زين القاروس زجا

ولدي من رهبانه منفس
احوى اغن اذا تردد صوته
لا شيء الطف من شمائله اذا
فله واليوم الذي قضيت به
اضحى لفرط جماله متبرجا
في سمع رد احتجاج ذوي العجى
حث الشمول ولفظه قد لجلجا
معه بكائي لا لربع قد شجا

« دير القديس سابا » الى الجنوب الشرقي من اورشليم على بعد ثلاث ساعات ونصف عنها على الراجل وعلى انخماض ٥٦٠ متراً عنها عند الطريق المؤدي منها الى بحر الميت على مقربة من وادي الراهب (النسار) وعلى عدوة وادي قدرون الى شمال بيت ساحور الشرقي - وهو اشبه بقلعة منيعة غربية الابنية ومن الدير الى هضم الوادي ٢٧٥ ذراعاً فيصعد من الوادي الى الدير بسلاط بعضاً منقور بالصخر والاخر متني على شكل ادراج ولا يدخل اليه الا باذن البطريك الاورشليمي . ورهبانه ستون راهباً يعيشون عيشة نقشف منقطعين الى الصلاة والصوم والعبادة وفي كل جمعة يبعث لهم دير القبر المقدس في اورشليم طعامهم مرة واحدة ولا يسمح للنساء ان يدخلنه وتلك عادة منذ تشييده الى اليوم لم تدخله امرأة ، وقر به برج مار سمعان وهو دير خرب فيه بيت كبير يشرف على دير القديس سابا على بعد خمس دقائق فيسمح للنساء ان ينظرن الدير الكبير من بيت هذا البرج وقر به دير على قمة جبل تاودوسيوس وهو عامر الآن وفيه رهبان ويسميه العرب دير عبيد (من مجلة النعمة) . « دير قنـسري » على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي من نواحي الجزيرة وديار مضر مقابل جرابلس (في الاصل جرابلس) وجرابلس شامية وبين هذا الدير ومنج اربعة فراسخ وبينه وبين سروج سبعة فراسخ فهو دير كبير كان فيه ابام عمارته ثلاثمائة وسبعون راهباً ووجد في هيكله مكتوباً :

ايا دير قنـسري كفى بك نزهة لمن كان بالدنيا يلبذ وبطرب
فلا زلت معموراً ولا زلت آهلاً ولا زلت مخضراً تزار وتعجب
« دير كعب » كان من اديار الشام وهو الذي جاء فيه المثل اطول من فراسخ
دير كعب قال الشاعر :

ذهبت تمادياً وذهبت عرضاً كأنك من فراسخ دير كعب

« دبر كفتون » ولعله المعروف اليوم بدبر كفتين قال فيه ابن فضل الله انه ببلاذ طرابلس مبني على جبل وهو دبر كبير وبنائه بالسجور والكس في نهابة الجودة وبه ماء جار وله حوض كبير مملوء من شجر النارج يحمل نارنجيه الى طرابلس باع فيها ويرتفق بثمنه الرهبان وله مستشرف مطل على البلاد والمزارع ومنه مكان يشرف عن بعد على البحر ، ولهذا الدبر صيت جائل ومسمعة مذكورة وبه رهبان كثير والعدد والصاري تقصده وتحمل اليه النذورة ويقصده كثير من اهل البطالة واللهو للتفرج به والنزه فيه وفيه يقول الطيبي :

أدير كفتون تكفي كل نائبة من الهموم وتلقى كل مساء
من كل خضراء في الاشجار مائسة وكل صهاة في الكاسات رواه
حلت في دبر كفتون فلا عجب اذ مت سكرأً بحمراء وخضراء

« دير مارون » قال المسعودي في التنبيه و لاشراف وفي ايام موريقي من ملوك الروم ظهر رجل من اهل حماة من اعمال حمص يعرف بمارون اليه نُسب المارونية من الصاري . وامرهم مشهور بالشام وغيرها اكرمهم بجل لبنان وسنير وحمص واعمالها كحماة وشيزر ومعرة النعمان وكان له دير عظيم يعرف به شرقي حماة وشيزر ذو بنيان عظيم حوله اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها الرهبان وكانت فيه من آلات الذهب والفضة والجواهر شي عظيم تخرب هذا الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفتن من الاعراب وحيف السلطان وهو بقرب نهر الارنط (العاصي) نهر حمص وانطاكية . وقال ابن بطريق وكان في عصر موريقي ملك الروم راهب يقال له مارون وكان يقول ان سيدنا المسيح طيبتان ومشيدة واحدة وفعل واحد واقوم واحد واكثر من تبعه على مقالته تلاميذه القائلون به اهل مدينة حماة وقنسرين والعواصم وجماعة من ارض الروم فسموا الموارنة ولما مات مارون بنى اهل حماة ديراً بجماة وسموه دير مارون . قلنا ولعله دير آخر غير الدير الذي نشأ فيه مارون شرقي حماة وشيزر . وقد خرب دير مار مارون سنة ٧٥ للهجرة لما غزا موريقي وموريقان بلاد الشام وحملوا على هذا الدير وقتلوا منه خمسمائة راهب وهدموا بنيانه ثم تحولوا من هناك الى قنسرين والعواصم فقتلوا الاهلين ونهبوا وخرابوا الساكنين ولم يبق عن احد من اتباع مار مارون .

قال الدريعي كان قرب دمشق فوق نهر يزبد دير على اسم القديس مارون . قال
ولقد استدلا ما يرسومه واطلالة المائلة الى اليوم على عظمه وشرفه ذكره ابن الحريزي
المؤرخ فيما كتبه عن الحاكم باسم الله سنة ٣٨٦ . ولا اثر اليوم لدير حماة ولا لدير
دمشق .

« دير مار مروثا » وهو دير صغير بظاهر حلب في منح جبل جوشن على نهر
المرجان (العوجان ؟) . وكان سيف الدولة محسباً الى اهله وقلما مر به الا نزله
ووهب لاهله هبة كبيرة وكان يقول رأيت ابي في النوم يوصيني به — وفي رواية
والدته — . وله بساتين قليلة ومباقل وفيه نرجس وبنفسج وزعفران ويعرف
بالبعثين لارفيه مسكنين للرجال والنساء . قال الخالدي واياء عن الصنوبري بقوله :

ما نال اعلى قُوَيِّقَ ينشر من وشي الربيع الجديد . اُدرج .
كأنما اختبرت الفصوص له بين عقيق وبين فيروزج
اما ترى البهتتين أفردتا بمفرد الاقحوان والمزواج
اثوابه المزن كيف ما اتصلت وناره البرق كيف ما أجمج

هذا ما رواه ابن فضل الله في هذا الدير وفي رواية ياقوت ان هذا الدير ذهب
ولا اثر له الآن وقد استجد في موضعه الآن مشهد زعم الحلبيون انهم رأوا الحسين بن
علي رضي الله عنه يصلي فيه فجمع له المنتسبون بينهم مالا وعمروه احسن عمارة
واحكامها وفيه ايضا يقول بعض الشاهدين :

بدير مسارت مروثا الشريف ذي البعثين
والراهب المتحلي والقصر ذي الطمرين
الا رثيت لصبـ مشارف للحسين
قد تنفـ منك هجر من بعد لوعة بين

قال وفيه يقول الحسين بن علي التميمي :

يادير مارت مروثا سقيت غيثا مغيثا
فانت جنة حسن قدحزت روضاً اثينا

« دهر مارت مريم » قال الخالدي وبالشام دهر يقال له مارت مريم وهو من قديم الدبرة ونزله الرشيد وفيه يقول بعض شعراء الشام :

بدهر مارت مريم ظبي ملج المبسم
وفيه يقول الشاعر ايضاً :

نعم المحل لمن يسعى لذته دهر لمريم فوق الظهير معمور
ظل ظليل وما اغير ذي أسن وقاصرات كاهثال المها حور
« دهر الماطرون » يروي لزبد بن معاوية فيه :

ولها بالماطرون اذا اكل آمل الذي جمعا
حرقة حتى اذا ربت ذكرت من جلق بهما
في قباب حول دسكرة بيتها الزيتون قد نعا
قال ابو محمد حمزة بن القاسم قرأت على حائط من بستان الماطرون هذه الابيات :
أرقت بدهر الماطرون كأنني لساري النجوم آخر الليل حارس
وأعرضت الشعري العبور كأنها معلق قندبل عليها الكنائس
ولاح سهيل عن يميني كأنه شهاب نجاة وجهه الريح قابس
ولم يبق في الوجود من هذا الدير غير اسمه .

« دير المصالبة » وهو بظاهر مدينة القدس الشريف في شامها بغرب وهو دير رومي قديم البناء بالحجر والكلس يحكم الصخرة موقى القعدة في بحيرة من اقبحار الزيتون والكروم وشجر التين بازاء قرية تجري على الدير بمرسوم السلطان . قال في مسالك الابصار بعدما تقدم : وهذا الدير دخلت اليه ورأيت فيه صور يونانية في عاية من محاسن التصوير وناسب المقادير وصعدت الى سطحه فرأيت له حسن مشترف وسعة فضاء ورهبانه من الكرج . قال وكان أخذ وجعل مسجداً للمسلمين ثم أعيد ديراً للنصارى وتوصل الى هذا بكتاب أحضر من ملك الكرج وأعان عليه قوم آخرون . قال وحدثه رهبانه بان على ديرهم وقوفاً في بلادهم منها خيول سائمة تحمل اتمان نتاجها اليهم وانه يجي منها في كل سنة قدر جليل وانها تنفق في مصالح الدير وابن السبيل . وفيه يقول ابو علي حسن الغزي :

يا حسن ايام قطعت هيثة
دير المصلة الرفيع بناؤه
في ظل هيكله واسراب الدمي
ومر نرين اذا تلوا انجيلهم
غزلان وجرة هم وبين جفونهم
تزعوا القلائس والمسوح فزحزحت
وسعوا بكاسات المدام وما دروا
فقضيت بينهم زماناً لم يزل
تلك المذ ازل قد سفحن مدامي
ولا يزال هذا الدير عامراً وهو للروم الارثوذكس .

« دير مرقس » الغالب انه كان من نواحي حلب ورد في شعر حمدان بن عبد الرحيم في قوله :

أسكان عرشين القصور عليكم
الا هل الى حت المطي اليكم
وهل غفلات العيش في دير مرقس
اذا ذكرت لذاتها النفس عندكم
بلاد بها امسى الهوى غير اني
اميل مع الافدار حيث تميل

« دير مرقس » هذا اسم لديرين في الشام كان احدهما على الجبل المشرف على كمة رطاب قرب المعرة يزعمون ان فيه قبر عمر بن عبد العزيز (رض) وهو مشهور بذلك كان يزار في عصر ياقوت . والثاني بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة وبناؤه بالجص واكثر فرشته بالبلاط الملون وهو دير كبير وفيه رهبان كثيرة وفي هيكله سورة عجيبة دقيقة المعاني والاشجار محيطة به . روى ذلك الخالدي اما محل الدير فمحل خلاف منذ القديم قال ابن فضل الله : والناس في اختلاف اين كان دير مرقس قرن قائل انه كان بمشارق السفح نواحي برزة والاكثر على انه كان بمغاربة وان مكانه الآن (القرن الثامن) المدرسة المعظمية واما الذي

كان بمشارق السفح فهو دير السائمة المسمى دير صليباً . وروى صاحب قضاة دمشق قال لما وافى المأمون دمشق سنة خمس عشرة ومائتين نزل بدير مران ومكانه المعروف بالسهم الى قرب النيرب خارج دمشق في سفح قاسيون فعمر المأمون هذا الدير وبني القبة التي فوق الجبل وهي المعروفة الآن بقبة النصر ولم يثر على اثر لهذا الدير العظيم . وكان هذا الدير لقربه من دمشق ولجمال موقعه مقصد الملوك والراغبين في النزعة والشراب . قال ابن بطريق : ان كنائس الغوطة ودير مران كان المسلمون ينزلونها ويسكنون فيها . وقد نزل يزيد بن معاوية ودير مران ومات فيه الوليد واجتاز به الرشيد والمأمون وقد اكثر الشعراء من ذكره حتى نسب ليزيد قوله وقد اصاب المسلمين سبائهم بارض الروم :

وما أبالي بما لاقت جموعهم بالغد قدونة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الانماط مرثفقا بدير مران عندي أم كلثوم^(١)

ومن جملة ما قيل في هذا الدير قول ابي بكر الصنوبري وهو :

امر بدير مران فأحيا واجعل بيت لهوي بيت لهما
وهرد غلتي بردي فسقيا لا يام على بردي ورعيا

(١) الموم البرسام وام كلثوم هي زوجة يزيد بنت عبد الله بن كرز والققدونة ويروى الخدقدونة وهو الثغر الذي فيه المصيصة وطرسوس واذنة وعين زربة . وروى البكري هذه الابيات في دير سمعان باختلاف قليل فائلاً ان معاوية كان وجه ابنه يزيد لغزو الروم فأقام يزيد بدير سمعان ووجه الجيوش وتلك غزوة الطوانة فأصابهم الوباء فقال يزيد بن معاوية :

اهون علي بما لاقت جموعهم بهم الطوانة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الانماط مرثفقا بدير سمعان عندي ام كلثوم

فبلغ شعره معاوية فكتب اليه : اقسم بالله لتلحقن بهم حتى يصيبك ما اصابهم فألحقه بهم . والاختلاف في رواية هذين البيتين وانشادهما مع تبدل يسير قارة في دهر سمعان واخري في دهر مران بوقع الشك في نسبتها ليزيد وحامل على ان القصة مفعلة .

ولي في باب جيرون ظباء
ونعم الدار داريا ففيها
سقت دنيا دمشق ليصطنعها
نفيض جداول البلور فيها
مظلة فواكهها نابهي المـ
فمن نفاحة لم تعد خدأ

وله فيه :

منى الارحل مخطوطة
باعلى دير مرات
فسطي ردى في جند
رباع تمط الانها
وروض احسنت تكتيد

وقال فيه الحسين بن الضحاك :

يا دير مرات لا عورت من سكنـ
حت المدام فان الكأس منوعة
وقال السبعا ابو الفرج عبد الواحد :

ويوم كأنت الدهر سامحي به
حرت فيه افراس الصبا بارتياضنا
بحيت هواء الغوطتين معطر الذ
فمن روضة بالحسن ترفد روضة
وفي الهيكل المعمور منه انتزعتها
وتزهت عن غير الدنانير قدرها

وقال عون الدين الحلبي الكاتب المتوفى سنة ٦٥٦ وهو مما يستأنس به من ان
هذا الدير كان عامراً الى اواسط القرن السابع وفيه ذكر ديرين آخرين وهما دير منى
ودير حنيدا والاول ليس له ذكر في ديرة الشام بل هو من ادبار الموصل ولما كانت

القصيدة في التشوف الى الشام استلزم ذلك ان يكون دير متى من جملة اديارها التي ضاع اسمها ورسمها قال :

يا سائقاً يقطع البهده معتسفاً بضامر لم يكن في سيره واني
ان جزت بالشام شم تلك البروق ولا تعدل بلغت المتى عن دير مرّان
واقصد علالي قلاليه تلاقٍ بها ماتتشي النفس من حور وولدان
من كل بهضاء هيفاء القوام اذا ماست فيا نخلة المرات والبان
وكل اسمر قد دانت الجمال له وكل الحسن فيه فرط احسان
ورب صدغ بدا في الخده رّسه له في فترة فنتت من سحر أجفان
فليت ربقتة وردية ووجنته زردى ومن صدغه انسي وريحاني
وعج على دير متى ثم حيّ به الر بان بالطرس فالربان رباني
فهمت منه اشارات فهمت بها وصنت منشورها في طي كتمان
واعبر بدير حينا وانتهاز فرص الد لذات ما بين قسيس ومطران
واستجل راحتها تحي النفوس اذا دارت براح شماميس ورهبان

« دير الُغان » بحمص في خربة بني السمط تحت تلهم وهو دير عظيم الشأن
عندهم كبير القدر فيه رهبان كثيرة وترايه يختم عليه للمقارب ويهدى الى البلاد
قاطبة واثنا في النصرى في موضع مقبرته (ياقوت) -

« دير مياس » نقلت من ياقوت : بين دمشق وحمص على نهر يقال له مياس
واليه نسب وهو في موضع نزه وبه شاهد على عزمهم من حوارى عيسى عليه السلام
زعم رهبانه انه يشفي المرضى وكانت البطين الشاعر قد مرض فجاءوا به اليه يستشفي
فيه فقبل ان امله غفلوا عنه فمال قدام قبر الشاهد واتفق ان مات عقيب ذلك فشاع
بين اهل حمص ان الشاهد قتله فقصدا الدبر ليهدهوه وقالوا نصراني يقتل مسلماً
لا نرضى او تسلموا لنا عظام الشاهد حتى نحرقها فرشا النصرى امير حمص حتى رفع
عنهم العامة فقال شاعر يذكر ذلك :

يارحمنا لبطّين الشعران لعبت به شياطينه في دير مياس
وافاء وهو عليل يرتجي فرجا فرّدّه ذاك في ظلمات ارماس

وقيل شاهد هذا الدير انلفه حقاً مقالة وسواس وخناس
 أَعْظُمَ باليات ذات مقدرة على مضرة ذي بطش وذي باس
 لكنهم اهل حمص لا عقول لهم بهائم غير معدودين في الناس
 وحكي ان ابا نوس لما دخل حمص ماراً بها دعاه فتى من ادبائها الى دير مياس
 ودعا معه الشيخ السلمي فجلسوا ليشربون وابو نواس ينشدهم له واغيره فقال الشيخ :
 صبحت وجه الصباح بالكاس ولم تعُفني مقالة الناس
 ونحن عند المدام اربعة اكرمُ صحب وخير جلاس
 ندير حمصية معقنة على نسيم النسرين والاس
 ولم يزل مطرباً ومنشدنا ابو نواس في ذير مياس

« دير نجران » بارض دمشق من نواحي حوران ببصرى واليه ورد النبي (ص)
 وهو دير عظيم عجيب العمارة ولهذا الدير يُنادى في البلاد من نذر نذراً لنجران
 المبارك والمنادي راكب فرس يطوف عامة نهاره في كل مدينة ماد والسلطان على
 الدير قطيعة يأخذها من الذر التي تهدي اليه — قاله يافوت .

« دير القيرة » في جبل قرب المعرة وبها الموضع قبر الشيخ ابي زكريا يحيى
 المغربي وكان من الصالحين ولا تعرف عنه شيئاً .

« دير هنزقل » قال الخالدي هو بالشام وذكره دعبل بن علي حين هما ابا عباد
 كاتب المأمون فقال :

فكأنه من دير هنزقل مُمَاتُ حَنْقٍ يحير سلاسل الافياء

قال ابن فضل الله ولا ادري في قرب اي مدينة هو .

« دير بونس » ربما كانت في جهات الرملة في فلسطين وقد قيلت فيه قصائد
 كثيرة وما ندري ان كان اختلط بدبر في جهات الموصل على جانب دجلة الش في
 وموضعه يعرف بنينوى ونيوى هي مدينة بونس .

هذا ما امكن تلقفه عن الاديار في الاسلام وكانت قبل الاسلام ابادر مهمة
 ضاعت اخبارها ولا يستغرب ما قيل في هذه الاديار من الاشعار في سائف
 لاعصار . فقد كان المسلمون يختلفون الى الديرة يعملونها محال النزهة لانها في اماكن

نزهة على الغالب تختار بانوها مواقعها ، وبالنظر لتجريح الحكومات الاسلامية في الخمر
واباحة شربها وبيعها لاهل الذمة كان المولعون بالشرب من اهل الشأت وخلصاء
الشعراء والادباء يغشون الاديار فيجدون صدوراً رحبة فيشربون ويطربون ولذلك
خصوا الشعراء تلك الادبرة باشعار لطيفة وقصائد ربما كان فيها شيء من المبالغة ومنها
ما نبا عن طور الادب اليوم ولكنه كان من المؤلف اذ ذاك .

وفي ديار الشام اليوم ولا سيما في لبنان وبعض انحاء فلسطين اديار عظيمة منها
ما ورد ذكره في الجريدة التي كتبناها هنا ومنها ما هو من البناء الجديد وفيها الم
بنيانه وعندسته اسمه بقلاع منه بطراييل وصوامع للمقطعين للعبادة والتبتل والله اعلم .

المساجد والجوامع



في اول الفتح } المسجد (بكسر الجيم) البيت الذي يسجد فيه وكل موضع
يتعبد فيه فهو مسجد - ويقال مسجد الجامع والمسجد الجامع
اي مسجد اليوم جامع - فالمسجد قد يكون صغير المساحة والحجم والجامع مسجد عظيم
يجمع المصلين ايام الجمع والاعياد - واول المساجد التي ببيت في الشام على ما يظهر
كانت في البلدان التي سبق فتحها غيرها من أمهات المدن مثل مؤتة والجرباء وأذرح
وفحل وأجنادين وبصرى -

ولما كانت السذاجة في كل شيء قد غلبت على العرب لاول عهدهم بالاسلام
كانت مصانعهم بحسب الحاجة ، واذ كان من الواجب اذا اجتمع بضعة أفراد منهم ان
يقيموا الصلاة جماعة لم تلبث المساجد ان كثرت في الشام في المدن والقرى - وكان
الفاطحيون يصالحون اهل البلاد اما على النصف من كنائسهم او على بعضها او يكتفون
بواحدة او بنصف واحدة كما اكتفوا بكنيسة مار يوحنا من اصل خمس عشرة كنيسة
في دمشق وضاحتها - واعطى ابو عبيدة اهل بعلبك واهل الرستن الامان على كنائسهم
واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد في الرستن - وصالح الفاتح اهل حمص على
ربع كنائسهم للمسجد وظلت كذلك الى القرن الرابع وبعض بيعتها للمسجد الجامع
وسطرها للنصارى وبيعتهم من أعظم بيع الشام -

بقيت الحال على سذاجة في المساجد او حالة ابتدائية حتى تولى معاوية امر الشام ،
وكان بعيد النظر في العمران ، فسمت به همته الى ان يخرج المساجد من دور التأسيس

وبدخلها في مظهر مدني فيه الجلال والجمال . ولم يزل بعثان حتى أذن له ابن بني المساجد ويكبر ما كانت ابنتي منها قبل خلافته . وهكذا بدأ التوسع في المساجد والجوامع عقيب استقرار الفتح . رسوخ أقدام بني أمية . ولقد ترك الفاتح مثلاً لأهل اللاذقية كنيسةهم وبني المسلمون باللاذقية مسجداً جامعاً بامر عادة ثم انه وسع بعد على ما في كتب الفتوح .

واختط سليمان بن عبد الملك لما ولي جند فلسطين مدينة الرملة واختط للمسجد خطته وبناء فولى الخلافة قبل استتمامه ثم بنى فيه بعد في خلافته ثم أتمه عمر بن عبد العزيز وقص من الخطة وقال : أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذي اقتضت بهم عليه . ومعنى هذا ان جوامع القوم ومساجدهم كانت بحسب حاجة من ينزل في كل صقع من المسلمين والتوسع لم يبدؤ الا مع معاوية بن ابي سفيان واخلافه .

عرضنا في فصل المصانع لوصف المسجدين الجامعين في هذه الديار المسجد الاقصى وجامع دمشق . ونحن الآن نعرض لغيرهما من المساجد وذكر المهم منها في الحواضر على الأكثر ، ونقابل بين قديمها وحديثها ، وبدبهي ان المساجد لقيت من المصائب السماوية والارضية ما لقي غيرها من المصانع والعمادات . فان الزلازل قد نسفت في الاسلام مدناً يرمشها فقد تقطع الجبل الاقرع فمات أهل اللاذقية سنة ٢٤٢ هـ وخربت طرابلس منه وفي هذا الزلزال خرب معظم الساحل وزلزلة سنة ٤٦٠ خربت فلسطين وزلزال سنة ٥٥٢ خربت به اللاذقية وطرابلس وانطاكية وعرقه وحصن الاكراد وأقامية والمعرة وكفرطاب وشيزر وحماة وحمص وهكذا يقال في معظم الزلازل التي وقعت بعد الى القرن الماضي ومن أهمها زلزال سنة ١١٧٣ حتى ان من المدن ما لم يبق فيه حدار قائم ولا انسان سائر . ومساجد الساحل أصيبت في الحروب الصليبية بما نسفها او غير معالمها فأصبحت كنائس ثم للماعادات البلاد لسلطان المسلمين أعيدت بعض البيع ايضاً مساجد .

ومن المتعذر لضعف المادة التاريخية ان نعرف ما قام في كل عصر وكل عصر في الشام من المساجد والجوامع . ومن القرى اليوم ما كان فيه بالامس عشرة مساجد والعمران يتنقل بحسب حاجة الناس . والغالب ان العناية ببناء المسجد كان لغرض

شريف للغاية باديء يراى به وجه المولى وثواب الآخرة وخدمة الاسلام والمسلمين فلما اوغل الناس في مضمار الحضارة كان من البانين من يجمعون بين الدين والدنيا اذا سمع بهم العلم انت بنشئوا لهم جوامع بقصد: ان بها تخليد ذكركم ونيل الثواب والأجر . ثم اتت قرون وبعض الناس فراراً من المصادرات ، ولا سيما الحكام الذين ما خلا كل عصر منهم من رجال يسلخون اللحم ويعرقون العظم ، يعمرون المساجد ويقفون عليها حتى يحفظوا ببعض ثرواتهم لذراريهم ، وفي هذه العصور الاخيرة وقع التخليط وكثرت المنافسة في إقامة المساجد والجوامع ، حتى في الاماكن التي لا يحتاج فيها الناس الى مساجد كثيرة اما لكثرتها او لقلّة المصلين في جوارها . واشبهت دمشق القاهرة في عهد المماليك وبعدهم فكانوا يعمرون الجامع قرب اخيه على اعتبار قليلة منه . وما حدثت البانين انفسهم ان يشترك في إقامة مسجد جامع بضعة من اهل الخير او عشرات منهم لان المقصد الاول استحصال في الآخر الى احراز شهرة واذا عمر انسان جامعاً بالاشتراك مع غيره يضيع اسمه ، وغايته ان يقال بنى فلان مسجداً ، وهذا مسجد فلان ، او ان ينفع هو او اولاده بمغل وقف الجامع .

وكان للملوك والامراء في كثرة المساجد وقلتها يد طولى ومنها ان الملك او الامير او غيره من طبقات الحكام والولاة اذا آنس منه قومه رغبة في الاستكثار من المساجد والقربان جاره على افكاره وتقربوا اليه بمثل هذه الاعمال الصالحة وربما تقاضاهم هو ذلك سراً حتى يستخرج بذلك اموالهم ونهزع في الرعية فلا تجمد الثروة في يد واحدة . قال ابن تغري بردي في حوادث سنة ٨٤٤ وقد جددت في القاهرة وظواهرها عدة جوامع : الناس على دين ملوكهم وهو انه لما كانت الملوك السالفة تهوى النزه والطرب عمرت في ايامهم بولاق وبركة الرطلي وغيرها من الاماكن وقدم الى القاهرة كل استاذ صاحب آلة من المطربين وامثالهم من المغاني والملاهي الى ان تسلطن الملك الظاهر جقمق ، وسار في سلطنته على قدم هائل من العبادة ، والعفة عن المنكرات والفروج ، واخذ في مقت من بتعاطى مسكرات من امرائه وارباب دولته ، فعند ذلك تاب اكثرهم ونصوّلح وتزهد ، وصار كل واحد يتقرب الى خاطره بنوع من انواع المعروف ، فمنهم من صار يكثر من الحج ، ومنهم من تاب واقلع

عما كان فيه ، ومنهم من بنى المساجد ، ولم يبق في دولته ممن استمر على ما كان عليه
الا جماعة يسيرة .

مساجد حلب } في حلب اليوم ١٦٩ جامعاً و ١٨٢ مسجداً ومنها الجيد بنيانه
واعظمها المسجد الجامع مسجد زكريا في غربي القلعة . صالح
المسلمون اهل حلب على موضع المسجد الجامع يوم الفتح ، وكان محله حديقة كنيسة الروم
القديمة التي بنتها ميلانة ام قسطنطين . قالوا انه كان يضاحي جامع دمشق بالزخرفة
والرخام والفسيفساء ، وان سليمان بن عبد الملك هو الذي بناه وتأنتق في بنائه ايضاحي
به ماعمله اخوه الوليد في جامع دمشق . وقيل ان بانيه الوليد نفسه ، وان بني العباس
نقضوا ما كان فيه من الرخاء والآلات ونقلوه الى جامع الابار في جملة ما نقضوا من
آثار بني امية بالشام . ولما جاء الروم حلب سنة ٣٥١ احرقوا الجامع والبلد فرم بعضه
سيف الدولة ثم ابه سعد الدولة ، واحرقه الاسماعيلية سنة ٥٦٤ مع الاسواق التي حوله
فعمره نور الدين زنكي وقطع الاعمدة الصفر من بُعادين ونقل اليه عمد مسجد قنسر بن
واحرقه الارمن سنة ٦٢٩ ايام كانوا محالفين للثغر . وعمره قراسقر سنة ٦٨٤ وبني
فيه غيره بعض جهات منه مثل الامير الطون بغا الصالحى نائب حلب والامير يشبك اليوسفي .
ويقول العارفون بالآثار ان بناء الجامع الحالي قد قام على الصورة التي عملت
عليه زمن سابق بن محمود بن بني مرداس (٤٦٨ — ٤٧٢) على يد القاضي ابن
الحشاب وان سيف اسفل المنارة كتابة تاريخها سنة ٤٨٣ ذكر فيها اسم ملكشاه وابن
الحشاب وفي جهة أخرى ذكر اسم نئش اخو ملك شاه ويستدل من مجموع البناء ،
وليس في جدرانه من كتابة من بورة ، ان هذا الطراز قديم صبر على الدهر . ومحرابه
من عهد قلاوون والمنبر من عهد الناصر محمد ويرد عهد الباب الاوسط للحرم الى اوائل
زمن المالك وان كانت فيه كتابات احدث من عهد السلطان مراد الثالث ٩٩٦ .
واسس المنارة المربعة ذات الخمس طبقات القاضي ابن الحشاب سنة ٤٨٢ وهي منقوشة
ابدىع نقش وهي بما كتب عليها من الكتابات الكوفية والنسخية المتال الوحيد من
الهندسة الاسلامية . قال ابو الفدا وكان يجلب بيت تار قديم تم صار اتون حمام

فاخذ ابن الحشاش حجراته وعمر منارة جامع حلب .

وصف ابن جبير - في القرن السادس جامع حلب بقوله : وهذا الجامع من احسن الجوامع واجملها وقد اطاق بصحنه الواسع بلاط كبير متسع مفتوح كله ابواباً قصرية الحسن الى الصحن عددها ينيف عن الخمسين باباً ، فيستوقف الابصار حسن منظرها ، وفي صحنه بئران معينتان ، والبلاط القبلي لامقصورة فيه ، فجاء ظاهر الاتساع رائع الانشراح . وقد استغرقت الصنعة القرصية جهدها في منبره ، فما اري في بلد من البلاد منبراً على شكله ، وغرابة صنعته ، واتصلت الصنعة الخشبية منه الى المحراب فتجملت صفحاته كلها حسناً على تلك الصنعة الغريبة ، وارتفع كالناج العظيم على المحراب ، وعلا حتى اتصل بسمك السقف ، وقد قوس اعلاه وشرف بالتحشيب القرصية ، وهو مرصع كله بالعاج والابنوس ، واتصال الترصيع من الممر الى المحراب مع ما يديها من جدار القبلة ، دون ان يتبين بينها اتصال ، فتجلى العيون منه ابداع منظر يكون في الدنيا ، وحسن هذا الجامع المكرم اكثر من ان يوصف .

هذا وصف المسجد الجامع وما كان فيه وليس هو بالمعظم كمسجد دمشق او المسجد الاقصي وقد رُم في اوقات مختلفة وفي حلب جامع الصالحين جنوبي المدينة أنشئ سنة ٤٧٩ انشاء احمد بن ملكشاه ومحرابه مهم في بابه . واول جامع بني بجلب فيما قالوا بعد الجامع الكبير جامع الطون بغا الصالحى تم سنة ٧٢٣ وفيه يقول ابن حبيب :

رحب الذرى بسدو لمن أمه	لطف المعاني حسنه الواضح
مرامع الرايات يرويه الظما	من مائه الشارب السارح
يهدي المصلي في ظلام الدجى	من نوره اللامع واللاج
من حوله روض يرى للورى	زهرة بالفائق العاج
لله بانيه الذي خصه	بالروح للغادي والرائح

وعده ابن التحنة من احسن الجوامع التي بنيت على اجمل الوجوه جامع منكلي بغا الشمسي فائب حلب عمر (٧٧٨) . وعد ابن ترداد في باطن حلب مائتي مسجد وسبعة عشر مسجداً داخل سور البلد منها ما نسب له لمنشئه ومنها ما عرفه بالحطة التي هو فيها . وذكر المساجد التي بارباض حلب وذكر منها ما هو بالخاضر السلياني مائة مسجد

وعشرة مساجد وذكر مساجد الاربعة وجورة جفال فعدها مائة وثمانية وستين مسجداً
 واتي على ذكر المساجد التي بالظاهرية فعدها تسعة وتسعين مسجداً وعد بالمادة اربعة
 وثلاثين مسجداً . وعد ببايقوسا ثلاثة عشر مسجداً و بالفرافرة اثني عشر مسجداً
 و بالمضيقي ستة عشر مسجداً و بالقلعة عشرة مساجد . قال ابن الشحنة وعنه لخصنا
 احصاء ابن شداد لمساجد حلب : فجملة هذه المساجد التي داخل حلب وخارجها الى
 حين تأليف ابن شداد كتابه سبعمائة وخمسة وعشرون مسجداً . وقد بنى بعض
 الولاة الأول في الدولة العثمانية جوامع في حلب منهم جامع خسرو باشا (٩٣٨) وجامع
 عادلي محمد باشا (٩٥٢) وجامع بهرام باشا (٩٨٨) وابشير مصطفى باشا (١٠٦١) وجامع
 عثمان باشا (١١٥٠) . ومن جوامع حلب التي بقيت عليها بعض الكتابات الحثية
 جامع القيقان ومن جوامعها جامع الاطروش واشتهر بكتابانه ونقوشه جامع البيادة
 في شمالي غربي القلعة .

جوامع عمالة حلب } قامت في انحاء حلب مساجد كثيرة ومنها مساجد
 قنسرين وهو البلد القديم الذي كان في الاسلام بمثابة
 حلب فخر به سيف الدولة سنة ٣٥١ او ٣٥٥ واحرق مساجده ، لما نزل الردم حلب
 وقتلوا جميع من كان يربضها وذلك خوفاً من سقوطها في ايدي اعدائه . وأنشئت في
 انطاكية عدة جوامع بقيت منها بقايا على ما اثابها من الزلازل واهمها اليوم جامع
 حبيب النجار والجامع الكبير والشيخ علي والدخربة . وفي انطاكية لعهدنا ١٣ جامعاً
 و ٢٧ مسجداً ومجموع مافي عملها ١٣٥ مسجداً وجامعاً وزاويةً وتكية . وأنشئت منذ
 انفتح جوامع مهمة في مدينة المعرة وصف ناصر خسرو في اواخر منتصف القرن الخامس
 جامعها الاعظم فقال انه مبني على اكمة قامت وسط المدينة ومن اي جهة اتجهت الى
 هذا الجامع كانت عليك ان ترتقي سلماً ذات ثلاث عشرة درجة . وقد خربت المعرة
 بدخول الصليبيين ، ثم عادت اليها بعض حياتها وفيها اليوم ٢٣ جامعاً ومسجداً اهمها
 الجامع العمري الكبير نقام فيه الجمعة دون غيره من المساجد ومجموع مافي عمل المعرة ٤١
 مسجداً وجامعاً . وفي عمل جبل سمعان اليوم ١٨٣ جامعاً ومسجداً وفي بيلان ٥ مساجد

وجوامع . وفي قضاء ادلب ٣٧ مسجداً وجامعاً وجامعها في القصبة من عهد الفتح يسمونه العمري . وفي معرة مصرين وعمالها ١١ جامعاً ومسجداً وفي حارم جامع ومسجد وفي عملها عدة جوامع ومساجد وكذلك في اعزاز وفي قضاء الباب ١٥ جامعاً ومسجداً وفي بزة وجسر الشفر ومعرة مصرين وسمرين وجبرين وعلقين وخنصرة والقة وارهناز ودير كوش والجبول والاثارب ودانث وكز وغيرها من البلدات القديمة مساجد وجوامع . ولأنكاد تخلو في يومنا هذا كل قرية من مسجد الا اذا كانت مزرعة حقيرة لاحد ارباب الاملاك . وفي الشفر اليوم ثلاثة جوامع وخمسة مساجد ولا تخلو اليوم البلاد التي كانت عامرة جداً ثم خربت عن آخرها مثل بالس (مسكنة) ومنبج مثلاً من مساجد لا بأس بها .

ولقد نقلت الايام بهذه المساجد والجوامع فكثرت في الاماكن التي اشتدت اليها الحاجة وقلت حيث قل العمران والمبصر السكان . فقد كانت سمرين مثلاً على طرف جبل السماق من المدن ولها مساجد كثيرة روى ابن شداد ان عددها كانت ينيف على ثلاثمائة مسجد قال وليس بها الآن اي في عهده مسجد يصلي فيه غير الجامع واكثر اهلها اسماعيلية ولم يبق بها دار دعوة . وسواء كان هذا العدد مبالغاً فيه او غير مبالغ فالحق ان الجوامع والمساجد كثرت في العصر السالفة في هذه الارحاء بكثرة السكان وتوفر خيرات الارض ثم لما خربت المدن دع القرى تراجع عمران بيوت العبادة .

ومن الجوامع القديمة في هذا الصقع جامع اعزاز عرف بالجامع الكبير قال العلامة الغزي وهو صحن واسع فسيح في شماليه رواق وفيه مأذنة ضخمة وفي وسطه حوض يهبط اليه بدركات تجري فيه قنطرة جرها اليه اسماعيل بن عبد الله العزازي المتوفى سنة ٧٤٨ وفي جنوبي صحن الجامع قبلية يبلغ طولها نحو ٥٠ في عرض ١٥ ذراعاً سقفها قباب محمولة على اعمدة ضخمة وقد كتب على باب الجامع المتجه الى الغرب بسم الله الرحمن الرحيم في سنة ٦٤٤ امر بعمله مولانا السلطان العالم العادل الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن ايوب ناصر امير المؤمنين خلد الله ملكه .

مساجد الساحل } لما كانت مدن الساحل الشامي معرضة لهجمات الاعداء
وجوامعهم } في كل حين ، وكانت الزلازل قد نالت عليها كثيراً
وكانت مرسماً للجيوش الصليبية مدة قرنين أصاب الجوامع والمساجد فيها ما أصاب
غيرها من العماثر ، فليس في الاسكندرونة اليوم سوى جامعين وفي عمالتها بعض
المساجد الحفيرة ، وكذلك الحال في السويدية واللاذقية والمرقب وطرطوس وجبلة
وبانياس وطرابلس وجبل وبيروت وصيدا وصور وعكا وحيفا ويافا وغزة ، خربت
جوامعها ومساجدها وعمرت غير مرة في الاسلام . ففي اللاذقية اليوم عدة مساجد
وفيه جامع جميل مطل عليها من الهضبة المطلّة على الثغر ولها منارة جميلة . واهم جوامع
اللاذقية جامع المغربي ومن ام جوامعها جامع الحديد والكبير المنصوري وأرسلان
باشا والصليبية وصوفان والشيخ ضاهر وجامع الاسكفة والشواف والصغير وفي اللاذقية
اتنا عشر مسجداً غير هذه الجوامع . وفي جبلة جامعان بهمان وهما جامع السيد ابراهيم
والمصوري ومن مساجدها القنطاري وني علي اديب والغزالي والاكراد وجامع واحد
في بانياس وفي طرطوس جامع كان على عهد الصليبيين كنيسة كاتدرائية وفي صافيتا
جامع وثلاثة مساجد في جوارها .

وفي طرابلس^(١) عدة جوامع ومساجد ومعظمها من آثار دولة المماليك البحرية
والحراكسة وما تجدد بدهم قليل جداً بالنسبة لآثارهم في هذه المدينة ، واكثرها
لم يذكر عليه اسم بانيه . ولا ريب ان المواعيت كانت دينية محضة ورغبة في ثواب الله
تدار الآخرة فكان عدم ذكر الباني على البناء أبعاد عن السمعة والرياء ، وكان
الامير او المتمول منهم اذا شيد مسجداً للصلاة جعل في احد أطرافه شهداً ليدفن
فيه عند موته ولم يزل الى الآن كثير من قبور المماليك الرخام ، محفوظاً في المساجد
التي أقاموها على الطراز المخصوص بهم كأن يجعلوا في كل زاوية من زوايا القبر
قاعدة بارئفاع ثلاثين سانتياً واعلاها كروي . وللمماليك من نوع هذه القبور في دمشق
صنوف . وانت ما بقي الى اليوم من الفسيفساء في محاريب تلك المساجد وجدرانها
آية في الابداع وحسن الصنعة .

(١) كتب وصف جوامع طرابلس السيد محمد كامل بابا من أدباء تلك المدينة .

ومن اعظم جوامع هذا الثغر الجامع الكبير بناء السلطان صلاح الدين خليل الاشرفي ابن السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى على ما يرى في الكتابة المحفورة فوق باب الجامع الشمالي وذلك في سنة ٦٩٣ هـ وكانت متولي العمارة سالم الصبيوني ابن ناصر الدين العجمي وفي سنة ٧١٥ وعلى عهد ولاية السلطان محمد بن قلاوون للمرة الثالثة بنيت بامرہ الأروقة المحيطة بصحن المسجد ايام نيابة المقر السيفي كساي الناصري وكانت متولي العمارة احمد بن حسن الحرلبي وتسميه اهالي طرابلس الجامع المنصوري وهو غلط بين لان الملك المنصور قلاوون هو ابو الاشرفي بابي الجامع المذكور .

ومنها جامع طينال وتسميه العامة طيلان بنى سيف الدين طينال مملوك السلطان محمد الناصر وحاجبه وكانت قد تولى ولاية طرابلس مرتين وبني الجامع المذكور للمرة الثانية سنة ٧٣٦ هـ . وفي منارته هندسة لطيفة ولها من داخلها سلالم احداهما سقف للآخر فاذا أراد المؤذن الصعود للاذان من داره الملاصقة للمسجد دخل من باب المارة صاعداً أعلاها واذا أراد النزول للصلاة دخل من باب آخر يصل منه الى داخل المسجد وعلى هذه الصورة فباب المنارة السفلي الخارجي ادنى من ارض المسجد بقدر قامة الانسان .

ومن جوامعها جامع أرغون شاه وتسميه العامة الفنشا على الطريق الشرقية الآخذة لحبابة باب الرمل ولا يعلم تاريخ بنائه وفوق بابه كتابة حفرت ايام السلطان قايتباي من المالك الجراكسة سنة ٨٨٠ بأمر فيها بحماية زراع أراضي الوقف للجامع المذكور وتسليمها الى الحبيب النسيب السيد نور الدين محمود الأدهمي الحسيني وقد بني هذا الجامع حديثاً بعد سقوطه ووضعت له القساطل الحديدية لجر المياه .

ومن جوامعها جامع التوبة وهو ملاصق للجسر الجديد على نهر ابي علي ومن الثابت انه بني ايام دولة المالك وطرز هندسته يشبه الجامع الكبير من وجوه كثيرة وقد جدد بناءه بعد ما تهدم من الفيضان الكبير الذي وقع في طرابلس سادس عشر ذي القعدة سنة ١٠٢٠ احمد بن محمد الشربداري الانصاري كتخداي حسين باشا ابن يوسف باشا السيفي ، وتم بناؤه في شهر ربيع الآخر سنة ١٠٢١ والكتابات

الاثرية التي عليه يرجع تاريخها الى سنة ٨١٧ ايام دولة المؤيد ابي النصر شيخ الحمودي من سلاطين المماليك الجراكسة .

ومن جوامعها جامع المعلق بناه محمود بن لطفى الزعيم سنة ٩٦٧ ايام دولة السلطان سليمان القانوني وهو في محلة بواية الحدادين . وجامع العطار وسط البلد بقرب محلة الملاحة والمشهور عند اهالي طرابلس انه كان كنيسة في زمن الصليبيين ثم تحول الى جامع بعد الفتح الاسلامي وكان قد تدعى بناؤه فأقيم ، وفي أعلى بابه الشرقي مكتوب هذا التاريخ « البسملة . هذا الباب المبارك والمبهر من عمل المعلم محمد بن ابراهيم المهندس في سنة احدى وخمسين وسبعائة » . وجامع البرطامي في جانب الجسر العتيق على نهر ابي علي وفي الكتابة التي فوق بابه يقول بنى هذه المدرسة عيسى بن عمر البرطامي ووقفها على المشتغلين بطلب العلم على مذهب الامام الشافعي ولم يعلم الزمان الذي تحولت فيه الى جامع وقد ذهب من اصل الكتابة التاريخية القسم الذي يذكر به زمن البناء غير ان أسلوب تلك الكتابة وطرز بنائه الفخم ودقة الفسيفساء التي على محرابه وفي ارضه تدل على ان بانيه من أصحاب الأموال لواسعة في ايام دولة المماليك البحرية . وجامع الاويسية بني ايام دولة المماليك غير انه لم يكن عليه كتابات تاريخية الا ما كان في اعلى منارته وفيها ذكر انه جدد بناءها ايام السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١ رجل اسمه حيدرة وفي وقفية لجامع المذكور ان اسم بانيه محيي الدين الاويسى .

وجامع عبد الواحد وراء سوق الصاغة بنىه عبد الواحد المغربي المكناسي ايام دولة السلطان محمد بن قلاوون للمرة الثالثة سنة ٧٠٥ وعليه زيرت كتابة تشعر بذلك . وجامع الفحاحي ويسمى اليوم بالحليدي لم يبق من بنائه الاصل الا أثر وتجدد بناؤه حوالي سنة ١٣١٠ من اهل الخير وإعانة السلطان عبد الحميد خان الثاني فنسب اليه . وجامع محمود بك السنخوق وهذا بناه في طرف البلد تقريبا للجهة الشرقية بالحلة المعروفة بباب التبانة سنة ١٠٢٠ ايام دولة السلطان احمد بن السلطان محمد من ملوك بني عثمان ووقف عليه اوقافاً كثيرة لم تنزل قائمة الى الآن وتوفي المذكور ودفن بقرب المدرسة . وجامع الطحان داخل البلد ولم يعلم اسم بانيه ولا تاريخ بنائه وشكله وطرز منارته يدل على انه بني زمن دولة المماليك .

هذه جوامع طرابلس وقد وصف ناصر خسرو المسجد الاعظم فيها اواخر النصف الاول من القرن الخامس بقوله : والمسجد الاعظم قائم في وسط المدينة وهو جميل للغاية ، مزدان باحسن زينة ، ومبني على غاية القوة والمتانة ، وفي صحنه قبة عظيمة تعلو حوضاً من المرمر في وسطه فواره يخرج ماؤها من مقار نحاس اصفر اه . والغالب ان هذا الجامع خرب بخراب تلك المدينة بعد .

وفي جبيل جامع قديم هو مما اتخذ جامعاً بعد الحروب الصليبية اما مدينة بيروت فكانت فيها جوامع صغيرة بعد الفتح ولم تكن بيروت بالشجر العظيم اذ ذاك ولم يكن للمسلمين جامع فيها ايام استيلاء الصليبيين عليها ، فلما انتزعت منهم اخذوا كنيسهم وجعلوها جامعاً ، وهي تعرف بكنيسة مار يوحنا الصايغ ويقال لها جامع النبي يحيى اذ الجامع الكبير اليوم . وبني فيها الامير منصور عساف الجامع المعروف اليوم بجامع السراية . وكان جامع الخضر كنيسة للوارنة باسم مار جرجس الى سنة ١٦٦١ فاخذته احد باشاوات الترك وجعله جامعاً . ومنها جامع المجيدية وغيره ومجموع ما في بيروت اليوم من المساجد والجوامع ثلاثون جامعاً ومسجداً .

وفي صيدا سبعة جوامع ومساجد اهمها الجامع الكبير جامع يحيى وكان كنيسة على الغالب باسم مار يوحنا وفي صور مسجد جامع . وفي عكا بضعة جوامع اهمها جامع الجزار وفي حيفا وعملها عدة جوامع ومساجد وفي يافا وعملها كذلك وجوامع يافا قديمة في الجملة وفي غزة اليوم عدة جوامع ومساجد . وقد اعجب الظاهري في القرن التاسع بجوامع غزة ومسجدها الجامع على الغالب كان من الكنائس المهمة في القرن الثاني عشر للميلاد على اسم القديس يوحنا المعمدان وكان كاندراية لأسقف الروم وفيها جامع هاشم وجامع باب الداروم وغيره من الجوامع التي فيها نقوش بدیعة واتفاض تدل على مجد قديم .

جوامع المدن ا وفي الخليل خليل الرحمن او حبرون جامع فيه مقام الخليل الداخلية ك ابراهيم في مغارة تحت الارض . قال شيخ الربوة ومن المباني القديمة مقام الخليل عليه السلام طوله ثمانون ذراعاً وعرضه خمسون ذراعاً في الطول

منه عشرون حجراً مدماكاً واحداً وداخل المقام نصب على الضريح كل واحد حجر واحد، الطول اربعة اذرع والعرض ذراعان ونصف والسمك مثلها وازيد . و يحتوي اليوم سور الخليل على اساس يبلغ علوه ١٢ متراً وحجارته ملساء عليها مسحة الامبراطور هيردوس . وقد بني هذا الجامع الصليبيون من سنة ١١٦٧ الى ١١٨٧ وربما كانت إنشاؤه مكان كنيسة يوستينيانوس وجدده المسلمون بعد ذلك . واقدم ما في الجامع من الترميم . ما قام به قلاوون من سلاطين المالك .

وسبى القدس عدا المسجد الاقصى ثمانية جوامع وهي جامع عمر بن الخطاب امام كنيسة القيامة وجامع عكاشة وجامع سوق البزار وجامع سلماة الفارمي وجامع الشيخ جراح وجامع سويقة علوان وجامع الخانقاه بالصلاحية قرب الكنيسة وجامع باب خان الزيت . والجوامع الخيرية ايضاً تسعة وهي جامع بحارة الحدادين ، آخر قرب دير اللاتين وتالت قرب بطريركية دير اللاتين ورابع اسمه الحيات وخامس جامع اليعقوبي قرب القلعة وجامع قرب دير الارمن ومثله على مقربة من دير السريات وغيره في حارة اليهود وجامع الازرق . وهناك ثلاثة جوامع معمورة ايضاً وهي جامع السبيل وجامع لؤلؤه وجامع ابي قصبة . وبعض هذه الجوامع لا تأسس له من حيث النظافة والافتان شأن المصليات البسيطة .

وفي الرملة عدة جوامع ومساجد قال ناصر خسرو في مسجدها الجامع ان في وسطه صهاريج واسعة وان مساحته ثلاثمائة قدم في مائتين . وقال الظاهري ان من جملة مزاراتها الجامع الابيض عجيب من العجائب . وكان فيها منارة من عجائب الدنيا بناها قلاوون . وفي لدة عدة جوامع ومساجد وكان بها في القرن الرابع جامع يجمع به خلق كثير من اهل القصبة وما حولها من القرى وجامعها الكبير اليوم من عهد الصليبيين كان كنيسة . وفي نابلس تسعة جوامع ومساجد اهمها الجامع الكبير ومسجد اولاد يعقوب وجامع النصر والخضراء والجامع الكبير بنى يوستينيانوس . وعلى قيد غلوة من أرسوف بقايا حرم سيدنا علي بن عليل او عليم . وفي قاقوف بنى الملك الظاهر بپرس جامعاً . والظاهر هذا جدّ ذويني عدة مساجد وجوامع في

الشام ومثله قلاوون وثكنكز من الممالك . وفي طول كرم وجنين عدة مساجد وجوامع أكثرها محدث .

ومن الجوامع التي رُمها ديوان الاوقاف في فلسطين في العهد الاخير جامع المنشية والحجبي والبحر وارتييد والطاهية في يافا وجامع العصا في الرملة وجامع لد . ومقام النبي يحيى في قرية المزيرعة ومقام النبي روبين وجامع صويقة علوان وجامع باب خان الزيت والزاوية النقشبندية وجامع سعد وسعيد وجامع بيت لحم ومقام النبي شمويل في القدس وارباضها . ورممت الاوقاف في نابلس جامع النصر والجامع الكبير الصلاحي وجامع العين وجامع التينة . وجامع قرية رفيديا وقرية عقربة وقرية عصيرة الشمالية وقرية صيدا وجامع البئر في قرية نرواتا وجامع سبسطية وجامع قرية برقة . واجريت عدة اصلاحات في جامع الجزار في عكا وانشي في حيفا جامع الاستقلال . واصلحت الاوقاف الجامع الكبير في غزة اصابه خراب كبير بسبب معارك الحرب العامة « وهو من المساجد العظمى في فلسطين فخر البناء كبير القيمة الاثرية جميل التكميل والهندسة يحتوي على عدة سلاسل من العقود الحجرية » وأصلح جامع سيدنا هاشم وجامع ابن عثمان وجامع المجدل وحرم سيدنا زكريا في الخليل وشرع اهالي الخليل ينشئون مسجداً فسادهم المجلس الاسلامي الاعلى .

وكانت المدن القديمة خاصة بالحوامع مثل قيسارية وأرسوف فذهبت بذهاب عمرانها . وفي طبرية اليوم حامعان قديمان الجامع الفوقاني من بناء عرب الزبادنة عام ١١٥٦ والثاني جدد بناؤه عام ١٢٨٠ . وفي صفد عدة جوامع ومساجد . وفي قلعة الشقيف بني الظاهر بپرس جامعاً وكانوا يقيمون الصلوات في القلاع ايضاً كما بنوا جوامع لهم في قلعة دمشق وفي قلعة حلب . وفي صرخد عمر الظاهر بپرس جامعاً وكذلك فعل في بصرى وعجلون والصلت وفي هذه المدن اليوم مساجد صغيرة فقد قضت الايام على المساجد المهمة . وفي عَمَّان جامع ومسجد وكان فيه في القرن السابع « جامع ظريف في طرف السوق مسقف الصحن شبه مكة » .

وللدروز في الشوف من لبنان ووادي التيم الأعلى والأسفل ومرجعيون وصفد

وضواحي دمشق وبيروت والجبل الاعلى وفي بعض قرى عكا خلوات أشبه بالمساجد لا منابر لها ولا مآذن يجتمع فيها خاصتهم ليلة الجمعة ويسمونهم مجالس كما ان النصيرية الذين يدعون اليوم بالعلويين في جبال اللاذقية وما اليها خلوات صغيرة ذات قباب تكون على الغالب في أطراف فراهم وكذلك لا تخلو أكثر قرى المتأولة (الشيعة) في بلاد بشارة او جبل عامل من مساجد صغيرة لهم لا مآذن لها ولا منابر ومنها ما يسمونه « حسينية » نسبة للحسين بن علي رضي الله عنهما يقيمون فيها المآتم عليه في اوقات لم مخصوصة . وفي بعلبك عدة جوامع ومساجدها بقي بعضها من عهد عمرها . ايام علوة مذهب اهل السنة والجماعة على سكانها أكثر من التشيع . وللإسماعيلية مجالس ايضا كما للنصيرية .

ولقد زبني بعض عمال السلطنة العثمانية للسلطان عبد الحميد الثاني ان يبنى جوامع ومساجد في جبال النصيرية وجبل الدروز عسى ان يثوب اهلها الى مذهب اهل السنة والجماعة فأقرهم السلطان على ذلك ، وبنيت عدة جوامع في هاتين المقاطعتين منها اربعون جامعاً في جبال العلويين على امل ان يعود النصيرية والدروز الى حظيرة الاسلام فأصبح بعضهم يصلون شبه مكروهين فلما آتسوا ضعف الحكومة بعد مدة قليلة اتى جهلاء النصيريين والدروز على ماني من المساجد الجديدة ودمروها عن آخرها ودنسوا كرامتها بما لا يليق . ومن الكتابات الأثرية في بعلبك ما زير فوق باب قبة الأجد على رابية الشيخ عبد الله « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . امر بعمارة هذا المسجد المبارك الامير الاسفسه لار الكبير صارم الدين ابوسعيد خطنخ بن عبد الله المعري الملكي الالمجدي ، ضاعف الله له الثواب وغفر له يوم الحساب ، في سنة ست وتسعين وخمسمائة » .

وكتب في جامع الحنابلة بعلبك هذا : « بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا المكان المبارك في ايام مولانا السلطان الاعظم ، شاهنشاه المعظم مالك رقاب الام ، سيد ملوك العرب والعجم والترك والديلم ، الملك المنصور سلطان الاسلام والمسلمين ، قانع الكفرة والمشركين ، محيي العدل في العالمين ، ملك البحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، ابي المعالي قلاوون قسم امير المؤمنين ، خلد الله سلطانه ، وشد أزره

ببقاء ولده وولي عهده ، مولانا السلطان الملك الصالح علاء الدين ، وأدام نصرهما ، وجعل البسيطة ملكهما ، يتولي الأمير نجم الدين حسن نائب قلعة بعلبك المحروسة ومدینتها ، ونظر القاضي بهاء الدين بن خلکان وذلك في العشر الآخر من جمادی الاولى سنة ثنتين وثمانين وستائة والحمد لله وحده .

والمساجد في لبنان قليلة جداً الشيء بعضها حديثاً كجامع عالية ، وأهم الجوامع في هذا الجبل جامع دير القمر للامير نحرالدين عثمان المعني وعهدي به والمسيحيون من اهل جواره يحافظون عليه اذ ليس هناك من يصلي فيه من اهل الاسلام . وقد كتبت على واجهته كتابتان هكذا بالخط العربي النسخي ، الاولى : « بسم الله الرحمن الرحيم . في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوة والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب في القلوب والآبصار ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » . والثانية : « بسم الله الرحمن الرحيم . في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوة والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (إقام الصلاة وإيتاء الزكاة^(١)) يخافون يوماً تتقلب في القلوب والآبصار . عمر هذا المكاف المارك ابعاء لوجه الله العظيم ورحاء لشوابه العميم العبد الفقير الى عفو ربه القدير المقر الفخري الامير نحرالدين عثمان بن الحاج يونس ابن معن غفر الله له . وكتب في ٥ من شهر الله المحرم الحرام من شهر سنة تسع وتسعين وثمان مائة للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام » .

وكانت الجوامع في حمص مهمة للغاية اوائل الاسلام وقد صالح المسلمون اهلها على ربع كنيستهم وكانت « على اربعة اركان وذلك من عجائب بنيان العالم » ومسجدها اليوم وسط السوق وليس بالكبير وفيه عقود وعمد ومحراب مزين بالسيفساء المذهبة القديمة . وفي جهة اخرى محراب قديم معمول بالسيفساء ايضاً . واكد الاثريون ان بناء هنا الجامع هو من بناء الكنيسة ، والغالب انه جدد في ادوار

(١) نعمة الآبة الكريمة الموضوع بين هلالين ليست منبورة على العجر .

مختلفة من عهد نور الدين زنكي الى عهد قريب - ولا تزال في حمص منارة مأذنة من بناء بكجور الذي استولى على المدينة سنة ٣٦٢ وعليها كتابة مفيدة في باب الهندسة العربية . ومن جوامع حمص المهمة جامع سيدنا خالد خارج البلد جدد بناؤه منذ نحو ثلاثين سنة وأنشئت له مأذنة على الطرز الرومي . ولم يثبت كون المدفون في هذا الجامع هو خالد بن الوليد الفاتح ، لان هذا على اغلب الروايات مات في مدينة الرسول . والغالب ان هذا القبر هو قبر خالد بن يزيد بن معاوية على ما أكد ياقوت قال وهو الذي بنى القصر بمحمص وآثار هذا القصر في غربي الطريق باقية . وذكر المؤرخون انه كان في جامع حمص عمود يقال انه من الكحل الاصفهاني .

وفي حماة اليوم ٣٤ جامعاً و ١١ مسجداً ومن اهمها جامع النوري بناء نور الدين زنكي سنة ٥٥٩ . ومنها جامع ابي الفداء الشهير بجامع الدهشة او الحيات . وقد يوصف الاثري هرزفند المسجد الجامع في حماة اليوم وهو الجامع الكبير فقال ان اصل حرمه كان كاتدرائية للمصارى غربية الشكل وله ثلاثة اقية مختلفة السعة ، وثماني دعام ، وخمس عقود ، ومن كل ناحية خمسة عقود او اقية في الزاوية . ويظهر ان الحائط الغربي كان حائط رواق الكنيسة ، والحائط الجنوبي من العهد السابق للنصرانية ، كما هو الحال في جامع دمشق كان معبداً ثم بهمة ثم جامعاً . والى جهة الشرق قامت منارة قديمة منفردة وهي مربعة الزايا زبرت عليها كتابة كوفية ربما كانت من القرن الخامس ، وتحيط بصحن الجامع الجميل اروقة مقفودة ، وهناك سدة بمحرابين امام الحرم وسدة اخرى لها حوض ماء ، ومحراب منفرد في الرواق الشمالي ، وخزنة قائمة على ثمانية اعمدة قديمة ، وفي الرواق الشرقي تربة ومصلى ولها نوافذ صلبة معمولة من الفخاس من عهد المماليك ، ومن الرواق الغربي يصل الانسان الى قبة الملك المظفر محمود الثالث (٦٨٣ — ٦٩٨) وله تابوت ممول بالخشب الجميل المنقوش وهناك منارة ثانية قامت في الخارج وسط الرواق الشمالي ويستدل من كتابته وشكله انه من زمن المماليك ، وفي جامع حماة تجلت خاصية من هندستها تجلياً عظيماً ، وذلك ان ظاهر الحيطان مزين بنقوش رسمت بالوان تشبه الفسيفساء لمراوحتهم في صحتها بين البحر البركاني الاسود والحجر الكلسي الابيض .

وفي الجامع السوري على الشاطئ الأيسر من العاصي في أرض منحدرية وعلى بناء تحتي عال بني هذا الجامع على عهد نور الدين ، وعلى مادخله من الترميمات الكثيرة تشاهد فيه إلى اليوم أجزاء مهمة من البناء القديم ، ولا سيما على طول الحرم ، والعقود فيه حديثة العهد بالنسبة لمجموع الجامع ، وكذلك ثلاث قباب من الرواق الشمالي مختلفة الأشكال والابنية تحتماية (Substructions) من الجنتين الشرقية والشمالية والحائط الخارجي الشمالي من الجامع ربما كان الجزء الأسفل من المنارة بما فيه من الحجارة المخوطة البيضاء والسوداء قديم العهد أيضاً . وفي هذا الجامع بقايا منبر جميل عمل من الخشب ويرد إلى زمن نور الدين ثم محراب مزين أجمل زينة له سوار من الرخام المحزق من زمن الملك المظفر نقي الدين (٦٢٦ — ٦٤٢) وفيه مكان آخر من الشرق محراب ذو سوار من المرمر زُبر في تيجانها اسم أبي الفداء .

والجامع الأول هو الذي قام على أنقاض الكنيسة أو حول منها في زمن الفاتح وهو جامع السوق الأعلى وجدّد في خلافة المهدي من خراج حمص على ما نقش على رخامة فيه ثم جاء المظفر عمر فزاد فيه وبني مدرسة بجواره ثم أتى إبراهيم الهاشمي فأنشأ منارته الشمالية سنة ٨٢٥ كما زُبر ذلك على رخامة فوق بابها ومن بنائه الحرم الصغير في جانب المسجد من جهة الشرق ورواق الجامع أيضاً بنائه سنة ٨٣٢ وجامع الحيات أو جامع الدهشة الذي بناه الملك المؤيد وبني الحرمه من جهة الشرق شباكين كبيرين بينهما عمود كبير من الرخام على صورة أفاعي ملئمة ولهذا يسمى جامع الحيات . وقد نقش حرمه بالذهب والفسيفساء والرخام الملون في جدرانته وأرضه وعمل له من الغرب شباكين كما في جهة الشرق غير أنها هدمتا وأدخلتا في البستان المجاور له . ولم يبق غير الشباكين . وذهبت خزانة الكتب الموقوفة وكان فيها سبعة آلاف مجلد . ويرى الداخل إلى حرمه حتى اليوم زناً على سائر يتبين محفوراً من الرخام وصورته :

« أمر بعمل هذا الجامع المبارك السلطان الملك المؤيد عماد الدنيا والدين اسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي بن الملك المظفر نقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر نقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في شهر سنة سبع وعشرين وسبعمائة » .

ومن الجوامع المهمة في حماة جامع السلطان في محلة الدباغة وهو متسع بناء السلطان بدر الدين حسن شقيق أبي الفداء على هيئة جامع الدهشة وفي كل منها رخام محفور بالآيات القرآنية كتبهم - يد واحدة وله رواق كبير وفي محرابه كتبت آيات بالخط الكوفي . وفيها جامع العزة بناء محمد بن حمزة العزي سنة ٧٢٣ وهو مهجور . وفيها جوامع بناها بعض آل الكيلاني الذين سكنوا حماة منذ القرن السابع ولها أوقاف عظيمة دارة الى اليوم . ومن الجوامع الحديثة جامع الحميدية الخ .

جوامع العاصمة } اذا صرفنا النظر عن الكلام على الجامع الأموي منفردة
وضواحيها } دمشق على توالي الايام وهو يعد في المصانع العظيمة
وعمدنا الى وصف بعض جوامع العاصمة ومساجدها نجد عدد المساجد في العهد الاخير بحسب إحصاء ديوان الاوقاف ثمانية وخمسين مسجداً وجامعاً منها جامع الباشورة في الشاغور ومسجد الجديد في مسجد الأقباب وجامع الاتابكية في الجر كسية بالصالحية وجامع حسان في القماحين بباب الجابية ودرويش باشا في الدرويشية (٩٨٢) واسمه القديم الاخصاصية وسعه درويش باشا وجامع الدقاق في الميدان الفوقاني والركنية في الصالحية ومسجد رستم في العقبة وزيد بن ثابت في باب السريجة وجامع السقيفة في العمارة وجامع سيدي بشار في باب المصلى وجامع سيدي صهيب في الميدان التحتاني وجامع الشيخقदार وشادي بك في القنوات والطاغوسية في البهصة والعداس في القنوات ومسجد العداس الصغير في العمارة وجامع سيدنا عبد الغني البابلي في الصالحية وجامع يرمباي المعروف بجامع الورد في سوق ساروجا (٨٥٢) وجامع كافل سيدي في الدرويشية .

وفي هذا الاحصاء نظر لان جوامع دمشق ومساجدها اكثر من ذلك ولعل من مصلحة الاوقاف ان تقلل من عددها لكي يتسع لها المجال اكثر مما اتسع لاستصفاء وقوفها فقدقاتها في هذه الجريدة ذكر جامع السنافية عمره يوسف عبد الله سنان باشا سنة ٩٩٩ في محل مسجد البصل وجامع يلغا أنشي سنة ٨٤٧ وجامع التوبة في العقبة وجامع الجراح في باب الصغير عمره الملك الأشرف موسى ٦٣١ وله منبر جميل مهم .

وجامع الجديد وهو جامع المعلق بين الحواصل أجمل بناء في دمشق جددته نائب الشام سنة ١٠٥٨ و يظن ان اصله من القرن السابع او السادس . وجامع الحنابلة في الجبل ويقال جامع المظفري أنشأه ابو عمر محمد بن احمد بن قدامة المقدسي ٥٩٨ وأتمه الملك المظفر كوكبوري صاحب إربل وهو جامع مهم .

ومن الجوامع المهمة جامع المرادية في السويقة له منبر ومحراب بدعيات . ومنها جامع منجك في الميدان أنشأه الامير ابراهيم بن سيف الدين منجك (٨٠٠) . جامع النحاس شرقي الركنية في الصالحية في بستان النحاس عماد الدين بن عبد الله بن الحسين بن النحاس (٦٥٤) . ومن الجوامع التاريخية التي لم تشتهر كثيراً جامع الحشر في الجانب الغربي من القلعة لارغون شاه جددته سنان جاووش يكيچري (١٠٠٨) . الحيوانية للامير علي بن حيوط (٨٨٥) العسالي لاحمد باشا كوجك (١٠٥٤) أنشأه للشيخ احمد بن علي العسالي شيخ الخلوتية . جامع المراز (٨١٣) لعزرائ شاه السيد قتي الدين الزينبي الجنوبي خرب في فنتة تيمور فجددته الطوش مرحاب . جامع الجوزة في العمارة وسعه القاضي ناظر الجيش (٨٣٠) جامع خليجان خارج باب كيسات من الجنوب أنشأه نجم الدين بن خليجان (٧٣٦) جامع الكرمني (٧٢٤) بالقيسات أنشأه عبد الكريم بن هبة الله المصري . جامع باب المصلی أنشأه (٦٠٦) الملك العادل ابو بكر بن ايوب . وكان هذا السلطان مولعاً بالعمارات انشئت في عهده مساجد كثيرة في مملكته . جامع الحاجب في سوق ماروجا (٨٨٠) جامع السقيفة دفن فيه عثمان السقيفي من الصحابة فيما يقال أنشأه خليل الطوغاني (٨١٤) وكان محله يعرف بالسبعة . وهناك مساجد دثرت لانها ليس في جوارها من يتعهدا مثل جامع الاحمر في حي اليهود والبهائية في باب توما .

هذا غاية ما يقال في مساجد دمشق اليوم . وقد عدد ابن عبد الهادي القسم الاعظم من مساجدها في القرن العاشر مع انه لم ينقص اسماء كثير من الجوامع في الضاحية بما ينماز خمسمائة قال : فناهيك ببلدة يمتوي وادبها فقط على زهاء الف وخمسمائة مسجد ، واما ما هو محيط بمعاملتها مما وراء جبالها فهو كثير للغاية اه . وقال كاتب چلي في القرن الحادي عشر ان عدد جوامع دمشق بين كبير وصغير يبلغ مئة

وخمسين جامعاً وان الدولة العثمانية انشأت فيها عدة جوامع على طرز جوامع ديار الروم
فبنت جامع السلطان سليمان بين الشرفين الاعلى والادنى وانشأت جامع درو يش باشا
مير ميران ولاية الشام وانشأت جامع سنان باشا خارج باب الجابية وانشأت جامع
قره مراد باشا مير ميران ولاية الشام خارج السور فوق طريق الشام على سمت طريق
باب المصلى اه .

واذا توغلنا في التاريخ الى القرن السادس نجد ابن عساكر قد عد من المساجد التي
بنت بدمشق ٢٠١ مسجداً وجامعاً في داخلها و١٨٤ في ظاهرها مما لبس في قرية مسكونة
او معمورة . قال ابن شاكر وقد أحدث بعد الحافظ ابن عساكر مساجد كثيرة
داخلاً وخارجاً هذا مع ما اختصت به دمشق من كثرة المدارس والاقواف . ومن
المساجد التي عدّها الحافظ منسوبة الى احد الصحابة مسجد ائمن بن حُرَيْم^(١) بن فائق
الاسدي الصحابي، ومسجد مروان بن الحكم ومسجد واثلة بن الاسقع ، وفضالة بن عبيد
الصحابي الانصاري قاضي دمشق . ولغير المعالم بها لا تعرف اسماء الاحياء التي ذكر
انها كانت فيها . قال ابن شاكر واما المساجد الخارجة عن البلد فنما مسجد بين حجيرا
ورابطة على قبر مدرك بن زياد ومسجد سيفي رابطة على ام كلثوم من اهل البيت .
ومسجد كنان قلي فذايا . قرية كانت تغرب قبلي مقابر اليهود ، ومسجد في مقبرة باب نوما
عند النهر المجدول بقرب الصفوانية يعرف بخالد بن الوليد لانه صلى به وقت الحصار ،
ومسجد يعرف بمسجد النبي في ارض المصيصة له منارة . والمصيصة قرية كانت عامرة
تغربت شرقي بيت لحيان ، ومسجد عند بيت ابيات يعرف بمسجد آدم ، ومسجد معاوية
من ارض قُيُنِيَّة على طريق المزة وداريا ، ومسجد الحجر ويعرف بمسجد النارج قرب
المصلى ، ومسجد القدم عند القطائع بقرب عالية وعويلية قديم له منارة .

ولقد كانت مساجد الغوطة عامرة كلها الى دخول العثمانيين ثم اخذت تخرب

(١) لا يؤيد التاريخ الصحيح بعض قبور الصحابة والمساجد المنسوبة اليهم . وعن
الحافظ عبد الغني قال : لم ينفق المسلمون على معرفة قبر نبي و صحابي غير قبر نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وقبري صاحبيه ابي بكر وعمر رضي الله عنهما .

بجواب عمران في عهدهم فقد كان في كل قرية من قرى دمشق مسجد او مساجد جامعة بحسب ضخامة القرية وعشرات من هذه القرى خربت برمتها في القرون الاخيرة فذهبت معها الجوامع بالطبيعة . ومن القرى التي مرت بنا وذهب اسمها ورسمها راوية وفذايا والمصيصة وبيت لها وبيت ابات وقية تديّة وعالية وعويلية والنيرب والربوة . ولقد كانت في الربوة ربوة دمشق عدة مساجد ومدارس . وفي تاريخ الصالحية ان المقاصف كانت تعمر عمارتها للنزهة من غير طين ، والعمائر المكلفة كانت للمدارس والجوامع وان قاعة المسجد الديلمي الذي جدده نور الدين في الربوة قد بناها على شعب الجبل سقفا نهر يزيد وأساسها نهر ثورا من المقامات التي لا تدرك . قال وبقي بعد الالف من هذا المسجد المأذنة واثرا العمار ثم دثر .

وكان بالنيرب تسعة مساجد عددا ابن عبد الهادي والآن ليس فيها اثر لمسجد . وكان في القابون الفوقاني ثلاثة مساجد والقابون التحتاني ثلاثة وليس فيها الآن سوى مسجد واحد حقير . وهكذا مساجد قرى الغوطة والمرج وقلون فانها كلها ليست ذات شأن ومن أجملها اليوم جامع التل وعربيل ودومة وداريا . وما دثر مسجد خاتون في منتصف الطريق بين دمشق والمزة . كما دثرت مساجد المزة وكانت بضعة مساجد وجوامع . والجوامع والمساجد اليوم صورة من عمراننا ، وعمراننا كانت متراجعا الى عهد قريب وهو اليوم آخذ بالتقدم فلا يبعد ان تقوم المساجد بعد الآن على قانون من العقل مقبول ، وحسن ذوق في البناء بعيد الصورة القديمة مضمومة الى التحسين الحديث .

المدارس



نشأة المدارس } اتخذ المسلمون في هذه الديار مساجدهم للصلاة والعبادة وتلقي القرآن وعلومه والحديث وفنونه وعلوم اللسان ، وما يتعلق بذلك من المطالب التي فيها قيام امرهم ، وخدمة دينهم أولاً ولغتهم ثانياً ، وظلوا على ذلك في الشام الى أواخر الصف الاول من القرن الخامس ايام أنشأ بدمشق رشاً بن نظيف بن ماشاء الله ابو الحسن الدمشقي سنة ٤٤٤ مدرسته المعروفة بالرشائية اتخذها دار قرآن . وكان الحسن بن عمار قاضي طرابلس للفاطميين والمنقلب عليها أقام في طرابلس دار حكمة اوشه مدرسة جامعة على نحو دار الحكمة التي أنشأها الحاكم بالله في مصر سنة اربع مائة . ولما أراد المعتضد بالله العباسي بناء قصره ببغداد استزاد في الذرع بعد ان فرغ من تقدير ما أراد فسئل عن ذلك فذكر انه يريد لبنني فيه ديراً ومساكن ومقاصير يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ويجري عليهم الارزاق السنوية ليقتصد كل من اختار علماً او صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه . واول من حفظ عنه انه بنى مدرسة في الاسلام اهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية ثم مدرسة الامير نصر بن سبكتكين وقبعه غيره . وعني السلاجقة بانشاء المدارس في بلاد الشرق ، وكان آلب أرسلان اذا رأى في بلد رجلاً متميزاً متبحراً في العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفاً وقرر فيها للفقهاء معالم وجعل فيها دار كتب ، ونظام الملك احد وزراء السلاجقة الذي أنشأ المدرسة النظامية في بغداد في القرن الخامس ايضاً .

أصبحت طرابلس في النصف الأخير من القرن الخامس بدار الحكمة التي أنشئت فيها كعبة علم ، كما كانت حلب في القرن الذي قبله على عهد سيف الدولة بن حمدان كعبة أدب . ويقال انه كان في طرابلس اذ ذاك عدة مدارس وخزائن كتب لم يبلغنا خبرها . وعلى هذا فالمدارس في الاسلام نشأت في أواخر القرن الرابع وعرفت جيداً في الخامس والسادس . ويقصد بالمدارس تلك الدور المنظمة التي يأوي اليها طلاب العلم ، وتدر عليهم المعاليم والأرزاق ، ويتولى تدريسهم وثقافتهم فئة صالحة من المدرسين والعلماء ، وهم موسع عليهم في الرزق ، يختارون بحسب شروط الواقع ممن يحسنون القيام بالغرض الذي ندبوا للدعوة اليه ، ويجازون بما تعلموا من ضروب المعارف الآمية والبشرية .

ولقد كان من نور الدين محمود بن زنكي لما استولى على الشام ، وبعبارة أصح على مدنه الداخلية همه توازي همه ابن عمار في انشاء المدارس لاهل السنة والجماعة كما أنشأ القائد جوهر الأزهر في القاهرة ، والقاضي ابن عمار دار الحكمة في طرابلس لبث التشيع ، أنشأ نور الدين عدة مدارس واخذ يستدعي فحول العلماء من الاقطار ، ويزيل معالم التشيع و يقيم بدلها معالم التسنن ، حتى قالوا ان الشام أصبح على عهده مقر العلماء والفقهاء والصوفية . وبنى سنة ٥٤٥ في حلب المدرسة العسرونية واستدعى لها من متجارب شرف الدين بن ابي عصرون من اعيان فقهاء عصره وبنى له مدرسة بمنيح وأخرى بجماة وثالثة في حمص ورابعة بعلبك وخامسة بدمشق ، وفوض اليه ان يولي التدريس فيها من يشاء . وبنى لقطب الدين النيسابوري الحكيم الرياضي المفسر الاصولي المدرسة العادلية بدمشق ولم يبقها . واول مدرسة بنيت في حلب انشأها بدر الدولة ابو الربيع سليمان بن عبد الجبار بن أرتق صاحب حلب سنة عشروخمسائة وسميت المدرسة الزحاجية . واول ماعرف من المدارس في القدس ما بناه صلاح الدين يوسف بن ايوب وأُسبب في الاكثر هو وجميع ما شيده في بلاد الشام الى جماعته وغيرهم ولم ينسب اليه الا القليل .

وقد ذكر الرحالة ابن جبير الذي زار دمشق في سنة ثمانين وخمسائة انه كان فيها نحو عشرين مدرسة تقوم بالاتفاق على من يدخل فيها للتعلم والاستفادة . وقال

ان هذه المارستانات منجز عظيم من مفاخر الاسلام والمدارس كذلك وان الرباطات قصور من عرفة . وقال في كلامه على مشاهد دمشق وأكل مشهد من هذه المشاهد اوقاف معينة من بساتين وارض بضاء ورباع حتى ان البلدة تكاد الاوقاف تستغرق جميع ما فيها وكل مسجد يستحدث بناؤه او مدرسة او خانقة يعين لها السلطان اوقافاً تقوم بها وبساكنيها والملتزمين لها . وهذه ايضا من المفاخر المخلدة . ومن النساء الخوانس ذرات الافدار من تأمر ببناء مسجد اورباط او مدرسة ولتفق فيها الاموال الواسعة وتعين لها من مالها الاوقاف ، ومن الامراء من يفعل مثل ذلك ، لم في هذه الطريقة المباركة مسارعة مشكورة عند الله عز وجل اه .

ومعظم المدن مدارس مدينة دمشق ، كثرت في الدولتين النورية والصلاحية وقام بانشاء بعضها العتقاء والخصيان والاماء والبيات ، ومنها ما بني بالمال الحلال من اموال الغنائم ، ومنها ما بنى بعض اهل الخير من بنات الملوك والملكات ، ومن القواد والسادة ، ومنها ما انشأه اهل اليسار من التجار وغيرهم . واكثر من بنوا المدارس في هذه الحاضرة هم غرباء عنها الا قليلا ، ولولا بضع مدارس أنشئت في القرن الثاني عشر في حلب ودمشق لقلنا ان تاريخ المدارس فيها ختم بانقراض ملوك الطوائف ودخول الدولة الدجاية بلاد الشام . ومن رأى كثرة المدارس في القرن السادس والسابع والثامن والتاسع وهو دور تأسيسها وقلة ما شيد منها في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر ، يستنتج معنا ان الامة اذ ذاك كانت على جانب من التدين والافتخار بحب الخير اكثر من القرون التالية ، وان بعض من جمعوا ثروات كانوا يحبون ان يتصدقوا من مالهم بشيء يعتقدون انه قريب لم يوم الجزاء ، وقد فسد الناس في القرون الاخيرة وتوفروا على التهام تلك المدارس واوقافها . وهي على الاكثر تقسم الى اقسام ، فمنها مدارس للشافعية يقرأ فيها فقه الامام احمد بن ادريس الشافعي ، وأخرى للحنفية يتلى فيها فقه الامام الاعظم ابي حنيفة ، وغيرها للحنابلة لفقه الامام احمد بن حنبل ، وبعضها للمالكية اي فقه الامام مالك بن أنس ، ومنها مدارس او دور للقرآن يتلقون فيها القراءات على الاصول وما يتعلق بذلك ، ومنها دور للحديث يأخذون فيها فنون الحديث ويروونه . وكان في دمشق خاصة مدارس لتعليم العابد والصيادلة والكحالة

ومدرسة للهندسة يخرج فيها مهندسون وبنّاؤون ، ولم يتصل بنا أنه أنشئ في عواصم
ذاك العهد : عاصمة الوسط دمشق ، وعاصمة الشمال حلب ، وعاصمة الجنوب القدس ،
مدارس لتعليم الفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية ، ولعل بعض العلوم وخصوصاً
الفلك والجغرافيا والتاريخ كانت تدرس في تلك المدارس كما كانت تدرس في الجامعات
في بعض الادوار ، وكان ابو شامة في القرن السادس بقري التاريخ درساً عاماً في
الجامع الاموي بدمشق ، وقد وصف ابو الفضل بن مقذ الكنا في هذه المدارس بقوله :

ومدارس لم تأمها في مشكل الا وجدت فقي يحل المشكلا
ما أمتها مرة يكابد حيرة وخصاصة الا اهتدى وتمولا
وبها وقوف لا يزال مغلها يستنقذ الامرى ويغني العيلا
وائمة تلقي الدروس وسادة تشفي النفوس وداؤها داء عضلا
ومعاشرتهم أخذوا الصنائع مكسباً وافاضل حفظوا العلوم تجملاً

وقال السابق ابو اليمن المعري في وصف مدارس حلب وعنه استدللنا انها كانت
تدرس العلوم المختلفة :

فلهيها كل الفنون فيها ما استتاه الشرعي والفلسفي
لاجرم انه كان لاقاء العلوم في تلك المدارس عظم ومناهج ، وبقراً الطلبة اشهرآ
مخصوصة ويفحصون فيما تعلموه ، ولا ينال الاجازة بالتدريس والخطابة والامامة الا من
تبثت لمشايجته كفايته ، وكان على استعداد لان يزداد علماً بعد انجاز الطلب واجازة
الطلاب بمسموعات مشايخهم وصروياتهم .

دور القرآن } في مدينة الرسول بنيت اول دار للقرآن في الاسلام .
بدمشق } وذكر الواقدي ان عبد الله بن ام كلثوم قدم مهاجراً الى
المدينة مع مصعب بن عمير رضي الله عنهما وقيل قدم بعد بدر يسير فنزل دار القرآن .
وكان في دمشق سبع دور للقرآن على ما في الدارس وهي :

(١) « الخيضرية » كانت شمالي دار الحديث السكرية بالقصاعين وهي اليوم في
محلة الخيضرية نسب اليها ، انشأها قاضي القضاة قطب الدين الخيصري محمد بن محمد

ابن عبد الله بن خيضر الدمشقي سنة ٨٧٨ ووقف عليها وعلى مسجد آخر اوقافاً جمّة ، وقد بقي اليوم جزء صغير منها استحال زاوية للشاذلية .

(٢) « الدلامية » بالقرب من الماردانية على الجسر الابيض بالجانب الشرقي من الشارع الآخذ اليه بالصالحية فوق نهر ثورة على طريق الجركسية ، أنشأها احمد بن المجلس الخواجكي زين الدين دلامة بن عز الدين نصر الله البغدادي البصري وكان من أجل أعيان الخواجكية بالشام ووقفها سنة ٨٤٧ وهي الآن عبارة عن معلى ومنزلة بالقرب من جامع كعكم . وفي كتاب وقفها أن صاحبها رتب بها اماماً وله من المعلوم مائة درهم ، رقيماً وله مثل الامام ، وستة انقار من الفقراء الغرباء المهاجرين لقراءة القرآن ، ولكل منهم ثلاثون درهماً في كل شهر ، ومن شرط الامام الراتب ان يتصدى لاقرأ القرآن للذكورين وله على ذلك زيادة على معلوم الامامة عشرون درهماً ، وستة ايتام بالمكتب الذي على بابها ولكل منهم عشرة دراهم في كل شهر ايضاً وقرر لهم شيجاً وله من المعلوم ستون درهماً في كل شهر ولقراءة البخاري في الشهور الثلاثة وللقاري من المعلوم مائة درهم وطاملاً وله من المعلوم كل سنة ستائة درهم ، ورتب المراتب في كل عام مثلها ، وللسع ولقراءة البخاري والتواريخ مائة درهم ، ولارباب الوظائف خمسة عشر رطل من الخلاء ورأسى غنم أضحية ، ولكل من الايتام جبة قطنية وفقيص

(٣) « الجزرية » قيل انها كانت بدرب الحجر رُسب ابقافها لمحمد بن محمد الجزري المقرئ المحدث . وامل درب الحجر هو طريق الحركة قرب الدلامية فتكون دار الشيخ محمد في حارة الشرباتي .

(٤) « الرشائية » شمالي الخانقاه السيمساطية الملاصقة للجامع الأموي من شماليه أنشأها في حدود سنة اربع واربعين واربعائة رثاً بن نظيف بن ماثاء الله ابوالحسن الدمشقي المقرئ . وقد درست الآن وبنيت المدرسة الاخنائية مكانها كافي الكواكب السائرة . وقيل كانت بباب الناطفانيين او بالمعرونية . قال اللبني هي التي جوار الخانقاه السيمساطية من الشمال . قال ابن قاضي شعبة وقد زالت عينها وأدخلت في غيرها .

٥ « السنجارية » كانت تجاء باب الجامع الأموي الشمالي أنشأها علي بن اسماعيل ابن محمود السنجاري أحد التجار الاحبار سنة ٧٣٩ وهي امام الاخائية استحال داراً ولم يبق غير بابها وعليه وقفها^(١) .

(٦) « الصابونية » خارج باب الجابية قبالة تربة الباب الصغير لشهاب الدين احمد ابن علم الدين سليمان بن محمد البكري المعروف بالصابوني تم انشاؤها سنة ٨٦٨ وبني ايضاً تجاءها بشرق مكتبة لايتام عشرة بشيخ لم يقرئهم القرآن العظيم بمعاليم شرطها لم معلومة تصرف عليهم من جهات عديدة منها عدة قرى غربي مدينة بيروت تحت يد امير الغرب تعرف بالصابونية . ولا تزال هذه الدار باقية الى اليوم وهي مدفن السادة بني البكري .

(٧) « الوجيية » قبلي المدرسة العسرونية والمسروبة وغربي الصمصامية التي شمالي الخاتونية انشأها وجيه الدين محمد بن عثمان بن النجما الرئيس شيخ الحاملة الدهشقي النونخي سنة ٦٩٠ درست واصبحت مخازن ودوراً .

وفي ترجمة نكز انه عمل داراً للقرآن الى جانب داره دار الذهب بدمشق وعلى ذلك فتكون دور القرآن ثمانية . وما اجمل ما قال علي بن منصور السروحي في دمشق :

في كل قطر بها للعلم مدرسة وجامع جامع للدين معمور
كان حيطانها زهر الربيع فما يملأه الطرف فهو الدهر منظور
يتلى القرآن به في كل ناحية والعلم بذكر فيه والتفسير

دور الحديث } عني المسلمون اى عناية برواية الحديث الشريف لنهم
بدمشق } السنة والكتاب والتبرك والنقح . واول من بني دار
حديث في الشام وربما في عامة بلاد الاسلام نور الدين محمود بن زنكي وكثرت دوره
بعد ذلك . وكان في دمشق على ما ذكر في الدارس ثمان عشرة داراً للحديث وهي :

(١) أنكر لهدبي الاستاذ الشيخ عبد المحسن الاسطواني من علماء دمشق لفضله
باطلاعي على مفكراته في مدارس هذه المدينة ومطالعاته الخاصة فيها .

(٨) «الأشرفية» جوار باب القلعة الشرقي غربي العصورية، وتسمي القايمازية الحنفية، وفي رواية ان القايمازية هي مدرسة، وكانت دار الامير قايماز بن عبد الله اللخمي وله بها، ام فاستراها الملك الأشرف موسى بن العادل وبنائها دار حديث ونجى بناؤها سنة ٦٣٠ درس بها جماعة من العلماء مثل ابن الصلاح وابن الحريستاني والبيشامة والنواوي والشرىسي والمارقي وابن الوكيل وابن الزملكاني والحافظ المزي والسبكي وابن كثير وغيرهم، وكانت يد التعدي تسطو على هذه المدرسة في أواخر القرن المادي كما سطلت على غيرها من المدارس فقام الفقيه الشيخ يوسف الديباني الغربي واستخلصها وأعادها مدرسة وسكنها من بعده نجله المحدث الكبير الشيخ بدر الدين الحسيني جعلها مقره ثقرأ فيها دروسه وقد حرق في حريق سنة ١٣٣٠ هـ الذي دمر أربعة شوارع من شوارع المدينة ودمر ما فيها من الحوايت والدور والمعاهد ثم رمت ترمياً خفيفاً وعاد بعض الطلبة والغرباء فسكنوها .

(٩) «الأشرفية البرانية» بسفح جبل قاسيوت على خفة نهر يزيد تجاه تربة الوزير ثقي الدين التكريتي وشرقي المرشدية الحنفية وغربي الأتابكية الشافعية، بناها الملك الأشرف المظفر موسى بن العادل باقي دار الحديث المتقدمة قبل سنة ٦٤٣ هـ، ودرس فيها جماعة من العلماء اخذها المجمع العلمي العربي من الأوقاف ليجمع فيها بعد ان يرمها خزانة كتب يختلف اليها اهل تلك المحلة .

(١٠) «البهائية» داخل باب توما كانت دار بهاء الدين ابي القاسم بن بدر الدين ابي غالب المظفر المتوفى سنة ٧٨٣ وليس لها اليوم أثر .

(١١) «الحصية» كانت معروفة بحلقة حمص في الجامع الأموي فقدت وجعل مكانها، وفي مفكرات طارق ان الحصية في سوق ساروجا امام جامع التسامية بدي باختلاسها منذ سنة ٩٠٠ .

(١٢) «الدوادارية» دار حديث ومدرسة ورباط داخل باب الفرج وهو باب المناخلة اليوم، لعلم الدين سنجر الدوادار المحدث الحافظ المتوفى سنة ٦٩٩ من نجباء الترك وعلمائهم وهي غير معروفة لهدنا واعلمها الدار الكائنة امام بحرة الدفاقة فظاهرها بدل على ذلك .

(١٣) « السامُرِيَّة » وبها خاتناه بالقرب من محلة مأذنة الشحم في زقاق الشيخ الدسوقي أنشأها الصدر الكبير سيف الدين ابو العباس احمد بن محمد البغدادي السامُرِي وهو مدفون بها . والسامُرِي نسبة الى مُسَرٍّ من رَأى بلاد على دجلة . قال الصلاحى الكتبي ان سيف الدين السامُرِي كان يسكن داره المليحة التي وقف عليها خاتقاهاً ووقف عليها باقى املاكه وكان السلطان صادرها (٦٩٦) . وهي موجودة اليوم ولكن لم يبق منها غير المدفن ويقال للحي زقاق السلي .

ومن دور الحديث الدائرة (١٤) « السكربة » بالقصاعين وهو اول سوق الخلق (القميلة) وكان امس سوق القطن داخل باب الجابية ، وهي ما يظهر داخل الدخلة التي شرقي جامع شر كس ، درست وكان درّس بها ابن تيمية ووالده والحافظ الذهبي .

(١٤) « الشقيشة » بدارب النياصي في ظاهر المدينة أنشأها نجيب الدين ابو الفتح نصر الله الشيباني الصفار المعروف بابن الشقيشة وهي من الدوارس ايضاً .

ومن الدوارس (١٦) « العُروبة » بمشهد عروة من الصحن الشرقي من الجامع الأموي قبالة الحلبية المعروفة قديماً بمشهد علي أنشأها شرف الدين محمد بن عروة الموصلى ووقف عليها مكتبة عظيمة توفي سنة ٦٢٠ ومحلها معروف وهي مستودع للجامع .

(١٧) « الفاضلية » بالكلاسة منسوبة للقاضي الفاضل اليساني من رجال صلاح الدين والمدرسة جوار تربة هذا السلطان وهي الآن مساكن .

(١٨) « القلانسية » غربي مدرسة ابي عمر بالصالحية بها رباط ومنارة يمر في وسطها نهر يزند ، إنشاءً للصاحب عز الدين ابي بعلى حمزة التميمي المعروف بابن القلانسي من كبراء دمشق المتوفى سنة ٧٢٩ وكان في رباطه هذا مأذنة ودار حديث وروضة ، وقد جعلت هذه المدرسة مسجداً صغيراً بمعاونة رجل اسمه الشيخ اسماعيل التكريتي .

(١٩) « القوصية » بالقرب من الرحبة قال بعضهم : انها في الجامع الأموي بجوار الشافعية وهي احدى حلقات الجامع قديماً .

(٢٠) « الكروتوسية » غربي مأذنة الشحم لمحمد بن عقيل بن كروتوس السلي

محسوب دمشق أنشئت سنة ٦٤١ كان فيها ثلاثة قبور وجعلت دوراً وهي شمالي السامرة .

(٢١) « النورية » هي من دور الحديث الباقية واول دار أنشئت لهذا الغرض أنشأها نور الدين محمود بن زنكي ، وهي الآن مسجد حاتم وبها قبره يزار ويتبرك به ، تولى مشيختها في عصره الخافظ ابو القاسم بن عساكر وهو الذي ذكر ان جملة شيوخه الف وتلاثمائة شيخ ونيف وثمانون امرأة . هذه هي النورية الكبرى .

اما (٢٢) « النورية الصغرى » فهي في العسرونية بين دار الحديث الاشرفية ومدرسة العسرونية امام العادلية الصغرى وقد حرق في الحريق الاخير . وفي النورية الكبرى فيما نظن بقول العرقلة الدمشقي :

ومدرسة سيدرس كل شيء وتبقى بي حمى علم ونسك
تضوع ذكرها ترقاً وغرباً بنور الدين محمود بن زنكي
يقول وقوله حق وصدق بغير كناية وبغير شك
دمشق في المدائن بيت ملكي وهذي في المدارس بيت ملكي

(٢٣) « النفيسية » فلي البناستان الدفافي (كذا) وباب الزيادة اي القوافين اليوم على يمة الحارج منه شمالي غربي المدرسة الامينية انشاء النفيس اسماعيل بن محمد بن عبد الواحد الحراني ناظر الابطام سنة ٦٩٦ حدثنا الثقة انه رأى حجر بابها باقياً بحاله وقد طمس بالطين - حتى لا يظهر أثرها وأصبحت دوراً .

(٢٤) « الناصرية » كان بهار باط فلي جامع الافرم بسفح قاسيون وهي الناصرية البرانية انشاء الملك صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز سنة (٦٥٤) امست حديقة الآن وكانت انقاضها ظاهرة الى عهد قريب وادخلت احجارها في ترصيف ضفة يزيد وفيها جسر معقود جميل ربما كان الموصل الى دمشق ويتجاوز عرضه ثلاثين متراً .

(٢٥) « التنكزية » دار قرآن وحديث شرقي حمام نور الدين الشهيد . راه سوق البزورية انشأها نائب السلطة تنكز سنة ٧٣٠ وهي الآن مدرسة للصبيان سميت الهاشمية وكان هندسها المعمار ايدمر المعني .

(٢٦) « الصباية » دار قرآن وحديث قبلي العادلية الكبرى وشمالى الطبرية
انشأها تميم الدين بن الصباب - قال في مختصر الدارس انها احترقت في الفنة اي
فنة نيمورلك ولم يبق لها اثر سوى سبيل الماء .
(٢٧) « المعبدية » دار حديث وقرآن والمشهور انها دار قرآن انشاء الامير
علاء الدين علي بن معبد البعلبي ليست معروفة .

مدارس الشافعية ا - في الدارس انه كان في دمشق سبع وحمون
بدمشق ر مدرسة للشافعية وهي :
(٢٨) « الاتابكية » بالصالحية غربي المرشدية ودار الحديث الاشرفية المقدسية،
انشأتها اخت نور الدين ارسلان بن اتابك صاحب الموصل المتوفاة سنة ٧٤٠ وبها
قبرها وقد جعلت لعهدها مصلى درس بها زمرة من مشاهير علماء الشافعية .
(٢٩) « الاسعدية » بالجسر الابيض بالصالحية دثرت وهي في وسط البساتين،
انشأها ابراهيم بن مبارك تاء الاسعدي من ارباب الثراء والسخاء توفي سنة ٨٢٦
ودفن بترية مدرسته . قال ابن قاضي شهبة : كان الاسعدي هذا والشمس ابن
المزلق اكبر تجار دمشق وله المتاجر السائرة في البلدان قد اعطاء الله المال والبنين ،
وكان عنده كرم واحسان الى الفقراء ، وكان صاحب هذه المدرسة الاسعدية يقول
عجائب الدنيا اربعة واحسنها غوطة دمشق واحسن الغوطة الصالحية واحسن الصالحية
الجسر الابيض !

(٣٠) « الاسدية » بالشرف القلي ظاهر دمشق مطلة على الميدان الاخضر
وهي على المريقين الشافعية والحنفية ، انشاء اسد الدين شيركوه من قواد نور الدين
وهي في حديقة الشرف وانه ضها ماثلة للبيان .

(٣١) « الاصمانيه » كانت بمحلة الغرباء بالقرب من درب الشعارين لتاجر
من اصفهان وفي رواية انها خلف المدرسة القاجازية وغرباً محلتها ومكانها غير معروف
على التحقيق ، ويذهب بعضهم الى انها كانت موضع تكية احمد باشا وقد ادخلت فيها .
(٣٢) « الاقبالية » داخل باب الفرج وباب الفراديس وبينها شمالي الجامع

الاموي والظاهرية الجوانية وشرقي الجاروخية وغربي النقوية لشال ، اشأها جمال الدلة اقبال خادم نور الدين وعتيق ست الشام ، وقد استحال داراً ثم استخلصت على يد الحاكم وألحقت باملاك المعارف ولم يبق منها الا الحجر الذي كان على بابها وفيه اوقافها وهي شمالي حمام العقيقي .

(٣٣) «الأكزية» قبالة التبليبة الحفية اشأها اكر حاجب نور الدين محمود وهي غربي الطيبة والنكزية وشرقي ام الصالح ، غُيرت معالمها و بابها موجود ، وقد استحال داراً .

(٣٤) «الامجدية» بالشرف الاعلى الشمالي مطلة على المرجة قرب مستودع البارود ، اشأها الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن عبد العزيز فروخشاه بن شاهنشاه بن ابوب بن شادي صاحب بعلبك وهي دار فروخشاه وكان الملك الامجد اتعر بني ابوب ودفن فيها ، قال ابن الشحنة دفن الامجد بمدرسة والده التي على الشرف بدمشق ، وكانت هذه المدرسة عامرة الى القرن الثاني عشر بدليل ان السيد ابراهيم ابن حمزة درس بها ، وهي اليوم حظيرة دواب رأيت القبر الذي فيها غير مرة محاطاً بالسرقين . ولكثرة ما في جوار هذه الدار من المدارس سمي اليوم الزقاق الموصل اليها وهو الذي يبتدي من امام جامع الطاووسية ومستودع التراء واي الكهر باني و ينتهي بمستودع البارود بزقاق المدارس .

(٣٥) «الامينية» قلبي باب الزيادة المعروف اليوم باب القوافين من ابواب الجامع الاموي ، وهي شرقي المجاهدية جوار قيسارية القواسين بظهر سوق السلاح وكان به بابها وتعرف هذه المحلة قديماً بباب القباب ، وهناك دار مسجلة من عبد الملك ، قيل انها اول مدرسة بنيت بدمشق للشافعية بناها اتانك المساكر الملقب بامين الدولة ربيع الاسلام امين الدين كستكين ابن عبد الله السفنكي المتوفى سنة ٥٤١ هـ وقد بنيت المدرسة سنة ٥١٤ هـ وفي تاريخ دمشق ان الحسن بن محمد النهري بتي المقرئ الفقيه سمع الحديث بدمشق في المدرسة الامينية واول من درس بها جمال الاسلام ابو الحسين علي بن المسلم الدمشقي سنة ٥١٤ هـ وهي الآن في سوق الحرير جعلت كتاب صيبات واختلس الجيران بعضها .

(٣٦) « الباذرائية » جاء في الدارس انها داخل باب الفراديس والسلامة شمالي جيرون وشرقي الناصرية الجوانية ، وفي المختصر انها على باب الجامع الأموي الشرقي المؤدي الى العارة ، وكانت قبل ذلك داراً تعرف بأسامة وهو أسامة الجبيلي احد كبار الاسراء المتوفى سنة ٦٠٩ أنشأها نجم الدين ابو عبدالله محمد الباذراي البغدادي المتوفى سنة ٦٥٥ قال الذهبي الباذراي قاضي القضاة سفير الخلافة نجم الدين عبدالله ابن الحسن الباذري الشافعي صاحب المدرسة التي بخط جيرون . ولا تزال أسوارها باقية ولكنها سائرة نحو الخراب وان لم يكن بعينه الآن وقد اقتطع جانب منها جعل دوراً .

(٣٧) « البهنسية » بسفح قاسيون أنشأها نجم الدين المعروف بابي الأشبالي وزير الملك لأشرف مظفر الدين موسى بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب المتوفى سنة ٦٢٨ وهي على طريق المهاجرين بطرف السكة بجوار حاكورة العدس .

(٣٨) « التقوية » داخل باب الفراديس المعروف اليوم بباب العارة شمالي الجامع شرقي الظاهرية والاقبالية كانت من اجل مدارس دمشق ، بناها سنة ٥٧٤ الملك المظفر لقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ودرس بها جلة العلماء وفي عرف البشام ان المدرسة القصاعية والمدرسة التقوية كانا عامرتين في القرن العاشر وهي اليوم بيد بني النغلبي تقام بها الأذكار باسم خاقاه ولها مخصصات شهرية من الحكومة .

(٣٩) « الجاروخية » داخل باب الفرج والفرديس وفي حي السبعة طوالع اليوم بالقرب من الاقبالية الحنفية شمالي الجامع الأموي والظاهرية الجوانية المعروفة بناها جاروخ الترككاني برسم ابي القاسم محمود بن المبارك المعروف بالجبر الواسطي البغدادي سنة ٥٩٠ درس بها كثير من العلماء ومنهم زمرة من الفقهاء بني جهبل . خربت وهي دار بني الكيلاني اليوم .

(٤٠) « الحصية » تجاه الشامية البرانية قال ابن كثير : في سنة ٧٢٦ فتحت المدرسة الحصية ودرس بها يحيى الدين الطرابلسي الملقب بابي رباح . وقال في مختصر الدارس انها خربت بعد قليل من تشييدها ، والغالب انها درست وجعلت دوراً ولم يبق منها الا قطعة حربة .

(٤١) « الحلبية » بمحلة السبعة طوالع وهي خلف دار الكتب الظاهرية او المدرسة الظاهرية مجهول حالها ومنشئها من القديم . قال في الدارس ان شهاب الدين ابن عبد الخالق المتوفى سنة ٨١٥ وقف الى جانب المدرسة الحلبية مسجداً واضافه الى المدرسة ووقف عليها ، ومن وقف عليها الامير سيف الدين من ممالك بروج .

(٤٢) « الحبيسية » قبلي الزنجاري ، وخان الزنجاري هو جامع التوبة الآن ، تولى شيختها ابن قاضي اذرعان وقد استعالت دوراً .

(٤٣) « الخليلية » بانها سيف الدين بكتمر الخليلي المتوفى (٧٤٦) ولا يعرف عنها شيء .

(٤٤) « الدماغية » كانت داخل باب الفرج وغربي الباب الثاني الذي قبلي باب الطاحون وهي قبلي وشرقي الطريق الآخذ الى باب القلعة الشرقي وهذا الطريق بينها وبين الخندق وهي ايضاً شمالي العمادية بين الشافعية والحنفية ، أنشأتها عائشة جدة فارس الدين بن الدماغ زوجة شجاع الدين بن الدماغ (٦٣٨) درس بها جلة من العظماء وهي الآن قاعة النشا التي في المناخية . وفي الصاحية مدرسة أخرى اسمها الدماغية أنشأها او درس بها افتخار الكاشغري .

(٤٥) « الدولية » ببيروت قبلي المدرسة الباذرائية لجمال الدين محمد الثعلبي الدولي خطيب دمشق ، وقد كانت الدولية والشبلية عامرتين في القرن الحادي عشر درس بها اسماعيل الحائك والدولية في الدخلة المشهورة اليوم بدخلة الداغستاني في نصف الطريق الآخذ من دار بني منجك الى زقاق الباذرائية اختلست وجعلت دوراً وفي احدى الدور قبر مدفون فيه واقف المدرسة محمد بن ابي الفضل بن زيد الخطيب الثعلبي الارمني الدولي ثم الدمشقي (٦٣٥) قاله الصفدي ودفن في الصفة الغربية من المدرسة وهاك نسخة التوقيع الذي كتب للفخر المصري المتوفى (٧٥١) بتدريس الدولية ونظرها : رسم بالامر العالي لا زال يرتفع به العلم الشريف الى نوره ، وبعبده الى حين خير نقتبس الفوائد من نوره وتغترف من بحره ، ويحمد الزمان بولاية من هو علم عصره ونخر مصره ، ان يعاد المجلس العالي الفخري الى كذا وكذا وضعا للشيء في محله ، ورفعاً للوايل على طله ، ودفعا لسيف النظر الى يده

ألف هزئه وسله ، ومنعاً لشعب مكة ان ينزله غير اهله ، اذ هو لاصحاب الشافعي رضي الله تعالى عنه حجة ، ولجهر مذهبه الداخر لجة ، ولاهل فضله الذين يقطعون مفاوزهم بالسرى صبح بالمسير متجة ، طالما ناظر الاقران فعدلم ، وحادل الخصوم في حومة البحث فخذلم وجندلم ، كم قطع الشبهات بحجج لا يعرفها السيف ، واتى بوجه مارأى الرؤياني احلى منه في احلام الطيف ، ودخل باب علم فتحه القفال لطلب نهاية المطلب التبري ، وارتوى من معين ورد عين حياته الخضري ، وتمسك بفروع صبح سبكها فقال ابن الحداد هذا هو المذهب المصري ، واوضح المقال بما نسب به جبال النسفي ، وروى اقوال اصحاب المذاهب بحافظة يمتناها الحافظ السلفي ، كم جاور بين زمزم والمقام ، والقي عصي سفره لما رحل عنها التحجيج واقام ، وكم طاب له القرار بطيبة ، وعطر بالازهر (بالاذخر ؟) والجليل رداءه وجبيه ، وكم استروح بظل نخلها والثرات ، وتلى بمشاهدة الشجرة الشريفة وغيره يسلم على قرب تربها العبرات ، وكم كذب بالوصال له وصولاً ، وبث شكواه فلم يجعل بينه وبين الرسول رسولا ، لا جرم انه عاد وقد زاد وقاراً ، وآب بعد ما غاب ليلاً فتوضح سبيله نهاراً ، فلباشر ما فوض اليه جويّاً على ماءهد من افادته ، وألف من رياسته ، لهذه العصابة وز يادته ، وعرف من زيادة يومه على امسه ، فكان كنيل بلاده ولا بتعجب في زيادته ، حتى يحجي بدرسه مدارس ، ويثمر عود الفروع فهو الذي انبته بهذه المدرسة وغرس ، مجتهداً في نظر وقفها ، معتمداً على ثنيج ورفات حسابها وصحفها ، عاملاً بشروط الواقف فيما شرط ، قابضاً ما قبضه وباسطاً ما بسط ، وبقوي الله تعالى حبه ليرفع فيها خاطره ، ويسرح في رياضها الناضرة ناظره ، ومثله لا ينبه عليها ، ولا يوحى له بالاشارة اليها ، فلا ينزع مالبسه من خلاها ، ولا يسير في مهمه مهم الا بسناها ، والله يديم بفوائده لاهل العلم الظل الوريث ، ويجدد له سعداً يشكر التالذ منه والطريف ، والظرف والخط الكريم اعلاه ، حجة بمقتضاء .

(٤٦) «الركنية الجوانية» شمالي الاقباليتين شرقي العزبة الجوانية والفلكية غربي المقدمة واقفها ركن الدين منكورش عتيق فلك الدين سليمان درس بها جلة من العظماء منهم ابن خلكان وابو شامة وبنو حمزة وهي اليوم في زقاق بني مفلح امام

المقدمة وبينها الطريق ويعرف الآن بدخلة بني عبد الهادي في العبارة وهي منظمة الى دار بني العمري ولم يبق لها اثر .

(٤٧) « الرواحية » شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الاموي ولصيقة جيروث وغربي الدولة وقبل السيفية الخبيلية بانها زكي الدين بن رواحة الحموي التاجر الغني المعدل المتوفى سنة ٦٢٢ درس بها ابن الصلاح والسهوردي وابن البازري وابن الزملكاني وابناء السبكي وغيرهم ، وقد أنشئت هذه المدرسة نحو سنة ٦٠٠ . قال المؤرخون ان زكي الدين بن رواحة بنى بحلب مدرسة للشافعية وبدمشق مثلها داخل باب الفراديس ووقف عليها اوقافاً حسنة وقنع بعد ذلك بالبسير وكان يسكن في بيت المدرسة الدمشقية وهو الذي في ايوانها من الشرق ويقابله من الغرب خزانة الكتب التي وقفها وهي كتب جليلة كانت من ارباب الثروة . واصبحت المدرسة الرواحية الآن داراً .

(٤٨) « الزاوية الخضراء » بمقصورة الخضراء غربي الجامع الاموي وهي مكان داخل الجامع اشبه بالحلقات .

(٤٩) « الشامية البرانية » بمحلة العتيبة انشاء ست الشام بنت نجم الدين ايوب ابن شادي والدة الملك اسمعيل المتوفاة سنة ٦١٦ وتعرف هذه المدرسة بالحسامية لان ابنها حسام الدين دفن فيها كما انها هي ايضاً دفنت فيها . وهي اليوم مدرسة ابتدائية لللائمات تقوم بها جمعية الاسعاف الخيري وكانت درّس بها من المشاهير نبي الدين ابن الصلاح ، وعبد العزيز بن ابي عصرون ، ومحيي الدين بن الزكي والفارقي والشريشي وابن الوكيل وابن قاضي شعبة وغيرهم .

(٥٠) « الشامية الجوانية » قبلي البيارستان النوري انشاء ست الشام ايضاً درّس بها من عظماء الشافعية ابن الصلاح قال ابن خلكان في ترجمته ان الملك الاشرف بن الملك العادل بن ايوب لما بنى دار الحديث بدمشق فوض تدريسها اليه ثم تولى تدريس مدرسة ست الشام زمرد خاتون بنت ايوب وهي شقيقة شمس الدولة توران شاء بن ايوب التي هي داخل البلد قبلي البيارستان النوري وهي بذت المدرسة الأخرى ظاهر دمشق وبها قبرها وقبر اخيها المذكور وزوجها ناصر الدين بن اسد

الدين شيركوه صاحب حمص فكان يقوم بوظائف الجهات الثلاث . قلنا وكثير من هؤلاء الفقهاء والمحدثين كانوا يدرسون سيفي المدرستين والثلاث وربما أكثر . ومن مدرسيها سالم بن أبي الدرامين الدين ابو الغنائم (٧٢٦) وزين الدين الفارقي شيخ دار الحديث الاشرفية . وقد خربت هذه المدرسة ولم يبق فيها سوى بابها وواجهتها الحجرية واتخذت داراً . ومن اوقافها المزرعة المعروفة بجحرمانا .

(٥١) « الشاهينية » بالقرب من جامع التوبة بحارة العقبة انشاء الدوادار^(١) شاهين الشجاعي أحرقت (٨١٦) فأعاد عمارتها هو ايضاً .

(٥٢) « الشومانية » إنشاء خانون بنت ظهير الدين شومان وهي المسماة بالطيبة والطيبة كما في الدارس قبلي النورية الكبرى ليست معروفة .

(٥٣) « الشريفة » كانت عند حي الغرياء بدرب الشعارين عند باب السلام وفي تاريخ مبرات الشام انها قبلي الجامع الاموي بالصاغة لم يعرف واقفها . درست وأصبحت حوانيت .

(٥٤) « الصاحية » غربي الطيبة والجوهريفة الحنفية وقبلي الشامية الجوانية بشرق وتعرف بتربة أم الصالح اسماعيل بن الملك العادل سيف الدين صارت مساكن ولم يعرف لها اثر وكان من جملة مدرسيها الذهبي وابن كثير .

(٥٥) « الصارمية » داخل بابي النصر والجابية قبلي العذراوية بشرق إنشاء صارم الدين ازبك مملوك قايماز النجمي (٦٢٢) أصبحت دوراً وكان درس بها طبقة عالية من المدرسين .

(٥٦) « الصلاحية » بالقرب من اليمارستان السوري وهي من إنشاء نور الدين محمود بن زنكي واليه نسبها ابن قاضي شهاب ومنسوبة للسلطان صلاح الدين . لم يبق لها أثر .

(٥٧) « النقطائية » داخل باب الصغير في الشاغور بنحو مائة ذراع الى شرق شمال

(١) الدوادار هو مبلغ الرسائل عن السلطان ومقدم القصص اليه وله المشاركة على من يحضر الى الباب الشريف وتقدم البريد و يأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب .

غربي بيت الخواجا الناصري قبلي منارة الشعم عمر بعضها ومجهول بانيتها وليس لها أثر الآن .

(٥٨) « الطبرية » بجوار باب البريد انشأها نور الدين الشهيد درس بها الشرف ابن هبة الله . لا يعرف عنها شيء وليس لها من اثر .

(٥٩) « الطبية » قبلي التورية الحنفية وشرقي تربة زوجة نكز بقرب الخواصين وهي المسماة بالشومانية وانما غير اسمها نيمنا درس بها جلة من الفقهاء وهي الآن دار ابني العظمة وبني كيوان .

(٦٠) « الظبائية » قبلي المدرسة الشامية الجوانية التي هي قبلي البجارسنان الثوري وغربي المدرسة الصالحية التي غربي مدرسة الطبية خربت .

(٦١) « الظاهرية البرانية » خارج باب النصر شرقي الخانوقية الحنفية وغربي خانقاه الحسامية بين نهري بانياس وقتوات بالشرف القبلي بناها الملك الظاهر بن الملك الناصر صلاح الدين درس بها كثير من المشاهير منهم امام الدين وجلال الدين القزويني وابن مصري وابن جملة . ولم يبق لها اثر الآن .

(٦٢) « الظاهرية الجوانية » وهي للحنفية والشافعية داخل باب الفرج والفراديس جوار الجامع شمالي باب البريد وقبلي الاقباليين والجاروخية وشرقي العادلية الكبرى انشأها مدرسة ودار حديث الملك الظاهر بپرس وهي التي دفن بها هو وابنه الملك السعيد سنة ٦٢٦ كتب على واجهة بنائها جريدة وقفها بحروف غليظة وزُبر اسم مهندسها في الزاوية الشمالية من المدخل « عمل ابراهيم بن غنائم المهندس » ومن درس بها نائب السلطة ايدمر الظاهري والاذرعي والاختائي والسويدي والاسدي والرعييني والواسطي . وهي اليوم بيد المجمع العلمي العربي جعلت مخطوطاتها في القبة الظاهرية المعمولة حيطانها بالقسيفساء البديعة وقد أنشئت خزانة كتب منذ اواخر القرن الماضي .

(٦٣) « العادلية الكبرى » شمالي الجامع بغرب وشرقي خانقاه الشاهية وقبلي الجاروخية تجاه باب الظاهرية يفصل بينهما الطريق المؤدية الى باب البريد ، بدأ بأنشائها نور الدين محمود بن زنكي ولم تتم ، ثم عمل فيها الملك العادل سيف الدين ولم

ثم، ثم ولده الملك المعظم، ووقف عليها الاوقاف ونسبها لوالده الذي دفن فيها . انشاها نور الدين للامام قطب الدين النيسابوري فعاجل الاجل الباقي والمبني له قبل اتمامها . قال صاحب الروضتين : وقد رأيت انا ما كان بناء نور الدين ومن بعده منها وهو موضع المسجد والمحراب الآن ، ثم لما بناها الملك العادل ازال تلك العمارة وبنائها هذا البناء المثقن المحكم الذي لانظيره في بنیان المدارس ، وهي المأوى وبها المشوي ، وفيها قدرا لله تعالى جمع هذا الكتاب (الروضتين) فلا اقفر ذلك المنزل ولا اقوى اه . وقال ايضا وفي سنة ٦١٢ شرع في عمارة المدرسة العادلية المقابلة لدار العقبي من الغرب وحضر السلطان لترتيب وضعها بين الصلاتين يوم السبت ثم احرق بالنار في رمضان المبارك سنة اربع عشرة . وقال ابن ابي شامة في ذيل الروضتين ايضا في حوادث سنة ٦١٩ وفيها نقل تابوت العادل بن ايوب من قلعة دمشق الى تربته المقابلة لدار العقبي ، اخرجوا جنازته من القلعة والتابوت مغشى بمرقعة ، وارباب الدولة حوله ، الى ان قال : ولم تكن المدرسة كملت عمارتها والتي فيها الدرس في هذه السنة القاضي جمال الدين المصري وحضر درسه اعيان الشيوخ والقضاة والفقهاء . وحضر السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل وتكلم في الدرس مع الجماعة . وكان الاجتماع بابواب المدرسة وجلس عن يمين السلطان الى جانبه شيخ الحنفية جمال الدين الحصري وبليه شيخ الشافعية شيخنا فخر الدين بن عساكر ثم القاضي شمس الدين الشيرازي ثم القاضي محيي الدين يحيى بن الزكي وجلس عن يسار السلطان الى جانبه مدرّس المدرسة قاضي القضاة جمال الدين المصري والى جانبه شيخنا سيف الدين الآدي ثم القاضي شمس الدين بن سني الدولة ثم القاضي نجم الدين خليل قاضي العسكر ودارت حلقة صغيرة والناس وراءهم مصلون . لا الايوان . وكان في دور تلك الحلقة اعيان المدرسين والفقهاء . وقبالة السلطان فيها شيخنا نقي الدين بن الصلاح وغيره وكان مجلسا جليلا لم يقع مثله الا في سنة ثلاث وعشرين وستائة اه . قال ابن كثير وفي سنة اربع وسبعائة جلس قاضي القضاة نجم الدين ابن المصري بالمدرسة العادلية الكبرى وعملت النخوت بعدما جددت عمارة المدرسة ولم يكن احد يحكم بها بعد وقعة غازان بسبب خرابها . وهذه المدرسة من اعظم مدارس الشافعية بدمشق وكان يحكم بها

قاضي القضاة ومجلس نواب القاضي بالمدرسة الظاهرية المناوحة لها .

درس بها وسكنها جلة من العلماء منهم ابن خلكان والجلال القزويني والعلاء القونوي وابن السبكي والفيلسوف الفقيه كمال الدين النفيسي وابن مالك النحوي وابن جماعة ومن درس بها وسكنها الشهاب أحمد الميني صاحب التآليف المشهور من أهل المئة الثانية عشرة وسكنها ودرس بها أولاده من بعده . وقد أخذها المجمع العلمي العربي لما أسس في سنة ١٩١٩م وجعلها مقراً ورمتها بما يقربها من الهندسة الأصلية وجعل قسماً منها متحفاً للعاديات والآثار الإسلامية وغيرها . وقد حرق هذه المدرسة مرتين الأولى في فتنه غازان التري سنة ٦٩٩ مع ما حرق من مدارس المدينة ، والثانية في سنة ٧٧٨ ولعلها احترقت في فتنه تيمور أيضاً (٨٠٣) هذا عدا ما تناوبها من الزلازل . ومع هذا لم يزل حائطها القبلي وحائطها الشرقي قائمين أحسن قيام ، أما الجدران الأخرى الغربية والشمالية فقد خربا وما بقي بجانبها جديد . ومن الأسف أننا لم نعثر فيها على كتابة ولو ضئيلة تدل على شيء من تاريخها ووقفها وإنشائها حتى ولا على قبر الملك العادل الذي نبش على ما يظهر في القرن الأخير لاخذ الذخائر التي كانت تدفن مع الملوك والعظماء . وكانت فيها خزانة كتب مهمة .

والعادية اليوم العضو الأثري المهم من تلك المدارس التي كانت في القرون الوسطى مغر الشام والإسلام . قلت في التقرير الرابع للمجمع العلمي عن سنة ١٩٢٥—١٩٢٦ ١٩٢٧— وفي العادية وضع المقدسي تاريخ الروضتين في أخبار الدولتين ، وفي العادية عمل ابن خلكان تاريخه المشهور ، وعلى باب العادية كان يقف ابن مالك النحوي ويدعو الناس لحضور درسه ، بنادي هل من متعلم هل من مستفيد ، والتاريخ يعيد نفسه ، وفي العادية تزل ابن خلدون فيلسوف العرب أوائل المئة التاسعة . وكانت المولى نعلت ارادته فقضي ان لا يخلي العادية والظاهرية من علم ينشر ، وادب يذكر ، فاخترهما مباءة للمجمع العلمي يقيم فيهما سوق العلم والادب بعد الكساد على النحو الذي كانتا عليه منذ وضع أساسها نور الدين زنكي والظاهر بيبرس .

(٦٤) « العادية الصغرى » داخل باب الفرج شرقي باب القلعة الشرقي قبلي

الدماغية والعمادية أنشأها زهرة خانون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب وقد حرق مؤخرًا وبقيت جدرانها قائمة .

(٦٥) « العذراوية » بحارة الغرباء دخل باب النصر الذي كان يسمى بباب دار السعادة كما في الدارس وفي مختصره أنها في جوار دار العدل التي سميت في القرن الماضي دار المشيرية حيث يقم مشير العساكر في الدولة العثمانية وهي اليوم مقر البعثة الافرنسية ، انشاء عذراء بنت السلطان صلاح الدين يوسف في رواية . وهي للقريتين الشافعية والخنفية درس بها الفخر بن عساكر وعزالدين بن أبي عصر ونوح بن الدين بن الزكي والشمس بن خلكان وابن قاضي شعبة وغيرهم وهي باقية اتخذت داراً يجتمع فيها النساء لسماع الوعظ . وكان فخر الدين بن عساكر اول من درس بالمدرسة العذراوية ودرس بالنورية والجاروخية وهذه الثلاث مدارس بدمشق والمدرسة الصلاحية بالقدس يقم بالقدس اشهرًا وبدمشق اشهرًا .

(٦٦) « العزيزية » شرقي التربة الصالحية وغربي التربة الاشرفية وشمال دار الحديث الفاضلية اول من أسسها الملك الافضل وأتمها الملك العزيز ، ومن درس بها سيف الدين الأمدى وغيره من المشهورين هدمها ضياء باتا والي سورية وجعلها حديقة ضمت الى مدفن صلاح الدين أواخر القرن الماضي . وفي بعض التواريخ ان القاضي محي الدين بن الزكي امر بان تبنى دار الامير أسامة مدرسة للتربة . وهي المدرسة المعروفة بالعزيزية ووقفها قرية عظيمة تعرف بمحجة . وذكر ابن خلكان ان السلطان صلاح الدين بقي مدفوناً بقلعة دمشق الى ان بنيت له قبة في شمالي الكلاسة التي في شمالي جامع دمشق ولها بابان احدهما الى الكلاسة والاخر سيف زقاق غير نافذ وهو مجاور المدرسة العزيزية ثم نقل صلاح الدين من مدفنه بالقلعة الى هذه القبة ثم ان ولده الملك العزيز عماد الدين عثمان لما اخذ دمشق من اخيه الملك الافضل بني الى جانب هذه القبة المدرسة العزيزية ووقف عليها وقفاً جيداً . وللقبة المذكورة شباك الى هذه المدرسة وهي من أعيان مدارس دمشق اه .

(٦٧) « العسرونية » داخل بابي الفرج والنصر شرقي القلعة وغربي الجامع لقاضي القضاة شرف الدين أبي سعيد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهر بن أبي

عصرون بن ابي اليسر التميمي الجوني ثم الموصل الدمشقي المتوفى (٥٨٥) وكان بها قبره درس بها جماعة منهم المشايخ من بني عصرون وغيرهم . حرق في الحريق الكبير سنة ١٣٢٨ هـ ولم تعد الى ما كانت وبقي اسم السوق منسوباً اليها ورُمّ قبر من اسسها بعض الشيء .

(٦٨) « العادية » داخل باب الفرج والفرايس قرب الدماغية من قبله ببناء عماد الدين والواقف عليها السلطان صلاح الدين درس بها عماد الدين الكاتب وغيره وهي الآن كتاب للصبيان في زقاق الخندق .

(٦٩) « الغزالية » في الزاوية الشمالية الغربية شمالي مشهد عثمان بالجامع الاموي وتعرف بالشيخ نصر المقدسي وهو اول من درس بها . ومن درس بها من المشهورين جمال الدين الدولعي وعز الدين بن عبيد السلام والقطب النيسابوري والشرف بن ابي عصرون وحجة الاسلام ابو حامد الغزالي وهي الآن مشهد من مشاهد الجامع .

(٧٠) « الفارسية » غربي الجوزية الخنسية تجاه الخارج من باب الزيارة بالزهرية وقفها سيف الدين فارسي الدوادار التميمي (٨٠٨) وفي المدرسة الآن قبران وهالك أباتاً من نظم بانيها امر ان تكتب على تربته بعد وفاته وأظنها لغيره من المتقدمين وقد رأيتها مكتوبة على مدفن بني الشحنة مؤرخي حلب في باب المقام بحلب والابيات هي :

هذه دارنا التي نحن فيها دار حق وما سواها يزول

فاعتمر للمات داراً اليها عن قريب يعضي بك التحويل

واعتمل صالحاً يؤانسك فيها مثلاً يؤس الخليل الخليل

(٧١) « الفتحية » انشاء الملك فتح الدين صاحب بارين وبها قبره وكان نامدرستين احدهما للشافعية وثانيتها للحنفية نسيئا ونسي مكانها .

(٧٢) « الفخرية » بين السورين انشاء نور الدين ثم بناؤها سنة ٨٢١ وهي على اهل المذاهب الاربعة فيما يظهر وبها درس جماعة منهم عز الدين الاربلي والشيخ المراغي .

(٧٣) « الفلكية » غربي الركنية الجوانية بالعمارة انشاء اخي الملك العادل فلك الدين سليمان دفن فيها سنة ٥٩٩ هـ وفي بعض المظان ان المدرسة الفلكية بنواحي باب الفرايس تنسب الى ابي منصور سليمان بن شرويه بن جلدك .

(٧٤) «القليبية» داخل باب شرقي و باب توما شرقي المسماة بـ إنشاء مجاهد الدين ابن قليج محمد بن شمس الدين محمود . قال البوريني : ان احمد بن سليمان الدمشقي الصوفي عزل التراب الذي في المدرسة القليبية الذي كان من بقايا الخراب في فنية اللتك (اي نيمورلنك) وقطن بها وأسكن في حجراتها عدة من المقراء ، والمدرسة المذكورة كانت تعرف في القرن الحادي عشر بمزار سيدي سيف الدين ، وسيف الدين هذا هو الامير سيف الدين الاسفسه لار الامير الكبير المجاهد المرباط كان من الامراء النورية وكان له فضيلة زائدة و يطل على تربته تبا كان على رأس كل واحد منها حجر فيه أسطر مقوشة فاما الاول فعليه من الكتابة هكذا : قال الامير الكبير المجاهد المرباط الاسفسه لار سيف الدين علي بن قليج رحمه الله هذه الايات وامر ان تكتب على قبره . وعلى الحجر الثاني الايات وذكر الايات الثلاثة . الواردة في الكلام على المدرسة الفارسية وبذلك رأينا ان هذه الايات ادعاها كتيروت وأحبها غير واحد من العظماء .

(٧٥) « القواسية » بالعقبة الصغرى قرب مسجد الزيتونة إنشاء الامير عز الدين ابراهيم بن عبد الرحمن بن القواس درس بها جماعة .

(٧٦) « القوصية » هي حلقة بالجامع الأموي قرب مشهد يحيى وكانت محلا للتدريس أنشأها رجل يقال له جمال الاسلام في رواية ووقف عليها اوقافا جملة درس بها بعض المشاهير .

(٧٧) « القيمرية الجوانية » بحارة القيمرية أنشأها الامير ناصر الدين القيمر احد امراء الجند درس بها جملة من فقهاء الشافعية ولا تزال معروفة .

(٧٨) « القيمرية البرانية » ويقال لها القيمرية الصغرى في القباقيب العتيقة غربي المقدمة وشمال الحنبلية خربت وانقاضها الى اليوم ظاهرة . و يقول طارق ان بانيتها الامير علي بن يوسف بن يوسك القيمري سنة ٦٥٣ .

(٧٩) « النجبية » قال ابن كثير في سنة ٦٩٠ درس الخطيب عز الدين الفارقي بالمدرسة النجبية عوضا عن كمال الدين بن خلكان ولم يذكر في الدارس لها وفقا ولا وقت بنائها ومحلها .

- (٨٠) « الكروانية » بجانب السامرة رامة الشافعية وقفها سنة ٦٤١ محمد بن كروان محتسب دمشق ، ومن درس بها كمال الدين بن الزملكاني والشريشي .
- (٨١) « الكلاسية » متصلة بالجامع الاموي من شماله ولها باب اليه انشأها سنة ٥٥٥ نور الدين الشهيد سميت بذلك لانها كانت موضع عمل الكلس ايام بناء الجامع ثم امر بتجديدها السلطان صلاح الدين درس بها جلة من الفقهاء وهي اطلال .
- (٨٢) « المجاهدية الجوانية » بجوار تربة نور الدين الشهيد وفي الدارس قرب باب الخواصين واقفها مجاهد الدين ابو الفوارس الكردي احد امراء الدولة النورية . وفي الروضتين انه الامير مجاهد الدين بزاف بن مامين احد مقدمي الاكراد المتوفي سنة ٥٥٥ له اوقاف على ابواب البر بدمشق منها المدرستان المنسوبتان اليه احدهما التي دفن فيها وهي لصيق باب الفراديس المجدد والاخرى قبالة باب دار سيف الغربي في صف مدرسة نور الدين وله وقف على من يقرأ السبع كل يوم بمقصورة الخضر بجامع دمشق وغير ذلك . وقد درس بها قطب الدين النيسابوري وكثير غيره من الاعلام .
- (٨٣) « المجاهدية البرانية » ايضا باب الفراديس كما في الدارس واليوم في زقاق حمام اسامة غربي الباذرائية لواقفها المشار اليه وفي مختصر الدارس انها بجوار سوق البطيخ وبها قبر واقفها درس بها غير واحد من المشهورين وهي جامع السادات .
- (٨٤) « المسرورية » بباب البريد انشاء مسرور الخضي الطواشي صاحب خان مسرور بالقاهرة وقيل مسرور الملك الناصر العادلي وقفها عليه شبل الدولة الحسامي واقف الشلبية . درس بها جماعة من نبياء الفقهاء .
- (٨٥) « المنكلائية » لا يعلم عنها الا كونها قرب المدرسة القيمرية الجوانية كما في مختصر الدارس والى اليوم لا يزال في تلك البقعة مقام للشيخ عبد الله المنكلائي .
- (٨٦) « الناصرية الجوانية » داخل باب الفراديس شمال الجامع والرواحية بشرق وغربي الباذرائية بشمال وشرقي القيمرية الصغرى والمقدمية الجوانية من آثار الملك الناصر صلاح الدين وهي اليوم دار درس فيها بعض المشهورين من العلماء .
- (٨٧) « المقدمة الجوانية » انشاء الملك الناصر صلاح الدين يوسف ولعلها هي التي كانت عاصمة في القرن العاشر كما يؤخذ من ترجمة الشمس البهنسي من ان

المقدمية والقصاعية والسيبائية كانت عامرة في عصره وقد خربت المقدمة اوائل هذا القرن واستحالت دوراً .

(٨٨) « المجنونة » شرقي الشامية البرانية بالعقبة انشاء شرف الدين بن ترف الرازي المعروف بالسبعة مجانين وهي معروفة بالسبعة المجاهدين ايضاً وذلك بعد الثلاثين والسجائة .

(٨٩) « النجيبية » ملاصقة للمدرسة النورية وخرىج نور الدين الشهيد من جهة الشمال انشأها النجبي جمال الدين اقوش الصالحى استاذ الملك الصالح .

مدارس الحنفية ١ كان بدمشق اوائل القرن العاشر احدى وخمسون
بدمشق مدرسة للحنفية كما في الدارس وهي :

(٩٠) « الاسدية » تقدم محلها وهي في المرجة الخضراء في الشرف القبلي .
(٩١) « الاقبالية » تقدم محلها وهي على الاحاف والشوافعة وقد زالت ولا يعرف غير اطلالها وحجر بابها .

(٩٢) « الامدية » بالصالحية جوار الميطورية من الغرب جاء في الدارس انه مجهول حالها من القديم وهي على ما فهم في بستان الميطور قرب حي الاكراد .
(٩٣) « البدرية » قبالة الشلية بالجبل عند جسر كحيل ويعرف بجسر الشلية وهي في بستان السبوسكي بطريق عين الكرش لم يبق منها الا قبة تهدم اعلاها بجانب نهر ثورا انشاء الامير بدر الدين المعروف بلالا ابن الداية من امراء نور الدين سنة ٦٣٨ .

(٩٤) « السلخية » داخل الصادرية و بابها من حمام باب البريد انشأها الامير كثر الدقاق للشيخ ابراهيم البلخي بعد سنة ٥٢٥ درست واتخذت مع الصادرية دوراً في عهدنا .

(٩٥) « التاجية » بزاوية الجامع الاموي الشرقية غربي دار الحديث العروية وكانت زاوية للدرادوتس عرفت قديماً بابن سنان و بالسلاية جددت في سنة ٦٢٤ وهي غير موجودة .

(٩٦) « الناشية » انشاء الملك الناشي الدفاقي سنة ثيف وخمسين وخمسة وهي
مجهولة اليوم .

(٩٧) « الجلالية » لقاضي القضاة جلال الدين ابي الفاخر احمد بن قاضي
القضاة حسام الدين الرازي كانت ملاصقة للسيارستان النوري وهي الآن خراب .
(٩٨) « الجمالية » كانت بسفح قاسيون للامير جمال الدين يوسف وكان يسكنها
في القرن العاشر ايام الصيف عبد الصمد العكاري درست مع الدوارس واخذت
انقضاها للدور .

(٩٩) « الجقمقية » هي شمالي الجامع الاموي اسسها سنجر الهلالي وولده
شمس الدين فانتزعها الملك الناصر حسن سنة ٧٦١ وامر بعماريتها فبنيت بالحجر الابلق
وجاءت في غاية الحسن واحترقت في فتنه تيمور لجدد بنيانها سيف الدين چاقماق
وخص الخانقاه بالصوفية واضاف اليها مدرسة للايتام وتربة ودرس بها جماعة وجعلت
في القرن الماضي مدرسة للذكور وهي اليوم في حالة خراب او ما يقرب منه .
(١٠٠) « الجر كسية » ويقال لها الجهار كسية ، ومعنى جهار كس اربعة انفس ،
وهي مشتركة بين الخنفية والشافعية وقيل هي للخنفية فقط واقفا جر كس فخر الدين
الصلاحى وكان نائباً عن الملك العادل بيانياس وبلاد الشقيف وتبئين وهونين وهو
من ارباب العمم العالية مشهور بصداقته وصدقائه وهو بابي القيسارية الكبرى في
القاهرة . وهذه المدرسة فوق نهر يزيد بالصالحية بالقرب من الجامع الجديد معروفة
ياوي اليها المهاجرون والدررايش وتنسب اليها المحلة كلها اندرست ولم يبق منها
سوى قبتين عظيمتين اعلاهما متهدم وجدرانها حجر نحت .

(١٠١) « الجوهريه » شرقي تربة ام الصالح داخل دمشق بجارة بلاطة المعروفة
اليوم بزقاق المحكمة انشاء الصدر نجم الدين بن عباس التميمي الجوهري سنة ٦٧٦
كان بعضهم اواخر القرن الماضي قسمها ثلاث دور وجعل عليها مرصداً وقام ولداه
بعده فاخذوا ما انفق والدهما عليها واعادها الى الوقف فحملت مدرسة للصبيان وحصل
الانتفاع بها .

(١٠٢) « الحاجبية » والخانقاه بها قبلي المدرسة العمرية بالصالحية على مقربة من

مرفد الشيخ عبد العتي النابلسي انشاء الامير ناصر الدين محمد بن مبارك الاينالي داودار سودوت النوروزي سنة ٨٦٥ وقد تداعت فاخذت انتقاضها منذ نحو خمسين سنة لتبليط الطريق وهي امام جامع الحاجب بالجر كسية اصبحت الآن عرصة محاطة بجدار وحوض مائها لا يزال موجوداً ومأذنتها كانت جميلة .

(١٠٣) «الخاتونية البرانية» مسجد خاتون على الشرف القبلي في مكان كان يسمى صنماء دمشق مطل على وادي الشقراء وقفتها زمرد خاتون اخت الملك دقاق صاحب دمشق وهي ام شمس الملوك اسمعيل ومحمود زوجة تاج الملوك بوري توفيت سنة ٥٥٧ وكانت حافظة للقرآن سمعت الحديث من ابي الحسن بن قيس واستنسخت الكتب وقد خربت هذه المدرسة في اواخر حكم المالك فقلت انتقاضها لتعمر بها مدرسة غيرها سيف باب الجابية وكانت من مدرسيها علي البلخي وشرف الدين عبد الوهاب الحوراني وصدر الدين البصري وصدر الدين الادمي .

(١٠٤) «الخاتونية الجوانية» كانت بمحلة حجر الذهب محلة البيارستان النوري انشاء خاتون ابنة سعيد الدين اتسز وزوجة نور الدين الشهيد وقفا اخوه سعد الدين عليها ومن درس بها حجة الاسلام ابن شداد ومجد الدين بن ابي جرادة .

(١٠٥) «الدامغية» تقدم محلها عند جسر ثورة قرب معمل الغزل القديم وانها على الفرقين الحنفية والشافعية درس بها الافتخار الكاشغري والسنجاري وابن محنون خطيب النيرب وغيرهم اصبحت اليوم حدائق .

(١٠٦) «الركنية» ويقال لها الركنية البرانية تمييزاً لها عن الركنية الجوانية المار ذكرها وهي من انشاء الامير ركن الدين منكورش عتيق فلك الدين سنة خمس وعشرين وستمائة درس بها جلة من الفقهاء وهي اليوم في حي الاكراد بالسفح اختلفت منها قطعة وجعلت دوراً ولا تزال تقرأ في حائطها كتابات كوفية .

(١٠٧) «الريحانية» جوار الورية انشاء ريجات الطواشي من اكبر خدام نور الدين الشهيد سنة ٥٦٥ وهي اليوم كتاب للذكور . ولا يزال على بابها حجر زبر عليه بخط جميل الاوقاف المرصدة لها .

(١٠٨) «الزنجارية» خارج باب ثوما وباب السلامة ويقال لها الزنجيلية كانت

تجاه دار الاطعمة من احسن المدارس . وفي مختصر المدارس انها هي التي على بابها هذا الرخام من عجائب الدنيا وهذه الصناعة التي كانت كأنها بين ايديهم كالعجين . انشأها نائب عدن نضر الدين الزنجيلي صاحب اليمن ايام الملك العادل أنشئت سنة ٦٢٦ وفي رواية انه الامير عز الدين عثمان بن الزنجيلي صاحب عدن درس بها اجلة الفقهاء ولا يعرف محل هذه المدرسة اليوم ولعلها كانت شرقي السقيفة وهي اليوم حدائق .

(١٠٩) « السيفية » بجوار الجامع الاموي ومن القديم لا يعرف عنها غير هذا .
(١١٠) « السبائية » خارج باب الجابية وشالي بئر الصارم والثرية والزاوية بها واليوم في آخر شارع الدرويشية انشاء نائب الشام سيباي امير السلاح بمصر سنة ٩٢١ جعلها جامعاً ومدرسة وزاوية وتربة . قال في المختصر عمرها بالتجرا الا بلى ولم يدع بدمشق مسجداً مهجوراً ولا مدفناً معموراً الا واخذته من الاحجار والآلات والرخام والاعمدة ما احب حتى سماها علماء دمشق « جمع الجوامع » وهي اليوم مكتب ابتدائي للذكور ونقام فيها الصلوات والاذكار .

(١١١) « الشبلية البرانية الحسامية » بسفح قاسيون بالقرب من جسر تورة إنشاء شبل الدولة كافور الحسامي الرومي طواشي حسام الدين بن لاجين ولد ست الشام سنة ٦٢٦ وقد دفن بها وهي فوق جسر ثورة من طريق عين الكرش لم يبق منها الا قطعة يسيرة قاومت حروف الزمان درس بها وأعاد بها عطاء من الفقهاء . منهم الصفي السنجاري والشمس ابن الجوزي وابن قاضي آمد وابن الغورية والبصروي والاذرعي والكاشغري والطوسي والكفيري والتركاني والعماد الجيلي وابن بشار . قال ابن خلكان ان ست الشام بنت ايوب أنشأت مدرسة بظاهر دمشق وقد دفن فيها الملك المعظم وهي ايضاً وولده حسام الدين عمر بن لاجين وزوجها ناصر الدين ابي عبد الله محمد بن اسد الدين شيركوه صاحب حمص وحسام الدين هو سيد شبل الدولة كافور بن عبد الله الحسامي الخادم صاحب المدرسة والخانقاه الشبلية اللتين في ظاهر دمشق على طريق قاسيون ولها شهرة في مكانها واوقاف كثيرة اه . والى اليوم لا تزال القبور ظاهرة للعيان وهناك حوض ماء واويان .

(١١٢) « الشبلية الجوانية » قبالة الاكربة داخل باب الجابية إنشاء شبل الدولة

كافور المعظمي صاحب المدرسة قبلها وهي اليوم امام محكمة الباب الشرعية وقد أصبحت دوراً .

(١١٣) «الصادرية» داخل باب البربد على باب الجامع الاموي الغربي إنشاء شجاع الدين والدولة صادر بن عبدالله قال صاحب الدارس وهي اول مدرسة أنشئت في دمشق (٤٩١) درس بها ابن زكي الكاشاني والبلخي وابو العيش واوحد الدين الدمشقي والغزنوي رشيد الدين وابن مسعود والكعكي والرضي الملتاني الهندي والبرهان الغزنوي المعروف بابي الهول وابن الشجاع وابن اسد الدين الدمشقي . وهي دور مساكن منذ استصفها المستصفون من عهد قريب .

(١١٤) «الطرخانية» قبلي الباذرائية إنشاء ناصر الدولة طرخان احد كبار امراء دمشق وهي الآن منازل ومساكن .

(١١٥) «الطومانية» تجاه دار الحديث الاشرفية عربي الشرفية والفقاعية بسوق المعسرودية ولعل واقفها طومان النوري . وقد جعلت في اواخر القرن الماضي حانة تباع فيها الخمر ثم صارت حوانيت ودوراً .

(١١٦) «العدراوية» مر محلها وانها على الحنفية والشافعية . درس بها العز السنجاري والسمرقندي والرازي .

(١١٧) «العزيزية» أنشئت (٦٣٥) جوار المدرسة المعظمية إنشاء الملك العزيز عثمان بن العادل شقيق الملك المعظم وفي العزيزية دفن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ولا يزال قبره معروفاً يزار ويقصده العالم من الاقطار .

(١١٨) «العزيزية البرانية» بالشرف الأعلى شمالي ميدان القصر خارج دمشق وهي الآن البستان الذي أصبح معملاً للكهرباء وقد زال اثرها . أشأها الامير عز الدين استاد^(١) دار المعظمي المعروف بصاحب صرخد (٦٢٦) درس بها عظماء منهم محمد الكريبي المتوفي سنة ١٠٦٨ اي انها كانت عامرة الى القرن الحادي عشر .

(١) هو من يتكلم في اقطاع الامير مع الدواوين والفلاحين وغيرهم . وبعضهم يرميها استاد الدار .

(١١٩) « العزية الجوانية » المعروفة بالكوشك اي القصر انشاء المقدم ذكره وهي غير معروفة .

(١٢٠) « العزية » بجامع دمشق منسوبة له ايضاً قال في المدارس وشرط واقفها انه بنى مدرسة بالقدس الشريف على انه متى كان القدس بيد المسلمين يكون الوقف على المكان المذكور وان تعطل اي تعطل القدس كان مدرسة بالجامع الاموي المصمور جوار مشهد علي درس بها حين تعطل القدس القاضي مجد الدين قاضي الطور وهي غير موجودة .

(١٢١) « العائمة » ترقى جبل الصالحية وغربي الميطورية انشاء الامير علم الدين سنجر المعظمي سنة ٦٢٨ لم يبق لها اثر .

(١٢٢) « الفتحية » نسي مكانها منذ قرون قال ابن شداد : وهي برحبة خالد وهي مجهولة ايضاً ومنشئها الملك فتح الدين صاحب بارين نسيب صاحب حماة .

(١٢٣) « الفرخشاهية » تعرف بمغز الدين فرخشاه وواقفتها حظ الخير خاتون ابنة ابراهيم بن عبد الله والدته عز الدين فرخشاه وهي زوجة شاهنشاه بن اخي صلاح الدين سنة ٥٧٨ وهي مقابلة التكية السلجانية بالشرف الاعلى شمالي حديقة الامة دثرت .

(١٢٤) « القيجاسية » داخل باب النصر ودار السعادة انشاء نائب الشام قيجاس الاسماقي الجركسي المتوفى سنة ٨٩٢ واول من درس بها شمس الدين ابو تراب محمد الامامي وهي اليوم عامرة في الجملة .

(١٢٥) « القصاعية » بحارة القصاعين انشاء خطلشاه خاتون بن كنجك سنة ٥٩٣ كانت عامرة في القرن العاشر ودرس بها محب الدين العلواني وهو آخر من درس بها من الفقهاء وهي في جهة الخضيرية جعلت دوراً

(١٢٦) « القاهرية » بالصالحية على طريق الترام في الزقاق الذي وراء سوق الجمعة على ضفة نهر يزيد لصيق دار الحديث القلانية المشهورة بالخانقاه وغربي العمرة يفصل بينهما الطريق وهي مساكن ولم يبرح اسمها الى اليوم معروفاً بالقاهرية وهي أسرة اسمها بني القاهرية وهي الآن دار بني الحشاش .

(١٢٧) « الظاهرية الجوانية » تقدم محلها في مدارس الشافعية وانها للحنفية

ايضاً اول من درس بها الصدر سليمان وابن الخامس وابنه شهاب الدين والسمرقندي والجوبري وابن العز وعفيف الدين الآمدي وقوام لطف الله الحنفي .

(١٢٨) « القليجية » واقفها سيف الدين بن قليج النوري بين الخضراء والصدريه السالفين بالزورية سنة ٦٢٠ وجدد بناءها قاضي الشام محمد چلي سنة ٩٢٣ درس بها الشمس علي بن قاضي العسكر ونفر الدين بن خليفة البصري وثني الدين أحمد بن قاضي القضاة صدر الدين سليمان وعلاء الدين علي القونوي وغيرهم وهي اليوم في سوق التبن اتخذت بيتاً ملاصقاً لدار بني العظم ولعلها هي التي كانت مجمع الفضلاء والعقلاء للاستشارة اذا دم اهل دمشق امرهم لا القليجية التي كانت داخل باب توما كما روى بعض المؤرخين .

(١٢٩) « القايمازية » داخل بابي الفرج والنصر انشاء صارم الدين قايماز النجمي المتوفى سنة ٥٩٦ كان خيراً عاقلاً يتولى اعمال السلطان صلاح الدين يتولى اسبابه في مخيمه ويبعثه ويعمل عمل استاذ الدار وكلما فتح السلطان بلدة سلمها اليه ليروضها . وهي بالمناخلية درست عندما جرى توسيع الطريق .

(١٣٠) « المرشدية » على نهر يزيد بالصالحية جوار دارالحديث الاشرفية انشاء خديجة خاتون بنت الملك المعظم بن العادل اخت الناصر داود سنة ٦٥٦ وهي من المدارس التي بقيت الا ان داخلها متهدم ومجموعها محترق .

(١٣١) « المعظمية » بالصالحية بسفح قاسيون الغربي جوار المدرسة العزيزية أنشئت (٦٢١) نسبة الى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن العادل صاحب دمشق وهي الآن مدفن .

(١٣٢) « المعينية » بالطريق الآخذ الى باب المدرسة العسرونية أنشأه معين الدين اتسز اتابك مجير الدين ابقى صاحب دمشق في شهور سنة ٥٥٥ وهي دارسة .

(١٣٣) « الماردانية » على ضفة نهر ثورة لصيق الجسر الابيض معروفة أنشأتها عزيزة الدين اخشا خاتون بنت الملك قطب الدين صاحب ماردين زوجة الملك المعظم (٦١٠) درس بها جملة من الفقهاء وهي جامع عامر بالصلوات وفيه مدفن بقي المؤيد .

(١٣٤) « المقدمة الجوانية » داخل باب العمارة انشاء الامير شمس الدين محمد

ابن المقدم في الايام الصلاحية أنشئت سنة ٥٧٥ هـ وهي اليوم في حكم المفقود استصفي قسم منها وجعل دوراً وداخلها غرف تؤجر وحرماً مخزون .

(١٣٥) «المقدمة البرانية» تجاه الركنية بسفح قاسيون شرقي الصالحية انشاء

فخر الدين ابراهيم بن المقدم غير موجودة . ولعلها دار الشرباقي وحوض ماثها لم يزل كما كان امام حمام المقدم .

(١٣٦) « المنجية » بجوار خاتقاء الصوفية بالجاقاقية وفي الدارس انها بالخلخال .

وكان الخلخال حديقة اخذت للثكنة الحميدية غربى المدينة . وهي قلي الصوفية وغربها

انشاء الامير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري من ممالك الناصر محمد بن قلاوون

أسست سنة ٧٧٦ هـ وهي اليوم حدائق ولا اثر لها .

(١٣٧) « الميطورية » شرقي جبل الصالحية في حي الاكراد وقفها فاطمة خاتون

بنت السلار سنة ٦٢٩ هـ خربت .

(١٣٨) « المقصورة الحنفية » وهي محل التدريس في حرم الجامع الاموي وقف

عليها كاتب المالك القاضي فخر الدين ارقاناً .

(١٣٩) « النورية الكبرى » انشاء نور الدين الشهيد سنة ٥٦٣ هـ والصحيح انها

انشاء ولده الصالح اسمعيل وهي بعض دار هشام بن عبد الملك الاموي وفي الدارس

انها كانت قديماً دار معاوية بن ابي سفيان وكانت لمعاوية دار اخرى بباب الفراديس

تحت السقيفة يقال انها الدار التي كانت معروفة بدار ابن المقدم . ولا تزال المدرسة

عامرة الى يومنا هذا ان بعض جيرانها اخلسوا بعضها من الشمال .

(١٤٠) (النورية الصغرى) كان في القلعة جامع تقام فيه الجمعة الى القرن

العاشرون به مدرسة حنفية تسمى النورية الصغرى قال ابن شداد هي مدرسة بجامع

القلعة وكان مدرس القلعة اوائل القرن التاسع القاضي شمس الدين الزرعي وهو الذي

الزم ببناء مأذنة الجامع بالقلعة سنة ٨٢٤ التي كانت احدثت سنة ٧٦٢ .

(١٤١) «الينمورية» بالصالحية انشاء الامير جمال الدين بن يغمور الباروقي اخلست .

مدارس المالكية } كان بدمشق اربع مدارس للمالكية وهي :
بدمشق } (١٤٢) « الزاوية المالكية » وقف السلطان
صلاح الدين ملاصقة المقصورة الخنفية من غربي الجامع الاموي درس بها بعض
فقهاء المالكية .

(١٤٣) « الشرايشية » في القنوات وفي الدارس انها يدرب الشعارين لصيقة
حمام صالح شمالي الميطور بين داخل باب الجابية وكانت قبل ان تصبح مدرسة للايتام
محكمة شرعية واختلس الجيران بعضها . وهي انشاء شهاب الدين بن نور الدولة بن
محاسن الشرايشي التاجر السفار ولا يعلم عنها غير هذا .

(١٤٤) « الصمصامية » شرقي دار القرآن الوجيية وقرب المسرورية وقف عليها
الصاحب شمس الدين غبريال الاسلي وذكر المؤرخون ان سنان القرماني والد القرماني
صاحب التاريخ خرب مدرسة المالكية بالقرب من البيارستان النورية وتعرف
بالصمصامية وحصل به الضرر بمدرسة النورية ببعلبك وولي نظارة البيارستان
ونظارة الجامع الاموي وانتقد عليه انه باع بسط الجامع وحصره فقتل بسبب ذلك هو
وناظر السليمية حسين سنة ٩٦٦ خنقا معاً بدار السعادة بشاشيها وعمامتاها على رأسيها .
ولونفذ حكم الشرع في المختلسين والغاصبين لما ذهبت كل هذه المدارس مع امس الدابر .
(١٤٥) « الصلاحية » انشاء السلطان صلاح الدين بالقرب من البيارستان النوري
غير معروفة ايضاً .

وكان في زقاق حمام القاضي مدرسة للمالكية على ما في مفكرات طارق .

* * *

مدارس الخنابلة } كان بدمشق عشر مدارس للخنابلة وهي :
بدمشق } (١٤٦) « الجوزية » في البزورية كانت في عهدنا
محكمة شرعية ثم جعلتها جمعية الاسعاف الخيري مدرسة للايتام ثم حرق في الثورة .
انشاء محيي الدين بن جمال الدين بن الجوزي .
(١٤٧) (الجاموسية) غربي العقبة خارج دمشق ابتلعها واوقافها كما ابتلع
غيرها المتولون عليها .

(١٤٨) (الشريفة) عند القباقيب العتيقة قديماً وهي عند دار بني الغزي في العارة امام القوت بالجانب الشرقي وهي الآن دار . من انشاء شرف الاسلام عبد الوهاب ابي الفرج الحنيلي شيخ الحنابلة بدمشق المتوفى سنة ٥٣٦ وظلت بتعاقب عليها اولاده واحفاده حيناً من الدهر .

(١٤٩) (الصاحبة) بسفح قاسيون من شرق الصاحبة انشاء ربعة خاتون بنت نجم الدين ايوب اخت صلاح الدين وست الشام دفنت في فنائها سنة ٦٥٣ وجعلت اليوم مكتبة ابتدائية للذكور .

(١٥٠) (الصدرية) انشاء صدر الدين ابي الفتح اسعد النجاشي العدل سنة ٦٣٠ وكانت بجوار الجامع في زقاق الريحان والعامية تزعم ان قبر معاوية بن ابي سفيان بها وليس بصحيح .

(١٥١) (الضيائية المحمدية) شرقي جامع المظفرية بجبل قاسيون انشاء ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي سنة ٦٢٠ كان علامة عصره درس بها بانيها اولاً ولا يعرف عنها شيء .

(١٥٢) (الضيائية المحاسنية) بسفح قاسيون شرقي جامع المظفرية وامام جامع الحنابلة بقي منها اربع نوافذ وجدار انشأها ضياء الدين محاسن ووقفها على من يكون امير الحنابلة .

(١٥٣) « العمريّة السنجية » وسط دير الحنابلة بسفح الجبل انشاء ابي عمر الكبير الحنيلي الزاهد المعروف بابن قدامة سنة ٥٥٠ وهو الذي نسبت الصاحبة اليه لنزوله بمسجد ابي صالح بظاهر باب شرقي وهي الآن خراب اكل النظار عليها اوقافها واستباحوا اخذ خزائنها كتبها المهمة . وفي تاريخ الصاحبة انها اكبر المدارس بدمشق والصاحبة لانها مشتملة على ثلاثمائة وستين خلوة على ما قيل والعامر منها الآن (عصر مؤلف تاريخ الصاحبة) اقل من ذلك ا . وقال في تاريخ الصاحبة ايضاً ان ابا عمر بن المدرسة ووالده الشيخ احمد بن المصنع ثم كثر البناء المتسع بالصاحبة حول المدرسة حتى بلغ من القبلة حد المدينة ومن الشرق برزة الى الميطور — وبستان الميطور الآن

معروف بالقرب من جسر الخامس قرب حي الاكراد . اما الآن فهي خراب بـسـاب
وقد درس بها ائمة اعلام فيما سلف .

(١٥٤) (العالمة) مدرسة للحبابة ودار للحديث شرقي الرباط الناصري تحت
جامع الافرنج شرقي صفيح قاسيون وقفها الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح
الحنبلي سنة ٦٣٠ وهي خراب بلقع .

(١٥٥) (المسارية) قلي القبرية الكبرى داخل دمشق قلي الفتحية قرب مأذنة
فيروز واقفها التاجر الحسن بن مسار الهلالي الحوراني المغربي في سنة ٥٢٠ (٥٤٦) ؟
جعلت الآن محقراً للشرطة .

(١٥٦) (النجائية) زاوية بالجامع الاموي تعرف بابن منجا .
وكان في سوق القمح بدمشق .

(١٥٧) (المدرسة الحنبلية) تولى عمارتها سعد الدين بن عبد العزيز امام الملك
الاشرف موسى بن الملك العادل .

المدارس الحديثة } هذا ما ذكره صاحب الدارس من دور القرآن ودور
الحديث ومدارس الشافعية والحنفية والمالكية
والحنابلة . قد أنشئت بعد عهده في دمشق عدة مدارس في القرن الثاني عشر وهي :
(١٥٨) « المرادية » جنوب الظاهرية الجوانية وتفصل بينهما الآن سكة ضيقة
لصاحبها الشيخ مراد المرادي (مراد بن علي بن داود بن كمال الدين بن صالح البخاري
النقشبندي سنة ١١٣٢) وكانت قبل ذلك خاناً يسكنه اهل الفسق والتجور وقد
خربت زمن الحرب العامة وهي الآن خراب .

(١٥٩) « النقشبندية البرانية » هي في سوق ساروجا بناها الشيخ مراد المرادي
وكانت داره وبني الى جنبها مسجداً وهي الآن نكية ومنزل لأحفاده .

(١٦٠) « السليمانية » مدرسة سليمان باشا العظم أسست في باب البريد (١١٥٠)
جعلت زمناً مكتبةً للاناث وقد رمت بعد خرابها وسكنها دراويش .

(١٦١) « العبدلية » مدرسة عبد الله باتا العظم أسست في سوق السلاح سنة ١١٩٣ ولا تزال موجودة .

(١٦٢) « الاسماعيلية » مدرسة اسماعيل باتا العظم في سوق الخياطين أسست سنة ١١٤١ والطابق السفلي منها من بناء اسماعيل باتا العظم والعلوي من بناء اسعد باتا العظم ولكل منهما وقف خاص به وكانت المدرستان الاخيرتان من المدارس العاصرة الى عهد قريب فأصبحتا مأوى الفقراء وذهبت اوقافهما او كادت .

وهناك مدارس حدثت بعد عهد صاحب المدارس يعثر على اسمائها مبعثرة في كتب التاريخ والمدونات الحديثة ولا اثر لها لعدم مكانتها او لطاريء طرأ عليها . والطواريء على مثل هذه المدارس قد تحدث في كل عقد او عقدين من السنين مثل : (١٦٣) « المدرسة الحجازية » التي نزل بها احمد بن شمس الدين الصفوري ولا نعرفها الآن .

(١٦٤) « المدرسة الجوزية » انقطع اليها ابراهيم السقا سنة ١٠٥٨ ودرس بها ابراهيم بن حمزة سنة ١١١٩ .

(١٦٥) « المدرسة الحافظية » بصالحية دمشق درس بها حمزة بن محمد نقيب الشام المتوفى سنة ١٠٦٧ .

(١٦٦) « مدرسة احمد شمسي باتا » في سوق الاروام .

(١٦٧) ومن المدارس التي لم يذكرها صاحب الدارس مدرسة السلطان المؤيد التي بناها سنة ٨١٧ الملك المؤيد في دمشق وسماها « المؤيدية » وأنتأ سوقاً نسب اليه ولا نعلم عنها غير هذا .

ومنها (١٦٨) « القارية » مدرسة ابن القاري قال ابن طولون : لم يكن في الصف الشمالي مسجد غير مسجد البيع من باب الجابية الى باب شرقي يوجه الى القبلة قيل ان الصحابة بايعوا فيه وهو الآن مدرسة بناها الخواجا محمد بن يوسف القاري سنة ٨٨٧ وبني الى جانبها داراً عظيمة بالغ في اتقانها وقد أصبحت هذه الدار والمدرسة دوراً صغيرة وحواصل للخشب .

ومنها (١٦٩) « المدرسة المزلقية » (يراجع الدارس) بطريق مقابر باب الصغير

الآخذ الى الصابونية أنشأها تاجر الخالص الشريف شمس الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن ابي بكر المعروف بابن المزلق ميلاده سنة ٧٥٤ كان ابوه لباناً حكى عن نفسه ان اول سفره سافرهما في البحر كسب فيها مائة الف دينار وثمانمائة الف درهم وانفتحت عليه الدنيا وعمرأ ملاكاً كثيرة وأنشأ على درب الشام الى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر بنات يعقوب والمنية وعيون التجار أنفق على عمارها ما يزيد على مائة الف دينار وكل هذه الخانات فيها الماء وجاءت في غاية الحسن ولم يسبقه احد من الملوك والخلفاء الى مثل ذلك وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشرعيين الاوقاف الكثيرة .

ومن المدارس الحديثة بناء مدرسة الحقوق والعلوم الادبية العالية على شاطيء بردى في المرجة وهي من بناء الترك في آخر ايامهم وهي من أجزاء الجامعة السورية ومدارس الدولة الى اليوم تقوم على انقاض البيوت القديمة او الحديثة او بقايا الجوامع والمدارس . وهم الافراد فطرة لسد هذه الثمة . ومدارس الطوائف والتبشير تجعل في الكنائس والبيع على الأغلب . ومن اهم مدارس الحكومة مدرسة التجهيز والمعلمين وهي دار خاصة في شرقي المدينة كانت لغني اسرائيلي اسمه عبر فوقعت في ملك الحكومة العثمانية لدين كان لها على صاحبها وجعلت مدرسة اعدادية في سنة ١٣٠٤ شرقية . وفيها من ضروب الصناعات في البناء شي كثير . اما سائر المدارس الحديثة فيستحي المرء من ذكرها اذ لا شأن لها وليس للامة ولا للحكومة يد في انشائها .

مدارس الطب } كان بدمشق اربع مدارس للطب وهي :
 بدمشق } (١٧٠) « الدخوارية » بالصاغة العتيقة قرب الخضراء
 قلبي الجامع وفي رواية شرقي سوق الماخذلين انشاء مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المعروف بالدخوار وفي رواية عبد المنعم بن علي العروف بالدخوار سنة ٦٢١ جعلها مدرسة يدرس فيها من بعده صناعة الطب ووقف لها ضياعاً وعدة اما كن يستغل منها ما يتصرف في مصالحها وفي راتب المدرس والمشتغلين بها . ووصى ان يكون المدرس بها شرف الدين علي بن الرحي . قال ابن ابي أصيبعة في ترجمة شرف الدين بن

الرحي من كبار أطباء دمشق المتوفى سنة ٦٦٧ ان مهذب الدين عبد الرحيم بن علي وقف على الدار الشمالية وجعلها مدرسة للطب وربما هي الدخوارية بعينها . وفي رواية انها وبستان الدخوار عند اراضي الجامع الأموي من قصر اللباد شمالها نهر ثورة درس بها واقفها وبدر الدين محمد بن قاضي بعلبك وعماد الدين الدنيسري وشرف الدين بن حيدرة الرجيحي وكال الدين الطبيب والجمال احمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي وامين الدين سليمان بن داود وجمال الدين محمد شهاب الدين احمد الكحال وعز الدين السويدي . وهي اليوم دور ولا يعلم زمن دمارها .

(١٧١) « الدنيسرية » غربي باب البيارستان النوري والصاحية وبآخر الطريق من قبلة لصاحبها عماد الدين محمد الدنيسري ولم يعرف عنها غير هذا .

(١٧٢) « الربعية » لم يذكرها في المدارس وقال في مختصره انها غربي البيارستان النوري والمدرسة الصلاحية بأخر الطريق قبلة يقال انها هي المسجد الذي أنشأ قاضي القضاة محمد بك وكان بها ايضا صيدلية منظمة انشاء عماد الدين محمد بن عباس الربيعي المتوفى سنة ٦٨٦ وجاء في المدارس وفي سنة ٧٤٩ أقامها جديدة عبدالله بعد ان صارت تل تراب وجعلها يرسم تاديب الأطفال قاضي القضاة محمد بك الرومي الحنفي من مماليك السلطان بايزيد بن عثمان ثم جعلت دار بني البكري ونسفت في الثورة الاخيرة بالديناميت .

(١٧٣) « اللبودية » خارج البلد ملاصقة بستان الفلك وحمام الملك انشاء

نجم الدين يحيى بن اللبودي (٦٦٤) درس بها جمال الدين الزواوي . قال في الوافي : نجم الدين اللبودي هو يحيى بن محمد الوزير الصدر نجم الدين بن اللبودي الدمشقي الطبيب ترقى بالطب عند صاحب حمص ابراهيم ووزر له ثم اتصل بالناصر صاحب الشام فجعله ناظر الدواوين توفي سنة سبعين وستائة ودفن في تربته التي بالقرب من بركة الحمربين وجعل تربته دار طب وهندسة وقرر لها شيخا وقراء . وقال فيه انه الف في الرد على الموفق عبد اللطيف البغدادي كتاباً وهو في الثالثة عشرة وهو صاحب دار الطب والهندسة . ومدرسته اليوم متهمة وامم البستان بستان اللبودي شرقي بستان الشموليات من اراضي باب السريجة . هذه هي المدارس الطبية بدمشق وقد دثرت ودثرت اسماؤها .

ومن عرف ان القدماء كانوا يعنون بالطب أكثر مما يشعرون لا يستكثر على دمشق أربع مدارس في الطب في الدهر العابر . فقد ذكر المؤرخون انه كان لكل من ابني المجدي بن الحكم ومهذب الدين النقاش ورفيع الدين الجيلي مجالس عامة للمشغلين عليهم بالطب في دمشق . قال السبكي في معيد النعم : ومن حقهم — اي السلاطين — إقامة فقيه في كل قرية لا فقيه فيها يعلم أهلها أمر دينهم ، ومن العجب ان أولياء الأمور يستخدمون في كل حصن طبيباً ويستصحبون أطباء في أسفارهم بعلوم من بيت المال ولا يتخذون فقيهاً يعلمهم الدين وما ذاك الا ان أمر أبدانهم أهم عليهم من أمر أديانهم نعوذ بالله من الخذلان اه .

وفي المحرم من عام ١٣٢١ صدرت ارادة السلطان عبد الحميد الثاني بإنشاء مدرسة طبية ملكية بدمشق وان يخصص لبنائها عشرة آلاف ليرة ومثلها لتفقتها السنوية ولوازمها وذلك لان بيروت اخذت تخرج أبناء البلاد في مدرستيها الاجنبيتين وهما الاميركانية واليسوعية . فشرع في خريف تلك السنة بالتدريس في دار استوشرت موقتاً في طريق الصالحية ريثما تبنى المدرسة الجديدة . وفي اوائل دخول الجيش العربي والانكليزي آخر ايام الحرب العامة أنشئت (١٧٤) « مدرسة طبية » على أنقاض مدرسة الأتراك جعلت في مستشفى الغرباء التي كانت في مقابر الصوفية او مقبرة البرامكة .

نشأت المدارس في حلب في العهد الذي أنشئت فيه
مدارس حلب (١) } بدمشق ولكن على صورة مصغرة ، وقد بنيت اول

مدرسة فيها سنة ٥١٧ هـ وهي :

(١٧٥) « المدرسة الزجاجية » بناها بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار صاحب حلب ، ولما أراد بناءها لم يمكنه الحلبيون من ذلك اذ كانت الغالب عليهم التشيع ، فكان جماعته يبنون في النهار والشيعنة تنقض ما بنوه في الليل . وقال بعض المؤرخين

(١) تفضل إصديقي العلامة الشيخ مسعود الكواكبي فألقى نظره على هذا الفصل

في مدارس بلاده وعلى الفصل الآتي في الزوايا والربط .

التاريخ المدني — المدارس

انها من بناء عبد الرحمن ابن العجمي لاصحاب الشافعي ، وقد خربت وأصبحت دوراً للسكنى ، ويطلب ان يكون مكانها في محل خان الطاف من محلة الجلوم (اعلام النبلاء) .
(١٧٦) « النورية » أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٤٤ وتعرف بالغرية ايضاً وهي تجاه المدرسة صاحبية .

(١٧٧) « العسرونية » كانت داراً لابي الحسن علي بن ابي الثريا وزير بني مرداس فصيها الملك العادل نور الدين سنة ٥٥٠ مدرسة وجعل فيها مساكن للمرتبيين بها من الفقهاء ، وقد كانوا سنة ٨٧٤ فوق المئة ، واستدعى لها من سنجار شرف الدين بن ابي عصرون من أعيان الفقهاء فولاه تدريسا والنظر فيها ، وهو اول من درس بها فعرفت به ، وبني له نور الدين مدارس بمنجج وحماة وحمص وبعلبك ودمشق ، وقد كان لها بقية الى سنة ١٣٤٣ اذ شرعت إدارة الاوقاف بنجرها وإقامة دور للسكنى مكانها بضاف ريعها للاوقاف .

(١٧٨) « صاحبية » أنشأها القاضي بهاء الدين يوسف المعروف بـ ابن شداد ، قال ابن حلكان : ان حلب كانت قبل ان يتصل ابن شداد بخدمة الملك الظاهر قليلة المدارس وليس بها من العلماء الا نفر يسير ، فاعتنى بترتيب امورها ، وجمع الفقهاء بها ، وعمرت في ايامه المدارس الكثيرة ، وكان الملك الظاهر قد قرر له اقطاعاً جيداً يحصل منه جملة مستكثرة ، فعمر مدرسة بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نور الدين محمود بن زنكي للشافعية ، وذلك في سنة احدى وستائة ، ثم عمر في جوارها داراً للحديث وجعل بين المكانين تربة يدفن فيها ، ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدوا الفقهاء من البلاد وحصلت بها الاستفادة والاشتغال وكثر الجمع بها ، موقع هذه المدرسة في الزاوية الغربية من الجنيينة المعروفة الآن بجنيينة الفريق شرقي محلة السفاحية ولم يبق منها ولا من دار الحديث سوى حجر مكتوب وقد كاشاها امرتين في القرن العاشر كما في اعلام النبلاء .

(١٧٩) « الظاهرية » ونعرف ايضاً بالسلطانية وهي للشافعية والحنفية أسسها الملك الظاهر (٦١٣) وتوفي ولم نتم واكملها شهاب الدين طغرل اتابك وعلى بابها انها

أنشئت سنة ٦٢٠ وهي اليوم خراب الالبضع حجر جددت يسكنها بعض الفقراء والخراب الذي هو من بدائع الصنعة .

(١٨٠) «الأُسدية» أنشأها الامير أسد الدين شيركوه المتوفى سنة ٥٦٤ وهو عم صلاح الدين . وهي في محلة باب قنسرين باقر منها قبلية وقبة وقد جدد فيها سنة ١٣١٦ ثمانى حجرات .

(١٨١) «الشعبية» كانت فيما قالوا مسجداً اول ما اختطه المسلمون عند فتح حلب يعرف بالفضايري نسبة لعلي بن عبد الحميد الفضاري . فلما ملك نور الدين حلب وصل الشيخ شعيب بن ابي الحسن النقيبه الاندلسي فصيرت له مدرسة فعرفت به ، وعلى جدارها تاريخ بناء نور الدين سنة ٥٤٥ وهي في القرب من باب انطاكية مسجد تقام فيه الصلوات في إدارة الاوقاف (اعلام النبلاء) .

(١٨٢) «الشرفية» أنشأها شرف الدين عبد الرحمن بن العجمي ، وأنفق عليها ما يربو على اربعمائة الف درهم ، ووقف عليها أوقافاً جليلة ، وكان فيها غرف وايران وقاعة للدرس ، وفي بذائها وأبوابها من بدائع الصنعة ما يفخر به الصناع ، وعلى بئرها قنطرة من الحديد مكتوب عليها بالقلم المجوز انها صنعت سنة اربعين وستمائة وهي من بدائع الرسم . اما الآن ففي سنة ١٣٤٣ مروع في تعميرها واتخذ من الجهة الشرقية منها بهو بدير باربعة أعمدة يصلح للمحاضرات وأما كن أخرى .

(١٨٣) «الرواحية» أنشأها ركن الدين هبة الله محمد بن عبد الواحد الحموي وقال في الوافي : زكي الدين بن رواحة الحموي الشاعر المعدل كان كثير الأموال محشماً أنشأ مدرسة بدمشق وأخرى بحلب وشرط على الفقهاء والمدرسين شروطاً صعبة ، وان لا يدخل مدرسته يهودي ولا نصراني ولا حنبلي حشوي توفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وقد اندثرت في وقعة تيمورثم أصلحت في زمن قصروه كافل حلب . اما الآن فقد صارت دوراً ولم يبق منها سوى باب ذي أحجار ثلاثة سود ، وباب مسدود بعلاه حجرة عظيمة ، وهي واقعة في اول الزقاق المعروف اليوم بزقاق الزهراوي شمالي المدرسة الشرفية الآنفه الذكر .

(١٨٤) «البدرية» أنشأها بدر الدين عتيق عماد الدين شادي في صدر

درب البازيار ويعرف الآن بزقاق الزهراوي وهي دائرة .

(١٨٥) « السيفية » أنشأها الأمير سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جندر (٦١٧) مشتركة بين الشافعية والحنفية وقد دثرت هي وسميتها التي جعلت لتدريس مذهبي مالك وأحمد بن حنبل كما يأتي ، لكن يتعين موقع أحدهما في قبلي تربة الكبباتي بجانب محلة الكلاسة ، بما هو موجود الآن من تربة الباني التي لم يذكر التاريخ أنها في جوار مدرسته وهي اليوم قبة قديمة سقفها خرب فيها قبره .

(١٨٦) « الزيدية » وتعرف بالألواحية لنزول الألواح فيها ، هي داخل باب انطاكية بالقرب من المدرسة الشعبية أنشأها إبراهيم بن إبراهيم المعروف بابي زيد الكيال انتهت سنة ٦٥٥ درس فيها أحمد بن يحيى الدين العجمي .

(١٨٧) « القوامية » داخل باب الأربعين بالقرب من حارة الفرافرة تجاه قسطل الملك العادل غياث الدين وداخلها ربط للقلندرية .

(١٨٨) « الشاذليونية » أنشأها الأمير جمال الدين شاذلي نائب نور الدين محمود بحلب (٥٨٩) ، ومن ولي تدريسها أحمد بن كمال الدين بن العديم المتوفى (٦٣٨) وكانت حلب يومئذ أعمر ما كانت بالعلماء والمشايخ والفضلاء الرواسخ . وقد تولى تدريسها بعده كثيرون من الفضلاء من بني الشحنة .

(١٨٩) « الظاهرية أيضاً » أنشأها الملك الظاهر غياث الدين صاحب حلب (٦١٦) للشافعية وأنشأ إلى جانبها تربة أيدفن فيها من يموت من الملوك والأمراء ، وهي قبلي حلب مما يلي باب المقام لم يبق منها سوى المحراب وعمودين وحوض مئمن بديع .

(١٩٠) « الهروية » أنشأها الملك الظاهر غازي لاجل الشيخ الذي كانت له عنده منزلة رفيعة وهو علي الهروي السائح قبلي حلب ، خربت في فنة التتر ولم يبق منها سوى قبره في قبة داخل كرم فستق وكانت وفاته سنة إحدى عشرة وستائة .

(١٩١) « الفردوس » أنشأتها الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب وهي جليلة ، جعلتها تربة ومدرسة وربطاً وربت فيها خلقاً من القراء والفقهاء والصوفية ، ولا تزال أسوارها باقية ، جامعها عامراً ، لكنها جعلت مدفناً

للفلاحين النازلين في جوارها وتحتاج الى ترميم ، وهي مثال جميل من أوشلة الهندسة العربية ، كتب على حائط فنائها بعدا بسملة وآيات من سورة الزخرف : « هذا ما امرت بإنشائه ذات الستر الرفيع ، والجناب المتيع ، الملكة الرحيمة ، عصمة الدين والدين ، ضيفة خاتون ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب تخدمهم الله برحمته ، وذلك في ايام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المرباط المؤيد المظفر المنصور صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن يوسف بن ايوب ناصر امير المؤمنين عز نصره ، بتولي العبد الفقير عبد المحسن العزيمي الناصري رحمه الله في سنة ثلاث وثلاثين وستائة » . وقد كتب على محرابها البديع (عمل حسان بن عفان) .

(١٩٢) « البلدية » أنشأها الامير حسام الدين بلدي عتيق الملك الظاهر سنة (٦٣٥) خربت سنة ١٠٢٤ وهي ظاهر حلب ونقلت حجارتها لبهاء دار السعادة المنشأة في تلك السنة .

(١٩٣) « القيمرية » أنشأها الامير حسام الدين القيمري سنة ٦٤٦ وهي خراب منذ قرون .

وهناك اربع مدارس ذكرها ابن الشحنة :

(١٩٤) الاولى بالجبل شمس الدين احمد بن العجمي وقد دفن بها ابو ذر المؤرخ سبط ابن العجمي وهي مشتركة بين الشافعية والمالكية أنشئت سنة ٥٩٥ وتسمى الآن جامع ابي ذر فيها قبلية وسبر .

(١٩٥) الثانية أنشأها الامير شمس الدين لولو .

(١٩٦) الثالثة بالمقام أنشأها بهاء الدين المعروف بابن ابي سبال .

(١٩٧) الرابعة أنشأها عز الدين مظفر الحموي (٦٣٢) .

هذه هي مدارس الشافعية في داخل المدينة وخارجها . اما مدارس الحنفية في المدينة فهي :

(١٩٨) « البلدية ايضا » وهي بجانب سميتها المتقدمة المذكور بنيت كذلك سنة ٦٣٥ .

(١٩٩) « الخلاوية » كانت كنيسة من بناء هيلانة ام قسطنطين ولما بعثر

الفرنج قور المسلمين وأحرقوهم (٥١٨) انقم المسلمون بان أحالوا هذه الكنيسة مع ثلاث أخرى مدرسة ، وفيها الى الآن عمد الرخام في تيجانها نقوش تمثل أنواعاً من النبات تشبه نقوش قلعة سمعان ، وكانت تعرف قديماً بمسجد السراجين جعلها نور الدين مدرسة ، وجدد بها مساكن يأوي اليها الفقراء (٥٤٣) وهي من أعظم المدارس ، ومن أكثرها طلبية وأغزرها رواتب وجرايات ، درس بها جملة من العلماء . وهي منفصلة عن الجامع الكبير بزقاق ضيق في السوق قبالة من الغرب . وقد ذكرها احد علماء الآثار فقال ان الجزء الجنوبي منها يحتوي على بقايا بناء ديني من عهد النصرانية الاولى ، وقد أثبت ذلك التقليد القائل بان هيلانة بنت في حلب كنيسة وان تقرر البناء على صورة قاعة ذات مقاعد قائمة على عمد مستندة الى الغرب على خلاص تغشاه القبة الاصلية ، ونقوشه تشبه نقوش الكنائس ذات السطح المتوسط في ديار بكر والرافقة . ان كل هذا يدل بالنظر لصورة تيجان الكنيسة ان أصلها من بناء قام في آخر القرن السادس . ويقول هرذيلد الأثري ان عهد النراخ الذي قامت فيه القبة يرد الى تاريخ تلك القاعة . وكذلك الرواقان المتلاصقان من الجنوب والشمال ، وان الناظر في مجموع هذا البناء يرى الجزء الغربي منه بيعة تغشاها قبتان او ثلاث كان محراباً متصلاً بالزقاق الآخذ اليوم الى المدرسة والجامع الاعظم . وذكر القزويني ان في مدرسة الخلاوي بحلب حجراً على طرف يركبها كأنه سرير ووسطه منقور قليلاً يعتقد الفرنج فيه اعتقاداً عظيماً وبذلوا فيه أموالاً فلم يجابوا اليه . ومحراب هذه المدرسة العامرة اليوم بالطلبة من أجل المحاريب عمل بخشب الآبنوس على صورة بديعة ، وكان على قبتها طائر من نحاس يدور مع الشمس فذهب .

(٢٠٠) «الاتابكية» انشأها شهاب الدين طغرل بك عتيق الملك الظاهر غياث الدين غازي نائب السلطنة سنة ٦١٨ وخربت في فئنة التتر ثم رمت وما زالت عامرة الى القرن العاشر ثم خربت ، والآب لا يعرف الا مكانها الذي اصبح عرصة خالية شرقي جامع العادلية وقبلي خان الفراهين يفصلها عنها الطريق الآخذ الى السفاحية والطريق الآخذ الى الخسروية .

(٢٠١) «الحدادية» انشأها حسام الدين محمد بن عمرو بن لاجين ابن اخت

صلاح الدين وهي من الكنائس الاربع التي صيرها ابن الحشاش مساجد فهدمها وبناها بناءً وثيقاً نولها كثير من المدرسين وكانت عامرة في اواخر القرن العاشر . وهي في محلة السفاحية لم يبق من آثارها سوى عضادتي باب كبير مكتوب على طرفه الايمن (الحمد لله) .

(٢٠٢) « الجردكية » وهي ملاصقة للصاحبية انشأها الامير جردبك النوري بسوق البلاط كملت سنة ٦٠١ كانت عامرة الى آخر القرن الثامن . وفي اواخر القرن الثالث عشر كانت قهوة ثم تحولت مكنباً ثم صارت دكاناً ثم عمرتها دائرة المعارف مخزناً واسعاً للتجارة وهو الآن كذلك .

(٢٠٣) « المقدمة » انشأها عز الدين عبد الملك بن المقدم من امراء صلاح الدين سنة ٥٦٤ وكانت احده الكنائس الاربع التي صيرها ابن الحشاش مساجد فجعلها مدرسة و اضاف اليها داراً كانت الى جانبها . وهي في محلة الجلوم في زقاق يسمى خان الثمن باق منها قليتها و بابها الذي فيه صنعة حسنة . وهي اخت المقدمة في دمشق التي بناها ابن المقدم ايضاً والاقواف التي في دمشق مشتركة بين الالنتين .

(٢٠٤) « الجاولية » انشأها عفيف الدين عبد الرحمن الجاولي النوري وهي في محلة سوق بقة حاتم وقد كان الباقي منها قليتها . اما الآن فقد هدمتها دائرة الاوقاف وعمرت في مكانها عقارات للاستغلال .

(٢٠٥) « الطمانية » انشأها الامير حسام الدين طمان النوري وخربت في القرن الثامن او قبله ، وكانت في درب الاسفريس الذي هو بجانب جامع منكلي بغا المعروف الآن بجامع الرومي من باب قنسرين .

(٢٠٦) « الحسامية » انشأها الامير حسام الدين محمود بن خنلو غربي قلعة حلب سنة ٦١٥ وامام بابها القديم باب حادث كتب عليه انه عمر سنة ١٢٨١ والباقي منها قليتها وثلاث حجرات صغار . وهي خربة في ادارة الاوقاف مسدودة الباب ، اول من درس بها بدر الدين يعقوب النحاس ثم ولده محمد ثم العلماء بنو النخنة .

(٢٠٧) « الاسدية » ثم الخسروية تجاه القلعة المعروفة حينئذ بالطواشية انشأها

بدر الدين الخادم عتيق اسدالدين شيركوه كانت داراً يسكنها فوقها بعد موته ، وكان مكتوباً على بابها جددت سنة ٦٣٢ قال ابن التحنة : ان هذه المدرسة خربها المنلا محمد ناظر الاوقاف بحلب سنة خمس وثلاثين وتسعمائة ولم يبق لها عين ولا اثر ودخلت في عمارة المدرسة التي انشأها الوزير خسرو باشا المشتملة على مسجد وحامع ومدرسة وخانقاه معدة للضيوف ، وهي اول عمارة أنشئت بحلب منذ دخول الترك . وفي در الحلب ان خسرو باشا كافل حلب لما تولى الوزارة امر بإنشاء جامع وتكية في حلب بمشارفة معمار رومي بدأه بارخوب كما خرب غيره وادخل عدة اوقاف فيها منها الدار التي عمرها ووقفها ابو الفضل ابن التحنة والمدرسة الاسدية الملاصقة لها ومسجد ابن عنتر الملاصق لها وكانت هذه الدار احد دور حلب العظام مشتملة على حديقة وبحرة وسبع قاعات وفرن وآبار لخزن الغلال ودهليز يصل الى حمامه المشهور بحمام القاضي . واتفق في هذه المدرسة ان جعلت ميضآت للتكية المذكورة . وفي اعمدة التكية المذكورة عمودان كانا للمدرسة القديمة يزقاق سالار بحلب فاخذهما ، ومتوليها اذ ذاك محمد جايي ابن المرعشي ولم ينقطع فيها عتزان اه . قلنا وهذا مثال صريح من العمران التركي فهو والخراب اسمان لمسمي واحد . وهذه المدرسة تسمى اليوم بالخسروية وهي عاصمة بطلبة العلم بفضل النهضة الاخيرة ومحاربا ومنبرها وقبتها من اجمل آثار الصناعة الحلبية في القرن العاشر بقيت بحالها لم تمسها ايدي المتولين والمتلاعبين وفيها القبشاني من صنع حلب .

(٢٠٨) « القليبية » انشأها الامير مجاهد الدين محمد بن شمس الدين محمود بن قليج النوري سنة ٦٥٠ ملاصقة لدار العدل ثم تجدد من جوانبها الثلاثة دور مضافة الى دار العدل ، خربت في القرن العاشر .

(٢٠٩) « الفطيسية » انشأها سعد الدين مسعود بن الامير عز الدين ايبك المعروف بفطيس عتيق عز الدين فرخ شاه بن شاهنشاه بن ايوب صاحب بعلبك كانت داراً يسكنها فوقها توفي سنة ٦٤٩ . واول من درس بها احمد القراولي المارداني المعروف بالفصح وعليه انقضت الدولة الناصرية ، وهي مما دخل في دار العدل وحكم القاضي شمس الدين بن امين الدولة بانتقال وقفها الى القليبية اقرب

مدرسة اليها ، قال ابن التحنة : انها درست في الفتنة التيمورية ولم يبق لها عين ولا اثر ولا يعلم اين كانت - وكذا صار في مدارس عديدة فاني ما زلت اسمع انه كان يجلب اربعون مدرسة للحنفية خاصة ولم يدع ابن شداد ذلك .

(٢١٠) « المجدية » الجوانية منسوبة الى مجد الدين بن الداية - في محلة بزة بالقرب من خريج النبي بلوقيا خربت في سنة ٩٣٦ .

(٢١١) « المجدية » الدراية منسوبة اليه ايضا دثرت بالكلية .

(٢١٢) « الكتاوية » بناها الامير طقتمر الكتاوي المتوفى سنة ٧٨٧ داخل بانقوسا في محلة تسمى بالكتاوية وهي للحنفية لم يبق منها سوى قسم من قبلتها وكان فيها قبر الواقف لكنه دارس - وهي في ادارة الاوقاف .

(٢١٣) « الاليجانية » لصبق جامع الطواشي نسبة الى الجاي امين السلاح زين اشقتمر أنشئت سنة ٧٤٤ .

(٢١٤) « الكينوتية » او الكنبوشية داخل باب النيرب و يقال بل هي زاوية .

(٢١٥) « الشهابية » تجاه الناصرية للحنفية - ولا اثر لها الآن ولعلها دخلت في

بناء خان الوزير .

(٢١٦) « الكاملية » بالقرب من الناصرية بناها ابن كامل - ولا اثر لها الآن

ولعلها دخلت في بناء خان الوزير ايضا .

(٢١٧) « الصاحبة » شمالي الحردكية انشأها شهاب الدين احمد بن الصاحب

سنة ٧٦٥ وهي باقية الى الآن الا انها متوهنة وفيها نقوش وآثار تعد من النفائس .

(٢١٨) « المدرسة التي في شرقي الجامع العمري » سيف بحسيتا فيها قبر الشيخ

حسن الفول .

(٢١٩) « البشكية » بناها الامير يشبك المؤيدي نائب حلب على انها مكتب

ايتام وبني له فيها مدفا دفن فيه سنة ٨٢٣ ووقف عليها سوقه الذي بناه بالقرب منها

ولا اثر لها الآن اما المسجد الذي بني معها فهو باق في سوق تسمى الآن سوق العبي .

(٢٢٠) « ثغرى الدر مشبة » تحت القلعة بناها الامير ثغري درمش نائب حلب .

(٢٢١) « السفاحية » بناها القاضي شهاب الدين سبط بني السفاح ووقفها على

الشافعية وشرط ان لا يكون لحنفي فيها حظ الا في الصلاة .
(٢٢٢) « مدرسة انجا » انشأها انجا خازن يشبك اليوسفي وهي قبلي السفاحية
بالخط المذكور ولا اثر لها اليوم .

(٢٢٣) « الدلغادرية » بناها الامير ناصر الدين بالك محمد بن دلغادر ظاهر البلد
من شماليه على كتف الخندق ووقفها على الحنفية وقرر بها الشيخ الامام شهاب الدين
احمد بن موسى المرعشي .

(٢٢٤) « الاشودية » انشأها الامير عز الدين اشود التركاني دثرت في
القرن العاشر .

(٢٢٥) « النقيب » انشأها السيد الشريف المرتضى النقيب عز الدين ابوالفتوح
احمد بن محمد الاسحاقي المؤتمني الحسيني المتوفى سنة ٦٥٣ على جبل جوشن وكانت
عمارتها من البدائع يقال لها تاج حلب .

(٢٢٦) « الدقاقية » انشأها مذهب الدين ابو الحسن هلي بن الدقاق سنة ٦٣٠
خربت بعد القرن التاسع على الغالب كانت شمالي الفيض .

(٢٢٧) « الجمالية » انشأها جمال الدولة اقبال الظاهري عتيق ضيفة خاتون
وهي قبلي الفردوس .

(٢٢٨) « العلانية » انشأها علاء الدين علي بن ابي الرجا شاد^(١) ديوان الملكة
ضيفة خاتون بنت الملك العادل . وهذه اما ان تكون ليست مدرسة بل مسجداً وهو
موجود الآن في محلة الكلاسة مكتوب عليه اسم الباني هذا سنة ٦٣٣ وهو مدفون
في حجرة شرقي القبليّة ، او تكون المدرسة غيره وقد زال اثرها .

(٢٢٩) « الكالية العدمية » انشأها صاحب كمال الدين عمر بن العديم شرقي

(١) رتبة جليلة في قصر الملك كان يكون صاحبها مرافقاً للوزير والشد على
اجناس ، منها شد المعات وشد الدواو بن وشد الاوقاف وشد الزكاة وشد العشر
وشد دار الطهم .

حلب خارج باب النيرب وبنى الى جوارها تربة وجوسقا وبستاناً ابتداءً بعمارتها سنة ٦٣٩ وتمت في سنة ٦٤٩ .

(٢٣٠) « الاتابكية » ايضاً انشأها الاتابك شهاب الدين طغرل عتيق الملك الظاهر سنة ٦٢٠ اول من درس بها الصفي عمر الحموي ثم نظام الدين محمد بن محمد بن عثمان البلخي والمخر عبد الرحمن بن ادريس وهي في محلة الجبيلة في صدرها قبلية في طرفها الايمن ايوان في وسطه خراج الواقف وقد اتخذتها دائرة المعارف مدرسة ابتدائية وهي تسمى الآن مدرسة النجاة مكتوب على بابها اسم بانها ابي سعيد طغرل ابن عبد الله الملكي الظاهري وانها على المدرس والحنفية .

(٢٣١) « الصهبية » وراء باب انطاكية مباشرة تجد بقايا بناء عرفه قدماء السياح بانه قوس قديمة ثم نقش عليه بعد كتابة كوفية ويسمى جامع التوقي . وهي المدرسة الصهبية التي قامت على انقاض جامع في حلب بناء ابو عبيدة . قال سبرنهايم الاثري ان النقوش الكثيرة والمهندسة القديمة والكتابات الكوفية الموجودة في هذا البناء تجعله في الدرجة الاولى من المكانة ، ومنه يدرس التحول التام المجهول سره حتى الآن والذي تم على عهد نور الدين في اسلوب الهندسة من حيث صور الكتابة والطرز السامسي في الكتابات .

(٢٣٢) « السيفية » ايضاً انشأها الامير سيف الدين علي بن سليمان بن جندر تحت القلعة لتدريس مذهبي مالك واحمد بن حنبل . هذا ماورد في الدر المنتخب في الكلام على مدارس المالكية والحنابلة .

(٢٣٣) « الناصرية » كانت قديماً كنيسة لليهود تعرف بكنيسة مشقال ثم في سنة ٧٢٧ ثبت انها محدثة في دار الاسلام فكانت مدرسة وعمل بها منارة وهي معروفة الآن بجامع الحيات لرسم حيات من الحجر في فنترة بابها وقد عراها الوهن (عن اعلام النبلاء) .

(٢٣٤) « الشاذنجية » ايضاً وهذه هي الجوانية انشأها الامير جمال الدين شاذنجت الخادم الهندي الاتابكي نائب نور الدين بحلب اول من درس فيها موفق الدين محمود بن النحاس ثم ابن العديم ثم بنو الشحنة وهي في سوق الضرب ويقال الآن

الزرب تحريقاً مكتوباً على بابها انها وقوفة على الحنفية سنة ٥٨٩ وتعرف اليوم بجامع الشيخ معروف، محراب قبلتها بديع كتب عليه انه عمل ابي الرجا وعبد الله بن يحيى .
(٢٣٥) « الطرنطائية » منسوبة الى مجدد طرنطايي بن عبد الله الامير سيف الدين نائب دمشق المتوفى سنة ٧٩٢ وهي في آخر محلة باب النيرب ، جسيمة مكتوب على بابها كتابة حديثة بالاستناد الى بعض الكتب : وقف هذين الجامع والمدرسة عفيف بن محمد شمس الدين سنة ٧٨٥ وفيها رواقان وحجر وفوق الرواقين رواقان صغيران ووراء كل منهما خمس حجر وشمال باب المدرسة باب قديم داخله دار يظهر انها خانقاه تابع للمدرسة .

وكان في حلب داران للحديث انشأهما الملك العادل وخمس دور تعد من مدارس المالكية والخنازيرة .

(٢٣٦) الاولى انشأها القاضي ابن شداد .

(٢٣٧) والثانية انشأها مجد الدين بن الداية .

(٢٣٨) والثالثة انشأها بدر الدين الاسدي .

(٢٣٩) والرابعة انشأها ام الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود .

(٢٤٠) والخامسة انشأها صاحب مؤيد الدين ابراهيم بن يوسف القفطي كانت

تعرف بالفردوس .

هذا ما رواه ابن الشحنة عن ابن شداد وغيره في مدارس حلب الشهباء . وانه ترى انها من هذا القبل تعد ثمانية دمشق . وان مدارسها على الاكثر نشأت في الدولتين النورية والصلاحية او عمرت بايدي الامراء والاميرات ولم يكتب لها البقاء كلها لانها عمل افراد كما قلنا . ولولا ذلك لكانت اقرب الى مقاومة الحوادث . وهذا من جملة آفات هذا الشرق التعس . واكثر هذه المدارس مما بدأ فيه الخراب في ايام العثمانيين كما هو الحال في مدارس دمشق وقد جاء في تقويم سنة ١٣٣٢ ان في الشهباء (٣٢) مدرسة وما نظن العامر منها يتجاوز العشر وقد نشئت فيها على عهد العثمانيين .
(٢٤١) « العثمانية » انشأها احد ولاة حلب في القرن العاشر وما زالت عامرة

يسكنها الطلبة .

(٢٤٢) « الشعانية »

(٢٤٣) « القرناصية »

(٢٤٤) « السيفية »

(٢٤٥) « الاسماعيلية »

(٢٤٦) « المنصورية »

(٢٤٧) « البهائية »

(٢٤٨) « الخسروية » التي مرت

(٢٤٩) « انكوا كبة » انشأها سنة ١١٦٧ السيد احمد بن السيد ابي السعود

ابن السيد احمد الكواكبي في محلة الجلوم الصغرى وادعها كتباً قيمة نفرقت ايدي سبا .

(٢٥٠) « الاحمدية » انشأها سنة ١١٦٦ على صلحاء اكراد ما وراء الموصل وفيها

نحو ثلاثة آلاف كتاب ، القاخي احمد بن طه زاده المشتهر بالچلي .

(٢٥١) « الهاشمية » في محلة العرافة انشأها هاشم الدلال باشي من اصحاب

الاملاك يحلب سنة عشر وثلاثمائة والـف .

(٢٥٢) « الدليوانية » كانت مسجداً فرمه محمد اسعد باشا الجابري سنة ١٣٢٣

وجعل فيها ست حجر للطلبة وحجرة للدرس يدرس فيها الفقه السافعي ومشرط ان يكون

الطلبة غرباء .

(٢٥٣) « البلاطية » هي زاوية مشروط فيها اقامة عشرة من الطلبة الخنفسة

ولها امام ومؤذن ومدرس ولهم طعام ، وقفها الامير زين الدين الحاج بلاط الدوادار

وهي خارج باب المقام ، بقي من آثارها ايوان كبير وست حجر يسكنها الفقراء عمرت

في منتصف القرن التاسع .

(٢٥٤) « التجهيز » انشئت في صفر سنة عشر وثلاثمائة والـف باسم المكتب

السلطاني وهي في غربي حلب في محلة اسمها السليمية او الجميلية وهي دار التجهيز والمعلمين

(٢٥٥) « الصنائع » أسست هذه المدرسة سنة ١٣١٩ في دار الصابوني من

محلة باب قنسرين ثم اتخذ لها بناء خاص في محلة السليمية .

(٢٥٦) « الاميري » هو جامع لكن فيه حجر للدرس ومدرس للحديث والفقه والنحو .

هذا عدا المدارس الابتدائية والمدارس التي لغير المسلمين وهي عديدة .
وليس في تاريخ حلب ما يدل على انه كان فيها كما كان في دمشق دور للقرآن
بل كان فيها دار القرآن الحبشية المنسوبة الى ابي العشائر المطل شبا كها على الجامع
الكبير درس بها ابو الوفاء العرضي سنة ١٠٧١ .

وذكر ابن جبير في المثة السادسة انه كانت يتصل من الجانب الغربي من جامع
حلب مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسناً واثقان صنعة فها في الحسن روضة تجاور
اخرى قال وهذه المدرسة من احفل ماشاهدناه من المدارس بناءً وخرابة صنعة ومن
اظرف ما يلحظ فيها ان جدارها القبلي مفتوح كله ببوتا وغرفاً وله طيقتان يتصل بعضها
ببعض وقد امتد بطول الجدار عريش كرم مثمر عنباً فحصل لكل طاق من تلك
الطيقتان فسطها من ذلك العنب متديلاً امامها فيمد الساكن فيها يده ويحتنيه متكئاً
دون كلفة ولا مشقة . وللبلدة سوى هذه المدارس نحو اربع مدارس او خمس .
قلنا ولعله يقصد بكلامه المدرسة الخلاوية العاصرة الى اليوم .

وقد درس في هذه المدارس اجلة طلاء الشهباء والوافدين عليها من الأئمة
وكانت كمدارس دمشق والقدس تقري الطالب ما ينفعه في دينه ودنياه . ويقول
منش ان المدارس تكاثرت في حلب على عهد اولاد صلاح الدين وازدهرت معارفها
وآدابها حتى بلغت اربعاً واربعين مدرسة او تزيد ، ثلاث منها لعلوم الطب . على انه
لم يتعرض من كتبوا على مدارس حلب لوصف مدارس الطب .

(٢٥٧) (القرموطية) انشاء عبد القادر بن قرموط سنة ٨٨٢ جدها
عبد الرحمن بن قرموط سنة ٩٧٨ وهي الآن مكتب .

(٢٥٨) (الشاذلية) وقيل هي دار حديث قرب مسجد النخوين في سوق
الحجارين كانت ضيقة فتجددت قبلتها و بابها واستخرج منها دكانان .

(٢٥٩) (البولادية) في محلة باب المقام في الصف الشرقي من الجادة ، خربة
يسكنها الفقراء .

(٢٦٠) مدرسة للشافعية هي تربة العلمي في محلة الدحديلة .

- (٢٦١) (القلقاسية) فلي القلعة مندثرة .
 (٢٦٢) (الصروي) ملحقة في جامع الصروي في محلة البياضة انشئت سنة ٩٢٠
 (٢٦٣) (الرحبية) انشأتها رحمة بنت عبد القادر بن احمد بك في محلة
 مستديك سنة ١١٥٦ .
 (٢٦٤) (مدرسة تجاه زاوية الكيال) لا يعرف اسم بابها هي اليوم مسكن للعقراء .
 (٢٦٥) مدرسة من مشتملات جامع السكاكيني في محلة الاعجام .
 (٢٦٦) (الدفتردار) منسوبة لبنت العقاد بجانب سبيل البك داخل محلة باب المقام .
 (٢٦٧) مدرسة داخل بوابة النبي لا اثر لها .
 (٢٦٨) مدرسة خارج بوابة النبي لا اثر لها .
 (٢٦٩) مدرسة بجانب الالجابية السالفة الذكر تعرف بالصاحبة انشأها بهاء الدين
 يوسف بن رافع المعرف بابن شداد لا اثر لها .
 (٢٧٠) مدرسة تجاه مابقتها لبور الدين زنكي لا اثر لها .
 (٢٧١) (تربة الطوفينا) وتعرف الآن بالمدرسة بلا اسم .
 (٢٧٢) (نصر الله) في محلة بحسبتا تجاه كنيس اليهود بزقاق المدرسة معطلة موهنة .

مدارس بيت المقدس كمدارس دمشق وحلب من
 مدارس القدس (١) حيث البناء والتدريب والوقوف عليها ، ومعظمها
 مما أقامه الملوك والامراء والاعبياء والعلماء ، ولم يكتب لها البقاء كثيراً لانها كلها
 من عمل الأفراد ، وعمل الأفراد مهدد بلوهم في كل قرن ، ضررها الدهر ضرباته ،
 وعبت بجمالها وقطع أوصالها ، ولو كانت من عمل الجماعات كمدارس الغرب في بيت
 المقدس نفسه ، لكتب لها البقاء أكثر ، لكنت أحكم وأعظم .
 وأقدم مدارس بيت المقدس ما بنى على عهد صلاح الدين يوسف بن ايوب عقيب

(١) أشكر للاستاذ السيد عمر الصالح البرغوثي في القدس لالقاء بطر . من
 ما كتبت في المدارس القدسية .

استخلاصه هذه المدينة من أيدي الصليبيين ، ثم توفر أهل الخير من الأمراء والأغنياء ، ومنهم النساء والاماء ، فأنشأوا منها ما أنشأوا عنوان الغيرة على العلم وبث الفضائل . وقد عدد مجير الدين الحنبلي في الانس الجليل ما كان على عهده منها في القدس والخليل فقال انه كان في بيت المقدس من المدارس .

(٢٧٣) (المدرسة الفارسية) بجوار المسجد الأقصى بالقرب من بئر الورقة منسوبة لوقف المدرسة الفارسية التي شرقي المسجد وقفها الأمير فارس البكي وهي الى اليوم عاصمة فيها دار كتب المسجد الأقصى .

(٢٧٤) (النخوية) على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة الى الغرب بانيتها الملك المعظم عيسى سنة اربع وستمائة كان يُدرس فيها الكتاب لسيدويه . (٢٧٥) (النصرية) كانت على برج باب الرحمة مدرسة تعرف بالنصرية للشيخ نصر المقدسي ، ثم عرفت بالفزالية نسبة لابي حامد الفزالي وقد اعتكف فيها وأتم تأليف كتابه احياء العلوم فيما قيل . ثم أنشأها الملك المعظم عيسى وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو ووقف عليها كتباً وتاريخ وقفها سنة ٦١٠ ويقول مجير الدين انها دثرت في عصره وهي الآن غرفتان عامرتان معدتان للزيارة .

(٢٧٦) (التنكزية) واقفها الأمير تنكز الناصري نائب الشام ، وهي مدرسة عظيمة ليس في المدارس ألقن من بائها عمرت سنة ٧٢٩ وهي بجانب باب الحرم بجوار باب السلسلة مجاورة للسور من جهة الغرب ولا تزال عاصمة وهي الآن مقر المحكمة الشرعية وفي النية تحويل المتحف الاسلامي اليها .

(٢٧٧) (البلدية) بجانب باب الحرم جوار باب السلسلة واقفها الأمير منكلي بغا الاحمدي نائب حلب ودفن فيها سنة ٧٨٢ وما برحت عاصمة الى اليوم واقفها غير معلومة وهي دار للسكنى .

(٢٧٨) (الأشرافية) داخل المسجد الأقصى بالقرب من باب السلسلة عمرها الملك الأشرف قابچاي لما جاء القدس وبني بحجر أساسها (٨٨٥) ، كانت قبورها ثالث القباب المعمة في القدس . والاولى قبة الصخرة والثانية قبة الأقصى . وقد تكاملت هذه المدرسة (٨٨٢) وكانت طبقتين سفلية وعلوية ، ولعلها آخر المدارس

الاسلامية الفخمة التي أنشئت من هذا الطراز في بيت المقدس ، وهي اليوم خراب على كثرة ما وقف عليها من الاوقاف لم يبق منها الا سطحها وبابها وعليه كتابه من عهد الأشرف .

(٢٧٩) (العثمانية) بباب المتوضي بجوار الحرم واقتها امرأة من اكابر الروم اسمها اصفهان شاه خاتون وتدعى خانم ، وعليها اوقاف ببلاد الروم وغيرها ، وعلى بابها تاريخها في سنة اربعين وثمانمائة وهي لا تزال عامرة وتسكنها أسرة .

(٢٨٠) (الخانوية) بباب الحديد جوار الحرم واقتها اغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية ، ثم اكلت عمارتها ووقفت عليها اصفهان شاه بنت الامير قازان شاه (٧٨٢) ولم تبرح عامرة وما حُبس عليها من المغل غير معلوم وهي الآن دار سكن فيها قبر السيدة خاتون القازانية البغدادية .

(٢٨١) (الارغونية) بباب الحديد جوار الحرم واقتها ارغون الكاهلي نائب الشام وهو الذي استجد باب الحديد احد أبواب المسجد ، اكلت عمارتها سنة ٧٥٩ ولم تبرح عامرة ولكنها دار للسكنى وقد ضاعت أوقافها وأحباسها وفيها قبر ارغون شاه .

(٢٨٢) (المزهريّة) بباب الحديد جوار الحرم وقفها المقرئ الزيني ابو بكر بن مزهر الانصاري صاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية ، وبعضها راكب على ظهر الارغونية ، ولها مجمع على أروقة المسجد وكان الفراغ من بنائها في سنة ٨٨٥ وقد غدت داراً للسكنى وقسم منها خراب .

(٢٨٣) (الجوهريّة) بباب الحديد جوار الحرم الشريف وبعضها على رباط كرد واقتها الصفوي جوهر زمام الادب الشريفة في سنة ٨٤٤ وهي الآن دار للسكنى .

(١٨٤) (المنجكية) بباب الناظر جوار الحرم وقفها الامير منجك نائب الشام وكان رسم له بالاقامة بالقدس فدخلها في شهر صفر سنة احدى واربعين وسبعمائة ونقل مجير الدين ان الامير كان وصل الى القدس الشريف لبني المدرسة للسلطان الملك الناصر حسن فكان قصده بناءها له فلما قتل السلطان في سنة اثنتين وستين وسبعمائة بناها لنفسه ونسبت اليه ، ووقف عليها ورتب لها فقهاء وأرباب وظائف ثم تلاشت ثم

عمرت ولا تزال معمورة الى هذا العصر ، وقد رمت في العهد الاخير وعمرت وانقنت وفيها مقر المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى .

(٢٨٥) (الجاولية) في الجهة الشمالية واقفها الامير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزنة وكان من اهل العلم توفي (٧٤٥) ضاعت أوقافها وهي اليوم قسم من كلية روضة المعارف الوطنية .

(٢٨٦) (النصيبة) في الجهة الشمالية واقفها الامير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد نائب قلعة نصيبين ولي نيابة القدس وعمر بها المدرسة وتوفي بدمشق سنة ٨٠٩ ونقل الى هذه المدرسة وما برحت عامرة وقد أكلت أحباسها ، وهي اليوم قسم من كلية روضة المعارف الوطنية .

(٢٨٧) (الاسعدية) جوار الحرم الى الشمال واقفها الخواجه مجد الدين عبد الغني بن سيف الدين ابي بكر بن يوسف الاسعدي وتاريخ وقفها (٧٧٠) لا تزال عامرة وربعا مجهول . وقد شرع في ترميمها منذ عهد غير بعيد لقل دار كتب المسجد الاقصى اليها وإقامة قاعة للمحاضرات فيها .

(٢٨٨) (المالكية) الى شمالي الحرم عمرها الحاج ملك الجوكندار وكان بناؤها في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون في مستهل الحرم سنة احدى واربعين وسبعائة . لا تزال عامرة وهي تابعة للاسعدية .

(٢٨٩) (العارسية) الى شمالي الحرم واقفها الامير فارس البكي ابن الامير قطلو ملك بن عبدالله نائب السلطنة بالاعمال الساحلية والجبلية ونائب غزنة وهو الذي نسبت اليه الفارسية بداخل المسجد الاقصى وهذه الآن دار سكن وكانت يدرس فيها الخالدية .

(٢٩٠) « الامينية » بباب شرف الانبياء المعروف بباب الده يدارية بجوار المسجد واقفها صاحب امين الدين عبد الله في سنة ثلاثين وسبعائة وهي دار سكن .

(٢٩١) « الدويدارية » بباب شرف الانبياء جوار الجامع واقفها الامير علم الدين ابو موسى سنجر بن عبد الله الدويدار الصالح الفخمي وتاريخ وقفها سنة ٦٩٦ وهي عامرة وفيها اليوم مدرسة البنات الاسلامية .

(٢٩٢) «الباسطية» بباب شرف الانبياء بعضها على المدرسة الدويدارية واقفها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقي ناظر الجيوش المنصورة وعزيز المملكة وقفها سنة ٨٣٤ لا تزال موجودة تابعة للمدرسة الدويدارية وفيها مدرسة البنات الاسلامية .

(٢٩٣) «الكريمة» بباب حطة جوار الحرم واقفها صاحب كرم الدين بن المعلم هبة الله بن مكائس ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية سنة ٧١٨ وهي الآن دار سكن .

(٢٩٤) «الدغادرية» بباب حطة جوار الحرم واقفها الامير ناصر الدين محمد ابن دغادر بعد ان عمرتها زوجته مصر خاتون وقفها سنة ٨٩٧ وهي خراب ودارسة .

(٢٩٥) «الطولونية» داخل المسجد على الرواق الشمالي كان يصعد اليها من السلم الموصل منه الى منارة باب الاسباط انشأها شهاب الدين احمد بن الناصري محمد الطولوني الظاهر زمن الملك الظاهر برفوق على يد ملوكه اقبغا سنة ٨٢٧ وهي من المدارس الدائرة اليوم .

(٢٩٦) «الفترية» مقابل الطولونية من جهة الشرق كان يصعد اليها من السلم المتصل منها الى منارة باب الاسباط ايضاً وهي من انشاء شهاب الدين الطولوني عمرها مع مدرسته لمقدم ذكرها وجعلها للملك الظاهر برفوق فلما توفي الظاهر وآل الامر لولده الملك الناصر فرج رتب لها قري واقام نظامها وجعل لها معالم تصرف عليها ثم لما توفي الناصر فرج لم يكن لها كتاب وقف فاشتراها بعد وفاته رجل من الترك يقال له محمد شاه بن السفنري الرومي ووقفها ونسبت اليه وقد درست واصبحت مساكن .

(٢٩٧) «الحسنية» على باب الاسباط وقف شاهين الحسني الطواتي من دولة الملك الناصر حسن المتوفى سنة ٧٦٢ هي الآن دارسة .

(٢٩٨) «الصلاحية» بالقرب من السور من جهة الشمال بباب الاسباط وقف السلطان صلاح الدين على الشافعية . ذكر المؤرخون ان صلاح الدين كان نازلاً في كنيسة صهيون ففاوض جلساءه من العلماء الاكابر في ان يبني مدرسة للفقهاء الشافعية ورباطاً للصالحاء الصوفية ، فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصندحنة عند باب اسباط وعين دار البطرك وهي بقرب كنيسة القمامة للرباط ووقف عليها وقفاً وارتاد ايضاً

مدارس للطوائف ليضيفها الى ما اولاه من العوارف وقيل كان موضع هذه المدرسة ديراً المراهبات أقيم في مكان بيت القديسين يواكيم وحنة فهدمه الملك واقام المدرسة مكانه . وتاريخ وقفها (٥٨٨) ووظيفة مشيختها من الوظائف السنوية بمملكة الاسلام . وكان الاتراك نزولوا عن هذه المدرسة للآباء البيض في القرن الماضي فجعلوها مدرسة اكليزيكية ، وفي الحرب العامة اخذها الترك وجعلوها مدرسة للعلوم الدينية فلما سقطت القدس في ايدي الحلفاء رجعت الى المسيحيين كنيسة .

(٢٩٩) « الكاملية » بخط باب حطة بجوار الكريمية من جهة الشمال واقفها الحاج كامل من اهالي طرابلس كتب محضر بوقفها سنة ٨١٠ تعد في الدوارس .
(٣٠٠) « المعظمية » وقف الملك المعظم عيسى مقابل باب شرف الانبياء المعروف بباب الد . بدارية تاريخ وقفها سنة ستين وستائة وهي معمورة وكانت يدرس فيها الخالدية خصوصاً الكامية والهداية .

(٣٠١) « السلامية » باب شرف الانبياء تجاه المعظمية وهي بجوار المدرسة الدو يدارية من جهة الشمال واقفها الخواجا محمد الدين ابو الفدا اسماعيل السلامي والظاهر انها وقفت بعد السبعائة وهي دار قرآن ولا تزال موجودة دار سكن .
(٣٠٢) « الوجيحية » بخط درج الموله وقف وجيه الدين محمد بن عثمان بن اسعد بن النجا الحنلي المتوفى في سنة ٧٤٥ هي الآن دار للسكن .
(٣٠٣) « المحدثية » بالقرب من الوجيحية عند قبو باب الفواغة بجوار الحرم واقفها عز الدين ابو محمد عبد العزيز العجمي الاردبيلي سنة ٧٦٢ وهي اليوم قسم من كلية روضة المعارف الوطنية .

(٣٠٤) « الحسنية » بباب الناظر على رباط علاء الدين البصير واقفها الامير حسن الكشكلي (الشكلي ؟) ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس وكان بناؤها في سنة ٨٣٧ وهي لعهدنا دار سكن .

(٣٠٥) « المشتيرية » بباب الناظر بالقرب من الحسنية واقفها الامير تشمر السبيي الملك الناصري حسن بن محمد قلاوون تاريخ وقفها ٧٥٩ وهي دار سكن .
(٣٠٦) « البارودية » بباب الناظر بالقرب من المشتيرية واقفها الست الحاجة

سفري خاتون ابنة شرف الدين ابي بكر بن محمود المعروف والدها بالبارودي تاريخ وقفها سنة ٧٦٨ هي اليوم دار سكن .

(٣٠٧) (الجهار كسية) بجوار اليونسية من جهة الشمال كانت كنيسة من بناء الروم قسمت نصفين ، جعل الاول المدرسة الجهار كسية والثاني الزاوية اليونسية .
والجهار كسية نسبة لواقفها الامير جر كس الحلبي امير آخور الملك الظاهر يرقوق المتوفى سنة ٧٩١ ، لا تزال معمورة .

(٣٠٨) (الحبلية) بباب الحديد واقفها الامير بيدمر نائب الشام وكان متولياً نيابة دمشق في سلطنة الأشرف شعبان بن حسين (٧٧٢) فرغ من بنائها (٧٨١) وهي دار سكن .

(٣٠٩) (دار الحديث) بجوار التربة الجالقية من جهة الغرب نسبة لركن الدين الكبير العجمي المعروف بالجالقي وكان من جملة الامراء بالشام في دولة الملك المنصور قلاوون . واقفها الامير شرف الدين عيسى بن بدر الدين ابي القاسم الهكاري (٦٦٦) .

(٣١٠) (دار القرآن السلامية) نجاء دار الحديث واقفها سراج الدين عمر بن ابي بكر ابي القاسم السلامي (٧٦١) لم تبرح معروفة .

(٣١١) (الطازية) بخط داود بالقرب من باب السلسلة وقف الامير طاز المتوفى (٧٦٣) موجودة الى الآن دار سكن .

(٣١٢) (الأفضلية) وتعرف قديماً بالقبة بحارة المغاربة وقف الملك الأفضل نور الدين ابي الحسن علي بن الملك صلاح الدين علي فقهاء المالكية بالقدس ووقف ايضاً حارة المغاربة على طائفة المغاربة على اختلاف أجناسهم ذكورهم وأناثهم ، وهي دار سكن الآن .

(٣١٣) (اللؤلؤية) بخط مرزبان بجوار حمام علاء الدين البصير من جهة الشمال او بباب العامود واقفها الامير لؤلؤ غازي عتيق الملك الأشرف شعبان بن حسن لا تزال موجودة وقسم منها زاوية .

(٣١٤) (البدرية) قرب اللؤلؤة بخط مرزبان وقفها بدر الدين محمد بن ابي القاسم الهكاري وهي دار سكن .

(٣١٥) (الميمونية) عند باب الساهرة وكانت كنيسة من بناء الروم واقفها الامير فارس الدين ابو سعيد ميمون القصري خازن دار الملك صلاح الدين (٥٩٣) حولت الى مدرسة في عهد العثمانيين وهي الآن مدرسة البنات التابعة للعارف وجعل اسمها « المأمونية » .

(٣١٦) (الاباصيرية) مدرسة تنسب للامير علاء الدين الاباصيري كانت بجوار باب الناظر وهي معمورة يسكنها فقراء السودان وكانت في عهد الأتراك قسماً من السجن .

(٣١٧) (الموصلية) بباب شرف الانبياء بجوار المسجد الاقصى ونسبت للخواجه نجر الدين الموصللي وهي عامرة .

هذه خمس واربعون مدرسة عمرت كلها قبل عهد العثمانيين وما ندرى ان كانت أنشئت في زمنهم الطويل مدرسة للفقهاء او دار للحدیث او القراءات ، واكثر هذه المدارس من البناء الحجري الجيد وفيها يتجلى جمال الهندسة العربية وبعضها لم يقو على عوادي الايام فتداعى في عصر واقفه وبعضه مما سطا عليه أكلة الاوقاف فاضمحل بالطبيعة ، لم تشفع فيه متانة بنائه وإحكام بنيانه ، واكثره مما صبر على الايام وبقي الى الآن مثلاً ناطقاً بفضل البائين والواقفين لكنه تعطل عما كان وقف عليه من التدريس والملازمة . وكيف دارت الحال فعدد الباقي من مدارس بيت المقدس بالدسة لما بقي من نوعه في دمشق وحلب اكثر ولا يعلل ذلك الا ان ارباب العدوان على الوقوف والأحباس لم يتيسر لهم ان يتسلطوا عليها وكان لهم من عناية غير المسلمين بمدارسهم ودياراتهم في القدس عبرة وعظة .

وكان في قرية الطور (٣١٨) « المدرسة المنصورية » وهي خراب .

ومحلة الواد (٣١٩) « المدرسة العثمانية » .

وباب السلسلة (٣٢٠) المدرسة الكيلانية .

(٣٢١) « الدقريّة » .

• (٣٢٢) « المرمرية » .

• (٣٢٣) « والبرقوقية » .

• (٣٢٤) « الرشيدية » .

• وباب الماظر (٣٢٥) « العرهادية » .

• وباب حطة (٣٢٦) « الصلاحية » .

وفي القدس اليوم مدارس مهمة لطوائف الصاري ولجماعة الصهبونيين تحتاج الى درس خاص ففيها من حيث العمران ما هو ذو شأن وان كان حديثاً على طراز ضربي في البناء لا صلة بينه وبين هندسة هذه الديار لذلك ليس له في النفس تلك الروعة التي يجدها المرء لمدارسنا القديمة المتقنة الأوضاع .

بقية مدارس } ذكر من زاروا حماة في القرنين السابع والثامن انه كان
القطر } فيها ثلاث مدارس وبيارستاناً وان فيها زوايا وربطاً .

وليس لهذه المدارس من اثر اليوم . ومن جملة مدارسها :

(٣٢٧) « المدرسة الخانونية » لمؤسستها مؤسسة خانون بنت الملك المظفر صاحب

حماة انشأها ونسبت اليها فسميت الخانونية ووقفت عليها وفقاً جليلاً وكتباً وهي الآن بستان في مبداء طريق محلة الجواجمة على يسار المنحدر الى باب النهر .

ومنها (٤٢) « المدرسة الطواشية » في محلة المدينة وقفها الطواشي مرشد في دولة الملك المنصور تجاه باب الجامع الكبير الشمالي في جانب حمام الذهب الشرقي خربت بعد الالف وهي الآن دارسة وكانت عظيمة جداً ولها أوقاف مهمة ولم يبق منها الا آثار الجدران في البستان .

ومنها (٣٢٨) « المدرسة البازرية » وهي للشافعية وقد خربت ايضاً .

(٣٢٩) « المدرسة العسرونية » في باب حمص على ضفة العاصي قرب بستان

الجبيل ، كانت دار قرآن وكان لها جامع وداران متصلان بها وفي جدارها كتابة حجرية الى اليوم مقروءة وخلاصتها ان الامير نجم الدين التوتان بن ياروق أنشأها سنة ٥٨٤

وعمر مسجدها وكتب عليها : امر بعمل هذه الدار المباركة السيد الفقير الى الله تعالى محمد بن محمد بن ابي بكر الشافعي خلا قدامها وما استثنى جعلها دار قرآن ووقف عليها اوقافاً كثيرة لتسكن في هذه الديار من فقراء المسلمين الغرباء مقيمين بها ليلاً ونهاراً يتلون كتاب الله وبتذاكره بينهم و يدعون للواقف ولوالديه وللمسلمين . وقرر بها شيخين يعلمونهم القرآن الكريم و يكون مقام الفقير فيها مدة خمس سنين فان ختم القرآن او مضت المدة المعينة فيكسى ثوباً او جبة ، جعلها الله خالصة لوجهه الكريم في شوال سنة خمس عشرة وسبعمائة .

ومن مدارس حماة (٣٣٠) « المدرسة العزية » كانت في محلة باب الجسر بناها محمد بن حمزة العزي بجوار جامع العزي في شهور سنة ٧٢٧ وهي خراب .

ومنها (٣٣١) « المدرسة النورية » كانت قريبة من جامع نور الدين وبعد ان عفت آثارها جددتها سيف الدين الكيلاني وجعلت تكية .

(٣٣٢) « المدرسة الحنفية » هي القطعة الشرقية من حرم جامع نور الدين بناها الملك المؤيد صاحب حماة . وهذه احدى المدارس التي أشار اليها ابن جبير التي كانت حذاء المارستان والثانية النورية والثالثة لا يعرف مكانها .

ومنها (٣٣٣) « المدرسة الشيعية » وهي الزاوية السفاحية في الموقف بناها قاضي القضاة نجم الدين عبد الظاهر بن السفاح الحلبي وكانت تسمى مدرسة الشيعة وقد وقف لها حولها اوقافاً كثيرة .

ومنها (٣٣٤) « المدرسة المظفرية » كانت في جانب الجامع الكبير الى الغرب في محلة المدينة بناها الملك المظفر نقي الدين عمر .

وكانت لجميع هذه المدارس اوقاف دارة على الطلبة والمدرسين ومعالم لم وقد كتب على باب جامع النوري في الحجر ما يستفاد منه ان احد الملوك وقف على طلبه العلم فيه خمسة عشر الف درهم في كل سنة استجلاً لادعيتهم واعانة لم على طلب العلم . ويقال على الجملة ان مدارس حماة حسنة من حسنات بيت ايوب فان بضعة منهم تولوا مملكتها فعمروها بعلمهم وعدلهم ونشطوا العلماء وأفضلوا على المعوزين .

وليس في حمص مدارس قديمة وقد ذكر ابن جبير في المئة السادسة ان بها مدرسة واحدة وليس بها مستشفى على رسم مدن هذه الجهات . وقال ياقوت في القرن السابع انه كان بها مدارس على عهده . وقال الظاهري في القرن التاسع ان بها مدارس . وهذه المدارس لا أثر لها .

ومن أهم مدارس طرابلس (٣٣٥) « المدرسة القرطائية » أنغم مدارس طرابلس كلها وهي ملاصقة للجامع الكبير من الجهة الشرقية وقد ذهب اسم بانيتها بالتحقيق وزمن بنائها مع الكتابة التي طمست لاخفاء اوقافها التي كانت محفورة على ظهر جدارها القبلي والمظنون ان بانيتها هو قرطاي^(١) بن عبدالله الناصري الذي أقام المبر بالجامع الكبير الأشرقي وذكر اسمه هناك ، وكان تاريخ بنائه في شهر ذي القعدة (٧٢٦) وهذه المدرسة تشبه من وجوه كثيرة جامع البرطاي وتقام فيها الصلوات وهي ملحقة بالجامع الكبير .

(٣٣٦) « مدرسة تغري برمش » بباب الحديد على الطريق الآخذة الى المولوية والمشهور عند اهل طرابلس ان بانيتها الملك الظاهر بيبرس ، وليس الامر كذلك وهذه صورة الكتابة التاريخية التي فوق بابها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ، قوله الحق وله الملك . عمر هذا المكان المبارك المقر السيفي تغري برمش الظاهري أعز الله أنصاره مسجداً لله تعالى وتربة لدفن ولديه الاخوين الشقيقين السعيدين سيدي الامير قانتمر وسيدي الامير تغري بردي الطفلين المتفصلين على الدنيا المتجاورين في دار الآخرة نغمدهما الله برحمته واسكنهما فسيح جنته ، وجمع بينهما في دار كرامته . وذلك في ثالث شهر الله المحرم سنة تسع وتسعين وسبعمائة ورحم الله من يتروح عليهما » . وهذه المدرسة متداعية للسقوط .

(٣٣٧) « المدرسة الزرقية » هي في محلة السوبقة داخل طرابلس وهي اليوم

(١) المعروف ان الامير سيف الدين ارقطاي من عماليك المنصور قلاوون أنشأ

مدرسة في طرابلس ودفن فيها .

متسعة ولا تقام فيها الصلوات وهذه صورة الكتابة التاريخية التي عليها : « امر بإنشاء هذه الزاوية المباركة العبد الفقير الى الله تعالى سيف الدين كرناي السيفي وذلك بتاريخ شهر شوال سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة » .

(٣٣٨) « المدرسة السقرقية » هذه المدرسة واقعة في طرف المدينة للجهة الغربية على الطريق الآخذة الى جبانة باب الرمل بناها اقطرق الحاجب مسجداً لله تعالى وتربة للدفن وعلى حائطها لجهة الجنوب الشرقي كتب الوقفية باحرف غليظة ظاهرة فيها اسم بانيتها وتعداد العقارات الموقوفة على المسجد وشروط الواقف لصرف ريعها وفيها ان كتاب الوقف مؤرخ بمنصف ذي القعدة الحرام سنة ٧٥٧ .

(٣٣٩) « الخاتونية » هذه المدرسة واقعة امام المدرسة السقوقية ينتها ارغون خاتون بالاشتراك مع زوجها ومعنقها عز الدين ايدمر الاشرفي والي طرابلس وكان الفراغ من بنائها في سنة ٧٧٥ كما هو مذكور في كتاب الوقف المحفور عند مدخل المدرسة المذكورة وفيها اسماء العقارات الموقوفة عليها وشروط الواقفة لصرف ريعها وتقام فيها الصلوات .

(٣٤٠) « مدرسة دُبَّها » بناها الشيخ عبد الله الدبها الحلبي من اصحاب الطريقة النقشبندية قريباً من سوق الصاغة سنة ١٢٣٤ على ما زير ذلك على بابها ووقف عليها اوقافاً حسنة ودفن فيها وتقام فيها الصلوات . وفي طرابلس مدارس وزوايا وخوانق اخرى لا يعلم اسم بانيتها ولا زمن بنائها وبعضها مهجور مقفر وآخر متداع . ومن مدارس الشام (٣٤١) « مدرسة حصن الاكراد » انشأها والي هذه البلدة بكتر بن عبد الله الحر الاشرفي زاوية ومدرسة وبيارستاناً باموال جسيمة على الصادي والغادي من ابناء السبيل وذلك في سنة ٧١٩ .

ومنها (٣٤٢) « رباط خليل الرحمن » انشأه فلاوون سنة ٦٧٩ صاحب الآثار في دمشق والقدس والخليل وغيرها .

ومنها (٣٤٣) « مدرسة غزة » انشأها للشافعية الامير الكبير علم الدين الجاولي الذي سمع مسند الشافعي بالكرك على دانيال وعمل نيابة السلطنة في غزة وبني بها مدرسة وجامعاً حسناً وله عمائر كثيرة وخانات توفي سنة ٧٤٥ .

ومنها (٣٤٤) « خاتمة النجمية » في بعلبك عمره نجم الدين ايوب والد السلطان صلاح الدين يوسف ايام ولايته عليها وحصه بالصوفية .
ومنها (٣٤٥) « السيفية » بمدينة الصلت لمشئها الامير سيف بكتمر والي الولاية سنة ٧٢٤ .

ومنها (٣٤٦) « الزيدانية » لوافها محمد بن عبد الصمد بن عبد الله بن حيدرة (٦٥٦) درس فيها في سنة ٦٩٨ ابن العدل محي الدين يحيى بن محمد بن عبد الصمد وهي مدرسة جده .

ومنها (٣٤٧) « الامينية » بمدينة بصرى وكانت عامرة في القرن السادس ولم تعلم اسم بانيتها .

وكان في المعرة (٣٤٨) « مدرسة المعرة » قديمة للشافعية بنيت على ما يفهم مما كتب على رتاجها الجميل زمن الملك المنصور محمد احد ملوك الايوبيين في حماة سنة ٥٩٥ وعرف فيها ابن الوردي مدرسة في النصف الاول من المئة الثامنة .

ومنها (٣٤٩) « مدرسة عزاز » انشأها اسماعيل بن عبد الرحمن العزازي وساق اليها القضاة الحلوة وانفع الجامع وكثير من المساجد بهذه القناة وله آثار حسنة غيرها توفي سنة ٧٤٨ .

قال ابن طولون كان في ربوة دمشق مدرسة يقال لها المضحية (٣٥٠) وفي الاصل (النيحية) موقوفة على مدرس حنفي وطلبته .

وكان في منبج مدرسة بناها نور الدين محمود بن زنكي لابن عسرون في جملة ما بنى له من المدارس في البلاد وفي آثار البلاد انه كان فيها مدارس ورُبُط . وفي جيباع وميس وعيباتا وجزين ومشغره والشقراء من بلاد جل عامل مدارس دينية تخرج فيها جلة فقهاء الشيعة وادباهم وقد خربت تلك المدارس واضطر اهل عامل الى ارسال بعض الطلبة الى النجف الاشرف يدرسون في مدارسها التي هي للشيعة بنبابة الازهر في القاهرة والزيتونة في تونس لاهل السنة . ولا نعلم في سائر مدن الشام ساحلها ودالحها شيئا من تاريخ المدارس وخططها فان كانت فهي ضئيلة لان قوة المسلمين في هذه الديار كانت في العواصم الكبرى حيث ينزل الملوك والامراء

والاغنياء ، وسائر المدن ضعيفة الشأن في هذا المعنى . ومن الصعب ان تقوم المدارس للطلبة في القرى . وكانت الكرك وصفد وبصرى والزبداني ومنبج والرملة وغزة واكثرها اليوم اشبه بالقرى منها بالمدينة اكثر من بيروت وصيدا وصور ويافا وحيفا وعكا واللاذقية وجملة والسويدية والاسكندرونة عمراناً فقد ذكر الظاهري في القرن التاسع انه كان في كل من غزة والرملة وصفد وبعلبك مدارس بصيغة الجمع ، ومنها ما كان مركزاً من مراكز العلم مثل صفد . وما نخلال بعض المدن التي اصبحت قرى كانت خالية ايضاً من مدارس . مثل كفرطاب بين المعرة وتبزر ولكن اخبارها ضاعت .

ومن مدارس القطر مدرسة قايتباي في غزة درست و يظن انها قرب المسجد وفيها مدرسة هاشم حديثة العهد وفيها طلاب متعممون ومدرسة ابي نبوت في يافا ومدرسة الجزار في عكا ومدرسة في الجامع الكبير المارستانية في نابلس ومدرسة جامع الحاملة ومدرسة البك والصلاحية في نابلس ايضاً وبجوارها الشيخ بدراف شيخ المدرسة كانت محكمة شرعية والآن تحولت مقهى .

الخوانق والربط والزوايا



خوانق دمشق } الخاتقاء كلمة فارسية قيل اصلها خونكاه اي الموضع
الذي يأكل فيه الملك . وهي زوايا الصوفية لم تعهد
على هذا النمط المعروف اليوم الا في القرن السادس ، واول من بناها من الملوك بمصر
كما قال السيوطي السلطان صلاح الدين يوسف ورتب للفقراء الواردين ارزاقاً معلومة .
وقال المقرئ ان الخوانق حدثت في الاسلام في حدود الاربعائة من سني الهجرة
وجعلت ليعتلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى ، وان اول من اتخذ بيتاً للعبادة زيد
ابن صوحان بن صبرة ، وذلك انه عمد الى رجال من اهل البصرة قد نفرغوا للعبادة
وليس لهم تجارات ولا غلات فبنى دوراً وأمكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من
مطعم ومشرب وملبس وغيره .

وقيل ان اول خاتقاء بنيت في الاسلام للصوفية زاوية برملة بيت المقدس بناها
امير النصارى حين استولى الفرنج على الديار القدسية ، وسبب ذلك انه رأى طائفة
من الصوفية وألفتهم في طريقته ، فسأل عنهم ما هذه الألفة والصحة والأخوة
الخاصة بينكم فقالوا له : الألفة والصحة لله طريقنا . فقال لهم : ابني لكم مكاناً لطيفاً
نألفون فيه ونعبدون فبنى لهم تلك الزاوية . وفي التاج ان معاوية كان يكتب الى
أطرافه وعماله والى زياد بالعراق باطعام السابلة والفقراء وذوي الحاجة وله في كل
يوم اربعون مائدة ينقسمها وجوه جند الشام .

ولقد كان بدمشق من هذه الخوانق او الخانقاهات ست وعشرون خانقاها على ما في الدارس وهي :

(٣٥١) « الأُسدية » داخل باب الجابية في المحل المعروف بدرب الهاشمية قديماً انشاء اسد الدين شيركوه ولي مشيختها نجم الدين بن القرشية العباسي وغيره وهي غير معروفة الآن .

(٣٥٢) « الاسكافية » كانت على نهر يزيد بسفح قاسيون انشاء شرف الدين بن الاسكافي مجهول محلها .

(٣٥٣) « الاندلسية » شرقي العريضة والأشرفية قرب الكلاسة ملاصقة للبحر عميقة غربي الشبيصانية وهي : المعروفة بابي عبد الله الاندلسي ومن صوفيتها ^(١) شهاب الدين احمد القباني . وهذه الخانقاه الآن عمدة قائمة ليس الا .

(٣٥٤) « الباسطية » كانت بالجسر الأبيض غربي الأوسعدية وشمالي العريضة إنشاء زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش بعد الثماننة ولي مشيختها قاضي القضاة الباعوني وهي الآن في البساتين خراب .

(٣٥٥) « الحسامية الشبلية » شمالي الشبلية البرانية عند جسر كحيل منسوبة لام حسام الدين عمر بن لاجين وهي بنت ست الشام أخت الملك الناصر ولي مشيختها شرف الدين نعمان وهي غير معروفة اليوم .

(٣٥٦) « الخاتونية » ظاهر باب النصر المعروف بدار السعادة اول الترف القبلي على نهر بانياس شرقي جامع نكز وملاصقة له منسوبة الى خاتون بنت معين الدين زوجة نور الدين الشهيد وهي الآن عمائر وبنيات لا اثر لها .

(١) الصوفية هم نساك هذه الامة وزهادها نشأت طريقتهم بعد عصر الصحابة والتابعين لما اخذ الناس يتكالبون على الدنيا وينصرفون الى زخرفها وزينتها . والراجح انهم نزعوا ثياب الخبز والدهباج واكتسوا الصوف فسموا بالصوفية . واول من تسمى بالصوفي منهم ابو هاشم الصوفي المتوفى في منتصف القرن الثاني ، ولبسهم الصوف أشبه بلبس نساك النصاري المسوح .

(٣٥٧) « لدويرية » كانت بدرب السلسلة بباب البريد منسوبة لمحمد بن عبد الله الدمشقي المقرئ العدل^(١) .

(٣٥٨) « الرزنهاية » بالباب الشرقي من الجامع الأموي خارج باب الفراديس في المحل الذي كان يعرف ببرج المستجد لابي الحسن الروزنهاري ليست معروفة .

(٣٥٩) « السمساطية » للشمال الشرقي من الجامع الأموي أسسها ابو القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي المعروف بالسجيش السمساطي المتوفى سنة ٤٥٣ وهو المشهور بعلي الهياة والهندسة وكان من اكابر الرؤساء بدمشق . قالوا انه دفن بדרه بباب الاطفانين المعروف الآن باب العمارة وكان قد وقفها على فقراء المؤمنين والصوفية ووقف علوها على الجامع وحبس اكثر نعمته على وجوه البر . والسمساطي نسبة الى سمساط كانت مدينة غربي الفرات . وكانت هذه الدار دار عبد العزيز ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان وهو الأصغر الأموي وابن أخت عمر بن عبد العزيز وقد سكنها عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة وتولاها أناس من اكابر العلماء . وجردها نكز في سنة ٧٢٨ بناءً جميلاً ، ونكز هذا جدد عمائر المساجد والمدارس ووسع الطرقات في دمشق واعنى بامرها وله في سائر الشام أملاك وعمائر وآثار . وقد نقضت منذ بضع سنين من أساسها وجردها بنائها على ان تجعل مدرسة راقية للعلوم الدينية فلم يتم لها هذا ورجعت حجرها مأوى البطالين . ذكر القلقشندي من الوظائف الدينية بدمشق في القرن التاسع وظيفة شيخ الشيوخ وموضعها التحدث على جميع الحوائق والعقراء بدمشق واعمالها والعادة ان يكون متولياً شيخ الخانقاه السمساطية بدمشق .

(٣٦٠) « الشومانية » أنشأها شومان ظهير الدين احمد مماليك بني ايوب . ولم يذكر في الدارس غير هذا .

(٣٦١) « الشهابية » داخل باب العرج غربي العادلية الكبرى وشمال المعينة

(١) كان القضاة يفوضون امور التعديل والتزكية لرحل يسمى قاضي التزكية وهو المعدل .

انشاء الامير ايدكين بن عبد الله مملوك الامير الطواشي شهاب الدين رشيد النجمي سنة ٦٥٠ خربت في وقعة تيمور (٨٠٣) ولم تجدد بعد وهي الآن دور وأنقاضها ظاهرة باحجارها النجفة .

(٣٦٢) « الشبلية » انشاء شبل الدولة كافور المعظمي بازاء الشبلية البرانية المتقدمة على نهر ثورة بسفع قاسيون بالصالحية وليها نجم الدين بن يركات بن القرشية البعلي وغيره ولا يعرف عنها غير هذا .

(٣٦٣) « الشنباتية » بحارة البلاطة تعرف بابي عبد الله الشنباشي كانت مدرسة للاناث .

(٣٦٤) « الشريفة » تجاه العروية شرقي دار الحديث الأشرفية ملاصقة للطومانية شرقي باب القلعة وغربي العادلية الصغرى انشاء شهاب الدين احمد بن شمس الدين الفقاعي درس بها رشيد الدين الفارقي وهي الآن حوانيت .

(٣٦٥) « خانقاه الطاحون » خارج البلد منسوبة لنور الدين الشهيد تولاهما الشيخ سعيد الغثاني وهي الآن دائرة .

(٣٦٦) « الطواويسية » منسوبة للملك دقاق اول ابنه وهي المشهورة بجانب الكوجانية والطريق الآخذ الى المرجة والصالحية وهي اليوم جامع واقتطعت الاوقاف من غربيها قطعة جعلتها للمستغلات .

(٣٦٧) « العزبة » بالجسر الابيض على نهر ثورة بالصالحية قبلي الباسطية وغربي الماردانية ومدرسة ابراهيم الاسعودي انشاء عز الدين آي دميز الظاهري (٦٩٠) وهي محطة الترامواي الآن .

(٣٦٨) « خانقاه القصر » مطلة على الميدان الأخضر انشاء شمس الملوك ذهبت مع ما ذهب .

(٣٦٩) « القصابية » كانت بالقصاعين او سوق مدحت باشا اليوم انشاء فاطمة خانون خطليجي خربت ولم يبق لها عين ولا اثر .

(٣٧٠) « الكججانية » بالشرف الاعلى بين الطواويسية والعزبة وأمام شركة الكهرباء والترامواي ، انشاء ابراهيم الكججاني لم تبرح فبتها ظاهرة .

(٣٧١) « المجاهدية » إنشاء مجاهد الدين ابراهيم اخي زين الدين احمد امير خازندار الملك الصالح نجم الدين بن الكامل على الشرف القبلي سنة ٦٥٦ ولم يعلم منها ولا مكاتها .

(٣٧٢) « النهرية » المشهورة بخانقاه عمر شاه باول شارع القنوات شرقي سيدي خمار وهي الآن دار .

(٣٧٣) « النجيبية » جاء في مختصر الدارس انها بناحية باب البريد إنشاء نجم الدين ايوب والد صلاح الدين وسيف الدين وشمس الدولة وشرف الاسلام وشاهنشاه وتاج الملوك وست الشام وربعة واخو الملك اسد الدين ولا يعرف لها اثر .

(٣٧٤) « الناصرية » انشاء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازي بن ايوب بجبل قاسيون على نهر يزيد تقدم ذكرها في دور الحديث صارت اليوم حاكورة صبار .

(٣٧٥) « الناصرية » منسوبة للناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب ابن شادي كانت بدرب خلف القيسارية وهي غير معلومة .

(٣٧٦) « اليونسية » في اول الشرف الاعلى الشمالي شرقي الخانقاه الطواويسية انشاء الامير الشرقي بونس داودار الظاهر برقوق سنة ٧٨٤ هدمت وجعلت طريقاً في ايامنا .

ومن الخوانق الحديثة (٣٧٧) « خانقاه احمد باشا » الشهير بين امراء الاروام اي العثمانيين بشمسي حمد باشا تولى دمشق فطالت مدته وبني فيها خانقاهاً قبالة قلعة دمشق من جانبها القبلي ملاصقة لخندقها وجعل فيها حجرات للصوفية وهي من محاسن دمشق . هذه رواية الحسن البوريني وما زال هذه الخانقاه عامرة ولكن لا على الصورة التي ارادها الواقف .

ومن خوانق دمشق القديمة (٣٧٨) « خانقاه النحاسية » انشأها الخواجة الكبير شمس الدين بن النحاس الدمشقي سنة ٦٢٢ .

رباطات دمشق } الرباط ويقال له التكية بالتركية قال الاميري
والخاتقاء بالكاف يعني خانكاه وهي بالمجعية دار الصوفية
ولم يتعرضوا للفرق بينها وبين الزاوية والرباط وهو المكاتب المسبل للاعمال الصالحة
والعبادة . واول من اتخذ دار الضيافة للواردين الوليد بن عبد الملك الأموي واتخذ
بعده عمر بن عبد العزيز داراً لطعام المساكين والفقراء وابن السبيل . وكان
لنور الدين محمود بن زنكي يد طولى في الاستكثار من الربط والخوانق بنى منها في
جميع البلاد للصوفية ووقف عليها الوقوف الكثيرة وادر عليها الادارات الصالحة ،
وكان يكرم الصوفية والفقهاء والعلماء . وقد جدد الظاهر دور الضيافة للرسول
والواردين . ويؤخذ مما قاله المقرئ ان الرباط دار يسكنها اهل طريق الله ، والرباط
والمرابطة ملازمة ثغر العدى ثم صار لزوم الثغر رباطاً ، والرباط المواظبة على الامر ،
وقيل اكل ثغر يدفع اهل عمن وراءهم رباط ، فالجاهد المراتب يدفع عمن وراءه ، والمقيم
في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد ، والرباط قطع المعاملة
مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق ، فالرباط بيت الصوفية ومنزلهم ولكل قوم دار الرباط
دارهم . وقد شابهوا اهل الصفة في ذلك فالقوم في رباطهم مرابطون منعقون على قصد
واحد وعزم واحد واحوال متناسبة ووضع الرباط لهذا المعنى . قال ولا تهاذ الربط
والزوايا اصل من السنة وهو ان رسول الله (ص) اتخذ لفقراء الصحابة الذين لا يأوون
الى اهل ولا مال مكاناً من مسجده كانوا يقيمون فيه ، عرفوا بأهل الصفة .

وكان بدمشق ثلاثة وعشرون رباطاً وهي :

(٣٧٩) « رباط البهاني » داخل باب شرقي بحارة درب الحجر او البهارستان
الآن . والبهاني نسبة لابي البهات محمد بن محفوظ القرشي ويعرف بابن الحوراني
لا يعرف عنه شيء . أنشئ سنة ٥٠١ .

(٣٨٠) « رباط التكريتي » بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون إنشاء وجيه
الدين محمد بن علي بن سويد التكريتي التاجر المثير الكبير سنة ٦٢٠ غير معروف .

(٣٨١) « رباط الشيخ محيي الدين » بالصالحية بناء على قبر محيي الدين بن عربي

السلطان سليم خان وجعله جامعاً وتكية اطعام الفقراء في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة
قاله القرماني . وهو موجود الى اليوم .

(٣٨٢) « رباط صفية القلعية » بالقرب من المدرسة الظاهرية لا يعرف عنه
شيء غير هذا .

(٣٨٣) « رباط زهرة » كان قرب حمام جاروخ وامام فرن خليفة بجيرة دار
الامير مسعود ابن الست عذراء صاحبة المدرسة وهو غير معروف .

(٣٨٤) « رباط طومان » انشاء طومان احد امراء السجوقيين تحت القلعة
ولا يعرف عنه شيء اليوم .

(٣٨٥) « رباط جاروخ التركاني » لا يعرف عنه الا ان كان باب الجابية .

(٣٨٦) « رباط غرس الدين خليل » من ولاية دمشق كان معروفاً بباب الجابية

وهو مجهول اليوم .

(٣٨٧) « رباط الميراني » و (٣٨٨) « رباط البخاري » كانا عند باب الجابية

ولا يعلم عنهما غير ذلك .

(٣٨٩) « رباط البافلاطوني » (٣٩٠) « رباط الفلكي » (٣٩١) « رباط

بنت السلار » داخل باب السلامة ولا يعلم عنه شيء .

(٣٩٢) « رباط عذراء خاتون » كان داخل باب النصر غير معروف الا ان

(٣٩٣) (رباط بدر الدين عمر) .

(٣٩٤) (رباط الحبشية) بمحلة المعينية غير معروف .

(٣٩٥) (رباط اسد الدين شيركوه) بدرب زرعة لا يعرف ولا يعرف درب زرعة .

(٤٩٦) (رباط القصاصين) و (٣٩٧) (رباط بنت الدفين) كانا داخل

المدرسة الفلكية .

(٣٩٨) (رباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل) (٣٩٩) (رباط

الداوداري) داخل باب الفرج ولي مشيخته نور الدين بن قوام وهما غير معروفين الا ان

(٤٠٠) (رباط الفقاعي) من رباطات السفح سفح قاسيون .

(٤٠١) (رباط الوزار) بمحلة سويقة ساروجا .

وبعض هذه الرباطات قد ذكرت أولاً باسم مدارس وبُنيت في محلها والغالب ان الرباطات كانت تستحيل في الاحابن جوامع او مساجد او مدارس كما شوهد ذلك في زماننا . وما اغفله صاحب الدارس من الرباطات (٤٠٢) (رباط نجم الدين ايوب) والد صلاح الدين وقفه وكان داخل الدرب يزقاق العونية بباب البريد .

زوايا دمشق } الزوايا كالخانقاهات والرباطات الا انها تقام فيها الاذكار
وقد كثرت بكثرة الطرق والمشايع المعتقدين وذلك بعد
القرن السادس . وكان بدمشق على عهد صاحب الدارس ست وعشرون زاوية :
(٤٠٣) (الارموية) بسنح قاسيون انشاء عبد الله بن يونس الأرموي المتوفى
سنة ٦٣١ وهي خراب .

(٤٠٤) (الأرموية الشرفية) بالسنح ايضاً انشاء الشيخ شرف الدين بن عثمان
ابن علي الرملي غير معلومة .

(٤٠٥) (الحريرية) ظاهر دمشق بالشرف القبلي انشاء علي الحريري ابي محمد
ابن ابي الحسن بن مسعود سنة ٦٣٠ لم نحقها .

(٤٠٦) (الحريرية الاعفوية) لا مد الاعف الحريري .

(٤٠٧) (الدهستانية) لابراهيم الدهستاني كانت عند سوق الخليل العتيق .

(٤٠٨) (الحصنية) انشاء نقي الدين الحصني بالشاغور وهي موجودة . وفي ظهر
نسخة من كتاب العنوان في ضبط مواليد ووفيات اهل الزمان للنعماني مانصه : « الحمد
لله : كان ابتداء عمارة الزاوية أعلى خان السبيل المعروف بخان الحصني قدس سره نهار
الاثنين من شعبان سنة ١٠٩٢ اثنتين وتسعين و الف في مدة قليلة ومطلعها من
مسجده المعروف بالحصنية المجاورة للخان المذكور وقد أنشأ العبد الفقير فيه أيضاً عمارات
كثيرة وكذلك عمارة ميضاته التي اختلسها بنو العجمي الغادرون وانتزعت منهم
وأعيدت أحسن ما كانت بإمداد الله تعالى ومعونته ورفقه والحمد لله الذي بنعمته
تتم الصالحات وكتبه العبد الفقير نقي الدين الحسيني الحصني الشافعي لطف الله تعالى
به والمسلمين » .

- (٤٠٩) (الدينورية) بالسفح انشاء عمر بن عبد الملك الدينوري المتوفى سنة ٦٢٩
- (٤١٠) (الدينورية الشينجية) بالسفح ايضاً انشاء ابي بكر الدينوري باني الزاوية بالصالحية .
- (٤١١) (السيوفية) بالسفح على نهر يزيد غربي دار الحديث الناصرية والعائلة انشاء الشيخ السيوفي نجم الدين بن عيسى بن شاه ارمن الرومي .
- (٤١٢) (الداودية) بالسفح ايضاً تحت كهف جبرائيل انشاء زين الدين عبد الرحمن بن ابي بكر بن داود القادري .
- (٤١٣) (السراجية) بالصاغة العتيقة منسوبة لابن سراج .
- (٤١٤) (الشريفية التعارانية) شرقي الناصرية الجوانية انشاء محمد الحسيني التعاراني .
- (٤١٥) (الطالبة الرفاعية) بقصر حجاج انشاء طالب الرومي .
- (٤١٦) (الوطية) شمالي جامع جراح للغاربة وتعرف بزاوية المغاربة انشاء الرئيس علاء الدين علي الشهير بابن وطية الموقت سنة ٨٠٢ .
- (٤١٧) (الطبية) شمالي القيمرية الكبرى داخل مدرسة القضاة انشاء طه المصري شرقي حمام أسامة سنة ٦٣١ .
- (٤١٨) (العمادية المقدسية) عند كهف جبرائيل بالسفح انشاء احمد بن عماد الدين ابن العماد المقدسي المتوفى سنة ٦٨٨ .
- (٤١٩) « الغسولية » بالسفح ايضاً انشاء ابي عبد الله محمد ابن ابي الزهر الغسولي .
- (٤٢٠) (الفقاعية) بالسفح ايضاً انشاء الشيخ يوسف الفقاعي .
- (٤٢١) (الغويتية) بالسفح لصاحبها الشيخ علي الغويتي .
- (٤٢٢) (اللوتنية) بالسفح ايضاً انشاء علي اللوثني .
- (٤٢٣) (القوامية البالسية) غربي جبل قاسيون والزاوية السيوفية ودار الحديث الناصرية على حافة نهر يزيد لصاحبها ابي بكر بن قوام البالسي .
- (٤٢٤) (القلندرية الدر كزنية) بمقبرة باب الصغير لمحمد بن يونس الساوحي من مشايخ القلندرية وجلس في المشيخة بعده جلال الدين الدر كزني ومحمد البلخي . وقلندر لفظة فارسية معناها الدرويش الذي نفى يده من الدنيا وزهدت نفسه في زخارفها .

- (٤٢٥) (القلندرية الحيدرية) كانت بمحلة العونية .
- (٤٢٦) (اليونسية) بالشرف الشمالي غربي الوراقية والعزية البرانية للشيخ يونس ابن يوسف الفتي أنشئت سنة ٦١٩ .
- (٤٢٧) (زاوية ابن اللقيمة) إنشاء ناصر الدين بيهك الحسا وهو من ذرية صلاح الدين ايوب غير معلومة .
- (٤٢٨) (زاوية عبد القادر الموالي) .
- هذه اسماء الزوايا وبعضها لم يزل باقياً لم يُصب بما أُصبت به المدارس على اختلاف أنواعها .
- ومن الزوايا التي كانت في لمزة (٤٢٩) (زاوية خضر العدوي) على باب دمشق وكان هذا مشهوراً بـشيخ الملك الظاهر بـبرس وكان يعتقد بنى له كما قال ابن طولون عدة زوايا في مصر والشام منها زاوية المزة ، وبدمشق زاوية وبظاهر بعلبك زاوية وبجدة زاوية .
- ومن الزوايا الحديثة (٤٣٠) (تكية السلطان سليم) التي بناها ايام بني القبة على قبر الشيخ محيي الدين بن عربي بالصالحية (٩٢٢) ووقف عليها اوقافاً دارة ولا يزال بعضها الى الآن وقد بقي الرسم من هذه التكية وأضيفت الى معاهد الجامعة السورية لترميمها وتسكنها الطلبة .
- (٤٣١) (التكية السليمانية) بجانبها مذبحة للسلطان سليمان القانوني جاء في كتاب الجوامع والمدارس ان فيها من الاحجار والآلات والرخام الصافي والملونات والصنائع والقباب والترصيص ما يحير الناظر ويسر الخاطر . ثم مدح ببحوثها ومأذنتها فقال : انه يحصل للمسافر أنس بها لان غالب المهندسين متشرفون بدين الاسلام . ثم قال : تجددت مدرسة الى جانب التكية السليمانية من الشرف يرسم المدرس في سنة ٩٧٤ وهي من زوائد التكية وجاء مدرستها من الباب العالي اهـ . وقد رمت هذه التكية في الحرب العامة على آخر ايام الترك وأزيل ما كان علق بقبتها ومسجدها وحجرها من الكلس والجبس وأعيدت الى حالتها الاولى فظهرت حسن هندستها وطرز بنائها الرومي ومنارتها شاهدان بانها من طرز بناء الجوامع في فروع ، وكانت تُدعى تارنتا

الشرقية فقصت وأعيدت كما كانت واستولت إدارة الجامعة السورية على جزء منها في العهد الأخير جعلته مخاير لمدرسة الطب ولها اذفاف قيل انها تبلغ نحو مئة الف ليرة متسائة . وهذه التكية من أجل آثار العثمانيين هندسها معمار سنان أشهر مهندس في دولة الترك المتوفى (٩٦٦) ولم يحصل الانتفاع بها مع انها في الغاية بناء وهندسة وواقفاً . ومن التكايا التي عمرت اواخر القرن العاشر (٤٣٢) «تكية مولويخانه» تكية الدرايش بالقرب من جامع نكز وهي في غاية الحسن عمرت سنة ٩٩٣ والمولوية هي طريقة الدرايش المنسوبين لجلال الدين الرومي ومقرها في قوتية وطريقتهم تمتاز بالرقص والتواجد والانشاد .

ومن الزوايا التي عمرت بعد صاحب الدارس على ما يظهر (٤٣٣) « الزاوية الغزالية » بالجامع الاموي شمالي مشهد عثمان كان مدرستها سنة ١٠٨٣ مصطفى المحاسني . ومنها (٤٣٤) « المزلقية » بطريق مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية لشمس الدين بن المزلق مولده سنة ٧٥٤ وكان من الاغنياء عمر على درب الشام الى مصر خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر بنات يعقوب وعيون التجار وغيرها وافق على عمارتها ما يزيد على مائة الف دينار ولم يسبقه احد الى مثل ذلك وهو صاحب المآثر بدرج الحجاز وقف جميع املاكه من القرى وغيرها وجعل النظر في ذلك ان كان حاجب الحجاب ولمن كان خطيباً بالجامع الاموي ولم يمض قرن وبمض الثاني حتى لم يبق جارباً من مبراته سنة ١٠٨٣ المعينة في كتاب الوقف سوى شيء قليل . قاله المحاسني . والغالب ان امم واقف هذه المدرسة محمد بن علي بن المزلق المتوفى سنة ٨٤٨ وهي عند مسجد الزيدان .

ومن الزوايا الحديثة (٤٣٥) « زاوية الصادية » في الشاغور انشئت سنة ١٠٥٣ انشأها زاوية ومسجداً محمد بن خليل الصادي . (٤٣٦) (الزاوية الشاذلية) أنشئت (١٢٩٠) في القنوات لاهل الطريقة الشاذلية وما زال يقام فيها الذكر .

(٤٣٧) (الغواصية) زاوية أنشئت في الميدات لاصحاب الطريقة الرفاعية حرق في الثورة الاخيرة وكانت عمرت في أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني .

(٤٣٨) (زاوية السمدية) في رُقاق الخمارات وعي لاهل طر بقة سعد الدين الجباوي .
ويؤخذ من مجموع الاحصاء الرسمي ان بدمشق الآن احدي عشرة تكية ولعل
الزوايا داخلة في هذا المجموع . وفي القنيطرة تكية أنشأها لالا مصطفى باشا الذي
تولى دمشق سنة ٩٢١ .

خوانق حلب } (٤٣٩) « خانقاه البلاط » هذه اول خانقاه بنيت في
وربطها وزاياها } حلب ، سميت بذلك لانها في سوق البلاط (التي
تسمى الآن سوق الصابون) انشأها شمس الخواص لؤلؤ الخادم عتيق الملك رضوان
ابن تاج الدولة ثلث سنة تسع وخمسة ، كان لها بابان احدهما من السوق المذكورة
ثم سد وجعل صغيراً ، والاخر من شارع شرفها ، قيل هي موقوفة على الفقراء
المجردين دون المتأهلين بحلب ، ثم هجرت واتخذت بيتاً ، الى ان احياها الشيخ
علاء الدين الجبرتي بنفقة الامير نوري بردي ، ثم ان الحكومة التركية قبل نحو
ثمانين سنة اتخذت منها مخفراً ثم من نحو خمس عشرة سنة آجرت دائرة الاوقاف محل
هذا المخفر مدة طويلة فعمر مخزناً للتجارة ونقل باب الخانقاه القديم الى شمالي باب المخزن
وعمل له دهليز يدخل منه الى الصحن والقبليّة ووقع في هذين ترميمات بسعي اهل الخير
ومعاونة مديرية الاوقاف فعاد للمحل بعض الحياة .

(٤٤٠) « خانقاه القديم » انشأها نور الدين محمود بن زنكي سنة خمسمائة وثلاث
واربعين ، كانت تحت القلعة الى جانب الخندق ملاصقة لدار العدل ثم عرفت بالمقشانية
ثم خربت ودخلت في عمارة المستشفى الوطني .

(٤٤١) « خانقاه القصر » من انشاء نور الدين ايضاً سنة خمسمائة وثلاث وخمسين ،
موقعها تحت القلعة كذلك سميت بالقصر الذي كان هنالك من بناء شجاع الدين فاتك .
(٤٤٢) « خانقاه الست » انشأها زوجة نور الدين ام الملك الصالح اسمعيل بن
العادل نور الدين سنة خمسمائة وثمان وسبعين ، وبنت الى جانبها تربة دفنت بها ولدها
الملك الصالح . ثم كثرت الخوانق والربط من ذلك العهد وغدا ابن الشحنة منها عدا
ما تقدم خمسة وعشرين رباطاً انشئت في الدولتين النورية والصلاحية ثم في دولة

الماليك وكلها قامت بأبدي أهل الخير من الملوك والامراء والاميرات وبعض ارباب الدولة .

(٤٤٣) « خانقاه الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين علي كوجك صاحب اربل » في المحلة التي كانت تعرف بالسهيلة ثم عرفت بسويقة حاتم . هكذا في الدر المنخب وهي تعرف بالزينية واقعة من هذه المحلة بزقاق يقال له زقاق القرن في داخل بوابة طويلة ، مكتوب على بابها انها جددت في دولة الملك الظاهر ابي المظفر ابن الملك الناصر يوسف بن ابوب وان . اقفاها الامير زين الدين علي ابن بكتكين سنة ٦٣٠ . والآن فيها قبلية وست حجر .

(٤٤٤) « خانقاه بعوضة الفراقي » انشأها مجد الدين ابو بكر محمد بن محمد الداية ابن نويشكين المتوفى سنة خمسمائة وخمس وستين ، اخو نور الدين من الرضاع .
(٤٤٥) « خانقاه بمقام ابراهيم » انشأها مجد الدين ابن الداية المذكور ايضا .
(٤٤٦) « خانقاه سعد الدين كشتكين الخادم » مولى بنت الاتابك عماد الدين المتوفى سنة خمسمائة وثلاث وسبعين كانت ملاصقة للمدرسة الصلاحية (البهاية اليوم) ثم عرفت بالقلقاسية و يرجح انها والآية دخلتا في خان خيري بك .
(٤٤٧) « خانقاه طاوس » بجانب السابقة .

(٤٤٨) « خانقاه ابن النبي » انشأها الامير جمال الدين ابو الشناء عبد القاهر ابن عيسى المعروف بابن النبي وقفها سنة ٦٣٩ عند وفاته وهي في ذيل محلة . العقبة والآن صارت دارين لصالح المكتبي ومحمد عرب وتحتجها في جرة قبر الواقف
(٤٤٩) « خانقاه الامير علاء الدين طاي بغا » كانت داراً يسكنها فوقها على الصوفية عند موته سنة ٥٥٠ وهي مما دخل في دار العدل ثم دثر وقام في محله المستشفى الوطني .

(٤٥٠) « خانقاه العجمي » انشأها شمس الدين ابو بكر احمد بن العجمي وكانت داراً يسكنها فوقها الشيخ شرف الدين ابو طالب اخوه على الصوفية .
(٤٥١) « خانقاه حوشي » انشأها بيرم مولى ست حارم بنت التمسنا (التمسلي) خالة صلاح الدين في دهليز دار الملك المعظم وتعرف بخانقاه حوشي .

- (٤٥٢) « خانقاه بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد » المتوفى سنة ٦٣٢ كانت داراً يسكنها فوقها للصوفية في هذه السنة .
- (٤٥٣) « خانقاه الفطيسية » أنشأها سعد الدين مسعود بن عز الدين ابيك المعروف بفطيس المتوفى سنة ٦٤٩ وهو عتيق عز الدين فرخشاه وكانت في مدرسته المعروفة بهذا الاسم ثم دخلنا في دار العدل كما ذكر في خبر المدرسة .
- (٤٥٤) « خانقاه سنقرجاء » وهي برأس زقاق البهاء قبلي دار العدل عمرت سنة ٥٥٤ ثم دثرت مع دار العدل ودخل الجميع في بناء المستشفى الوطني وما يليه .
- (٤٥٥) « خانقاه الكاملية » مكتوب على بابها وقفت هذه الخانقاه فاطمة بنت الملك الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ابوب الخ توفيت سنة ٦٥٦ ، وهي في محلة الجلود الكبرى في زقاق يسمى الآن بزقاق الشيخ عبد الله ليس فيها اليوم سوى ثلاث حجر منبوعة مشرفة على الخراب .
- (٤٥٦) « خانقاه بنت صاحب شيزر » وهو سابق الدين عثمان أنشأتها قبالة دورهم ، لا اثر لها اليوم وقد كانت في العرصة التي الى شرقي جامع العادلية وقبلي خان امرايين .
- (٤٥٧) « خانقاه بدر بنات » شمالي البارستان الكامي لا اثر لها اليوم وقفها ست العراق ابنة نجم الدين ابوب بن شادي عن ولدها سيف الدين سنة ٥٧٤ وهذا الدرب يعرف اليوم ببوابة خان القاضي من محلة باب قنسرين .
- (٤٥٨) « خانقاه بدر بنات » كذلك أنشأتها زمرد خاتون واختها ابننا حسام الدين لاجين عمر بن النوري وأما اخت صلاح الدين يوسف .
- (٤٥٩) « خانقاه نور الدين » محمود بن زنكي ذكرها ابو ذر قال : اظنها انشئت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، قال ابن شداد اظنها التي بجوار المدرسة الشاذليية الجوانية ، وفي هامش بخط محمد بن عمر الموقع انها اصبحت تعرف بالشيخيرة ، هي اليوم ليس لها من اثر .
- (٤٦٠) « خانقاه ضيفة خاتون » بنتها سنة خمس وثلاثين وستمائة وهي بنت الملك العادل سيف الدين ابي بكر ام الملك العزيز محمد داخل باب الاربعين تجاه

مسجد الشيخ حافظ عبد الرحمن بن الاستاذ ، هذه الخانقاه الآن بمحلة الفرافرة إمام جامع الزينية ومدرسة الهاشمية ، تسمى الناصرية لان على بابها انها انشئت زمن الناصر يوسف بن ايوب فيها ايوان عظيم ومحراب بديع وهي مائلة الى الاندثار يسكنها بعض الفقراء من العبيد المعنقين .

(٤٦١) « خانقاه بنت والي قوص » مندثرة بمحلة المحل .

(٤٦٢) « خانقاه القوامية » كانت تجاه خانقاه ضيفة خانون ، ليس لها اليوم اثر .

(٤٦٣) « خانقاه محمد بن عبد الملك بن المقدم » بدرب الخطابين الذي عرف بعد ذلك بدرب ابن سالار سنة اربع واربعين وخمسمائة ، لا اثر لها اليوم ودرب ابن سالار هو المعروف الآن بزقاق خان الثن من محلة الجلوم فيرجح انها كانت بجانب مدرسة المقدمة التي مر ذكرها المنسوبة الى محمد بن عبد الملك بن محمد الذي يظهر انه ابن صاحب الخانقاه .

(٤٦٤) « خانقاه الشمسية » في رأس درب البازيار ملاصقة لبيت ابي ذر المؤرخ انشأها شمس الدين ابو بكر احمد واوصى اخاه الشيخ شرف الدين صاحب الشرفية ان يقفها على الصوفية ، الدرب المذكور يعرف الآن بزقاق الزهراوي .

(٤٦٥) « خانقاه الخادم » هي الى جانب المقدمة من شماليها وقفها الخادم من عنقاء بني العجمي على سكنى بني العجمي الاناث .

(٤٦٦) « خانقاه تجاه المقدمة » لا يعلم لمن نُسب ولعلها هي ماجاء في بعض التواريخ انها انشاء جمال الدولة اقبال الظاهري ، قال ابو ذر عن هاتين الاخيرتين ان في كل قبرا ، والآن تحول جميع ذلك الى دور مسكونة .

(٤٦٧) « خانقاه طغرل بك » هو الامير شهاب الدين طغرل الاتابك وهي سيف

خارج باب الاربعين بالجبل ، هي الآن مدرسة النجاة بيد المعارف .

(٤٦٨) « خانقاه الدورية » انشأها شمس الدين محمد بن جمال الدين يوسف

الدوري عين التجار بحلب ووقف لها ابنه وقفاً وهي موقوفة على الشيخ شمس الدين الاطعاني ، كانت على شاطئ نهر قويق من جهة الناعورة وهي دائرة مكانها مجهول .

(٤٦٩) « خانقاه السحلية » على شاطئ قويق قرب بستان حجازي وقفها

كافل حمزة الاسعدي علي عبد الرحمن بن محلول المتوفى سنة ٧٨٢ وجعل لها مدرسا
هدمت في حادثة تيمور وهي اليوم مندثرة لا يعلم محلها .
(٤٧٠) « خانقاه الكاملة » انشأته الكاملة زوجة علاء الدين بن ابي الرجاء في
خارج حلب .

* * *

(٤٧٢) « رباط » أنشأه سيف الدين علي بن الامير علم الدين سليمان بن جندر
بالرحبة الكبيرة وكان في دار تعرف ببدر الدين محمود بن شكوي الذي خنقه الملك
الظاهر غازي ، هو مندثر الآن و يرجع انه كان في محلة باب قنسرين تجاه جامع
الكرمية .

(٤٧٣) « رباط » قرب مدرسة النورية التي تعرف ايضا بالنفرية ، كانت في
محلة السفاحية تجاه المدرسة صاحبة التي كانت في الزاوية الغربية من الجنيينة المعروفة
اليوم بجنيينة الفريق وهي مندثرة .

(٤٧٤) « رباطات » تحت القلعة للخدم احدهما برأس درب الملك الحافظ ،
والآخر اسمه الجمالية برأس زقاق المبلط بينه وبين السلطانية طريق ، وهذا من إنشاء
جمال الدولة اقبال الظاهري في حدود الاربعين وستاء .

(٤٧٥) « رباط قرا سنقر » ذكره ابن خطيب الناصرية في ترجمة بانيه المتوفى
سنة ٧٢٨ وقال له وقف كبير ، وهو مندثر لا يعلم محله .
(٤٧٦) « رباط الخدام » تحت القلعة ، مندثر .

(٤٧٧) « رباط » بشرقي توبة ابن الصاحب أمام الظاهرية أنشيء في دولة
الناصر حسين علي بن احمد بن يعقوب بن عيد الكريم .

(٤٧٨) « رباط » بجانب مدرسة ضيفة خاتون في الفردوس أنشيء سنة ٦٣٣ .

(٤٧٩) « رباط » قرب الظاهرية التي في خارج حلب أنشيء ايام يوسف الناصر .

(٤٨٠) « رباط للقلدرية » في داخل المدرسة المقدمة التي كانت في الفرازة

تجاه فسطل الملك العادل ، مندثر .

(٤٨١) « التكنة العسكرية » أسسها ابراهيم باتا المصري (١٢٤٨) ثم أصلحت

سنة ١٢٩٧ وتسمى بقشلة الشيخ هرق لزادة هذا الدفين بجانبها وهي في الجهة الشمالية الشرقية من حلب طولها ثلاثمائة واربعون ذراعاً وعرضها زهاء مائتين .
(٤٨٢) « ثكنة على قمة جبل البغتي » بديء بتأسيسها (١٣٣٠) ثم زيد عليها بعد انسحاب الترك زيادات ولم تزل غير كاملة .
وقد درس كثير من الرباطات في باب المقام وغيره .

(٤٨٣) (زاوية معروفة ببني الخشاب) مكتوب على حجر في جدارها : جدد عمارة هذه الزاوية المعروفة ببني الخشاب الحسن بن ابراهيم بن سعيد بن الخشاب (٦٣٣) وفيها تربة كانت تسمى بالتربة الخشابة ، هي اليوم في زقاق اسمه زقاق ابي درجين من محلة الجلوم ، ثم انه في سنة ١٣١٥ جددوها احد المشايخ القادرية الشيخ مصطفى الهلالي وجعل لها حجرة درس ومنبراً للجمعة .

(٤٨٤) (الزاوية الهلالية) في محلة الجلوم يزقاق يعرف يزقاق الهلالية كانت مسجداً صغيراً قطنه الشيخ محمد هلال الرام حمداني ثم وسعت وصارت لقام فيها الجمعة والاذكار .

(٤٨٥) (زاوية البزازية) في الجلوم يزقاق خات البهض تصلي فيها الاوقات الجهرية ولها قبلية أخرى .

(٤٨٦) (الزاوية الكالية) في محلة العقبة في زقاق الكيزواني .

(٤٨٧) (زاوية الأخضر) في محلة السفاحية تجاه جامع الموازي بني وقفها الشيخ الأخضر ودفن فيها سنة ١٢٨٢ .

(٤٨٨) (زاوية الشيخ تراب) .

(٤٨٩) (زاوية الطوامي) .

(٤٩٠) (زاوية النسيبي) تحت القلعة وكانت مسجداً قديماً جددوها قانصوه

الغوري (٩١٠) .

(٤٩١) (الزاوية الجوشنية الافرارية) نسبة لمنشئها سنة ٧٤٧ علي الشيخ

ابراهيم شهر يار الكازروني .

- (٤٩٢) (زاوية الصالحية) في سوقة الحجارين وتعرف بالقادرية أيضاً وكانت قديماً تعرف بالبهشية من أقدم الزوايا متولوها بنو الحلوى .
- (٤٩٣) (زاوية البيلوني) في سوقة حاتم صغيرة معطلة يسكنها الفقراء وإنشاء احد بني البيلوني .
- (٤٩٤) (زاوية محيي الدين) في باب الجنين .
- (٤٩٥) (زاوية الكيالي) في سوقة حاتم .
- (٤٩٦) (زاوية الجعفرية) في زقاق فرن جقجوقة من سوقة حاتم أنشئت (٧٩٦) .
- (٤٩٧) (زاوية الهراوي) في محلة الكلاسة كانت داراً وقفها الشيخ محمد خير الهراوي وسع ببعضها الجامع وجعل الباقي زاوية .
- (٤٩٨) (زاوية لبني الهراوي أيضاً) كانت تسمى مسجد الراعي .
- (٤٩٩) (زاوية في المقامات) مدرسة .
- (٥٠٠) (زاوية محمد الاطعماني) البسطامي في محلة الشماعين من المشاركة أنشئت سنة ٧٠٠ .
- (٥٠١) (زاوية خضر) تجاء بستان الكلاب في جنوبي بستان ابراهيم اغا أنشأها بدر الدين بن زهرة منزهاً ثم اغتدبها من بعده جلاب كافل حلب وجعلها زاوية سنة ٧٧٠ وهي مندثرة .
- (٥٠٢) (زاوية للقادرية) تنسب للامير جلابان ايضاً على رأس باب الجنان منشأة سنة ٧٧٠ .
- (٥٠٣) (تكية المولوية) من أعظم التكايا أنشأها مرزا فولاذ ومرزا علوان فارسيان من اتباع شاه اسماعيل الصفوي ثم احدث فيها زيادات كثيرة .
- (٥٠٤) (زاوية) غربي قبلية جامع فارلق أنشئت سنة ١٢٠٧ .
- (٥٠٥) (زاوية الحربي) في فارلق أنشأها الشيخ علي الحربي سنة ١٣٠٢ .
- (٥٠٦) (زاوية الشيخ طه) بطيخ في فارلق أنشئت سنة ١٢٨٠ .
- (٥٠٧) (تكية الحداد) في محلة تاتارلر .

(٥٠٨) (زاوية للخلوتية) بالجانب الغربي من الجامع الاحمدي في محلة الدلالين

وقف الشيخ احمد صديق .

(٥٠٩) (زاوية) بجانب سابقتها للطريقة النقشبندية للواقف المذكور .

(٥١٠) (زاوية لطريقة الشيخ سعد الياني) في محلة المشاطية .

(٥١١) (زاوية الشيخ بلال) في محلة البلاط .

(٥١٢) (زاوية بيت خير الله) في محلة بانقوسا .

(٥١٣) (زاوية قطليجا) في محلة محمد بك انشئت سنة ٧٥٧ .

(٥١٤) (زاوية ابي الجدايل) بزقاق المزوئي .

(٥١٥) (الزاوية الصيادية) انشأها ابو الهدى الصيادي سنة ١٢٩٥ ثم

زيدت الى سنة ١٣٢٧ .

(٥١٦) (تكية الاخلاصية) نسبة لاخلاص الخلوقي المتوفى سنة ١٠٧٤ عمرها

له الوزير الاعظم محمد باشا الارتود .

(٥١٧) (تكية الفرقلر) مبنية فوق مغارة الاربعين تحت القلعة .

(٥١٨) (زاوية الشيخ يبرق) في داخل التكنة العسكرية انشئت سنة ٦٧١ .

(٥١٩) (تكية بابا بيرم) للقلندرية انشئت سنة ٧٦٤ .

(٥٢٠) (زاوية المصربين) في محلة اقبول .

(٥٢١) (زاوية هي مسجد الفراء) انشيء في حدود الالف ثم اتخذ زاوية لبني

الانجي في محلة الاملاحي .

(٥٢٢) (زاوية الشيخ عبد الله) هي مسجد في محلة الشرعسوس .

(٥٢٣) (زاوية نغري و يرمش) كافل حلب قرب جامع الاطروش انشأ سنة ٨٤١

(٥٢٤) (زاوية العقلية) في محلة محب .

(٥٢٥) (تكية الخملجي) في ترب الغرباء انشئت سنة ٦٤٣ .

(٥٢٦) (تكية الشيخ ابي بكر) للطريقة الوفاية اسسها محمد بن عمر القاري

في القرن المباشر .

(٥٢٧) (زاوية البعاج) في محلة الطلبة .

(٥٢٨) (زاوية الشيخ جاكير) هي مدفن الشيخ تشبه زاوية .
وفي حلب خانقاهات ومدارس وزوايا لا تكاد تحصى اندثر معظمها ، جاء في
ترجمة مظفر الدين صاحب اربل انه بنى اربع خانقاهات للزمني والعميات وداراً
للارامل . داراً للالايتام وداراً للملاقيط وخانقاهين للصوفية .

رَبُطُ القدس | كان في بيت المقدس عدة زوايا وربط منها (٥٢٩)
وزواياها | « الزاوية المعظمية » وقد مر ذكرها في المدارس بقي
منها غرفتان والباقي دارس .

(٥٣٠) « الزاوية الحنفية » بجوار المسجد الاقصي خلف المنبر وقفها السلطان
صلاح الدين سنة ٥٨٧ على رجل من اهل الصلاح اسمه جلال الدين الشامي ثم من
بعده على من يحذو حذوه وقد وقف صلاح الدين نصف دار الاسبتار رباطاً للتصوفة
وللوافدين من اهل الطريقة والمعرفة ، ونصفها مدرسة للفقهاء ، وللطلبة المتعفة المتزهة
بجمع بين العلم والعمل ، وكتب الرزق لم الى كتاب الاجل — قاله العماد الكاتب ،
ودار الاسبتار اليوم او هذا الرباط الآن خراب بلقع .

(٥٣١) « الخانقاه الفخرية » داخل سور الحرم ، وبجوار جامع المغاربة ، واقفها
المقر العالي القاضي نضر الدين ابو عبدالله محمد بن فضل ناظر الجيوش الاسلامية اصله
قبطي فاسي ، وكانت له اوقاف كثيرة ويرواحسان لاهل العلم توفي في سنة ٧٣٢
ولا تزال عامرة الى يومنا هذا وقد اصحبت اليوم زاوية ودار سكن .

(٥٣٢) « الرباط الزمني » بباب المتوضأ تجاه المدرسة العثمانية . واقفه الخواجا
شمس الدين محمد بن الزمن احد خواص الملك الاشرف قايتباي وكان بناؤه في سنة
احدى وثمانين وثمانمائة .

(٥٣٣) (رباط كرد) بباب الحديد بجوار السور تجاه المدرسة الأرغونية
واقفه المقر السيفي كرد صاحب الديار المصرية في (٦٩٣) استحال الآن دار سكن .

(٥٣٤) (الزاوية الوفائية) بباب الناظر تجاه المدرسة المنجية وعلوها دار من
معاليها تعرف بدار الشيخ شهاب الدين بن الهائم ، ثم عرفت ببني الوفا لسكنهم بها

- وتعرف قديماً بدار معادية وهي الآن دار سكن .
- (٥٣٥) (الزاوية الشيخونية) بالقرب من الصلاحية عند موبقة باب حطة واقفها الامير سيف الدين قطيشا بن علي من رجال حلقة دمشق جعل نظرها لنفسه ثم من بعده لولده شيخون فسميت بالشيخونية تاريخ واقفها (٧٦١) .
- (٥٣٦) (الرباط المارديني) بباب حطة مقابل الكاملية وهي بجوار التربة الأوحدية وقفه منسوب لامرأتين من عشقاء الملك الصالح صاحب ماردین وشرطه ان يكون لمن يرد من ماردین تاريخ وقفه (٧٦٣) وهو موجود .
- (٥٣٧) (الزاوية المهازية) غرب المدرسة المعظمية من الغرب منسوبة للشيخ كمال الدين المهازي ووقفت على مرصع من الملك الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون في (٧٤٥) وهي معروفة اليوم .
- (٥٣٨) (الرباط المنصوري) بباب الناظروقف السلطان قلاوون الصالحی (٦٨١) . معروف الى اليوم كان سجيناً في عهد الأتراك واليوم ينزله فقراء السودان .
- (٥٣٩) (رباط علاء الدين البصير) تجاه الرباط المنصوري واقفها الامير علاء الدين آيد غدي (٦٦٦) .
- (٥٤٠) (الزاوية المحمدية) بجوار البارودية من جهة الغرب واقفها محمد بن زكريا الناصري سنة ٧٥١ وهي خراب .
- (٥٤١) (الزاوية اليونسية) مقابل البارودية ونسبتها للفقراء اليونسية مجهول واقفها وهي موجودة الآن .
- (٥٤٢) (زاوية الطوانسية) بحارة الشريف وتعرف قديماً بحارة الاكراد واقفها الشيخ شمس الدين محمد بن جلال الدين عرب سنة ٧٥٣ .
- (٥٤٣) (زاوية المغارية) بأعلى حارتهم وقف الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد سنة ٧٠٣ .
- (٥٤٤) (زاوية البلاسي) بظاهر القدس من جهة القبلة وهي قديمة نسبتها للشيخ احمد البلاسي .
- (٥٤٥) « زاوية الازرق » بظاهر القدس من جهة القبلة شرقي زاوية البلاسي

- نسبتها للشيخ ابراهيم الازرق المتوفى في سنة ٧٨٠ وتعرف ايضاً بزاوية السرائي .
- (٥٤٦) « زاوية الدركاء » بجوار الجارستان الصلاحي وكانت في زمن الفرنج دار الاسبتار وهي من بناء هيلانة ام قسطنطين التي عمرت كنيسة القيامة . واقفها الملك المظفر شهاب الدين غازي بن السلطان الملك العادل ابي بكر بن ايوب صاحب ميافارقين وما معها وذلك في سنة ٦١٣ قسم منها داخل في كنيسة الالمان (البغاغة) والباقي خراب .
- (٥٤٧) (زاوية الشيخ يعقوب العجمي) بالقرب من القلعة وهي كنيسة من بناء الروم ثلاثت أحوالها .
- (٥٤٨) (الخانقاه الصلاحية) علو كنيسة القيامة وقف الملك صلاح الدين على الصوفية (٥٨٥) وهي موجودة .
- (٥٤٩) (زاوية الجثنية) كانت بجوار المسجد الاقصى وقفها السلطان صلاح الدين على جلال الدين الشاشي الزاهد ولا يعرف عنها شيء .
- (٥٥٠) (الزاوية الحمراء) بالقرب من الخانقاه الصلاحية بجوار جامع عمر بالنسوبة للفقراء الوفاة وهي باقية .
- (٥٥١) (الزاوية الميمونية) بجوار باب الساهرة وهي كنيسة من بناء الروم ، واقفها الامير فارس الدين ابو سعيد سيمون القصري خازن دار الملك صلاح الدين (٥٩٣) دخلت في المدرسة المأمونية .
- (٥٥٢) (الزاوية اللؤلؤية) بباب العمود احد أبواب المدينة وهي وقف بدر الدين ولؤى غازي واقف اللؤلؤية المتقدم ذكرها .
- (٥٥٣) (الزاوية البسطامية) بحارة المشارقة^(١) واقفها الشيخ عبد الله البسطامي وكانت موجودة قبل (٧٧٠) .

() قال الزوزني : والنصارى الشرقيون في القدس اصلهم من ارض البلقاء وعمان عرفتوا بالشرقيين لانهم من شرقي القدس ولما استوطن بيت المقدس منهم من استوطنه سكنوا محلة هي شرقي القدس تعرف بمحلة المشارقة .

- (٥٥٤) (زاوية الصمادية) بجوار زاوية البسطامية من جهة الشمال وهي بلصق درج البراق سد بابها في المئة التاسعة .
- (٥٥٥) (زاوية الهنود) بظاهر باب الاسباط وهي قديمة كانت للعقراء الرفاعية ثم نزل بها طائفة الهنود فعرفت بهم .
- (٥٥٦) (زاوية الجراحية) بظاهر القدس من جهة الشمال نسبة لواقفها الامير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي احد امراء الملك صلاح الدين المتوفى سنة ٥٩٨ .
- (٥٥٧) (تكية خاصكي سلطان) انشأها ام السلطان سليمان ، ولا تزال عامرة تفرق الحساء والخبز ولا يزال يأخذ قسم من وجهاء القدس واشرافها هذه الصدقة والاحسان .

الربط والزوايا } في خليل الرحمن لعهدنا ثلاث تكايا وزوايا وهي :
في المدن الصغرى } (٥٥٨) (تكية سيدنا الخليل) لها مخصصات من دائرة الاوقاف وتعمل الحساء والطعام .

- (٥٥٩) (زاوية الاشراف) تقوم الاوقاف بالادرار عليها .
- (٥٦٠) (زاوية ابي بكر الشلي) تدر عليها الاوقاف معاوناتها .
- (٥٦١) (الزاوية القادرية)
- (٥٦٢) (زاوية الشيخ سعيد)
- (٥٦٣) (زاوية المجاهد)
- (٥٦٤) (زاوية حارة قيطون)
- (٥٦٥) (زاوية الشيخ الجعبري)
- (٥٦٦) (زاوية الشيخ الخيري)

وفيهما زوايا خاصة لاقامة الذكر ووضع انواع الاعلام وما يتبعها ويجلسون فيها وضيئون

- وكان في الخليل على عهد مجبر الدين الحنبلي (٥٦٧) (زاوية الشيخ عمر المجرود) و (٥٦٨) (زاوية المغاربة) بجوار عين الطواشي و (٥٦٩) (زاوية الشيخ علي البكا) و (٥٧٠) (زاوية القواسمة) نسبة للشيخ احمد القاسمي الجنيدي من ذرية ابي القاسم

الجنيد وهو مدفون بها و (٥٧١) (الرباط المنصوري) تجاه باب القلعة وقف الملك منصور قلاوون . و (٥٧٢) (زاوية الشيخ ابراهيم المزي) بين حارقي الاكراد والدارية و (٥٧٣) (زاوية الشيخ عبد الرحمن الازرومي) في حارة الاكراد . و (٥٧٤) (زاوية البسطامية) بجوار المسجد الجاولي من جهة الشمال و (٥٧٥) (زاوية السماوية) بجوار زاوية الشيخ عمر المجرى . و (٥٧٦) (زاوية ابي عقافة) و (٥٧٧) (رباط الطواشي) و (٥٧٨) (زاوية شيخون) و (٥٧٩) (رباط مكي) و (٥٨٠) (زاوية الشيخ رضوان) و (٥٨١) (زاوية الشيخ خضر) و (٣٨٢) (زاوية الصلاطقة) بجوار البركة وهي داخل زاوية الادهمية و (٥٨٣) (زاوية الراعي) و (٥٨٤) (زاوية الشيخ علي كنعوش الادهمي) و (٥٨٥) (زاوية الشيخ محمد البهضة) و (٥٨٦) (زاوية الموقع) و (٥٨٧) (زاوية الشيخ ابراهيم الحنفي) و (٥٨٨) (رباط الجامعي) و (٥٨٩) (زاوية الخضر) بالقرب من متوضي المسجد . (٥٩٠) (زاوية الخداية) و (٥٩١) (زاوية القادرية) بظاهر البلد .

ومن رُبط فلسطين (٥٩٢) (خاتقاء الصلاحي) في قرية حطين انشاء السلطان صلاح الدين ولم يبق منه الآن الا مطبخه وانقاذه .
ومنها (٥٩٣) (خاتقاء الرملة) مهدم غير معلوم اثره .

وفي انطاكية ٥ تكايا وفي كلز وعملها ٢٤ تكية وزاوية وفي ادلب وعملها ١٥ تكية وزاوية وفي كل من حارم وبلان والجسر تكية وفي كل من جبل سمعان ومنج تكيستان . وفي حماة الزاوية الكيلانية بنى الجامع القبلي منها الشيخ ياسين الكيلاني (١١١٨) ولم يعرف اسم بانيتها الا اول . وفيها رباط السيد مرتضى الكيلاني ورباط السيد محمد الحريري ورباط السبسي ورباط الكيالي . وبما كان في حماة وبصح ان يعين في جملة الربط دار الاكرام كانت معدة للضيافة وسكنى الملوك خربت وصار محلها مدابع وأنشأ فيها مبارز الدين افوش داراً لضيافة الملوك وهي مما خرب . وكان فيها دار الضيافة المسماة بالطيارة الحمراء على سور باب النقي والطيارة الحمراء كانت فوق القبو والبسطية شرقي الجامع النوري . وكان في حماة ايضاً دار الفرح كانت

وفقاً للأفراح فمن أراد ان يتزوج مثلاً يأخذ ما من متوليها وكان فيها ٣٥ بيتاً وهي اليوم بيوت السادة الكيلانية . وفي ربض حمص زاوية قام بإنشائها في العهد الحميدي الشيخ ابو الهدى الصيادي ولكنها لم تلم وهي حسنة البناء والطراز .

وكان في حمص (دار صدقة) لأبي عبد الله صالح بن ثوبان من عبيد الرسول وهو الذي روى في مسجد دمشق انا الذي صببت الماء على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطيته قدحاً فأفطر .

وفي طرابلس ٨ تكايا وزوايا للخلوتية والقادرية والرفاعية والشاذلية والنقشبندية . وفي عكار نكية واحدة وفي اللاذقية ٤ تكايا وزوايا .

مرافد العظماء } اكثر مرافد العظماء من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين
ربط وخوانق } والزهاد أشبه بزوايا وتكايا يقصدها الناس للزيارة والتبرك وان كان منها ما لم يثبت ان فلاناً بعينه دفنت تجاليد في البقعة التي بعنوانها فمن المقامات والمزارات قبر يحيى بن زكريا والحسين بن علي في الجامع الأموي بدمشق وقبر صلاح الدين يوسف بن ايوب شمالي هذا الجامع ومقام ذي الكفل وهو في سفح جبل قاسيون بدمشق ومقام زين العابدين وبلال الحبشي وبلال بن حماسة وخديجة ورفية وأم كلثوم وأم حبيبة وزينب الكبرى والسيدة سكينة وغيرهم في مقبرة باب الصغير بدمشق . ومقام ابي الدرداء في قلعة دمشق . ومقام حجر بن عدي في مسجد الاقصاب بدمشق . ومقام شريح بن حسنة وخولة وأبي وضرار وبنت الأوزر والبدر الغزي والشيخ رسلان في باب توما وباب شرقي بدمشق . وزيد بن ثابت في باب السريجة من أحياء دمشق . وشمعون بن خنافة في حي الشاغور بدمشق . وصهيب الرومي وثقي الدين الحصني وغيرهما في الميدان . وعدي بن مسافر في بستان الورد بدمشق والشيخ السروجي في الشاغور . وعبد الرحمن الكردي في حي العمارة بدمشق . وعبد الرحمن بن ابي بكر وكال الدين الحمزاوي وعبد الرحمن الدحداح والشهاب المثني والشهاب العطار في مقبرة مرج الدحداح ومعاوية بن ابي سفيان في جامع الجراح بدمشق . ومقام الشيخ الاكبر محي الدين بن عربي والشيخ عبد الغني النابلسي واصحاب الكهف وعائشة الباعونية

بصالحية دمشق . ونور الدين الشهيد والامام ابن دقيق العيد في سوق الخياطين
بدمشق . ومقام سعد بن عباد في المنجحة . وعبد الله بن سلام في سقيا . والشيخ
حرملة في جوير . ومقام حزقيل في داريا . ودحية الكلبي في المزة . وهذه القرى
الخمس من قرى الغوطة غوطة دمشق . وتميم الداري في قرية الطببة من عمل دمشق .
والشيخ حسن الراعي في قطنا غربي دمشق . ومعاذ بن جبل في قرية القصير . والشيخ
جندل في قرية منين . ومقام السلطان ابي يزيد البسطامي في مرج دمشق . ومقام
ايوب وسعد الاسود في قرية الشيخ سعد في حوران . وسلمان الفارسي في قرية السهوة .
ومقام عكاشة في الجولان . والمقداد بن الاسود في تل المقداد . وسعد الدين الجباوي
في قرية جبة . وعمار بن ياسر في اللجاة . وفيرابي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل
في الغور . ومقام جعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة قرب قرية
مؤنة في المزار من عمل الكرك .

ومقام الامام الاوزاعي في بيروت ومقام يوشع وشمعون في حور ومقام هرون
ويعقوب في صفد ومقام الخضر والياس في حيفا . ومقامات شعيب والسيدة سكيئة
ومعاذ بن جبل ونصر الدين الطيار في طبرية . ومقامات صالح وابي عتبة في عكا .
ومقامات العزيز ولوط ويونس في الناصرة . ومقامات يعقوب واولاده والخضر
والشيخ مسلم وبشير ومسعود ورجال العمود والشيخ بدر والسلطان عماد الدين في
نابلس . ومقامات دانيال ويامن ومعاوية وامكندر ذي القرنين وابن سيرين والشيخ
حمدان وغيرهم في جينين . ومقامات يامن وشمعون ويعقوب والياس وابي خميس وابي
شمير وعامر وعمار وعدنان في بني صعب . ومقامات يحيى وذو الكفل ويوشع وناتون
وابراهيم وشيث والشيخ ابي الجود وابي رماح وابي عابد والجنيد والدجاني في جماعيل .
ومقامات زكريا ويوسف وانبياء بني اسرائيل والشيخ حاتم وغام المقدسي في المشاريق .
ومقامات الشيخ زين ونصر الله في الشعراوية . ومقامات ابراهيم بن ادم وابي يزيد
البسطامي في وادي الشعير . ومقامات خالد بن الوليد وعمر بن عبد العزيز وابي امامة
الباهلي وابي ذر العفاري والنعمان بن بشير في حمص والمعرة وما اليها . ومقام الشيخ
ابي الليث السمرقندي والشيخ علوان في حماة .

ذكر بحير الدين قبة راحيل والدة يوسف الصديق الى جانب الطريق بين بيت
لحم وبيت جالا . وبظاهر الرملة من جهة الغرب بالقرب من البحر مشهد يقال له رويبل
ابن يعقوب وبظاهر لدّ من جهة الشرق مشهد عبد الرحمن بن عوف الصحابي وبظاهر
القدس في قرية العازرية مشهد العازار . وقبر ثمويل بقرية ظاهر القدس من جهة
الشمال على طريق الرملة في قرية رامة .

وللشيعة عدة مقامات في حلب وارجائها وفي غيرها من بلاد الشام نسبت لعلي بن
ابي طالب ولحسن ولحسن كما ان للخضر عدة مقامات في كثير من الارحاء ويشترك في
تعظيمها الصاري والمسلمون غالباً . — وما ذكره ابن الشحنة من المقامات القديمة في حلب
مسجد النور بالقرب من باب قنسرين كان ابو نعيم عبد الرزاق بن عبد السلام (٤٢٥)
يتعبد فيه لئذ له النذور ويزار . ومسجد غوث ومسجد الغضائري ويعرف بمسجد
شعيب وقبر كليب العابد ومسجد الانصاري والمشهد الا . ر في رأس جبل جوشن
ومشهد قرية براق ومقام ابراهيم الخليل في قرية نوايل وكلتاهما من عمل حلب .

وبقرية روحين من جبل سمعان مشهد فيه ثلاثة قبور الاوسط منها قبر قس بن
ساعة الايادي والقبران الاخران قبر سمعان وشمعون من الحوار بين وقيل كانا من
المتوحدين الرهبان . وبجبل برصايا من عمل اعزاز قبر برصيصا اي مقصورة العابد .
وبقرس قبر اوريا وبمنج مشهد خالد بن سنان العبسي صاحب الاخدود وبجبل يزاعا
من غربي الباب مشهد بطل على الباب . وبجبل الطور المجاور لقنسرين مقام يقال
انه مقام النبي وبدير سمعان من عمل المعرة قبر عمر بن عبد العزيز ووراءه قبر الشيخ
ابي زكريا يحيى بن منصور . وبجبل على ساحل البحر قبر ابراهيم بن ادم الزاهد .
ومعظم هذه المزارات مازالت معروفة يختلف اليها الناس وقام عليها شبه زوايا او تكايا .
وفي عيه من شوف لبنان مزار الامير عبد الله النبوخي يزوره معظم الطوائف الاسلامية
وعليه مدرسة .

المستشفيات والبيمارستانات

— ٥٦٧ —

مستشفيات دمشق } إقامة دور للبائسين ومآوي للضعفاء واصحاب
العاهات والزمانات من امارات الحضارة ودلائل
ارتقاء الانسان في رقة الشعور والعطف على من خانتهم الطبيعة . روى البلاذري ان
عمر بن الخطاب (رض) مر عند مقدمه الجابية من ارض دمشق بقوم مجذمين من
النصارى فامر ان يعطوا من الصدقات وان يجري عليهم القوت . ووقف عثمان بن
عفان محلة سلوان في ربض القدس على ضعفاء البلد . واول من اتخذ المستشفيات صدر
الاسلام الوليد بن عبد الملك فانه اقام في دمشق على ما يروى مستشفى للمجذومين
بالقرب من الباب الشرقي في محل يسمى الآن بالاعاطلة ، ذلك لان في ماء دمشق على
ما قالوا خاصية دفع مرض الجذاء عن اهلها فلا يصيبهم الا في الندر ، واذا حل الغريب
المصاب به تكسر عنه عادته او يتوقف سيره في جسمه . قال ابن عساكر كان الوليد
عند اهل الشام من افضل خلفائهم كان يعطي اكياس الدراهم لثفرق على الصالحين
وفرض للمجذومين وقال لا تسألوا الناس ، واعطى كل مقعد خادماً وكل اعمى قائداً .
وذكر بعضهم ان الوليد لما ولي اسحق بن قبيصة الخزازي ديوان الزماني بدمشق قال :
لادعن الزماني احب الى اهله من الصحيح وكان يؤتي بالزماني حتى توضع سيفه يده
الصدقة . وفي سنة ١٦٢ أمر المهدي ان يجري على المجذمين واهل السجون في جميع
الآفاق . وبذلك عرفنا ان القوم يخصصون المجذمين باماكن خاصة لئلا تسري العدوى
منهم الى غيرهم . اما المستشفيات فللامراض الاخرى .

ولقد كان بدمشق ثلاثة مستشفيات او بيارستانات — والبيارستان كلمة فارسية مركبة . معناها محل المرضى — الاول (٥٩٥) انشاءه نور الدين محمود بن زنكي كما انشاء غيره في البلاد . وكان بيارستان دمشق اعظمها واكثرها خرجاً ودخلاً . قال صاحب الروضتين بلغني في اصل بنائه نادرة وهي ان نور الدين رحمه الله وقع في أسر بعض اكابر ملوك الافرنج فقطع على نفسه في فدائه مالا عظيماً فتساور نور الدين امراءه فكل اشار بعدم اطلاقه لما كان فيه من الضرر على المسلمين ، ومال نور الدين الى الفدى بعد ما استخار الله تعالى فاطلقه ليلاً ، فلما بلغ الفرنجي مأمنه مات وبلغ نور الدين موت الفرنجي فبنى بذلك المال هذا البيارستان ومنع المال الامراء لأنه لم يكن عن ارادتهم . تولى بناءه كمال الدين الشهرزوري وكان الحاكم المتحكم في الدولة النورية بدمشق وهو الذي تولى بناء اسوارها ومن دار العدل لتنفيذ احكامه بمحضرة السلطان فلا يبقى عليه منجز وملجز .

وذكر ابن جبير انه كان في القرن السادس بدمشق مارستانان قديم وحديث والحديث احفلها واكبرهما وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر ديناراً وله قومة بايديهم الازمة المحتوية على اسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون اليها في الادوية والاغذية وغير ذلك والاطباء يسكرون اليه في كل يوم وينفقون المرضى ويأمرون باعداد ما يصلحهم من الادوية والاغذية حسبما يليق بكل انسان منهم والمارستان الآخر على هذا الرسم لكن الاحتمال في الجدد اكثر . واغلب الظن ان البيارستان الكبير هو السوري والآخر غيره^(١) (٥٩٦) كان في باب البريد وخدم في هذا رشيد الدين ابن علي بن خليفة وعز الدين السويدي .

(١) قال الظاهري وفي دمشق بيارستان لم ير مثله في الدنيا قط . وانفقت نكتة احببت ذكرها وهي اني دخلت دمشق في سنة احدى وثلاثين وثمانمائة وكانت يصحبني شخص عجبي من اهل الفضل والدوق واللطافة وكان قاصد الحج في تلك السنة وألف مناسك الحج على اربعة مذاهب فلما دخل البيارستان المذكور ونظر ما فيه من المأكول والتمتع واللطائف التي لا تحصر قصد اختبار حال البيارستان المذكور فنضاعف

اما المستشفى الثالث (٥٩٧) فهو المستشفى القيمري في صالحة دمشق بجوار جامع محيي الدين ابن عربي نسبة لمنشئه سيف الدين ابي الحسن القيمري احد الامراء والابطال المذكورين المتوفى سنة ٦٥٣ لم يبق منه اليوم سوى بعض جدرانه واصبح باقيه حديقة ومسكناً وواجهة الباب من اجل هندسة عربية في القرون الوسطى تريد ان تنقضى . وقد رَمَّ هذا المستشفى على عهد العثمانيين حسن باشا المعروف بشور يزي حسن ونظر الى اوقافه واقام شعائره كما فعل في البيمارستان النوري .

وقرأت في كتاب الجوامع والمدارس صورة وقف البيمارستان القيمري فاذا فيه : هذا وقف ابي الحسن بن ابي الفوارس القيمري على بيمارستانه في الصالحة على معالجة المرضى والمعاجين والاشربة واجرة الطبيب بصرف الى الطبيب في كل شهر لواحد سبعون درهما ونصف غرارة من قمح والادنى ستون درهما ونصف غرارة قمح وللمشارف في كل شهر اربعون درهما ونصف غرارة قمح وللشمال في كل شهر خمسة واربعون درهما ونصف غرارة قمح وللحوائج في كل شهر ثلاثة عشر درهما وربع غرارة قمح والى ثلاثة رجال يقوم لكل من الرجال في كل شهر ثلاثة عشر درهما وسدس غرارة قمح ولمن يقوم بمرضات النساء والمجنونات في كل شهر اكل واحدة عشرة دراهم وسدس غرارة قمح والى الشراب وبائمه لعمل الاشربة والمعاجين في كل شهر ستة وعشرون درهما وثلاث غرارة قمح . لامين لمشارفين والمتولين في الوقف الى كل واحد في كل شهر ستون درهما وغرارة قمح وغرارة شعير ولل امام في كل شهر اربعون درهما وثلاث غرارة قمح وللمبار المرتب لعارته في كل شهر ثلاثة عشر درهما وسدس غرارة قمح ويكون ابواباً وللحوائج (?) في كل شهر ثمانية دراهم وسدس غرارة وللناظر العشر عن المغل وربع

واقام به ثلاثة ايام ورئيس الطب يتردد اليه ليختبر ضعفه فلما جس نبضه وعلم حاله وصف له ما يناسبه من الاطعمة الحسنة والدجاج المسمنة والحلواء والاشربة والفواكه المتنوعة ثم بعد ثلاثة ايام كتب له ورقة من معناها ان الضيف لا يقيم فوق ثلاثة ايام . وهذا في غاية الحذاقة والظرافة . وقيل ان البيمارستان المذكور منذ عمر لم تظأ فيه النار اه .

الوقف و يصرف الى رجلين اثنين بخدمة البيارستان عن ثمن قدور ونحاس وفرش ولحف ومخدة وفي كل شهر الى قيمه والمؤذن بالسجد بقرب البيارستان خمسة وعشرون درهماً فان فضل يصرف الى فكك الاسارى من الكفار وبعد ذلك عاد وقفاً على الفقراء . وتاريخ الوقفية سنة ٦٥٢ وتاريخ المسجد سنة ٨٨٠ ثم ذكر القرى والبساتين والخوانث والطواحين التي وقفها على بيارستانه .

وظل المستشفى النوري عامراً الى سنة ١٣١٧ هـ وكان اطباؤه وصيادته لا يقلون عن عشرين رجلاً حتى قامت بلدية دمشق باشاء مستشفى للغرباء (٥٩٨) في الجانب الغربي من تكية السلطان سليمان المطل على المرج الأخضر وجمعت له امانات من الناس باساليب مختلفة وأخذ مبلغ من واردات البلدية وادقاف المستشفى النوري واحتفل في ١٥ ذي القعدة (١٣١٧) بافتتاح المستشفى الجديد وخصصت اوقاف المستشفى النوري ومبلغ خمسمائة ليرة تؤخذ مساهمة من ريع البلدية تصرف على المستشفى الذي سمي بادي بدء بالمستشفى الحميدي نسبة الى السلطان الذي بني في عهده . وهكذا خلف المستشفى الجديد المستشفى النوري . اما بنساية المستشفى النوري فقد جعلت مدرسة اميرية للبنات ولا تزال كذلك وواجهتها لا تزال بحالها وفيها بعض الحجر والتوافذ من البناء القديم ، والغالب ان الايام سطت على بقية البناء فتغيرت معالمه .

وزاد المستشفى الجديد رونقا ورواءاً بمقبرة الصوفية التي ضمت اليه وجعلت حديقة للمستشفى مغروسة باشجار تلطف الهواء وتعدل المناخ . وقد سمي المستشفى على عهد الحكومة العربية بالمستشفى الوطني وأقيمت مدرسة الطب بجانبه والحكومة متكفلة بالاتفاق عليه . وفي دمشق لهذا العهد عدة مستشفيات : الاول (٥٩٩) « المستشفى العسكري » وفيه مستشفى ضباط جيش الاحتلال وأجناده وهو من بناء ابراهيم باشا المصري في القرن الماضي .

و (٦٠٠) « المستشفى الاسكتلندي » وفي ١١ ذي القعدة ١٣١٥ (٢٤ أيار ١٨٩٩) احتفلت جمعية اسكتلندا الانكليزية بافتتاح المستشفى الذي أسسته في ارض الزينية على طريق بغداد وهو على غاية من حسن الهندسة وجمال الحديقة وسعتها . و (٦٠١) « المستشفى العازري » وبنه اخوية العازرين الافرنسية قبالة

- المستشفى الاسكتلندي وهو حسن البناء والنظام ايضاً .
 و(٦٠٢) « مستشفى الراهبات العازريات وهو قديم قرب مدرسة العازرية .
 والخامس « المستشفى الوطني » او مستشفى مدرسة الطب وقد مر ذكره .
 والسادس (٦٠٣) « المستشفى الطلياني » .
 والسابع (٦٠٤) « مستشفى المجاذيب » المسمى بمسشفى ابن سينا وينشأ له مكان
 في قصر دومة شمالي دمشق .

* * *

مستشفيات حلب } (٦٠٥) « بيمارستان بني الدقاق » كان يعرف بهذا
 الاسم ثم دخل في دار سودون الدوادار غربي المدرسة
 الخلاوية لا اثر له اليوم .

(٦٠٦) « بيمارستان بني الدقاق » على باب الجامع الكبير كانت له بوابة عظيمة
 ينسب لابن خرخان ، لما تعطل كان يجلس فيه الكحالون فعرف بدار الكحالة . بقي
 منه ثلاثة مخادع صغيرة يسكنها بعض الفقراء .

(٦٠٧) « بيمارستان نور الدين » هو في الزقاق المعروف الآن بزقاق البهرية
 من محلة الجلوم الكبرى ، مكتوب على بابه انه امر بممله محمود بن زنكي بتولي ابن
 ابي الصعاليك . و يظهر انه حصل فيه اصلاحات كثيرة فانه كان فيه قاعة للنساء
 مكتوب عليها انها عمرت في دولة صلاح الدين يوسف سنة ٦٥٥ ومكتوب على ابوابه
 انه عمر ايام الاشرف شعبان المتوفى سنة ٧٧٩ وعلى الشباك الذي على بابه انه أحدث
 سنة ٨٤٠ وكانت قاعة المسلمين سمارة فسقفها القاضي شهاب الدين بن الزهدي .
 اما الآن فقد صارت حجراه تلالاً ولم يبق الا بضع منها يسكنها بعض الفقراء . وقد
 جاء في بعض التواريخ ان هذا البيمارستان كان في الاصل من وضع ابن بطالان
 الطبيب البغدادي المتوفى سنة ٤٥٨ ثم جددته نور الدين ووقف عليه اوقافاً كثيرة
 وهو في أصح بقعة هوا . حدثني الثقة انه اطلع على مكان وقف احد المستشفيات في
 حلب قال جاء فيه ان كل مجنون يخص بمخدمين يخدمانه فينزعان عنه ثيابه كل صباح
 ويحميانه بالماء البارد ثم يلبسانه ثياباً نظيفة ويحملانه على اداء الصلاة ويسميانه قراءة

القرآن بقرآه قاري، حسن الصوت تم بفصحانه في الهواء الطلق ويسمع في الآخر
الاصوات الجميلة والنغمات الموسيقية الطيبة .

(٦٠٨) « بیمارستان ارغون الکاملي » هو في محلة اسمها الآت باب المنسرين
أنشأه أرغون الصغير الکاملي نائب حلب سنة سبعمائة وخمس وخمسين ، وهو ابن طيجو
تبناء الملك الصالح اسماعيل ، باسر من الملك الصالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ،
رتب كل ما يحتاج اليه من رزق وآلات وادوية وخدام ، وقد كان بيتا لامير قبل
ذلك ، شرط واقفه ان التولية لكافل حلب فكان في كفالة تغري برمش على أم
الوجوه ، فيه حجر وأروقة ومحابس للمجانين مظلة وجميع ذلك ليس من فن الطب
وحفظ الصحة في شيء مع انه يروى انه كانت توضع فيه الرياحين ويؤتى بالآلات
الطرب والمغنين لتكون هذه المشاهد والانغام من تمام العماية بالمداداة ، ثم في اواخر
عهد الاتراك نقل من كان فيه من المجانين وكانوا نحو العشرين الى مستشفى الغرباء
وأصبح هو مأوى لبعض الفقراء . وفي مدخله أفاريز ونقوش من أجمل ما نقش
النقاشون تزيينه فجعله بهجة للناظرين .

(٦٠٩) « مستشفى الرضائية » أنشأه ابراهيم باتا المصري وهو مخصص لمرضى

المسكر .

(٦١٠) « المستشفى الوطني » بدي به سنة ثلاثمائة والاف وبعد بلوغه نحو المصف

ترك ثم أكل بعد نحو عشر سنين وجعل للمرضى الغرباء والفقراء .

(٦١١) « المستشفى الزهري » أنشأته ادارة الصحة الامراض الزهرية بعد

تأليف الحكومة العربية .

المستشفى النوري هو المستشفى الوحيد في حماة ساه

بقية المستشفيات

نور الدين محمود وكانت التولية عليه سنة الف للشيخ

صفا العلواني . كان مجموع نفقته كل يوم ثمانية وثمانين عثمانيا (العثماني او السلطاني نحو

سبعة قروش) وهو الآن شبيه بالمندرس يستعمله بعضهم للسكنى . دامت ١٠٠

الاقليلا . وقد وجد على حجر في المارستان بالجانب الغربي من اعلى السبيل كتابتان

الادلى سنة خمس وسبعائة وهي رسم الملك لامر بمقتشاي الكافلي بحجة بابطال ما كان يؤخذ من البيمارستان بغير طريقه وار وقفه بصرف على ما وقفه الواقف على السكر والأشربة وذلك بامر السبئي . والثاني : لما كانت بتاريخ الشهر المحرم سنة ثلاث وثلاثمائة حضر الجباب العالي السبئي المارستان النوري بحجة المحروسة داودين المقر السبئي ورداس الخاصكي ككافل المملوكة الحموية أعز الله أنصاره وتبرع بمعلومه على الضعفاء المقيمين به وهو في كل شهر مائة درهم لا غنتام الاجر والدعاء .

وفي حماة اليوم مستشفى واحد ومثله في حمص وآخر في درعا ورابع في القنيطرة وخامس في بئرود وسادس في دير الزور وفي اسكندرونة مستشفى وذلك ماعدا المستوصفات في كثير من الاقاليم وكل هذه المستشفيات والمستوصفات بإدارة الصحة والاسعاف العام ويقوم بإدارتها وتمريض مرضاها اطباء وطنيون .

وكان في طرابلس « مارستان » مهم أنشأه الامير بدر الدين محمد بن الحاج ابي بكر احد الامراء بحلب المتوفي سنة ٧٤٢ وكان من رجال الدنيا . وفي طرابلس اليوم مستشفى كان سمي مستشفى عزمي بك احد عمالها الذي قام بتنشيطه .

وقبل ٣٥ سنة جاء نابلس بمبشر انكليزي واسس فيها مستشفى واخذ يعالج المرضى باجور طفيفة ويكرمهم على استماع وعظه فتحس المسلمون وامسوا سنة ١٣٢٦ شرقية المستشفى لوطي وهو الى اليوم سائر سيرا حسناً يقوم باموالهم وريع البلدية .

وهكذا اسس البره ثمانت عدة مستشفيات ومستوصفات في بر الشام منها في طرية والناصره وصفد والصلت وصيدا والقدس ويافا وحيما وبيروت ودمشق وغيرها من البلدات ولا تكاد تخلو المدن المهمة من مستشفى او شبه مستشفى مثل اللاذقية وطرطوس : منها مستشفى خاص بمرض السل ومستشفى العصفورية للجاذيب في لبنان وكان في الخليل مستشفى جميل اسمه المصوري وقفه الملك المنصور قلاوون ومستشفيات الصهبونين في القدس وحيفا ويافا وغيرها مهمة في بابها .

وقد اقام الصليبيون في المدن التي احتلوها بعض مستشفيات منها واحدة في صور وكان لهم في القدس مارستان وهو من الاماكن التاريخية كان عبارة عن ١٥٥ متراً طولاً و ١٣٧ متراً عرضاً وعليه قامت في القرنين الوسطى والملاحي والمستشفيات الخاصة بزمارة

القرب ولا سيما مقر رهبنة فرسان القديس يوحنا ومستشفياته . وحول ابن اخت صلاح الدين كنيسة الملجأ الى مستشفى وبقي اسمه العربي الفارسي اي المارستان يطلق منذ ذلك العهد على مجموع تلك الاماكن وفي سنة ١٨٦٩ م اعطى سلطان العثمانيين النصف الشرقي من المارستان الى تاج يروسيا بمناسبة زيارة ولي عهد يروسيا للقدس . وقد كان صلاح الدين جعل دار الاسقف في القدس لما فتحها ببارستان ارضي .

ومستشفيات القدس اليوم كمستشفيات بيروت مهمة لكثرتها ووفرة ريعها وثناؤنا للمبشرين سيفي تجو يدها وتخبرهم لها احذق الاطباء .

لغة على المدارس } رأيت ايها الناظر في هذا الكتاب ، كيف كان عمل
وغيرها } الأجداد في إنشاء المدارس والربط والخوانق
والمستشفيات ، وكيف تساوى في تأييدها والوفف عليها الملوك والعظماء وجمهور الناس
من الرجال والنساء . وكيف جودوا ببناءها وأحكموا وقوفها الدارة ، ومع هذا لم تقو
على مقاومة المخربين والغاصبين فعاد اكثرها دوراً وحوانيت . أزهرت في اربعة
فرون واستصفت في اربعة ، استصفاها من ارتكبوا العار في الاستيلاء عليها من دون
خرج ، عملوا هذا وهم منتمسون بالدين يصلون ويصومون ، ويقال عنهم انهم المسلمون ،
وربما كان على أبدان بعضهم شعار العلماء وما هم في الواقع الا من اهل الرمم لا من
اهل العلم ، وقد يكون أقرب الناس الى مخالفة الشرع القائمون عليه .

تري هل تلام الحكومات على هذا العبث بالمدارس وانتهاك حرمتها اهل تلام الامة ؟
لا شك ان الحكومات بناها قسط كبير من الملامة لانها هيأت سبل السرقات ،
وربما كانت مشتركة بالسرقة أحياناً ، ولكن اللوم كل اللوم على الجماعة . فالبلاد
بلادهم والمدارس مدارسهم والدين دينهم . ومنذ عبث العابثون بالمدارس ، ومزق
السارقون عينها ومغلها ، تراجعت دروس الدين وتراجعت معها دروس العلوم الاخرى
ففسا الجبل المطبق في الامة ، وكادت تعود سيرتها الاولى من الجاهلية .

وأصبح من وسموا بالعلم اذا سئلوا أفقوا بغير علم ، وجوزوا ما حرمة التسرع وحرموا

ما جوزه ، ومن جملة شعائهم اكل اموال الاوقاف واستصفاء أعيانها ، ومهدم تهمهم خصوصاً المساجد والمدارس .

أضاع الخلف ما أبقاه السلف معموراً زاهراً من المدارس التي كانت في العصور الغابرة غاية ما وصل اليه العقل البشري ظرفاً ومظرفاً ، وبها أثبت أجدادنا قبل القرون الوسطى انهم كانوا شيئاً مذكوراً في اثنان الهندسة والبناء ، وانهم على جانب من سلامة الذوق وانهم حراس على مجدأمتهم وان الاعمال العظيمة لم تقم بنفسها ولم يفكر فيها عقول كبيرة ، وما كانت تلك المدارس تعمر لو لم يدرس فيها نواغ من رجال العلم والآداب ولو لم تكن ذات قانون معقول . نعم لم نعرف سر هذه الصناعة التي شلتها لنا هذه المدارس ، ولعله يقوم في الجيل المقبل من اينائنا علماء بالآثار والبحث يكشفون سر أعمال الأجداد كما توفر علماء الآثار في اوربا مائة سنة حتى كشفوا لامهم أسرار البيع العظمى التي قامت في قارتهم خلال القرون الوسطى ، وعسى ان يبرهن الباحثون منا انه لم يتم في الارض شيء من العظمة الا كان الى جانبه عطاء بتعهدونه ويغذونه بمادة عقولهم ، و يفيضون عليه من معين قرائهم .

قلت مرة من محاضرة ألقيتها في الشهباء في ربيع سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) وقابلت فيها بين مدارس حلب ودمشق : من تأمل مدارس ارباب الخير من المسلمين في الشهباء والفيحاء وقرأ ما كتب عليها بتأمل وزارها المرة بعد المرة على تغير معالمها ، وتشويه طراً على محاسنها ، وفساد عمراً أذواق الابناء والاحناد ، اذا قيس الى سلامة ذوق الأجداد ، وجعل نسبة بين عدد ما عمر منها وما بقي في الدلتين الشقيقتين يؤكد معنا ان الفساد استحوذ عليها في دمشق اكثر من حلب ، وان من تجردوا من الوجدان فاستحلوا استصفاء تلك المدارس كانوا في الفيحاء اكثر من أمثالهم في الشهباء ، لذلك كان عدد الباقي في حلب اكثر واجود من حيث الكمية والكيفية من المدارس في دمشق .

ولا ينكر ان مادة البناء قد تختلف في بلد عن آخر . وقد كان الاعتماد في تلك القرون على الحجر الصلد ، وفي دمشق عدة مقالع جميلة متنوعة منه كما في حلب ، ولم يكثر الآجر والطوب والخشب الا في القرون الحديثة ، ولذلك لم تخرب المدارس

الدمشقية لعدد متانة في بنائها ، فان الأمانة الظاهرة منها الى اليوم لا تجلبها تختلف في شيء عن مدارس حلب . ولكن القائمين على هذه المدارس في هذه المدينة كانوا يمتدلون في العبث بها ، ومتانة الأخلاق من جملة ما امتاز به الحلبيون ، يضاف اليها حب الاحتفاظ بتراث الاجداد على صورة كانت ظاهرة في قرون الارثقاء ، كامنة في عصور الشقاء والرجوع الى الوراء .

والناظر الى مدارس دمشق وحلب وهي لا تقل عن ثلاثمائة مدرسة ، منها زهاء مائتين في دمشق يدرك انها من عمل السلاطين والعمال وقليل من التجار واهل الخير . وكان منهم من يتوخى منها ان تكون توليتها ابيه من بعده ليعيشوا منها اذا صودرت املاكهم . بنى قليل من التجار المدارس لان الشعب كانت بغنى في أغلب العصور في كهوائه ، فلم يكن شأن في مظاهر النعمة والغبطة مدة قرون اغير أرباب الدولة او من كان يعد في جماعتهم ، وكان الناس يحاذرون ان تنشأ لهم شهرة في الثروة ، الثروة لتجلى في الدار والمرش . المداية . اللباس ، وفي بذل المال لإقامة دور العلم وإيواء اليتامى والمحتاج ، فكانوا يتظاهرون بالعقر لينجوا من مغالب العمال . وقل ان رأينا جماعة انفقوا على اقامة عمل من هذا القبيل يفتخر به اللهم الا قليلاً من المساجد ، ولو فعلوا لامت اعمال الجماعات من اعتداء المعتدين اكثر من عمل الافراد ، لما استصفت واستحل هدمها ، ولا غير خططها ومعالمها من لا يحافون الله ولا عباده ، ولجاءت بمثابة للعظمة الحقيقية في الامة ، على نحو ما قامت البيع والاديار والمدارس في القرون الوسطى بالغرب ، بارشاد رجال الدين من كرادلة واساقفة وقساوسة ، فكانوا يجمعون قليلاً من صدقات الملوك والاغنياء والعلماء والشعب ، فيجيء مجموعها عظيماً يدار بإيدي هيئة منظمه على كل حال ، ويخططون خطة لا يخرج عنها الخلف الا قليلاً ، . . . للآثر القديم من الموقع في النفس ما ليس للآثر الحديث ، فان الاول يذكر بامور كثيرة ، يذكر بمجد الساف واياديهم البيضاء وارادتهم الصحيحة ، يذكرنا بان فلاناً الذي تحترمه الامة بنى ذاك المصنع وتلك الدار ، وان فلاناً العالم درّس هناك . كان يألف المكان الفلاني ، وكم من اثر تاريخي او مصنع من مصانعنا نمر به دون ان نحفل بما فيه من عبر ، ولو كنا على شيء من مدنية اجدادنا ما زهدنا هذا الزهد

البشع في تراثهم ، ولو اقتبسنا المدنية الحديثة بمحاسنها ومساوئها لرأينا اسرع الى النقطة آثار الجدود والاحتفاظ بها من الماء الى الحدور .

لاستطيع امة ان تقطع الصلة بينها وبين ماضيها ، خصوصاً اذا كانت ذات غابر عظيم كغابر الامة العربية ، قام على اساس متين ، ولقالب جميلة ، ومقدسات متسلسلة ، اما ونحن لانرقى بدون القديم والاخذ من نافع الحديث ، فواجب العقلاء ان يفكروا في اقرب الطرق الى هذه الغاية ، وهذا لا يتم بغير احياء دور العلم ومعاهد الفضل ، واحياؤها موقوف على قليل من العناية .

ليس للمدرسة الحديثة التي ننشئها اليوم تلك النضارة ، ولا تتجلى فيها معاني الحسن والاحسان التي نشعر بها ونكاد نلحسها في المعاهد القديمة مثل مدرسة ضيفة خاتون رحمها الله فانك اذا رايتها تمثلت امامك صفحة من تاريخ هذه الامة المجيد ، تمثلت بيت نبي ايوب وافضلهم على ربوع الشام ، وكفى بهم به صلاح الدين حسنة عقم الدهر ان يلد مثلها . كثير من المصانع بناها الملوك بالسخره وارهاق الرعية ، واعانت الاسرى والمعقلين ، ولم نقرأ في التاريخ ان احداً من آل البيت الصلاحي عمر مدرسة او جامعاً او مستشفى او رباطاً من مال مشبوه ، او سخره محقونة ، فأكرم وانهم بكل فرد اصيلاً كان في هذا البيت الشريف او دخيلاً عليه

عمر اهل الخيرات من سلف هذه الامة هذا القدر العظيم الذي نتعجب به من معاهد التعليم الديني دع المساجد والجامع ، ولو كتب البقاء لبعضها لاغت القوم بعض الشيء بمعارفها ونشرت النور بينهم . وكانت المدارس والجامع في تلك القرون المظلمة في الغرب المستنيرة في هذا الشرق هي المتكفلة بتعليم الناس واخراجهم من الامية ، وكان لمعظم المدارس والجامع كتابت مرتبطة بها وخارجة عنهم . التعليم الاطفال تؤهلهم للثقي دروس المدارس والجامع ، لا غالي اذا قلنا ان عدد الامهين كان في تلك العصور اقل مما هو الآن في هذه الديار . ولو اطرد العمل اطراده في مدارس المغرب مثلاً لا صبحنا في هذا القرن والاميون اقل مما هم في بلاد المدنية الحديثة .

ولكن الجهل قضى على تلك المدارس واكل المتولون اوقافها فخربت وتغيرت معالمها . وكم من وقف يستمتع به النظار عليه بصرفون موقوف على الخير في سبيل

شهواتهم بدون محاسب من ذمهم ولا رقيب من اصحاب السلطان . ولو كتب لهم ان
 يأكلوا منها بالمعروف ويصرفوا حقوق تلك المعاهد او بعض مغلها على رعايا واجراء
 الرزق على ساكنيها والدارسين فيها لانت بثمرات جنية ، ولما اكلوا في بطونهم الدار ،
 ركوا . بن الدار والشار ، وكم من بيت كان موسوماً في القديم بالعالم ، انتهى تخلف
 من بعد السلف حلف عنتوا بالحرمات فاستحلوا اموال المدارس والمعابد فدثر البيت
 وانقضت الأسرة وذهبوا وما يملكون جملة لم يُرحموا لانهم لم يرحموا .
 ضببطت الحكومة السابقة اكثر اوقاف الملوك والسلاطين وكان ريعها كثيراً جداً
 في هذه البلاد فلم تصرفها فيما خصصت له ولم تُنجز في الغاية التي توجتها منها ، واستقل
 بعض ارباب القوذ بالاوقاف التي اؤتمروا عليها او انتهت اليهم بحكم الوراثة فاساءوا
 الاستعمال الا من عصم الله . فالسبب اذاً في خراب مدارسنا الجميلة سوء ادارة
 الحكومات السالفة وعت المتولين عليها ، اخراجها عما وضعت له من عمل الخير بصنع
 اولئك الذين يعدون انفسهم في حملة . امة هذا المجتمع وهم اعدى عداته اه .

دور الآثار



المتاحف والعرب } المتاحف العامة على الصورة التي نراها في بلاد العرب اليوم ليست مما يعهد في بلاد هذا الشرق . فأتت آتينة منذ الزمن الأطول كان لها متحف دعت رواق الصور . وعرضت رومية أجمل ما اخذته من الصور من آتينة . ولم يكن حتى في القرون الوسطى في اوربا متاحف . وكانت بدائم الصنائع البشرية تحفظ في دور الملوك وفي قاعات البيع والاديار . حتى اذا كانت القرون الحديثة ونشأ كبار المصورين في ايطاليا وغيرها كثرت المتاحف التي تعرض فيها التصاوير العجيبة ومبدعات العقول والانامل بحيث كاد ان يكون لكل مدينة معرض منها . واخذت تغص بما يهديها إياه الكبراء والملوك ، ولما كثرت الاختصاص عم المتاحف ايضاً . فصار للام العظمى متحف لغرائب الصناعة في القماش ، وآخر في الرسم ، وغيرها في أدوات الحرب ، وآخر في أدوات الزينة وغيره ، في أدوات الموسيقى الى غير ذلك .

ولا نعلم انه كانت تعهد للعرب متاحف ايام مدينتهم على الصورة التي هي اليوم في كل بلد تذوق الحضارة بل كانت متاحفهم في جوامعهم وقصورهم التي اختاروا لقشها وتزودها بمهر صناع ايامهم على نحو ما كانت في جامع بني أمية في دمشق والاقصى في القدس وبعض جوامع بغداد والقاهرة وفي الحمراء والزهراء في الاندلس وفي قصور الخلفاء ببغداد وقصورهم في الاندلس وقصور الفاطميين في القاهرة . وكانت دور العظماء في الشرق كما كانت في الغرب تتنافس في بدائع الصناعة وتجعلها بحيث

يراهنا من يختلفون الى قصورهم ، ولا تزال البيوت القديمة الى اليوم في الشام . تفاخر بها عندها من مجموعات الصيني والفاشاني والسلاح القديم والحلي والاواني الفضية والذهبية القديمة على كثرة ما طرأ على البلاد من الحوادث التي عزت فيها الحاجيات دمع الرغبة في الكماليات . وكان افشاء هذه البدائع في هذه الديار من دلائل الظرف وآيات التعيين والرياسة كما كان افشاء الكتب في قرطبة بل في حلب ودمشق الى عهد قريب .

وكان الفاتحون بأخذهم في القرون الوسطى في جملة ما يغنون الطرائف البديعة وأدوات الزينة والابداع . هكذا فعل تيمورلنك في القرون الوسطى ؛ فحمل معه من دمشق صناع هذه البدائع وما أبدعوه ، وهكذا فعل السلطان سليم العثماني فاتح مصر فنهب منها أجمل آثارها التي استطاع حملها وزين بها قصره وقصور جماعته في القسطنطينية . وذكر المؤرخون ان بعض ملوك الاندلس من العرب كانوا يعرضون في قصورهم التماثيل الجميلة من غير نكير ، وفيها صور الآدميين وغيرهم .

وكان اهل القرون الوسطى في اوربا زمن الحرب الصليبية وبعدها يتنافسون فيما يجلبونه من الاقمشة والبسط وأدوات الزينة من الشام ، ولما جاء القرن الاخير أخذوا ينقلون الى متاحفهم ما أبقت صنعة الابدعي من اهل المدينت القديمة من تماثيل ونصب وأحجار زُبر عليها كتابة ، وفي بعض متاحف اوربا ولا سيما في متحف اللوفر في باريس والمتحف البر بطاني في لندرا ومتحف بولن ومتحف ايطاليا وغيرها كثير مما عثر عليه الباحثون من العاديات الحجرية في اليمن والشام ومصر ولا سيما من البلاد الشامية . وقد اخذت عادياننا تسافر من بلادنا منذ اخذ علماء الآثار يبحثون في ارضنا سهولها وجبالها وما كتبه كثير من علماء المشرقيات والعاديات في القرن التاسع عشر دليل عظيم على ذلك ، وقد نشرها أبحاثهم في كتب خاصة ومقالات لهم في المجلات الاثرية والعادية والعلمية ومجلات الجامعات العلمية .

اما نحن سكان هذه الديار فلم تكن لنا عناية بهذا الشأن بل قل جداً من اهتدى الى الاحتفاظ بما خأته الايام في بطون هذا الصقع وكنا أزهد الناس فيها حتى نقلت آثارنا ونفائسنا أمام أعيننا كما نقلت كتبنا ونحن ضاحكون مستبشرون ، وانفنع

بها القوم هناك واكملوا بها تاريخ المدينة ، ولما وقع الانتباء في الحكومة العثمانية اخذت تمنع بعض الشيء في نقل هذه المتحف والطرف ، ونقلت بعض ما عثر عليه من المصانع في خرائب صيدا وتدمر وغيرها فزينت بها متحف الاستانة . وقد ندب بعض علماء الآثار من الانكليز وحفروا بطرق عجيبة مغارة الصخرة في المسجد الاقصى فذهب ما فيها ولم يعلم عنه شيء .

وكم من بعثة أثرية قامت بحفريات في بلادنا واخذت ما عثرت عليه ولم تأخذ الدولة العثمانية حقها منه ولسان حال الباباين ماورد في الأمثال العربية « لا يحزنك دم ضيعه اهلكه » . وقد طلب منها في مؤتمر الصلح بباريز إعادة ما اخذته هي والمانيا خلال الحرب العامة من هذه الديار من الآثار والعاديات .

ولقد كنا نزين للحكومة التركية منذ ست وعشرين سنة ان ننشيء لدمشق متحفاً صغيراً تجمل فيه العاديات وندائع الصنائع فكان عمالها يتشاغلون عن ذلك لانهم يحبون ان يكون كل فضل في الاستانة وان تكون سائر الولايات قري ومزارع للاستعمار على طريقتهن حتى اذا نادت سورية بالحكومة العربية صحت عزيمة هذه على إنشاء متحف فالتحذت له سنة ١٣٣٧-١٩١٩ دارالمدرسة العلية من أجل قصور النجباء ومصانع العرب الباقية من القرون الوسطى ، واخذت تجمع بهمة الجمع العلمي ما بقي من الآثار النفيسة . فهو اهل متحف عربي في هذه الديار ، سار القائمون به على قدم الغربيين في نظامه . وعسى ان لا يمضي بضع سنين أخرى حتى يكون غنياً بكل أنواع الابداع الذي تم في هذا القطر منذ اربعين قرناً الى اليوم .

حياة المتحف العربي بمعاخدة الامة له . ولم يقصر بعض من لديهم مثل هذه المتحف والطرف في اهدائها لتجعل في دار آثار الامة عنوان اولفائها ونموذجاً على معرفتها بتاريخها . لا جرم ان هذا المتحف هو البذرة الاولى التي أقيمت في هذه التربة المخصبة المهيأة لأنواع النماء والاثراء يستفيد منه اهل الاجيال الخالفة ما بغني غناه في تربية عقولهم وعيونهم وأناملهم و يمتدرون بماضي الصناعة عند الاقدمين ، وما كان لاجدادنا من الايادي البيضاء في الفنون الجميلة بين المحدثين .

شأه علم الآثار^(١) عنت الام منذ القديم بالفنون الجميلة . وكان حظ كل أمة من هذا الشأن بحسب رقيها وحضارتها . وكان الأفراد يجمعون الآثار و يتنافسون باقتنائها لا لغاية علمية بل للزينة والفخار . ودام هذا حالم حتى سنة ١٧٦٤ م لما ظهر كتاب تاريخ الفن عند الأقدمين لمؤلفه وانكان الالماني ، وهو اول من وضع أسس هذا العلم الحديث .

ان علم الآثار القديمة فرع من فروع التاريخ ، ومن أصعبها مراساً ، اذ يحتاج صاحبه الى قوة انتباه وذوق سليم . فان هذا العلم لا يقتصر فيه فقط على جمع الآثار القديمة في المتاحف ووصفها ، بل ان الصعوبة كل الصعوبة في حل رموزها وفهم كنهها ، واستجواب تلك الشهود الصامتة ، واستنتاج الحقائق منها .

ولقد أصبح النظر اليوم في أبحاث علماء الآثار وتحقيقاتهم من الواجب على كل مؤرخ ومحقق . كما يستدير بها كل لغوي ومفسر . فكم مضلة تاريخية ولغوية حسمت بفضل هذا العلم . وما هي كلمة فرعون التي لا يجمل اليوم الأحداث معناها ، ذهب المتقدمون من علماء اللغة في تفسيرها مذاهب حتى قُيِّض لنها علماء الآثار فأظهروا وثائق تثبت انها لقب كل من ملك مصر . وكم من حوادث جاءت في كتب السلف بل وفي الكتب المنزلة فذهب الناس في تأويلها ، وشك بعضهم في صحتها ، ولولا علم الآثار الذي أباط عنها اللثام ، وأظهرها للعيان ، مملوسة محسوسة ، لقالوا انها أساطير الاولين . أليست جهود الفين اكتشفوا آثار بلاد آشور والكلدان ومصر وفارس و يوتان وبعثوا ذكر تلك الام بعد ان كانت نسياً منسياً الوفاً من السنين ، شاهداً عدلاً على أخبار تلك البلاد .

لم يدون الاقدمون غير النزر اليسير الذي وصلهم من اخبار الشعوب القديمة ، واغفلوا ذكر اكثر الام البائدة التي ذهبت اخبارها بزوال اصحابها ، ولوا كتفينا بهذه النصوص المشوهة لما كنا اوفر حظاً ممن تقدمنا بمعرفة أخبار السلف ، وبفضل هذا العلم نعرف اليوم اخبار اكثر هذه الام ، كما نعرف حوادث الام في القرون الوسطى ،

(١) وضع هذا الفصل الاثري الباحث الامير جعفر الحسيني .

وقد توصلوا لمعرفة ما كان عليه الانسان قبل عشرات الالوف من السنين ، يوم كان بأوي الى الكهوف ، ويقنات بالنبات ، ويفترس الوحوش ، مع اننا نجهل اليوم ، ونحن في القرن العشرين ، كثيراً من عقائد بعض الشعوب المعاصرة وعاداتها ممن نطقن بجاهل افريقية وصراها من القارات الخمس .

ومن الانصاف ان لا ننكر فضل من نقلوا الينا اخبار السلف لأن هذا الشيء اليسير هو الذي اثار في فئة من الناس حب الاستطلاع فدفعهم في هذه السبيل . وكانت هذه النصوص على علاقتها نوراً يستضاء به ، ومرجعاً يستأنس به . وعلماء الآثار اصدق الناس في هذه الروايات وهم وان لم ينكروا وقوعها فلا يجزمون بصحتها الا متى عثروا على دليل من ذلك المعصوميدي . ولا يبحاث علماء الآثار ميزة جديدة بالاعتبار فهي في اكثر الاحايين تكون منزهة عن الاغراض والغايات النفسانية . وقد يخطئ الاثري في استنتاجه ، ولكنه لا يعتمد تشويه الحقائق ، لأن همه الوحيد ان يجي هذا الماضي البعيد ، ويصبح معاصروه كأنهم يعيشون في ذاك العصر وذاك المحيط . ومن منا لا يشعر بمثل هذا الشعور عندما يزور متحفاً او معبداً او اطلالاً قديمة . وكيف يمكنه ان ينكر الحقيقة ولسان حال هاته الامم البائدة يقول :

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

اتى هذا العلم الحديث اقبالا عظيماً في بلاد الغرب فعزيت حكوماتها به ، وارصدت للمستغلين به اموالاً طائلة ، وانشأت له المدارس والجامع العلمية أسوة ببقية العلوم . وقد ابدت هذه الفئة فئة الاثريين ، على قلة عددها ، نشاطاً عظيماً ، ووضعت في برهة قصيرة كثير من المؤلفات القيمة المفيدة . وقد نال الشام قسط وافر من هذه الابحاث ، فهي اول بقعة اتجهت نحوها الانظار وخصوصاً فلسطين ، لمكانة الشعوب التي استوطنتها منذ الزمن الاطول ، واهمهم الشعب الاسرائيلي ، ولعلاقة الامم الغربية بكتابهم المقدس .

* * *

البعثات الأثرية } اوفدت اكثر حكومات الغرب بعثات علمية للتحقيق
الغربية } عن آثار الشام بخص منها بالذكر البعثة الافرنسية
التي رافقت حملتها في سنة ١٨٦٠ م والجمعية الانكليزية للبحث عن آثار فلسطين .

ثم تضاعفت الهم لجاء من الافرنسيين رنان والدوق دولوين ودوسلسي ودوفوكوين وكلمون غانو ودوسو وفانزان وغيران ، ومن الانكليزيروبنسون ومادن وساييس وويلسون وفارين ، ومن الالمان اوتونينيوس ، ومن السويسريين ماكس فان برشم .
وام الامكنة التي نقبوا فيها هي تل الحسى وتل زكريا وتل الصافي وتل الجديدة وتل الجزر وتل تماك وتل المتسلم وعكا ويافا والقدس وصيدا وصور وجبيل وعمرت وجزيرة ارواد وبعبك وفي عدة اصقاع في الشام الشمالية .

وبينا كانت هذه البعثات مجدة في عملها ، كانت الدولة العثمانية في سبات عميق لا يبدى حراكا مكثفية بمراقبة هذه البعثات لاقتسام الغنيمة وايداعها متحف الاستانة الوحيد . ولم تفكر قط بعمل حفريات ، كما انها كانت تمنع بأشياء فروع لمتحفها في الشام او في غيرها من البلاد العثمانية ، وحجتها في ذلك ان آثار البلاد اذا جمعت في مركز واحد ، وضم بعضها الى بعض نتجت من ذلك فوائد علمية وعملية لا ترجى من تعدد دور الآثار ، وذلك اسوة بمتاحف اكثر الامم الغربية ، وعملا يرى اكثر علماء الآثار . ولكنها تجاهلت بانه ما يصلح لبلاد لها وحدة تاريخية لا يعمل به في بلاد ضمت تحت لواها شعوبا مختلفة ومدنيات متباينة كالامبراطورية العثمانية .

ولذلك كانت جل هم الدولة العثمانية انشاء متحف الاستانة فاهملت امر الآثار القديمة في بلادها ، فلم تعهد الى اناس يتعهدونها او يراقبون سيرها ، ولذلك درس كثير من البنائات الاثرية البديعة ، واقبل الاهلون في كل ناحية ينقبون عن الآثار القديمة بغية الاتجار بها ، فأصبحت هذه التجارة ذات شأن في البلاد ، وغصت متاحف اوربا بآثار الشام ، وافتنى غواة العاديات الاجانب كثيرا منها . وبهذه الصورة وبفضل الامتيازات الاجنبية تمكنت الجامعة الاميركية والكلية اليسوعية في بيروت وغيرهما من المعاهد من إنشاء كل منها متحفا خاصا بها ، وجمع الدكتور فورد في صيدا وغيره في حلب من الاجانب مجاميع مهمة من آثار الشام . ولم يعرف من الشاميين من اشتهر بجمع الآثار القديمة بل كانوا لا يعبأون بها ، ولا يقيمون لها وزنا . ومن كان منهم يملك طرفة او اثرا يتنازل عنها مقابل دريهمات معدودة على ايسر صورة ، حتى تجردت اكثر البيوت والأمر من نقائسها .

آثارنا وآثار } ولقد تبين من الحفريات التي أجريت في الشام ومن الآثار
جيراننا } التي اكتشفت فيها أن آثارها تختلف كثيراً عما وجد من
نوعها في البلاد المجاورة لها ، ولا يرجى أن نعثر في هذه البلاد على آثار تثير بحسامتها
إعجاب العامة قبل الخاصة ، كما هو شأن آثار مصر واشور وفارس . والسذاجة في
الصناعات تغلب على الشاميين منذ القديم ، وهذا ناشئ عن طبائعهم ومعتقداتهم .
فالشامي في جميع ادواره التاريخية يميل الى الساذج وهذا يظهر في صناعاته وفلسفته
الدينية ، وتنجلي في هذه البساطة مواهب الشامي الفنية ، فقد جمع بين الساذج والجميل
فأحسن الصنع وابدع . ونقل الآثار المتعولة النفيسة التي اكتشفت في الشام بالنسبة
لما وجد في غيرها من البلدان المجاورة ، وهذا القليل يشهد ببراعة الصانع الشامي وذوقه
السليم ، وهو ذو مكانة بين اقاربه من فنانى بقية الشعوب .

وليس معنى قلة العاديات عدم انتشارها في البلاد بل لأنها لم تصل إلينا لأسباب
وعوامل شتى . أولاً لان تربة الشام رطبة لا تحفظ ما يودع فيها . وثانياً لأن
الشاميين قلما يجعلون في مدافن موتاهم نقائسهم ، كما هو شأن المصريين وغيرهم من الأمم
القديمة . بل يكتفون بالأشياء الساذجة المتنوعة . فإذا أضفنا الى خلو القبور من الاطلاق ،
وما قد كتبه اشمونزار ملك صيدا على تابوته مخاطباً به نابشي القبور ، ناصحاً لم ان لا يهتكوا
حرمة ، مؤكداً ان لا ذهب ولا فضة في قبره — ندرك من هذا كل مرة ندرتها بين
ايدينا . فإذا كان هذا حال ملوكهم فما بالك بالرجعية . وخلو القبور منها هو حجة للشام
لا عليها ، ودليل على سمو عقيدة سكانها ، ونضج فكرتهم منذ القديم ، لأن الشامي
كبقية الشعوب السامية يغلب عليه الاعتقاد بان الجسم مادة تلتشى مع الزمن ليست
جديرة بالاحكام الذي يبالغ به غيرهم من الشعوب . ومع هذا فقد انتشرت في الشام عادة
وضع بعض الاشياء في القبور وذلك بمؤثرات خارجية ، واقتباس عادات الغالب ، لأن
الشام كانت في اكثر ادوار تاريخها خاضعة لسلطان اجني .

الشام معهد ثلاث ديانات يدين بها اليوم معظم البشر . وهذه الديانات لم تكن
ابنة ساعتها بل هنالك عوامل مهدت لها السبيل مدة قرون عديدة قبل ظهورها .
ولذلك مهم كل منا معرفة تطورها قبل نشوئها .

وهذا ما يزيد في مكانة آثار الشام ويجعل اقبال العلماء عليها اكثر من سواها لعلاتها الكيرة بنظامنا الاجتماعي الحاضر . وقد ادركت جمعية الامم هذا الامر واحتاطت له خرفاً من المزاومة او استئثار دولة بهذه لآثار دون سواها . ولذلك اشترطت في المادة (١٤) من صك الانتداب أن القانون الذي سيدن لحماية العاديات يجب ان يستمد روحه مما يدعو الى التنشيط اكثر منه الى التثبيط ، كما انها اشترطت على الحكومة المنتدبة عند منحها اجازات بالحفر ان لا تنصرف بشكل يرمي الى حرمان علماء اي شعب كانت تلك الاجازات دون اسباب موجبة وهكذا اصبح الباب مفتوحاً للجميع الامم .

تأسيس دور الآثار } وقد تضاعف نشاط البعثات الاثرية الاجنبية عقب الهدنة
الشرق عناية كبرى بآثار الشام ، وعهدت للاخصائين في جيوشها بدراسة الآثار
في هذه الديار ورفع التقارير عنها ، وشددت التكثير على العاشين بها . ومن جملة
مقررات المؤتمر الافرنسي الذي عقد في مرميليا سنة ١٩١٩ للبحث بشؤون الشام العامة
اقترح على الحكومة الافرنسية بانشاء ديوان للاثار القديمة ، والتثبت باسترجاع
ما اخذته الحكومة العثمانية من آثار البلاد ، وقد حققت المفوضية الافرنسية في الشام
الاقترح الاول ، فأنشأت لها ديواناً للاثار القديمة وحذت المفوضية الانكليزية حذوها
في فلسطين وشرق الأردن .

ولم تكن الشام في عهد الملك فيصل اقل عناية من تيك الدولتين . فقد اغنم هذه
الفرصة بعض مفكري البلاد وفي مقدمتهم الاستاذ مؤلف « خطط الشام » فاقترحوا
على الملك انشاء متحف في دمشق ، فقبل هذا الاقتراح بارتياح عظيم . وما
لبث الملك ان اصدر امراً بذلك الى الاستاذ بامر تحقيقه على ان يكون فرعاً للمجمع
العلمي العربي الذي اسسه الرئيس ايضاً . وفي عهد الانتداب الافرنسي أنشأت الحكومة
السورية متحفاً آخر في حلب وأنشأت حكومات لبنان وجبل الدروز والعوين متاحف
في بيروت والسويداء وطرطوس وكذلك أنشأت كل من حكومتي فلسطين والشرق

العربي متحفًا جعلته الأولى في القدس والثانية في عمان . وجميع هذه المتاحف نمت بسرعة عظيمة بفضل ما اشترته واستمدته من الآثار ، وما نالها مما اكتشفته البعثات الأثرية في مناطقتها . وبمقتضى تنجيم الحكومات المحلية والسلطات النندية أصبحت الشام ساحة عمل دولي كبير .

ولقد قامت البعثات الأفراسية بالبحث عن الآثار في صيدا وام العواميد وكفر الجرة وبيروت وجبيل والقرية ولبيا في منطقة الحكومة اللبنانية ، وفي السويداء وقذوات والشهباء في جبل الدروز ، وفي طرطوس من عمل حكومة العلويين ، وفي تل النبي مند (قدش القديمة) وفي المشرق (قطا القديمة) والنيرب وارسلان طاش والقصر الأحمر من أعمال دولة سورية ، وقامت بعثتان مختلفتان بأعمال التنقيب في قلعة الصالحية (دوراسا ورو بوس القديمة) على شاطئ الفرات وفي مدينة ندمر وتحوت البعثة التشكوسلوفاكية آثار الشيخ سعد وتل ارفاد ، ونقبت بعثة المانية في رأس العين شمالي الشام من عمل حكومة سورية . وحصرت البعثات الانكليزية والاميركية أعمالها في منطقة فلسطين والشرق العربي ، فنقبوا عن الآثار في تل المتسلم (مجدو القديمة) ويسان وسبسطية (سمرة القديمة) وسبشم وبيت جبرين والقدس والتاغة وجرش .

متحف دمشق } تختلف مجموعة دار الآثار في دمشق عن مجاميع متحف الشام للعناية التي بذلتها بآثار القطر الشامي على اختلاف أدواره التاريخية وخاصة العهد الاسلامي . وحريّ بدمشق عاصمة الأمويين ، ومهد الحضارة العربية ، أن يكون لها متحف يحكي ذكرى هذا المأموي المجيد . ورغم ندرة العاديات الاسلامية المأقولة في ربوع الشام وأسعارها الباهظة ، تمكنت دار الآثار من جمع أعلام قيمة . منها مجموعة نقود اسلامية ، ومجموعة خزف عربي ، ومجموعة مصاحف مخطوطة ومذهبة . ومجموعة خشبية أخص بالذكر منها جانباً من سدة جامع من خشب الحور الرومي آية في جمال الصنع وحسن الذوق ، مزينة بنقوش عربية بديعة ، وكتابات قرآنية كوفية مزهرة متناسقة جميلة جداً ، وقد كتبت في أعلاها هذه الفقرة : « بن محمد بن الحسين بن علي صفي امير المؤمنين تقبل الله منه وذلك في

شهور سنة سبع وتسعين وأربعمائة » وتابوت مزين بمجموع بشكل حشوات صغيرة منقوشة نقشاً بديعاً وقد كتب على جوانبه « هذا خصر يج الست الجليلة الكبيرة المعظمة الملكة نحر الخواتين عصمة الدنيا والدين ، بخني خاتون ابنة السلطان الملك معز الدين قيصر شاه ابن السلطان السعيد الشهيد ملك ملوك الروم والارمن قليج أرسلان قدس الله روحه ونور خصر يحه وذلك في مستهل ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وستائة » وبين مجموعة الكتابات الحجرية لوحتان منجوقيتان كتب عليهما تاريخ ترميم جانب من جامع بني أمية في شهر سنة ٤٧٥ وأخرى أيوبية تاريخها سنة ٥٧٥ ومجموعة وافرة من شواهد قبور امراء الشام وعلمائها في القرن السابع والثامن . هـ . وما يلفت النظر اليه جرة من رخام ابيض وعلى القسم الاسفل منها نقوش عربية وعهداها من القرن الثامن للهجرة . واخرى من الفخار عليها نقوش اشخاص وحيوانات وطيور وزهور ومحكمة الصنع وكتب في وسطها هذه العبارة (عز واقبال وسلامة وسعادة وكرم وغبطة ورفعة) وهذه الجرة فريدة في بابها وهي من صنع العراق في القرن الثالث عشر م .

ومن اثار غير الاسلامية مجموعة زجاجية وهي اجمل مجموعات العالم ، ومجموعة معمة من الآثار التدمرية وهناك رأس تمثال احد عظماء الحشبين يرجع عهده للألف الثانية قبل الميلاد . ونصب الفرعون سيتي الاول وعليه ذكر انتصاره على الحشبين وطائفة من الآثار الرومانية واليونانية .

* * *

و جمع في متحف بيروت كثير من الآثار	} متاحف بيروت والسويداء وحلب وطرطوس والقدس وعمان
الفينيقية وغيرها أهمها الاواني والحلي التي عثر	
عليها في مدافن جبل وفي أقبية معبدها .	

ويرجع عهد بعضها الى الالف الثالثة وبعضها الى ١٨٠٠ سنة قبل الميلاد . منها نادر من الملك احيرام المتوفى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وقد نقش على جوانبه صورة الملك يشاول القرابين من اتباعه وبعض الشعائر الدينية وهو قائم على أربعة اسود . وما يزيد في شأن هذا الاثر الكتابة الفينيقية التي زُبرت عليه وهي أقدم كتابة عرفت من نوعها حتى اليوم وهذه ترجمتها « عمل هذا الأران (التابوت) أفسبل بن احرام

ملك جبيل لآبيه كي يكون مقرب الأبدى ، فاذا نصب ملك من الملوك او حكام من الحكام العداء لجبيل وأخرج هذا الذابوت من تحت التبليط فيكون خاتور خصمه فيدك عرش ملكه ويم الجراب جبيل اذا محا هذه الكتابة « » . بين هذه الآثار آنية خزفية نقش عليها اسم الفرعون امنمحت الثالث (١٨٥٠ - ١٨٠٠) قبل المسيح . وآنتان عليهما اسم امنمحت الرابع وآنية من الرخام جميلة الصنع مع غطائها وكتب عليها بالهيروغليفية ما يأتي : « خدام الاله ابن الشمس فليعيش امنمحت الى الأبد » وصندوق صغير للحلي من حجر كريم اسود محلى بالذهب وتشكله على طراز السادوس وعلى الغطاء كتابة هيروغليفية هذه ترجمتها : « فليعيش الاله بوت سيد الارضين ملك مصر البحرية والقبلية مع خرون راع المحبوب من ثوم سيد هيليوبوليس الممنوحة له الحياة الأبدية » . وجمعت في هذا المتحف كمية كبيرة من الفخار أهمها الاواني التي عثر عليها في كفر الجرة و يرجع تاريخ صنعها الى الالف الثانية قبل الميلاد . ولا آثار جبيل مكانة تاريخية عظيمة وهي من أهم ما عثر عليه حتى الآن في بلاد الشام .

وكان في متحف السويداء عاصمة جبل الدروز مجموعة حجرية نفيسة أكثرها من العهد اليوناني والروماني ولكن ضاع معظمها مع الاسف إبان الثورة السورية . ومتحف طرطوس في حكومة اللاذقية حديث العهد وليس فيه الا مجموعة صغيرة ليست ذات شأن كبير . واما متحف حلب فلم يخصص له مكان بعد ، ولكن بمجاميعه جاهرة ستحفظ فيه متى هي لها المكان . وأكثر هذه الآثار حثية واشورية من التي استخرجت في حفريات أرسلان طاش وتل الأحمر وتل ارفاد والدير .

وفي متحف القدس مجاميع خزفية ومعدنية تبين تطور نهضة فلسطين والادوار التي مرت عليها في أهم عصورها التاريخية كما انه يحتوي على عدد من النواويس من العهد اليوناني والروماني وأجملها مما نقش عليه صورة معركة بين اليونان والنساء المترجلات (امازون) وطائفة آثار من الحجر البركاني من عهد الفرعون سبتي الاول ورعمسيس الثالث التي وجدت في بيسان . وقد حفظت قطع الجمجمة التي وجدت في التافة ويرجع عهدها الى ما قبل التاريخ . واما مجموعة متحف عمان فأكثرها مما يرجع تاريخه الى العهد الروماني والبيزنطي .

وبعد فقد عرفنا بما تقدم مقدار العناية التي بذلتها البعثات الاجنبية بآثار الشام غير الاسلامية وإعراضهم عن هذه الاخيرة . لا جرم ان معظم الآثار الاسلامية في بلاد الشام محفوظة في الجوامع والمساجد والمدارس مع محتوياتها وهي بتصرف الاوقاف . ولذلك يحتاج الى اجانب ما يمكن ان يشيروا عواطف عوام المسلمين حتى ان السلطات المتدبة تركت لدير اوقاف البلاد حرية التصرف بهذه الاماكن المقدسة . وقد اكتفت بان تسدي اليها من حين الى آخر النصائح لبذل العناية لهذه الآثار . ولكن اكثر هذه الدوائر في شغل شاغل عنها . فكل يوم نسمع بضياح اثر او تشويهه لا عن قصد منهم بل لانهم لا يقدرون قيمة ما هو تحت تصرفهم ، حتى أصبحت اكثر هذه الامكنة الأثرية في حالة يخشى عليها من الاندثار ، وبذلك نفقد البلاد هذه المفاخر التي تشهد بمدينة الملف العظيمة في أزهى عصور البلاد الشامية . فعسى ان تحذو البلاد حذو شقيقتها مصر وتؤلف لجنة للآثار الاسلامية نعتي بجمعها وننقده شؤون الابنية منها .

وقد انشأت الجمهورية الافرنسية في دمشق معهداً فرنسياً لدراس الآثار وخاصة منها الاسلامية على منوال المعهد الفرنسي في القاهرة . وقد سبق للبعثات الاجنبية ان اسست في القدس معاهد لدراس الآثار مثل المدرسة الاثرية الافرنسية ، والمدرسة الاثرية الانكليزية ، والمدرسة الاميركية للابحاث الشرقية ، وهذه المعاهد فضل كبير بكشف غوامض تاريخ بلاد الشام القديم .

لم تدع السلطانان الافرنسية والانكليزية في منطقة سورية وفلسطين باباً الا وطرقاته لنشر الدعاية في البلاد الاجنبية عن آثار بلاد الشام ومكائدها . وقد تجلّى ذلك في دعوتهم لمؤتمر الآثار الذي عقد في سورية وفلسطين في شهر نيسان سنة ١٩٢٦ فكانت نتائجه مرضية . وبفضل هذه الدعاية نرى عدد السياح بازدياد في كل سنة . ولا شك ان الشام اذا حشرت العناية بفنادقها وطرق مواصلاتها تصبح مقصد السياح من اهل الارض ، وتنجي من ذلك فوائد مادية وادبية لا تقدر .

دور الكتب



نشأة الكتب } عرفنا من سير القدماء انهم كانوا يقيدون علومهم وما آثرهم
وتوارى عنهم وايامهم في صنوف من المواد ، تكون على مقربة
منهم ، وتكثر في ارضهم وديارهم . فالبابليون كتبوا كتبهم على الآجر اي بالطين
المشوي ، والهنود كتبوا على النحاس والحجارة والحريير الابيض والطومار المصري ،
والعرب في اكناف الابل والخاف ، اي الحجارة البيض الرقاق ، وفي العُـسب
عسب النخل . وبقي الامر على ذلك حتى شاع الورق المعمول من الكتان في خراسان
وسمرقند وبغداد ودمشق ، منذ القرن الاول للهجرة على ما يظهر .
ولما اُختر الورق وشاع ، قضي على الرق بسهولة نابل القرطاس والنفوس ،
وهي الصحيفة البيضاء يكتب فيها . وكان من الحريير الابيض ما يستقى الصمغ ويصقل
ثم يكتب فيه ، وقد اعتمدوا عليه قبل القراطيس بالعراق ، وكتب بعض اهل الغرب
في صفائح من معدن رقيق . وكان اهل فرغانة في الروم اول من استنبطوا الرق ،
كانت له تجارة رابحة بارت بظهور الورق ، وكانت الكتب في العراق تجعل في جلود
دباغ النورة اي الكلس ، وهي شديدة الجفاف ، ثم كانت الدباغة الكوفية ، تدبغ
الجلود بالتمر وفيها لين ولا رائحة لها .

ولما فتح الاسكندر بلاد فارس كان العلم منقوشاً مكتوباً في صخور وخشب ،
فأخذ حاجته منها وأحرق الباقي . ولما تولى اردشير بابك وابنه سابور على فارس
والعراق جمع ما تفرق من الكتب فيهما ، واستنسخ من الهند والصين والروم كتبهم .

ولما ملك بطولوميوس (بطولوماوس) فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية فخص عن كتب العلم فعهد الى رجل اسمه زُميرة فجمع من ذلك على ما حكي اربعة وخمسين الف كتاب ومائة وعشرين كتاباً . وقال له قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم . وذكر ان النعمان ملك الحيرة امر فتنسخت له اشعار العرب سيف الطنوج اي الكراريس فكتبت له ثم دفنها في قصره الابيض ، فلما كان المختار ابن عبيد قيل له ان تحت القصر كنزاً فاحفره فأخرج تلك الأسفار . قالوا فمن ثم كان اهل الكوفة أعلم بالاشعار من اهل البصرة . وبلغ من عناية ملوك الفرس بصيانة العلوم ، وحرصهم على بقائها على وجه الدهر ، واشفاقهم عليها من أحداث الجو وآفات الارض ، ان اختاروا لها من المكاتب أصبرها على الأحداث ، وأبقاها على الايام ، وأبعدها عن التعفن والدروس ، فكتبوا في لحاء شجر الخلدنك ، ولحاءه يسمى التُّوز ، وكانت تعمل منه القسي ، وبيهم اقتدى في ذلك اهل الهند والصين ومن يليهم من الامم .

ولما حصل الفرس العلوم طلبوا لها من المكاتب من بفاع الارض وبلدان الاقاليم ، أصحها تربة وأقلها عفونة ، وأبعدها من الزلازل والحسوف ، وأعلها طيلاً ، وأبقاها على الدهر بناءً ، فاختاروا مدينة سِجِّ من عمل اصفران جعلوها في قُفْندز اي حصن ، فانهارت هذه المصنعة في الاسلام فظهروا فيها على أزج معقود من طين اشقيف ، اي بيت مستطيل من الخبز ، فوجدوا فيها كتباً كثيرة من كتب الاوائل مكتوبة كلها في لحاء التوز بالكتابة الفارسية القديمة ، وقالوا ان الفرس كانوا يودعون كتبهم في سارويه ، احد الابنية الوتيفة القديمة المعجزة البناء ، وتنبه الأهرام في الجلالة وإعجاز البناء ، وكانت الكتب تكتب على صفحة صفحة اي من وجه واحد .

هذا ما يؤخذ من كلام ابن الديم وغيره في منشأ الكتب عند القدماء ، ومع هذا لم تحفظ لغات الأقدمين لولا ما وجد منها مكتوباً على الأشجار ، وكان بعض تلك اللغات لمهمة اندثرت في القرون الاخيرة حتى لا يحلها انسان ، مثل اللغة الهيردوغليزية لغة قدماء المصريين المقدسة فعثروا في رشيد من نفور مصر في سنة ١٨٢٦ على حجر كان مكتوباً بالهيردوغليزية والديموطيكية واليونانية ، فحل شمبوليون الاثري الفرنسي

الخط الهيروغليفي ، وهو الخط الخاص بالآثار عند قدماء المصريين ، وكانت الخط المعتاد عندهم الخط الهيراطيقي يكتبون به حاجاتهم المادية وفنونهم وآدابهم . وهذا يكتب على البردي بقلم من البوص المعروف بالغاب ، بنمط في مداد اسود او احمر ومنه ادراج طويلة قد يبلغ طول الواحدة منها ثلاثين متراً ، ومنها نماذج حفظت في متاحف الغرب ومتحف مصر ، وكذلك ما عثروا عليه في رسائل تل العمارنة في المنيا بمصر في سنة ١٨٨٨ وقد كتبت بالآجر بالحروف المسماة البابلية ، وفيها سجلات الدولة في عهد فرعون مصر امينوفيس الرابع وابيه امينوفيس الثالث ، وانحلت بهذه الآجرات عُمَد من التاريخ القديم استدل بها على علاقة الشام بمصر .

ومثل ذلك يقال في الاثر النفيس الذي اكتشفه احد امراء روسيا في قدمر سنة ١٨٨٢ وانحلت به مشاكل كثيرة من الحضارة التدمرية . وقد حل الخط التدمري بارتلي الفرنسي . واكتشف صديقنا العلامة دوسو الفرنسي في الجنوب الشرقي من النمرة في الصفا حجراً مكتوباً بالخط الارامي وهو بالعربية ، وحل لغة الصفا بيتان وهاليني . واكتشفت في البتراء المصانع المكتوبة بالآرامية ، وحل علماء الآثار اللغة الحميرية السبئية في اليمن . وحلوا لغة البابليين ومن أهم ما عثروا عليه من آثارهم ما اكتشفه دي مورغان في بابل من مسألة عظيمة عملت بمسحوق الحجر البركاني وقد زُبرت عليها شريعة حمورابي ، احد أعظم ملوك البابليين ، وكان من اصل عربي كما يقول صديقنا العلامة هومل الالماني .

وأهم الكتابات الفينيقية التي ظهرت ما وجد مزبوراً على ناووس احد ملوك صيدا سنة ١٨٥٥ والخط الفينيقي أشبه بالخط العبراني ، والخط المسند هو الذي كتبت به مصانع الفرس القدماء ومصانع اشور وبابل وارمينية وخوزستان وما الى ذلك من ارض العراق . ولا يزال العلماء يكتشفون الآثار والعاديات في ارض الشام ، والى اليوم لم يفحل خط الحثيين اقدم شعوب هذه الديار ، ولا يزال علماء الآثار منذ عشر برونكهار في حماة على حجر مكتوب بهذا الخط سنة ١٨١٢ متوفرين على حل هذا القلم وقد ظفروا بكثير من آثار الحثيين في هيرابوليس او قرقيش عاصمة الحثيين وفي طرابلس وحلب وارفاد وحمص وغيرها .

ومعنى كل هذا انه لم يصل الى اهل العلم الحديث بعد تطاول الاعصار من تلك
اللغات القديمة الا ما كان منبورا على الاجار والآجر ، ثم ما كان على الخشب والرق
ثم الورق ، وكانت للعرب في الكتابة على الوثق والورق يد طولى نقلوا بواسطتهما
ما أمكن من علوم القدماء ، وأعطوه لاهل الحضارات الحديثة بأمانة وإخلاص .
فالقدماء اذا وضعوا الكتب ايام عرفوا الكتابة ، فكان لبعضهم كالفرس واليهود
والهنود كتب مقدسة ، وخلف الرومان واليونان توارىخ وقصائد وخطباً ومقالات
فلسفية . قال سنيوبوس : وقاما نجد في الكتب المواد اللازمة لمباحثنا اذ ليس لدينا
كتاب اشوري ولا فينيقي . اما ما بقي من اسفار الشعوب الاخرى فتافه جداً .
وكان القدماء يكتبون ولكن أقل منا ، ولذلك كانت تأليفهم اندر ، ولم يكن لهم
من كل مصنف غير نسخ قليلة لما ان الحال كانت تقضي باستنساخها كلها باليد ، وقد
دثر غالب هذه النسخ او ضاع وتعذرت قراءة ما بقي منه ، ويسحى علم حلها باليوغرافيا
اي علم الخطوط والكتابات القديمة .

* * *

نشأة المكاتب) عرفنا بما تقدم اننا لانستطيع ان نحكم على العصور التي
والعناية بمحفظها) سبقت الاسلام في الشام في امر الكتب والمكاتب ،
فلا انطاكية نطقت بما كانت فيها من علوم القدماء ، وانهملت اليها من حران
والاسكندرية ، ولا بيروت ولا مدرسة الفقه التي كانت فيها قبل الاسلام ، اطلتنا
على ما كان فيهما من خزائن واسفار ، فان اخبار هاتين المدينتين انطاكية وبيروت
انطمست منذ القدم كما انطمست معها بالزلازل المدمشة التي قضت على دور العلم فيهما ،
وانت ايضا على مدن برمتها - في العصور الاولى الاسلام ، والزلازل كالحريق تثلث
الكتب وتدمر المكاتب .

ثبت ان العرب لم يدهنوا في الجاهلية شيئاً من ماثرهم بالعربية ، لان الخط العربي
حدث النقل اليهم من الانبار قبل الاسلام ، ولكنهم كانوا اول من اسرع الى التدوين
خارج حزمهم ، ولا سيما في العراق والشام اوائل عهد الاسلام . والظاهر ان اهم
كتاب عربي قديم دخل الشام كتاب الرسول الى تميم الداري . اخوته باقطاعهم حبرون

اي الخليل وما اليها وهي المرطوم وبيت عينون وبيت ابراهيم ، وقد رأى هذا الكتاب الشريف ابن فضل الله العمري صاحب مسالك الابصار في سنة ٧٤٥ هـ ، والغالب انه رأى صورة منه بحسب وصفه . و يقول العلامة كيرنكو ان هذا الهدء مصنوع وان كثيراً من المتقدمين اُبْس عليهم . وكان هذا الاقطاع قبل ان تفتح الشام . اقطع الرسول قيميا الداري واخاه اُعيم بن اوس هذه القرى تحبباً او على امل فتح الشام . ومن اهم الكتب القديمة في الشام مصحف سيدنا عثمان الذي ارسله عام ثلاثين للهجرة الى دمشق ليكون الاعتماد عليه كما ارسل مثله الى الامصار الكبرى في الاقطار الاخرى . والغالب انه نقلت عنه عدة مصاحف عُدّت من الامهات منها ما جعل في طبرقة ، ومنها ما وضع في قنسرين . وكثرت النسخ بعد ذلك ، لكن هذه المصاحف ذهبت في الحريق الذي أصيبت به الجوامع في عصور مختلفة ، وكلما حرق مصحف قديم قال القوم انه مصحف عثمان ، والاصح ان يقال المصحف المقول عن مصحف عثمان . وحدثني صديقي الشيخ مسعود الكواكبي انه تشرف غير مرة بزيارة مصحف كتب عليه حرره عثمان بن عفان وهو محفوظ في مكتبة جامع ايا صوفيا في الاسنانة .

ثبت ان اول خزانة كتب في الاسلام أنشئت في دمشق انشأها حكيم آل مروان خالد بن يزيد الأموي المتوفى سنة خمس وثمانين ، ولم يصل اليها من اخبارها شيء ، ولا شك انها كانت تحوي بعض العلوم التي قلما من القبطية واليونانية والسر بانية ، في الكيمياء والطب والنجوم وغيرها ، وربما كان فيها شيء من كتب الجغرافيا لانه ثبت مما قاله ابن السبدي الذي زار خزانة الكتب بالقاهرة في سنة ٤٣٥ هـ انه كان فيها كرة من نحاس من عمل بطليموس ، كتب عليها حملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية . وقال انه كان في تلك الخزانة من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصة ستة آلاف وخمسمائة جزء . ولا شك ان خزانة خالد بن يزيد كان فيها ايضاً كتاب عُبيد بن شَرِيّة الجرمي الذي كان استحضره جده معاوية من صنعاء اليمن وسأله عن الاخبار المتقدمة ، وملوك العرب والعجم ، وسبب تبلبل الاسنة ، واسر اقتراق الناس في البلاد . فاجابه الى ما اسر ، فامر معاوية ان يُدَوّن . وينسب الى عُبيد بن شَرِيّة ولعبيد كتاب الامثال وكتاب الملوك واخبار الماضين . وهذا من

اول التدوين في النصف الاول من القرن الاول . ولوهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠
أو ١٤ أو ١٦ تصنيف ترجمه يذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم
وأشعارهم رآه ابن خلكان في القرن الثامن وقال انه من الكتب المفيدة .
وجاء القرن الثاني والشام تهتز أعصابها بانهال الملك من بني أمية الى بني العباس فلم
يؤثر عنها انه كان فيها خزانة كتب ، ولا عرف احد من الخاصة بانه كان مولعاً بجمع
الاسفار ، فكانت الكتب القليلة بالطبع اذ ذاك تجعل في الشام في الجوامع او في بعض
دور الخاصة ، على ما كانت الحال في اكثر المدن الاسلامية . واذ وقع التدوين في
القرن الاول لم يدخل القرن الثاني حتى كثرت الكتب ، وقد ورد في سيرة الزهري
المتوفى سنة ١٢٤ هـ وهو من اعلام التابعين انه كان اذا جلس في بيته وضع كتبه
حوله مشتغلاً بها عن كل احد ، فقالت له زوجته : والله لهذه الكتب اشد علي من
ثلاث ضرائر . وهذا دليل على تكاثر الكتب حتى صارت للزهري مجموعة منها
ينصرف اليها بكليته ، وامرأته تربده على ان يكون لها فقط . وكل هذه الكتب لم تبقى
الاياه عليها . والغرب كان امهر منا في الاحتفاظ بما دون فان اقدم كتاب في اوربا
يرد الى التون الثاني للمسيح .

ولم يعرف قبل عهد الرشيد والمأمون ان جمعت الكتب في خزانة وسميت دار
الحكمة او بيت الحكمة او بيت المعرفة . وكانت دار الحكمة أشبه بجامعة فيها دار
كتب يجتمع فيها رجال يتفاوضون ويطلعون وينسخون . ويدير شؤون تلك الدور
من يشق الخليفة بعقلهم وأمانتهم وعلمهم . كان هذا في القرن الثاني واعتوره في القرن
الثالث بعض الفتور ، وظل بيت الحكمة في القرنين الرابع والخامس في بغداد مفتوح
الابواب . وأنشأ أحد وزراء العباسيين ابو نصر سابور بن اردشير في القرن الخامس
داراً بالكوخ في بغداد سماها دار العلم ، وقفها على العلماء ونقل اليها كتباً كثيرة .
وأنشأ الفاطميون في القاهرة دار العلم في القرن الرابع تشبهاً بالعباسيين في بغداد ،
أنشأها الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٠ هـ وفرشها ونقل اليها الكتب العظيمة واسكنها من
شيوخ السنة شيخين . قال ابن قاضي شعبة : وبقي الحاكم كذلك ثلاث سنين ثم اخذ
بقتل اهل العلم واغلق دار العلم . ولم تعهد الشام دار حكمة الا في القرن الخامس

انشأها بنو عمار في طرابلس . وكان في كل من كفرطاب والمعرة في زمن ابي العلاء المعري خزانة كتب وقد زارهما كما زار خزانة طرابلس . وهذه الخزانة كانت قبل بني عمار بمدة خلافاً لما وَّهم بعض المؤلفين المعاصرين ، لان القضاة بني عمار لم يستولوا على طرابلس الا بعد الاربعين واربعائة . وكان ابو العلاء زار طرابلس قبل هذا التاريخ اي في اواخر القرن الرابع ، وانتفع بخزائنها وكتبها الموقوفة . واول من حكم من القضاة بني عمار ابو طالب عبد الله بن محمد بن عمار في دولة المستنصر الفاطمي في حدود سنة اربعين واربعائة . وبنو عمار هؤلاء هم من غير سلالة بدر بن عمار الذي كان يتولى الساحل وهو الذي مدحه ابو الطيب المتنبي غير مرة .

وكانت في الشرقية التي يجمع حلب خزانة كتب مهمة اسمها خزانة الصوفية . وانفقت فئنة في بعض ايام عاشوراء بين اهل السنة والشيعة ونهبت خزانة الكتب ، وكان ذلك في زمن ابي العلاء ولم يبق في خزانة الكتب الا قليل . قال ابن العديم : وجدد الكتب بعد ذلك الوزير ابو النجم هبة الله بن بديع وزير الملك رضوان ثم وقف غيره كتباً آخر . وقد ذكر ابن سنان الخفاجي (٤٦٦) هذه الخزانة في قصيدته اليازية التي كتبها من القسطنطينية يداعب احداً صدقائه قال فيها :

الملك أبا حسن السلام وقل له	هذا الجفاء عداوة الشيعة
فلا طرفن بما صنعت مكابراً	وابث ما لاقيت منك شكية
ولا جلسنك للقضية بيننا	في يوم عاشوراء بالشرقية
حتى أثير عليك فيها فئنة	ننسيك يوم «خزانة الصوفية»

وقد ظلت هذه الخزانة في حلب عامرة الى القرن السابع وهي مسبلة على المطالعة ، ولم يعلم هل كانت الخزانة المهمة التي انشأها في حلب سيف الدولة بن حمدان وجمع فيها الامهات الجيدة فكانت عامة للناس ايضاً كخزانة الصوفية ام هي خاصة به وبجماعته في قصره ، وقد اشتهر عنه ولوه بالكتب الى الغاية . وناهيك بخزانة كان من جملة خزائنها الخالديان الشاعران المشهوران . وربما ذهبت هذه الخزانة في هجمة الروم على حلب وتخريبهم قصر سيف الدولة .

وقأت عناية الملوك بخزائن الكتب ، لما كثرت المدارس في هذه الديار في القرن

الخامس « اكتفاء » بخزائن كتب المدارس التي اثبتوها من حيث انها بذلك امس^١ ولم تكدهن لمدرسة من المدارس في بلاد الشام من خزانة كتب . وكانت حلب ودمشق والقدس وهي من حواضر العلم منذ القديم الحظ الاوفر من ذلك ، ولم تنازعها طرابلس التي كان يراد من انشاء دار الحكمة فيها نشر التشيع على ما يقال ، وساعد على كثرة الكتب في طرابلس ما كان فيها من معمل الورق الجيد . وقد عرفنا ان معامل الورق كانت تخرج الكاغد والقراطيس والطوامير الجيدة في طرابلس ودمشق وحلب ومنبج وطبرية وغيرها من المدن . ومن اشهر خزائن الملوك والامراء في القرن السادس والسابع خزانة الكتب التي وقفها بحلب نور الدين محمود بن زكي على مدرسته وسلمت الى محمد بن علي بن ياسر الجبائي الاندلسي ، زميل ابن عساكر مؤرخ دمشق ، وأجريت عليه جراحة ثم وقف كتبه على اصحاب الحديث توفيه سنة ٥٦٣ هـ ووقف نور الدين على البيمارستان الذي انشاء يدمشق جملة كثيرة من الكتب الطبية كما وقف كتباً كثيرة على اهل العلم في ارجاء مملكته .

واعطى صلاح الدين يوسف المؤدب ولده الافضل ابي سعيد البندقي (او البندقي) كتباً كثيرة من خزانة كتب حلب ، اباح له ان يأخذ منها ما شاء ، وهذا جميعها وحصل من الكتب التي لم تحصل لغيره ، ووقفها ببقاء السمساطي بدمشق . وكثيراً ما كان صلاح الدين يبع لرجاله ان يأخذوا ما شاؤوا من الكتب التي وقعت اليه ، كما فعل في مصر واعطى وزيره القاضي الفاضل من خزنة الفاطميين قدراً كبيراً من كتبها ، واعطى عماد الدين الكاتب ايضاً بعض اسفارها ، وكان في هذه الخزنة على ما قيل الف الف كتاب وفيها من تاريخ الطبري فقط الف وما يتا^٢خذه . فبيعت خزنة الفاطميين وتشتت على هذه الصورة ولم يكن في بلاد الاسلام اعظم منها . وذهب صلاح الدين القاضي الفاضل ما شاء من كتب خزنة آمد لما فتحها وكان فيها الف الف واربعون الف كتاب على ما ذكره المؤرخون فانخب منها الفاضل سبعين حملاً . وهذه الالف من الكتب التي ملكها القاضي الفاضل وقفها بعد على احدى مدارس القاهرة وكان هو وابنه من غلاة الكتب .

ومن الخزائن التي كانت بالشام خزنة علي بن طاهر السلي النحوي (٥٠٠) كانت له حلقة بالجامع بدمشق ووقف فيه خزنة كتب . وكانت لتاج الدين الكندي في

الجامع الأموي بدمشق خزانة كتب فيها كل نفيس . ووقف شرف الدين بن عمرو الموصلي المنسوب اليه مشهد ابن عمرو في الجامع الأموي بدمشق خزائن كتبه فيه . ومن الخزائن المهمة خزانة بني جرادة العلماء في حلب فقد كتب ابراهيم الحسن ابن ابي جرادة (٥٤٨) بخطه ثلاث خزائن من الكتب النفيسة وخزانة لولده ابي البركات وخزانة لابنه عبد الله . ومات موفق الدين بن المطران (٥٨٧) وفي خزائنه من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخه . وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له ابدأ ولهم منه الجامكية والجرادية . ومات امين الدولة السامري وقد اجتمع عنده نحو عشرين الف مجلد لانظير لها في الجودة . وكان مهذب الدين الدخوار صاحب مدرسة الطب بدمشق من اهل القرن السابع اثنى كثيراً كتبه ، واثنى من آلات النحاس التي يحتاج اليها في علم الهيئة والنجوم ما لم يكن عند غيره اي انه كان عنده مرصد فلكي وخزانة كتب .

وجمع جمال الدين بن القفطي (٦٤٦) في حلب ما لا يوصف من الكتب ، وكانت خزائنه تساي خمسين الف دينار . وكانت خزانة قطب الديوم انيسابوري مهمة وقفها على احدى المدارس بدمشق . وكان الملك الناصر ابن الملك المنصور باني (٦٥٦) معنياً بتحصيل انكتب النفيسة ، وكان جمع قبله الامير نور الدين محمد بن عمر بن شامشاه صاحب حماة وابن صاحبه من الكتب ما لا مزيد عليه ، كان في خدمته ما يناهز مائتي مئتم من الفقهاء والادباء والنحاة والمشتغلين بالخدمة بالمنجمين والكتاب (٦١٠) ووقف الملك الاشرف موسى (٦٣٥) كتبه بالمدرسة الانصارية بدمشق واشتهرت في هذا القرن خزانة ابن ابي اصبعة وتلميذه ابن القفط بدمشق . ومن خزائن القرن الثامن والتاسع والعاشر التي بلغنا خبرها خزانة ابي الفداء صاحب حماة فانه جمع من الكتب كثيراً وقفها على جامع الدهشة وكانت سبعة آلاف مجلد . ولم يبق في هذا القرن بعد الملوك من بني ايوب احد من الامراء مني بالكتب ونسبها على المطالعة لخدمة الامة . فالقرن الثامن كان خاتمة هذه الحركة المدركة في الشام . نعم لم يبق فيها في العصور الاخيرة مثل الملك المؤيد هنري الدين داود ملك اليمن المتوفى سنة ٧٢١ ، وكان محباً للعلوم ، مقرراً لاهلها ، يستجلبهم اليه بحث كتابه ،

ويرغب فيهم ويرغبهم فيما عنده ويجمع الكتب والتحف وقد جمع من مصنفات اهل العلم على اختلافها ما ينيف على مائة الف مجلدة ، وحملت اليه التحف والكتب من كل جهة . وكان عنده زيادة على عشرة نساخ بنسخوث الكتب وترفع الى خزائنه بعد مقابلتها وتجهيزها .

ومن الخزائن المهمة في هذه الحقبة من الدهر خزانة ناصر الدين العسقلاني (٧٢٣) فقد خلف ثمانى عشرة خزانة مملوءة كتباً نفيسة . واقفني ابن قيم الجوزية تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية خزانة مهمة . ومالك زين الدين عمر القرشي الدمشقي (٧٩٢) من نقائس الكتب شيئاً كثيراً . ووقف نقي الدين اليلداني أكثر كتبه وبجاميعه بالخزانة الفاضلية بالكلاسة بدمشق سنة ٦٥٥ ، وحصل شمس الدين البعلبي كتباً وكتب بخطه الملمح شيئاً كثيراً (٧٧٤) ، وخلف الفتح الفارقي (٦٩٤) التي مجلدة ومائتي مجلدة . وكانت خزانة ابن رواحة الحموي (٦٢٢) في مدرسته بدمشق . وخلف بدر الدين ابن غانم الدمشقي التي مجلدة . واجتمع لشرف الدين البازري الحموي (٧٣٨) من الكتب ما لم يجتمع لاهل عصره . وكانت خزانة الامير سيف الدين ارغون نائب حلب (٧٣١) عامرة بالكتب النفيسة . ومن الخزائن المشهورة خزانة ابن فضل الله العمري وابن مالك النحوي وابن خلكان المؤرخ .

واقفني بعض ولادة العثمانيين في الشام كتباً نفيسة بطرق مختلفة ومنهم سنان باشا صاحب الجامع المنسوب اليه بدمشق خلف مائة وستين مصحفاً مرصعاً بالدرر والجواهر وخمسة وثلاثين صندوقاً مملوءاً بالكتب التي لا تقدر بثمن ، وكانت الصناديق مرصعة باليواقيت والمعدن . وكل هذا اخذه صاحبه من اليمن والشام وغيرها ونقل الى الامتانة . وجاء من كلمة الترك في العهد الاخير من نقلوا الكتب الثمينة من الامتانة الى المدينة المنورة مثل شيخ الاسلام عارف حكمت فانه وقف خزائنه وهي بضعة الوف من المجلدات بالخطوط المنسوبة وجعلها في مكان خاص بها في البلدة الطاهرة . وكان في القرن العاشر في الجامع الاموي بدمشق خزانة كتب خاصة بالمالكية والامين عليها مفتي اهل هذا المذهب محمد بن عبدالسلام النونمي . ووقف علي الدقري من اهل القرن

الحادي عشر للهجرة كتباً نفيسة غالية بدمشق . وكان لبولس الزعيم اللبناني من اهل القرن السابع عشر للميلاد خزانة مخطوطة .

ولم يبلغنا ان قامت للكتب سوق في وراء جنوب دمشق من البلاد الى اقصى حدود الشام مع ان بعض بلادها انجبت علماء اجلاء مثل قرا وامتان وعُرمَان وفجران وشهبة وصرخد وبُصرى والصلت ووادي الاردن وجبل الشراة وعمان ومعان والشوبك وعجلون واذرعات وجَرَمش والسويداء .

وبعد فقد كانت الوراقة اُصنعة الكتب من نسخ وتجليد وتذهيب ، صناعة رائجة في العهد القديم ، كأهم الصناعات الضرورية في المجتمع ، والاسخ يرزق بقدر إجادته الخط او الخطوط التي يعرفها ويحسنها . وكذلك المجلد والمذهب يكافأ كل واحد منهما بحسب غنائها . وكان كثير من العلماء يكتبون الخط المنسوب اي الخط ذا القاعدة وينسخون نسخاً لا بأس به ويعيشون من نسخهم . ومنهم من كانوا يتعففون عن القضاء ، او تولي شيء من امر الامة ، ويؤثرون ان يعيشوا بالنسخ او الوراقة او الاتجار بالكتب ، ومنهم من أثروا منها . وكان في كل حاضرة سوق لبيع الكتب يختلف اليه العلماء والادباء . ومن العلماء من نسخوا المئة بل المئات من الكتب ، ومنهم من نسخ الف مجلد في حياته . ولم يكد الكتاب يخرج من يد مؤلفه خصوصاً اذا كان من المشاهير الثقات حتى انما يورثه الابدي بالنسخ ، ويقل من قطر الى قطر ، ويتداول في الايدي ، ويجلد ويوضع في القاموس ، ليستفيد منه العلماء والطلاب ، ويستمتع به هواة الكتب .

وقد جاء زمن على دمشق مثلاً اي من القرن السابع الى القرن الحادي عشر وكل مدرسة من مدارسها الكثيرة لا تخلو على الجملة من خزانة مهمة وافية بغرض الاسانيد والتلاميذ . ومن أهم المدارس التي حوت خزائن مهمة العمريّة والعروية والناصرية والعاذلية والاشرفية . جاء في فتاوى النقي السبكي حك وقف دارالحديث الاشرفية هذا : ويصرف الى خازن الكتب ثمانية عشر درهماً في كل شهر وعليه الاهتمام بترميم الكتب ، واعلام الناظر او نائبه ليصرف فيه من مغل الوقف ما يفي بذلك ، وكذلك اذا مست الحاجة الى تصحيح كتاب او تقابله . وجاء فيه : وجعل

جزءاً من الوقف يصرف على مصالح المدرسة النورية ومن ذلك ان يصرف في شراء ورق وآلات نسخ من مركب (حبر) وأقلام ودوي ونحو ذلك ما يقع به الكفاية لمن ينسخ في الديوان الكبير او قبالة الحديث او شيئاً من علومه او القرآن العظيم او تفسيره ، و يصرف الى من يكتب في مجالس الاملاء ، والى من يتخذ لنفسه كتباً او استجازة ، ولا يعطى من ذلك الا لمن ينسخ لنفسه لغرض الاستفادة والتحصيل دون التكسب والاتقاع بثمنه . قال وللشيخ الناظر ان يستنسخ للوقف او يشتري ما تدعو الحاجة اليه من اكتب والاجزاء ثم يقف ذلك أسوة ما في الدار من كتبها . وكتب سنة ستائة واثنين وثلاثين اه .

وكان رهبان الموارنة في لبنان منذ القرن الخامس عشر يصرفون بعض اوقات فراغهم في نسخ المخطوطات الدينية والعلمية بل ان بعض بطارقتهم وأساقفتهم كانوا يحملون الحوارنة والرهبان وغيرهم على نسخ الكتب يزدون بها مجاميع الأديار والبيع في الجبل وينقلون في ذلك مثال إخوانهم علماء المسلمين في المدن . وبهذه الطريقة كانت تنمو الكتب والايدي تتناولها على أيسر وجه كأنها بعض المقدسات . او كأن القوم كانوا يتعبدون الله بحفظها وإمالة الأذى عنها وتجليدها وتخليدها ، وخدمتها بالتعليق عليها ومعارضتها بالنسخ الصحيحة ووضع الفهارس لها بحسب عرفهم في تلك الايام ، يتخيرون لها ما بقي ويخذل طويلاً من الورق المتين والمركب الجيد والجلد النفيس المجود الدبق لانها نادرة ليلية وفيها ثمرة العقول ، والنادر موضع العناية وهو خليق بان تشد عليه يد الضنانة وتحفظ النفوس به وتغبط بتعاور الايدي عليه من دون ان يناله سوء من عوادي الدهر .

مصابب الكتب } ما برحت المكاتب تزيد على الزمن بازدياد الحضارة في
والمكاتب } الاسلام وانتقل الكتب من مصر الى الشام ومن
الشام الى العراق ومن الحجاز الى الشام مثلاً و يُعنى بها العلماء والادباء ، ويتنافس في
اقتنائها الملوك والامراء ، ويضعف الغرام بها يوم تضعف الحركة العلمية ويفسد الزمان
و يُرغب عن الفضائل ، ما برحت الحال على ذلك حتى دخل الروم حلب واحرقوها سنة

٣٥١ ثم احرقوا - ص وغيرهما من مدن الساحل - ثم وقع الحريق الاعظم الذي أصيب به الجامع الاموي بدمشق سنة ٤٦١ ودثرت فيه محاسنه وما كان فيه من الاعمال النفيسة والكتب والمصاحف من جملة ما حرق في المصحف العثماني القديم - ومن أهم الكتب التي أصيبت بها الكتب في الشام نكبة طرابلس لما فتحها الصليبيون واحرقوا صنيبل احد اسرائهم كتب دار العلم فيها ، واخذ الصليبيون بعض ما طالت ايديهم اليه من دفاترها وكتب الخاصة في بيوتهم - واختلفت الروايات في عدد المجلدات التي كانت في خزانة بني عمار او دار حكمتهم في طرابلس وعلى اصح الروايات انها ما كانت تقل عن مائة الف مجلد واوصلها بعضهم الى الف الف وبعضهم الى اكثر - وقفها امين الدولة ابو طالب الحسن بن عمار وجاء بعده الامير علي بن محمد ابن عمار الذي جدد دار العلم سنة ٤٧٢ ثم نحر الملك عمار بن محمد حتى صارت طرابلس كما قال ابن النوات في زمن آل عمار جميعها دار علم ، وكانت في تلك الدار مائة وثمانون ناسخاً ينسخون لها الكتب بالجرية والجامكية فضلاً عما يشتري لها من الكتب المنتخبة من البلاد - وابن الفرات هو ممن يقول بان عدد ما كان في دار العلم هذه من الكتب نحو ثلاثة ملايين كتاب عند ما احرقها الصليبيون سنة ٥٠٣ هـ . والغالب انه كان في طرابلس من الكتب الموقوفة غير دار العلم وقفت قبل بني عمار واراد ابن الفرات بهذه الثلاثة آلاف الالف عدد الكتب التي كانت في مكاتب طرابلس كلها . ولا ينبغي ان يذهب عن خاطر ان ما كانوا يسمونه جزءاً او مجلداً او مجلدة لا يتجاوز بضع كرايس من كراسانها والاراسة قد لا تكون اكثر من ثمانين صحائف بمعنى ان الف المجلدة او المجلد لا تبلغ في مصطلحنا اكثر من خمسين كتاباً او ستين او سبعين كتاباً ، فكان المجلد في تلك العصور قليل الاوراق ، لان الورق او الرق غليظ فاذا جعل كل مجلد مثني او ثلاثاً او اربعمائة او خمسمائة ورقة يصعب تداوله وحمله ونقله ولا يصح ما قاله ابن الفرات من انه كان في دار العلم في طرابلس ثلاثة آلاف الف يوم نكتبها الا على هذه الصورة اي ان كتبها كانت بين المائتين وثلاثمائة الف ومنها اجزاء صغيرة ورسائل وقد يكون الجزء من كتاب لا يتجاوز سطره سطور مقالة من مقالنا او املاءة من الينا ومحاضرة او مسامرة من محاضراتنا ومسامراتنا اليوم .

فالمصيبة الاولى بل العظمى التي اصابته الكتب في الشام كانت على عهد الصليبيين والمصيبة الثانية ما حمله منها النار في نوبة هولاكو وما حرق في مدارس دمشق وجوامعها من احيائها فقد ذكر المؤرخون انه امتلأت خزائن الكتب بمرآة بما نهبه هذا الطاغية من الشام والعراق وغيرهما . وقدر ما حمله بارسمائة الف مجلد ومنها ما حرق في فتنه عازان سنة ٦٩٩ وفي وقعة التيمورلوك سنة ٨٠٣ فان النار ظلت تحرق دور دمشق ومدارسها وجوامعها في الفتنه التيمورية ثلاثة ايام فذهب في هذين الحريقين وغيرهما كتب المدرسة الضيائية والمدرسة العادلية وغيرهما من المدارس .

ومن الخزائن التي بلغنا خبر دمارها في الحروب الصليبية خزنة أسامة بن منقذ احد اصحاب قلعة شيزر فانها كانت اربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة ارسل بها بعد ان اخذ عهداً من الصليبيين من دمياط الى عكا في بطنة فنهبت ونهب معها ثلاثون الف دينار قال ان ذهبا حازة في قلبه ما عاش . ومن مصائب الكتب ما وقع من حريق في دار صاحب حماء سنة ٦٨٢ ذهب فيه من الكتب مالا يحصى . ومنذ دخل الصليبيون بلاد الشام اخذوا على ما يظهر يقنطون الكتب العربية ولكن على صورة ضعيفة لان العلم بها كان معدوماً عندهم ، يتناقصون على انها عاديات قديمة غريبة الوضع والشكل ولما لمعت في القرن السادس عشر شعلة النهضة في ايطاليا اراد الباباوات اقتناء الكتب العربية . فذهبوا لذلك بعض العارفين من رهبان الموارنة وحملوا الى رومية من اديار لبنان ما كان محفوظاً فيها من كتب الدين والعلم بما كان مكتوباً بالعربية والسريانية . وحمل يوسف السمعاني من لبنان (١٧٦٨ م) كتباً في ثلاثة مراكز الى رومية ملاًها بالخطوط العربية وغيرها ففرق منها مراكبان ولا يقدر ما فيها باقل من عشرات الالوف من المجلدات .

ومن المصائب التي اصبحت بها الكتب ان بعض دول اوربا ومنها فرنسا وحكومات جرمايا وبريطانيا العظمى وهولاندة وروسيا اخذت تجمع منذ القرن السابع عشر كتباً تتناقص من الشام بواسطة وكلائها وقناصلها والساقفة والمبشرين من رجال الدين ، وكان القوم ولا سيما بعض من اتسموا بشعار الدين ومن كان يرجع اليهم امر المدارس والجوامع بلغ بهم الجهل والزهدي الفضائل ان يفضلوا درهماً على انفس كتاب فخانوا

الامانة واستحلوا بيع ما تحت ايديهم او سرقة ما عند غيرهم والتصرف به كآنه ملكهم .
حدثني الثقة ان احدهم اسر الكتب في القرن الماضي كان يغشي منازل بعض ارباب
العام في دمشق ، ويختلف الى متولي خزائن الكتب في المدارس والجمامع ، فيبتاع
منها ما طاب له من الكتب المخطوطة باثمان زهيدة وكان يبيعها على الاغلب ، واكثرها
في غير علوم الفقه والحديث ، من قنصل بروسيا اذ ذاك بما يساوي ثمن رقعها ابيض ،
وبقي هذا سنين يبتاع الاسفار المخطوطة من اطراف الشام فاجتمع له منها خزانة مهمة
رحل بها الى بلاده فأخذتها حكومته منه وكأمانه عليها ، والغالب ان معظم الكتب
العربية المحفوظة في خزانة الامة في برلين هي من بلاد الشام . وفهرس هذه الخزانة
من الكتب العربية فقط في عشرة مجلدات ضخمة ما عدا المحقق . وتكونت فهارس
الكتب العربية في خزائن الغرب اليوم خزانة برأسها . وان بعيداً يحسن القيام على هذا
التراث الوافر لاخرى به من قريب ببلده جزافاً . وان انما عرفنا اكثر مما عرفنا
انفسنا حتى قال احد علمائهم ان العرب وضعوا من المصنفات مالا يستطيع احدنا ان يقرأه
طول عمره ، لجديرون بآثر الشرق في ماديته ومعنوياته كما قلنا من فصل في مجلة
المقتطف منذ اربع وعشرين سنة . نعم ان كتباً نترك للأرضة تعيث فيها ، والفن يعبث
بجمال جسمها ورسمها ، وتحرم النور ويعني اثرها الغبار والافساح . ويحرم النظر فيها
على من يحسن الاستفادة منها ، او تفسد علىها دربعات معدودة حربة بان تكون في
ملك من يستفيد منها ويفيد .

ومن الخزائن المشهورة التي بعثت في عهدنا ولم نعرف متى جمعت خزانة قبة صحن
الجامع الاموي بدمشق وكانت مملوءة برقوق نفيسة ففتحت سنة ١٣١٧ هـ بامر السلطان
عبد الحميد الثاني ، اجابة لمقترح الامبراطور غليوم الثاني الالماني فعثروا فيها على قطع
من الرقوق كتبت فيها سور من القرآن الكريم بالخط الكوفي ومنها قطع مهمة من
مصحف وربعات وقطع من الاشعار المقدسة بالارامية الفلسطينية وكتابات دينية
وأدبيات دينية وقصص رهبانية ومزامير عربية مكتوبة بالحرف اليوناني ومقاطيع
شعرية لا وميوس ، وكراريس وادراق بالقبطية والكرجية والارمنية في موضوعات
دينية الا قليلاً ، وجذاذات عبرانية وسامرية فيها نسخ من التوراة وثقاويم أعياد

السامريين وصلوات وصيوك للبيع والاقواف وعهود زواج وبينها مقاطيع لاتينية وافرسية قديمة. وقصائد شعرية يرثي عهدها الى ايام الصليبيين ونسخ انجيل برفوق . فأهدى السلطات معظمها لمادل المانيا ووزع قسم منها على بعض رجال الاستانة ورجال دمشق واستخاضت بعض قطع منها حفظت الآن في دار الآثار في هذه المدينة وأهمها تلك القطعة الكوفية المكتوبة على رق من ربة شريفة وقفها عبد المنعم بن احمد سنة ٢٩٧ وعلى الوجه الثاني نقش مذهب باسم واقفها . ورأى شيخنا الامام طاهر الجزائري . في تلك القبة جزءاً مكتوباً عليه انه حيس على مشهد زين العابدين صلوات الله عليه وعلى ابنائه الأئمة سنة نيف وسبعين واربعمائة .

دكانت في دير صيدنايا من جبل قلمون خزانة كتب حافلة بالخطوط النادرة ولا سيما الدر بانية فحاذر وكلاء الدير من كثرتها (المشرق ٢ ص ٥٨٨) ان تكون حجة بيد الدير بان ينقوون بها على اثبات حقوقهم في الدير فأجمع رأيهم على اخراجها واتلافها قهراً منها فجمعوها ومعظمها من النفائس المخطوطة على رق وبدأوا يحرقونها وقوداً للفرن خبزوا عليها خبزتين وكان هذا من نحو تسعين سنة . وهو عمل مثل الجهل المطبق والعصب لمقوت . وكم وقع من حوادث افراذية من مثل هذه فضاعت فيها الكتب ولم تبق لنا تفاصيلها . ومما أعان على نشئت الكتب ان بعض من أولعوا في العهد العثماني بتسليم ذرى المناصب والقضاء ، وكان لهم مشاكل وقضايا يريدون حلها في المراجع العليا او لجرد التقرب والنظر فكانوا ينعنون في مهادة من يتوقعون الخير منهم بالكتب وبذلك رحلت الى الاستانة وغيرها أعمال من المخطوطات على هذا الوجه ايضاً فعدت هذه الهدايا في جملة مصائب المكاتب .

خزانة اليوم من اهم الخزائن في ارض الشام اليوم خزانة مكتبة المسجد
واهم ما حوت الاقصى في القدس وفيها نصف مصحف قديم بخط كوفي
كتب عليه « كتبه محمد بن الحسن بن الحسين بن بنت رسول الله » واحدى ثلاث نسخ من
مصحف بحره ثلاثين جزءاً كتبها بيده احد ملوك المغرب ابن عبد الحق على رق وهي جملة
على الطريقة المراكشية وموضوعة في صندوق من خرف بالميناء على الطريقة الاندلسية .

ومصاحف كبيرة جداً وصغيرة كتبت في عهد المليك وملوك بني عثمن . ومن كتبها « نشق الازهار » لابن اباس و« حوادث الجو » مؤلف مجهول و« كتاب العروة والتاريخ » رواية ابن درستويه عن ابن القطاف .

ومن خزائن القدس مكتبة القبر المقدس ودير الروم ومكتبة دير الدومنيكان ومكتبة الآباء البيض ومكتبة دير الفرنسيسكان ودير الارمن وخزانة الآثار الاميركية والآثار الانكليزية ومكتبة المجمع العلمي الاثري البرتستاني والجامعة العبرية وفيها ١٣٠ ألف مجلد والكتبة الحنبلية ومكتبة الشيخ الخليلي ومكتبة البديري واهمها المكتبة الخالدية العمومية أنشأها في القدس الشيخ راغب الخالدي من اعيان تلك المدينة بمشورة استاذنا الشيخ طاهر الجزائري وتزيينه ومعاونته وقد بلغت نحو اربعة آلاف مجلد منها نحو ثلثها من المخطوط وزادت زيادات كثيرة بما اضيف اليها من خزانة الأسرة الخالدية الكريمة . جمعت سنة ٨ ١٣ (١٩٠٠) على مقربة من المسجد الاقصى في مقبرة احد الاسراء . ومن نوادرها « انموذج العلوم » للمولى شمس الدين محمد بن حمزة الفناري المتوفى سنة ٨٣٤ هـ ذكر فيه اصول مائة علم . « الطبقات السنية في تراجم الحنفية » عليه خط مؤلفه نقي الدين بن عبد القادر المصري التميمي الداري المتوفى سنة ١٠١٠ هـ . « الشعور بالعمومة » للصالح الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ في ذكر العلماء الذين اُصيدوا بفقد احدى عينيهم . « مباح المباح وراضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر » وهو المعروف بالمديجات لعبد المنعم الجلباني (٦١٣) . « مختصر حياة الحيوانات » لجلال الدين السيوطي (٩١١) . « قهوة الانشاء لابن حجة الجوي » (١٣٨) وهو مجموع رسائله . « اختصار السيرة النبوية » لمحيي الدين بن عربي (٦٣٨) . رواية ولده ابي سعيد وولده ابي بكر بن ابي المهالي محمد وابنته فاطمة عنه . « نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين » لرعي الحنبلي (١٠٣٣) . « رونق الحفاظ بمجمع الألفاظ » للحافظ جمال الدين يوسف سبط شيخ الاسلام شهاب الدين احمد بن علي ابن حجر وعليه خط الحافظ زين الدين قاسم بن قطلوبغا (٨٧٩) وهو المجلد الثاني ويرجع انه بخط مؤلفه . « مشير الغراء بفضائل القدس والشام » لشهاب الدين سرور المقدسي (٧٦٥) وفي آخره حواش فيها اسماء بعض تواريخ القدس . « تحاف الاخصا

في فضائل المسجد الأقصى» لكمال الدين محمد أبي شرف الشافعي المصري (٩٠٦) .
«شائق في السموم والترباق» لشائق الهندي نقله من لغته الهندية الى الفارسية منك
الهندي نقل للأمن على يد العباس بن سعيد الجوهري مولاه وهو في معرفة السموم
والترباق وهي نسخة ملوكة . «الوسيط» للواحد (٤٦٨) الجزء الثالث منه .
«عيون الاثر في فنون المغازي والشمال والسير» لابن سيد الناس البعمرى (٧٣٤) .
«ارجوزة محمد بن احمد الباعوني» (٨٧١) في التاريخ وقعت في نحو الف بيت من
الهجرة الى الملك برصباي . «تعاليق شهاب الدين احمد بن الهائم» على الخصائص
النبوية بخط المؤلف شهاب الدين احمد الشهير بابن الهائم (٨١٥) . «تقويم اصول الفقه
وتحديد ادلة الشرع» للدبوسي (٤٣٠) . «مجموعة رسائل لابن كمال باشا» (٩٤٠) .
«تأويل مشكل الاحاديث والرد على الملاحدة والمعتلة واهل الاهواء المبتدعة» من
املاء أبي بكر محمد بن حسن بن فورك (٤٠٦) . «ابضاح الاشكال في من ابهم اسمه
من النساء والرجال» اي رواية الحديث للحافظ محمد بن طاهر المقدسي (٥٠٧) وهو
ينسب الى قيسارية بين حيفا ويافا على ساحل البحر . «كتاب الاربعين الابدال
التساعيات» للبخاري ومسلح الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي (٧١٧) . «ارتياح
الاكباد بارباح فقد الاولاد» للسخاوي . «كتاب قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام»
لاحمد بن محمد بن عمر القدسي الشهير بابن زوجة أبي عذبة . «كتاب التنبات في
اعراب القرآن» لابي البقاء العكبري (٦١٦) . «دمية القصر وعصرة اهل العصر»
لابي الحسن علي البخارزي (٤٦٧) ذيل بقيمة الدهر للشمالي .

ومن الخزائن المهمة في غزة مكتبة المفتي وفي يافا المكتبة الاسلامية ومكتبة أبي نبوت
وفي ارباض حيفا مكتبة دير كرميل وفيها صكوك قديمة لها علاقة بالدير . ومن المكاتب
الخاصة في حيفا مكتبة الاستاذ عبدالله مخلص وفي عكا خزانة جامع الجزار وفي نابلس
مكتبة آل الجوهري وخزانة آل صوفان وفي صفد خزانة آل النحوي وفي جبل عامل
خزانة آل خانون وابراهيم يحيى والشيخ زين الدين وآل الصغير والشيخ احمد رضا .
وامم خزائن لبنان خزانة آل ارسلان في عبيدة وخزانة السيد جرجس صفا في
دير القمر وخزانة دير الشرفة ودير السير ودير المخلص . دير البلمند وعين تراز ومكتبة

قزحيا ويزمار واللوزة ومار اشعيا ودير يوحنا مارون بكفرحي . وكان في بعض اديار اليسوعيين في لبنان مخطوطات نقلوها الى ديرهم في بيروت كما نقلت المخطوطات المهمة في القرون الماضية من اديار الموارنة في الجبل الى رومية العظمى .

ومن مكاتب بيروت المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين وفيها مخطوطات مهمة بالعربية وغيرها لا تقل عن مئة وعشرين ألف مجلد باللغات المختلفة والعلوم المتنوعة ومكتبة الجامعة الاميركية معظمها بالانكليزية وازادت كتبها العربية بمجموعة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف . وخرأ ومجموعة دار الكتب الكبرى في بيروت قليلة المخطوطات كثيرة المطبوعات وكان في بيروت مجموعة البارودي من المخطوطات فيبت كما يبت مجموعة الامير حيدر احمد الشهابي ومجموعة السيد جميل العظم ومجموعة الكنت رشيد الدحداح في بيروت وغيرها من مجاميع الافراد التي بعثت لقلة العناية باعلم او لاسباب مادية قاهرة احياناً . ومن خزائن الساحل خزنة آل كرامة وآل الجسور وآل المغربي وآل السمين في طرابلس وخزنة آل الازهري في اللاذقية وخزنة الشيخ سليمان احمد في جبل العلويين وخزائن بعض المدارس في انطاكية . وأشر الخزائن العامة في حلب خزائن المدرسة الاحمدية والمدرسة الخسروية والمدرسة العثمانية والمدرسة القرمانيية وجامع الناصرية والمكتبة المارونية والارثوذكسية والكاثوليكية وخزائن آل الكواكبي والغزي والملاح والزرقا والكتخدا ومنش والانطاكي والعينابي وقطرعاسي ومجموعة سباط يبت . وخرأ . وفي المكتبة الاحمدية بحلب « المباحث الشرقية » للفخر الرازي . و « الوافي » للصفدي و « مختصر تاريخ الذهبي المسمى بالعبار » و « تاريخ الذهبي » في سبعة مجلدات و « در الحب في تاريخ حلب » لابن خطيب الناصرية في مجلدين و « التفسير المهمل » للفيض الهندي و « مشير الغرام لزيارة القدس والشام » ومن مخطوطات المدرسة العثمانية المعروفة بالضياية بحلب « عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ » للحاجي السمين و « المقدمة السنية للصفدي » و « الدر الثمين في اسماء البنات والبنين » و « الحدائق الانسية في الحقائق الاندلسية » . وكتاب « الناسخ والمنسوخ » للحازمي وفي خزنة المولوي تخانه بحلب « اختلاف الفقهاء » لاوزير ابن هبيرة المسمى بشرح معاني

الصباح . وخزانة الجامع الكبير بحلب غنية بالكتب الفلكية وآلات علم الفلك وكان واقفها محمود الجزار وابوه من علماء هذا الفن . وفي المدرسة البهائية « عيون السير » لابن سيد الناس في السيرة النبوية وحاشية عليه في ثلاثة اجزاء . لابراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن المحمي الحلبي . وفي بعض المدارس الحليية الاخرى كتب متفرقة لكنها غير ذات بال . وفي الكنيس الكبير في حلب ترواة مخطوطة قديمة الخط جداً . وفي حماة خزانة نوري باشا الكيلاني في جامع الشيخ ابراهيم ومجاميع الكيلاني . وفي حمص مجاميع آل الانامي ومكتبة القديس اليان الحمصي ومكتبة الخوري عيسى احمد وخزانة بني الجندي وكامل لونا . وفي المرة مجموعة آل الحراكي .

وكانت في دمشق عدة خزائن بعثت منها خزانة آل حمزة ، وخزانة الحضرة وآل الحسيني وهما مما بعث وايبع وخزانة آل الامير عبد القادر الحسيني بعث بعضها . وأهدت أخته كثيراً منها للحجج العلمي فجعلها في الخزانة الظاهرية . وحرقت خزانة العلامة الشيخ بدر الدين الحسيني وخزانة الشمعة وآل مرادم بك وخزانة آل القوتلي . وخزائن آل الحسيني والطار والخلي والغزي وبابزيد والابوي نشئت . وخزانة آل السقطي وزعت ، والى اليوم لا تزال محفوظة خزانة كل من آل الاسطواني وكان أحرق قسم منها في دار الفقيه الكبير سعيد افندي وذلك في حريق سوق الحميدية ، وحفظت خزائن كتب آل البطار وآل القاسمي والبخاري وعابدين المبارك وآل النابلسي وآل المنير وآل المرادي ودخل قسم مهم من هذه الى دار الكتب . وحملت خزانة الشيخ طاهر الجزائري وكان فيها الامهات المحررة الى مصر فاباعها من دار الكتب المصرية والخزانين التيمورية والزكية . ومما حفظ من المجاميع مجموعة البطريركية الارثوذكسية ومجموعة كنيسة السريان وهما مجموعتان جديدتان جمعنا بعد فئدة سنة ١٨٦٠ التي ذهبت فيها مجاميع الكنائس والاديار في دمشق وبعض لبنان ولا سيما زحلة . وفي بعض الیهوت القديمة في دمشق وحلب والقدس بل في معظم بلاد الشام القديمة مجاميع قليلة يحفظون بها ورثوها من اجدادهم ومنهم من لا يرجعون اليها ولا عرفوا مضامينها ويتغنون بحفظها ويتنوقون في رصفها كأنها بمض الآنية اللطيفة والعروض التي يتنافس فيها ، ونم الهوى هواها . واتهم الخزائن العامة

في الشام خزانة دار الكتب العامة التي يقال لها الظاهرية لا بكثرة اوراقها بل بالنوادير المحفوظة فيها من الكتب والرسائل وربما كانت مجموعتها اندر مجموعة فيها بضعة آلاف كتاب ورسالة وفيها ما هو بخط مؤلفيه او مقروء عليهم ومنها القديم جداً بل فيها اقدم كتاب في الشام من القرن الثالث . أنشئت هذه الخزانة سنة ١٢٩٦ بمساعي استاذي الشيخ طاهر الجزلثري وسليم افندي البخاري ومعارنة غيرهما من العلماء اذ ذاك وكان للرحومين مدحت باشا وحدي باشا والي سورية يد في جمعها وامن رجل من عمال الدولة عطف على هذا المشروع وساعده مساعدة فعلية المرحوم بهاء بك مكتوبي ولاية سورية ومن علماء الترك وكتابهم . فجمع ما نفع رقب من الاسفار في الخزانة العامة التي اقلت عليها الايام وبعد عمانات شديدة ممن يرومون كتم العلم وابقاء الناس في عمية جمعوا مقداراً من الكتب جعلوها في شطر من مدرسة الملك الظاهر بيهرس تحت القبة قبالة العادلية الكبرى ونصبوا عليها قواماً ووضعوا لها مثل شرائط المكاتب الكبرى فجاءت مكتبة مؤلفة من ٢٤٥٣ كتاباً متنوعة عد الدشت والكراريس والادراق المنفرقة . أخذت من عشر مكاتب وهي :

- (١) مكتبة المدرسة العمرية بالصالحية وهي قديمة العهد وقفها بعض اهل الخير ولكن كان الناظر قد سرق جانباً عظيماً منها لا تزال عند ابنائه ومنها ما في الظاهرية الجزء الاول او الثاني والتممة او الاول في دار السارق . (٢) مكتبة مدرسة عبدالله باشا العظم وقفها سنة ١٢١١ وضم اليها كتباً وقفها والده محمد باشا العظم سنة ١١٩٠ .
 - (٣) مكتبة سليمان باشا العظم وقفها سنة ١١٩٦ كانت بمدرسته بباب البريد . (٤) مكتبة الملا عثمان الكردي كانت بمدرسة السلمانية ايضاً . (٥) مكتبة مدرسة الخياطين وقفها اسعد باشا العظم بعد سنة ١١٦٥ وكان مقرها بمدرسة والده اسمعيل باشا العظم .
 - (٦) مكتبة المرادية بمدرسة الشيخ مراد المرادي النقشبندية . (٧) مدرسة السمساطية وهي قديمة وقفها بعض اهل الخير . (٨) مكتبة الياغوشية كانت موضوعة في مدرسة سيادش باشا بالشاغور . (٩) مكتبة الاوقاف وهي مؤلفة من عدة مكاتب حفظت بقاياها . (١٠) مكتبة بيت الخطابة كانت بحجرة الخطابة بالجامع الاموي .
- ومن كتب اخرى موقوفة .

وفي زمن رؤف بك والي دمشق اوائل هذا القرن جمع لها بتزئين حديقيه الاستاذين الجزائري والبخاري المشار اليهما نحو خمسمائة ليرة وابتاع لها كمية من الكتب المطبوعة في ديار الغرب وغيرها وجاد بعض كتبها حتى اذا كانت سنة ١٩١٩م وتألف المجمع العلمي العربي على يد الضعيف كاتب هذه السطور و برئاسته بذات العناية بائتياع او استهداء الكتب المخطوطة والمطبوعة وقليل منها بغير اللغة العربية فناهن عدد الكتب المخطوطة ثلاثة آلاف وسبعمائة كتاب عدا المجاميع وعدد المطبوعة الثلاثة عشر الفا عدا الخزانة التي اعدھا المجمع لاعماله في الفروع التي يبحث فيها وهي ثربو على ثلاثة آلاف وحصلت الفائدة من تنوع الاسفار والمجلات والصحف حتى قدر معدل الداخلين للاستفادة منها كل يوم بمئة انسان وما زالت عناية المجمع بتكثير كتبها متوفرة ولا تمضي اعوام قليلة حتى تصبج مثل بعض الخرائن المهمة في ديار الغرب بحول الله وقوته . ومن الكتب المخطوطة المهمة التي حفظت في دار الكتب هذه « الكواكب الدراري » لابن عمرو الحنبلي وهو في اكثر من مئة وعشرين مجلداً في فن التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والرد على الفلاسفة واسماء الرجال وعلوم شتى والموجود منه ٤٢ جزءاً . و « الغريب في الحديث » كثير منها اجوبة الامام احمد عن اسئلة ابي داود السجستاني كتب سنة مائتين وست وثمانين وهو اقدم كتاب عرف في الديار الشامية . و « البحر المحيط » في اصول الفقه للبدر الزركشي في خمس مجلدات والجزء الاول من « النذكرة » للعلامة اميرك من علماء المعتزلة في علم الكلام . والاول ايضا من « الاشارات الالهية » لابي حيان التوحيد في مخاطبة النفس . والاول من « سر الصناعة » لابن جني في اسرار العربية و « شعب الايمان » في التصوف والاخلاق لعبد الجليل الاندلسي . و « الرسالة الجامعة » من جمع اصحاب رسائل اخوان الصفا نقرأ عندهم بعد الرسائل المعروفة . و « الصحائف اليونانية في مخاطبة النفس الانسانية » و « الضوء اللامع » للسخاوي في تراجم اهل القرن التاسع في خمس مجلدات كبيرة . والثاني من « منافع الخلفاء الاربعة » لابي بكر ابن الطيب الباقلاني . و « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر الاندلسي . والثالث من « الجليس والانيس » لابي الفرج المعافا بن زكريا . وكتاب « الاحكام السلطانية » للقاضي ابي يولي . و « تفضيل السلف على

الخلف « ليراهيم بن هبة الله و « ديوان خالد ألكاتب » (المتوفى في حدود السبعين
 والمائتين) . و « الطب الروحاني » لابن الجوزي في علم الأخلاق . و « الاطراف
 فيما يتعلق » بالمحدثين سبع مجلدات للمحافظ جمال الدين المزي . و « كتاب الاموال »
 لابي عبيد بن سلام الازدي . و « تاريخ دمشق » لابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١)
 في عشرين مجلدآ . والجزء الخامس من « الفتاوى المصرية » لشيخ الاسلام ابن تيمية
 وهي في علوم شتى . و « اخبار الاذكياء » ليوسف بن عبد الهادي (المتوفى ٩٠٩)
 بخط مؤلفه . و « فهرس الكتب الموقوفة » بخط يوسف بن عبد الهادي بعضها من
 تصنيفه وبخط يده . « المناقب والمثالب » تأليف هبة الله بن عبد الواحد الخوارزمي .
 « مساوي الاخلاق ومذمومها ومكروه طرائقها » لابي بكر محمد بن جعفر الخرائطي
 في خمسة اجزاء . « شذرات الذهب في اخبار من ذهب » لابن العماد الدمشقي المتوفى
 سنة ١٠٨٩ . « الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة » لابن حجر العسقلاني المتوفى
 سنة ٨٥٢ بخط ابراهيم البقاعي . « عقد الجمان في مختصر اخبار الزمان » المنسوب
 للمسعودي المتوفى (٣٤٣) وهو للشاطبي المتوفى (٨٧٢) . (ارشاد السالك الى مباحث
 الامام مالك) ليوسف بن عبد الهادي بخط المؤلف . (طبقات النخاة واللغويين)
 لابن قاضي شهاب الاسدي ويليه (مختصر النخاة للزبيدي) . (المدهش) لابي الفرج
 ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ . (اللطف واللطائف) لابي الفرج بن الجوزي
 فيما قيل كتب سنة ١٢٨٨ هـ . (ادب السلوك) لابي الفضل عبد المنعم بن عمر
 ابن عبد الله الاندلسي المتوفى (٦٠٣) مشتمل على مشاريع كلمات الحكمة والأدب
 والأخلاق . (قاموس الاطباء وقاموس الالباء) لمدين بن عبد الرحمن القوصوني
 المصري من اطباء القرن الحادي عشر للهجرة في المفردات الطبية . (ما لا يسمع
 الطبيب جهله) ليوسف بن اسمعيل المعروف بابن الكبير من اهل القرن الثامن .
 (منهاج البيان فيما يستعمله الانسان) لابي العباس يحيى بن عيسى الكاتب الملقب
 بالرئيس الأجل المتوفى (٤٩٣) وهو في جزئين دخلا في مجلد واحد . (خلاصة
 تحقيق الظنون في الشرح والفتون) تأليف كمال الدين محمد بن مصطفى الصديقي وهو
 ذيل لكشف الظنون أتمه (١١٨٠) . (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) لنور الدين

ابي الحسن علي بن ابي بكر الهيثمي المتوفى (٨٠٧) جمع فيه مؤلفه زوائد الكتب الستة من مسند احمد بن حنبل والبزار والبيهقي والموصلي والمعجم الثلاثة للطبراني نسخة في مجلد كبير . (المجمل في الامة) لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا المتوفى (٣٩٠) اقتصر فيه مؤلفه على الالفاظ المهمة المستعملة اخذاكثرها بالسماح عن مقدمه واختصر الشواهد ورتبه على الابدانية منه جزءا مبتديا من حرف العين الى آخر الكتاب بخط ابي بكر محمد بن محمد بن خلف في سنة ٥٨٩ . (جنى الداني في حروف المعاني) لبدر الدين حسن بن قاسم المرادي المتوفى (٧٤٩) وهو كما في كشف الظنون مأخذ المغني لابن هشام . (شرح الايضاح) لابي علي حسن بن احمد النارسي المتوفى (٣٧٢) والشرح لعبد القادر الجرجاني المتوفى (٤٧١) شرحه اولاً شرحاً مبسوطاً في نحو ثلاثين مجلداً وسماه المغني ثم لخصه في مجلد واحد وسماه المقتصد وهو في مجلد ضخيم (٩٠٤ صفحات) بخط نفيس من القرن العاشر . (مجمع الآداب في مجمع الاسماء والالقاب) لكمال الدين عبد الرزاق الغوطي المتوفى (٧٢٣) منه الجزء الرابع مبتديا من حرف العين الى القاف بخط مؤلفه وهو في أسلوب عجيب . (الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة) للنجم الغزي المتوفى (١٠٦١) وذيله المسمى (لطف السمر وقطف الثمر) من تراجم اعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر . (طبقات الخنابلة) لابن رجب (٧٩٥) . (نشر المحاسن الباقية في خصائص ونسب القحطانية) لاحد افاضل وصاب بلاد اليمن . (اجزاء من عيون التواريخ) للصالح الكشي سنة ٧٦٤ .

وفي خزانة المجمع العلمي الخاصة عدة مخطوطات نادرة أخذت بالتصوير الشمسي منها نسخة من (الدارس) للنعماني (ابي المفاخر محيي الدين) المتوفى (٩٢٧) منقولة عن نسخة لابن المؤلف محفوظة في خزانة موزنج . و (تراجم الاعيان) للدوريني (١٠٢٤) . (الذيل على الرهضتين) لابن ابي شامة (٦٦٥) . (حكاه الاسلام) للبيهقي المتوفى في حدود سنة ٥٧٠ . (رحلة الامير يشبك) بن مهدي الدوادار (٨٨٥) . (كتاب الانصاف والتجوي في دفع الظلم والتجوي عن ابي العلاء المعري) لكمال الدين ابن العديم الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ ناقص من آخره . (مجموع فيه نقش خواتم الحكماء

وآدابهم ، واجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكمة وغير ذلك . (التيسير والاعتبار
والتحريروالاختبار) فيما يجب من حسن التدبير والنصيحة في التصرف والاختبار لمحمد
ابن محمد بن خليل الاسدي صاحب كتاب لوامع الانوار ومطالع الاسرار فرغ من
تصنيف كتابه سنة ٨٥٤ . (الثالث والمتاقي في المعالي والمعاني) لصفي الدين الحلي
(٥٧٠) ومعه مجموعة اخرى للشاعر نفسه . (نظم درة الغواص) للسراج الوراق
بخط محمد بن الصالح الهلالي كتبها سنة ٩٨٠ وهو المتوفى سنة ١٠٠٤ . (تحفة ذوي
الالباب) للصفدي سنة ٧٦٤ . وفي المجاميع عشرات من الرسائل النادرة الجديرة بالشرح .
هذا ما امكن استيعابه من الكلام على خزائن الكتب المخطوطة في هذا القطر
عرفنا بها في الجملة كيف تمت وجمعت وكيف مزقت وتشتت . وكان القوم يعتقدون
ان افناء الكتب يورث الغنى ويبيها يورث الفقر ، ولذلك احتفظت بعض البيوت
بكتبها وربما زادت عليها . وشوهد اثر هذه العناية في البيوتات القديمة فان المخطوطات
على كثرة ما اصابها من التفريق ما برحت محفوظة في المدن بل في القرى في بيوت
افراد من الشعب قد لا يخطر في البال انها تُعنى بمثل هذه الكنوز . ومنهم من يتبرك
بها ، وبفاخر باقتنائها ، ومنهم من يرتقب الزمن لبيعها بالاثمان الغالية . وقد ابتاعت
مصر في العهد الاخير كميات عظيمة منها ، لغنى مصر وشيوع العلم في بنيتها ، وثمانهم في
احراز آثار السلف كما كانت مألوفة معروفة في ايامهم . وقد يتعاون السلف المخطوط بثمان
فاحش وربما كان مما متل بالطبع مرات ، لان المخطوط روعة غير روعة المطبوع ،
وقيمة تاريخية يدركها حتى الادراك من يعاني هذه الصناعة ويقدر العاديات قدرها .
ومن الاسف ان صناعة النسخ ماتت من بلادنا وضعف بذلك الناس في المخطوط
الجيدة المنسوبة وغيرها كما فضت الآلة الكاتبة في الغرب على الخط ايضاً . ومن
المؤلفين والكتاب اليوم من يملون على كُتّابهم على تلك الآلة مباشرة او يكتبون هم
بانفسهم عليها دون ان يتعبوا اناملهم بشئ من السطور ووضع الصفحات مما يفيد في
الاسراع بالاعمال ، ويقضي على الفن والجمال . ولولا الحرص المغروس في الفطرمابقية
هذه البقايا التي تفاخر بها من عمل الاجداد ، وهي في نظر العقلاء اغلى من التبر والعسجد ،
ولا سيما بعد ان سطت عليها كل يد اتيمة وابيع من كتب الجوامع والمدارس بالالوف

فسافرت عنا تنزل على الرحب والسعة على من يعرف قيمتها ويحسن تعهدها . والكتب كما قال احد المولعين بها كالطيور لا تطلب الا الهواء الطلق السالم من الشوائب . ولطالما اشقلت من يد الى يد ومن جيل الى جيل كما تنقل الاعلاق النفيسة او كما نداول النقود والحُلِي ولكن بجملة وحرمة .

هذا وخير طريقة تحفظ بها ثمالة تركة السلف الصالح اليوم ان يمد كل من حوث رفوفهم وقماطهم كتباً الى كتبهم المخطوطة فيودعوها في الخزائن العامة لانها اقل عرضة للحريق والتلف ولكارث ووارث ، وان يستعاض عنها بالكتب المطبوعة في الخزائن الخاصة ، وتجعل المخطوطات ملك الجماعات يرجع اليها العلماء والباحثون ، ونسب كل عليهم فنكون منهم على طرف الثام ، وبذلك يزيد النفع منها ويحيا بالطبع والنشر ما لم تساعد الحال ان يعرف حتى الآن ، وبذلك يجتمع فائدتان فائدة الانتفاع وفائدة الحفظ ، كما فعل المصريون وحفظوا بقايا كتبهم في داري الكتب المصرية والازهر والخزائين التيمورية والزكية في القاهرة وخزانة المجلس البلدي في الاسكندرية والجامع الاحمدي في طنطا . والله يرث الارض ومن عليها .

الاديان والمذاهب

— ٣٥٥ —

أديان القدماء } اهتدى الفينيقيون بفطرتهم الى الاعتقاد بالتوحيد على ما يظهر . ودعوا معبودهم البعل اي الرب والسيد وقد يسمونه ادوت ومعناه السيد ايضاً . ولقبوه بملوك او ملوخ اي الملك او ببعل شمائيم اي رب السماء ، ثم اخذوا بصوروت الرب ويحسمونه على الصورة التي يخنارونها ، خصوصاً لما مصرروا الأمصار وجابوا الأقطار ، فأصبحت كل مدينة تخص الرب بها ، فكان اهل صور يطلقون على معبودهم بعل صور ، واهل صيدا يقولون عن معبودهم رب صيدون ، واهل بيروت يعرفونهم ببعل بيروت وهكذا يقولون بعل حرعون وبعل جاد وبعل تامار .

وتننوا بعد سيف أربابهم فأخذوا ينسبونهم الى النار وعبادة الطبيعة وأنشأوا يؤلهون قوات الوجود ومظاهرها الرائعة والأفلاك والنجوم . وكما جعل الفينيقيون لاربابهم انداداً اخترعوا لهم ازهاجاً سموها عشوت وقد عُبِدَت سيف سواحل الشام خاصة . ثم اخذت بعض المدن بالطبع تطلب لمعبوداتها زوجات وتنشي لها معابد . وكان معبد بعلة جبيل يحج اليه الناس من انحاء القطر كما يحنلون في الربيع بمقتل الرب ادونيس او نهر ابراهيم . وكان من كهنة الفينيقيين ان أقاموا في اوقات مخصوصة من السنة حفلات دينية تجري فيها امور ضريبة من الرقص والفحش ومن تضحية البنات والاسرى على مذابح الهياكل التي كانت أشبه بمواخير يأوي اليها الفاحشان فيختلف اليهن من يريد الفحش باسم الدين .

ويقال على الجملة ان الفينيقيين عبدوا في كل بلد مجموعة من الارباب فأهل صور عبدوا عشتروت وملكرت وبعلا وأهل صيدا اشموت وعشتروت وبعلا وأهل بيروت عشتروت وعطارد وبعل مرقد . وتجي* بعد هذه الطبقة من الارباب طبقة أخرى منها كالرب ايبس والرب سلمان . ومجموع الارباب الكبرى عند الفينيقيين كجموعة ما عبده الرومان بعد قرون في بعلبك من عطارد والمشتري وغيرها .

وكانت ديانة الاراميين كديانة الاشوريين والبابليين يعبدون الرب العظيم ورب الفكر ورب السماء والرب الاسد . ويجسمون رب الارباب عندهم ، على صورة انسان في نصفه الاعلى ، ونصفه الأسفل على صورة سمكة . وذكروا ان شيئا كانت ربة اهل حماة . وعبد الاراميون التيازك والشمس والقمر والسيارات السبع والهواء والرياح والنيران وعبدوا اترعطي الربة السورية ودعوها درر* كيتو نصفها انسان ونصفها السفلي سمكة . وكان عابدها اكراما لها بمنعون عن تناول السمك ويتوفرون على فتح أحواض يربون الاسماك فيها . ومن معبودات الاراميين هدد وسمسيوس زوج الربة شيئا واطرعطي زوج الرب هدد .

وكان الحثيون على مثال من تقدمهم من الأمم عباد اوتات ايضا ، فقد عبدوا الرب تيشوبو وهو مثل هدد الاراميين وبعل الكنعانيين . وروي انهم عبدوا الشمس واخذوا عن الكنعانيين عبادة عشتروت وغيرها من الارباب وألهموا مظاهر الطبيعة فعبدوا جمالها وجلالها .

وعبد الكلدان والاشوريون اولاً رب السماء ورب الارباب ورب الارض ورب النهر ، وجعلوا لكل رب من هذه الارباب ربة تكون قرينته . وبعد حين عبدوا القمر والشمس والأهرة . والأهرة هذه ينظرون اليها انها قد تجسدت فيها الحياة والحرب خفيها اللطف والمعجبة ، وقد بنوا لها في مدينة أرك هيكلًا للفحش حتى دعيت هذه المدينة بمدينة الماهرات . وعبد البابليون على عهد حمورابي مردوك رب الاكوان وعبدوا رب الحكمة والعلوم والحرب والعيد والزراعة والموت والزواج والانواء والابوة . واقتبس الاشوريون عامة معبودات البابليين وزادوا عليها ربهم اشور رب الارباب عندهم ، ينزهونه عن الوالد والولد والزوج ، ويعتقدون بمحشر الاجساد

أوما يشبه ذلك في يوم الجزاء . ويرمزون إلى آربابهم بمحيوانات ودواب كرمزهم بالافاعي والطيور والسماك والغزلان والبقر والخرفان .

أما قدماء المصريين فقد اعتدوا إلى عبادة رب الآرباب وتمثلوه في الشمس الحاكمة على الأكوان . وقدسوا معبودهم على صور شفي ثم أصبح لكل مدينة ربهسا يعتقدون بأنه واحد احد يظهر في مظاهر مختلفة من مظاهر الطبيعة من نبات وحيوان وجماد وكواكب . انهار ولا سيما النيل ، وأقاموا لكل واحد من آربابهم المياكل يخدمها الكهنة والسدنة . ومن أم معبوداتهم اوزيريس وايزيس وهوروس أي الوالد والوالدة والولد . واعتقد المصريون بالآخرة والجزاء في العالم الثاني وحشر الاجساد ، ولذلك عُنُوا بتحنيط موتاهم على . ألم يصل إليه احد قبلهم ، على الميت يأنس بصورته . وعبد الفرس قوى الطبيعة التي وقعت تحت حسم من شمس وقر وثار وماء وهواء ، ثم عبدوا ميترا التي هي الزهرة ، ثم كانت من مجوسهم على عهد زردشت واخلافه ان عبدوا رب الخير والشر ، واسم رب الخير يزدان اورب النور وهو الرب الاعظم مبدع الكائنات ، واسم رب الشر اهرمن وهو رب الظلمة واصل كل بلاه . قال ماني : مبدأ العالم كونان احدهما نور والآخر ظلمة كل واحد منهما منفصل من الآخر ، فالنور هو العظيم الاول ليس بالعدو وهو الاله ملك جنان النور وله خمسة اعضاء الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة ، وخمسة آخر روحانية وهي الحب والايمان والوفاء والمروءة والحكمة ، وزعم انه بصفاته هذه أزلي ومعه شيتان اتان أزيان احدهما الجو والآخر الارض ، واعضاء الجو خمسة الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة واعضاء الارض النسيم والريح والنور والماء والنار ، والكون الآخر وهو الظلمة وعضاؤه خمسة الضباب والحريق والسموم والسم والظلمة ، ومن تلك الظلمة كان الشيطان . قال ابن ساعد : والصابئة هم القائلون بالاصنام الارضية للآرباب السماوية أي الكواكب متوسطون إلى رب الآرباب ، وينكرون الرسالة في الصور البشرية عن الله تعالى ولا ينكرونها عن الكواكب .

هذا وقد دان اليونان كما دانت كثير من الامم القديمة قبلهم بتأليه الجمال على اختلاف مظاهره ، عبدوا الجمادات لاول امرهم ثم ترقوا إلى غيرها من تأليه الاشجار

والرجوم والاحجار ، وانشأوا بكرمون الافعى في هياكلهم كما بكرمون بعض حيوانات البحر وطيور البر . وكانوا يبالغون في اكرام الموتى من عظمائهم حتى الحقوهم باربابهم ، ونسبوا اليهم كل صفات البشر وابشع ذائلهم . ويقدمون في المذابح ذبائح من الطيور والحيوانات والبشر مما كان عند الفينيقيين . وهكذا كثرت اربابهم الى التي ليس بعدها فلما فتحوا بلاداً اخرى اضافوا الى اربابهم بعض الارباب التي وجدوها تعبد في البلاد المغلوبة على امرها ، وكثرت خرافاتهم حتى كان يستهدف للموت كل من يريد من عقلاهم على ان يقلعوا عن تحريفهم . هذا غاية ما يشار اليه من اديان قدماء الدول التي طال امرها في هذه الديار .

ومن اجيال العرب التي حكمت اجزاء مهمة من هذه الديار قبل الاسلام النبطيون في الجنوب والايطوريون في بعض الساحل وقدم عبد النبطيون اللات والعزي ، وكانت البتراء مركز عبادتهم قبل العهد اليوناني بستة قرون على الاقل . وعبد الايطوريون الكواكب والشمس والزهرة وذا الشرع ، وربما تشابهت معبوداتهم ومعبودات النبطيين . وكان لهم في بعلبك مذبح كانوا يقولون انه بيت من بيوتهم عظيم عندهم جداً . وصنم الأقيصر الذي كان في مشارف الشام كان لقضاعة ولحم وجذام وعاملة وغطفان كانوا يحجون اليه ويحلقون رؤوسهم عنده فكان كلما حلق رجل منهم رأسه التي مع كل شعرة قرّة من دقيق اي قبضة . وعرف من الآثار ان اهل صرخد كانوا يعبدون اللات على ما اكتشف على باب كنيسة لها . ومعظم هذه الاصنام كانت مما ينحت من الاحجار ومنها ما كان من الشبه (البرونز) وقد نقلوا هذه الاصنام الى الغرب خصوصاً منذ اوائل القرن الثالث قبل المسيح لما قبض على زمام الامبراطورية الرومانية امبراطرة من الشاميين ، وقد عثروا على بعضها في فرنسا والنمسا واطاليا . وكان يادو المشهور في تاريخ الاسرائيليين حفيد هوشافاط الذي قتل جميع انبياء بعل وعبدته يعبد العجول في بيت ابل . وبيت ايل الى شرقي خط يمتد من اورشليم الى نابلس على بعد واحد من كلتا المدينتين وكانت قديماً عاصمة الكنعانيين .

وقد عبد الرومان قوى الطبيعة من الافلاك والشمس والارض والنبات والحيوان واكرموا الياابيع والاشجار العظيمة والنجارة ، ثم عبدوا المشتري واظهروه في مظاهر

عديدة وكانوا يقولون رب البرق ورب الرعد ورب النور . وجعلوا للشعري ربة اسمها جونون وعبدوا المريح رب الحرب بقدهوت له ضحايا من الخنازير والبقر والغنم بل يقدمون له الذبائح البشرية يختارونهم من أسرى الحرب على الأكثر . ولم أرباب أخرى كرب البيت وحارسه ورب نار البيت وجعلوا لها هياكل أقاموا على حراسها بنات عذارى يتعهدن نارها حتى إذا غلن عنها فأطفئت وأدوهن على ما كان أهل الجاهلية يثدون بناتهم خشية العار . ولما اختلط الرومان بالأمم الأخرى اقتبسوا منها ما راقهم من أربابهم ومنها عشتروت المعبود الشامي .

قال كلرموت غانو : لم تكدر تظهر الوثنية اليونانية الرومانية حتى أصبح الناس يحبونها في جميع أصقاع الشام ويقبلونها راضين . وذلك لأنها قائمة على أساس التسليم القابل للظهور في كل مظهر وصورة . تلثم بمرونة عجيبة مع أشكال الديانات التي تدين بها الشعوب الأخرى . وذلك بأن تمزج هذه الديانات بنفسها أو تمزج نفسها بها . ولم تدخل في ذلك المحيط الخاضع المدهوش إلا أصلاً واحداً وهو معرفة الأشياء الحسنة ، ولم تقض إلا بقضاء واحد وهو الاعتماد عن البشاعة ، ولم تضع إلا نظاماً واحداً وهو نظام السرور ، ولا تليماً واحداً غير تعليم الذوق ، ولم توح بغير الجمال . وكانت ترفق بالأديان التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها ولا تشتد إلا على الأديان التي تحاول مقاومتها . فالعبادات القديمة التي عرفت عند الكنعانيين استنقت من هذا النبع الصافي البارد مأخوذة بشيء من الجنون اه .

لما جاء كسرى إلى حلب وعمر بيتاً للنار كان في الشام أربعة أديان أمهات ، وهي : اليهودية والنصرانية وعبادة الأوثان والنيران . وجاء الإسلام والناس في الشام يدينون بهذه الأديان . وكانت النصرانية قبل الإسلام على رواية اليعقوبي في ربيعة وغسان وبعض قضاة ، واليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة ، والمجوسية في تميم ، والزندقة في قریش أخذوها من الحيرة . وكان بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية الها من حدس ، والحيس تمر يخلط بالسمن والأقط فيعجن ، فعبدوه دهرأ طويلاً ثم أصابهم مجاعة فاكلوه . ولما مرض عمرو بن أمي وكان بلي أمر الكعبة في الجاهلية قيل له ان باللقاء من الشام حمة ان أنبتها برأت فأتاها فاستنم بها

فبراً ووجد اهلها يعبدون الاصنام فقال ما هذه فقالوا نستقي بها ونشتمر بها على العدو ، فسألم ان يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة .

اليهودية (١) } يرجع البشر على اختلاف مذاهبهم واديانهم الى جد واحد وهو آدم والى ابناء سيدنا نوح الذين تناسلوا وتكاثروا وانتشروا على سطح الارض . ومعلوم ان عرب الجاهلية واليهود هم ابناء سام ولذلك سموا بالشاميين واستوطنوا في الاصل البلاد الكنعانية المعروفة اليوم بفلسطين ومشوا منها الى حدود مصر جنوباً والى العراق ثم الى منتصف آسيا شرقاً . والحاميون ابناء حام سكنوا بلاد مصر والحبشة وانتشر القسم الثالث اي ابناء يافث فهم في القارة الاوربية والبلاد التركية .

ولما ظهر الاب الاول سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، من بلدته الرها (اورفة) من بلاد الكلدان اذ ذاك جاء منقاداً بشيئة الله الى البلاد الكنعانية واقام في بلدة حبرون اي خليل الرحمن رمزاً لمودة الخالق له . وهنا نفقي عن سرد ما اوتي من المعجزات لخروجها عن صددنا ونغفل ايضاً عن ذكر من جاء بعده من الابرار والانبياء الكرام وما اونوا هم ايضاً من المعجزات . والكتب المقدسة والقرآن الكريم حافلة بكل ما يراد معرفته بهذا الشأن . بيد انه لا نرى بداً من الاشارة فقط الى ان سيدنا اسماعيل ابن خليل الاكبر قد نزع زامه هاجر من البلاد الكنعانية الى شبه

(١) رجونا بعض المحققين العارفين بهذه المذاهب ان يكتب كل واحد عن دينه فكتب على اليهودية الدكتور سليمان تاجر وعلى الارثوذكسية الارشمندريت توما ديسو المعالوف وعلى الكشلكة الاب لويس شيخو اليسوعي وعلى المارونية الخوري بطرس غالب وعلى البرتستانتيه القس اسعد منصور وعلى اهل المسلمين السنيين استاذنا الشيخ سليم البخاري وعلى المسلمين الشيعة الاستاذ الشيخ احمد رضا ووصفنا نحن مذاهب الباطنية كالنصيرية والاسماعيلية والدروز والبابية ووصف الفاضل السيد محمد عزة دروزة فحلة السامرة .

جزيرة العرب وبقي اخوه اسحق في تلك الاصقاع الوصوفة بارض الميعاد ، اشارة الى العهد الذي اعطاه الخالق سبحانه وتعالى خليله ابراهيم القائل باعطاء البلاد الكنعانية على رحبها الى نسله . وقد سميت بالبلاد المقدسة ايضا عندما بدأ اليهود يحجون الى الهيكل المقدس الذي بناه سليمان الحكيم . وقد كان بناء هذا الهيكل مدعاة لتمسك اليهود بهذه البلاد ولعدم النزوح عنها الا لتعاطي التجارة لمن كان مكرها بمحكم الضرورة على الاقامة مؤقتا في البلاد المجاورة . وقد وجدت في الدهر الفاير آثار تاريخية كثيرة تدل على نزول اليهود حوران ودمشق وبلاد الفينيقيين الواقعة على شاطئ البحر المالح (المتوسط) .

ومما لا ريب فيه ان اليهود قد اقاموا عسورا عديدة في البلاد التي دوختها جيوش النبي داود واعني بها سوريا وشمال ما بين النهرين . ولما اعمل بنوخد نصر ملك بابل (٦٠٠ ق م) سيفه باليهود هاجر قسم منهم الى بلاد فارس وآسيا الوسطى وآب قسم آخر الى دمشق . وعادت البقية وعلى رأسها نحميا ودانيال وجددوا بناء الهيكل المقدس الذي لم يلبث ان جاء تيطوس الروماني (٧٠ ب م) وهدمه . وقد اعمل هو ايضا السيف برقابهم واضطرم الى النزوح الى الامصار البعيدة كبلاد اليونان والاندلس وشمال افريقية . وقد روي عن بولس الرسول انه حاول اقناع اليهود القاطنين في الشام لاتباع السيد المسيح والتدين بدين النصرانية ، وهذا مما يدل على وجودهم في تلك الأزمنة في هذه البلاد .

ثم ان قائد عساكر سيدنا عمر عندما فتح الشام انتقيا نفرا غير قليل من اليهود والمسلمين الدمشقيين الى باب الصناعات والفنون الجميلة وجي بهم بعد الى بلاد بخارى فنوفروا على البناء المائل تمام المائلة للنسق الدمشقي من حيث طرز البناء ورسومه واشكاله وادواته حتى يخيل لمن يزور تلك الاصقاع انه في سوق او دار من اسواق الشام ودهرها . هذا ولم تزل حارة اليهود في بخارى حارة واحدة تضمهم واخوانهم العرب مما يدل على انهم لم يفترقوا منذ امة تلك البلاد . وهذا ايضا يؤيد وجود اليهود في ذلك الزمن . ثم ان نزول اليهود في دمشق منذ امد بعيد مشهود ومحسوس من كنيس قرية جوهر التي تبعد بضع دقائق عن شرقي دمشق وقد جاء ذكره في التلود الموضوع منذ اكثر

من النية سنة وذلك بقوله بالحرف الواحد : « كشتاد بهرجوير » ومعناه كنيسة جوهر القائمة الى يومنا هذا والتي كانت مقراً للنبين ايليا (الخضر) وتليذه البشاع (اليسع) وفي بعض دور الكتب العبرية في دمشق الى اليوم آثار مخطوطة يرجع عهدها الى القرن الحادي عشر للميلاد . وصفوة القول ان اليهود لم ينقطعوا عن الشام لاسيما عند فتح المسلمين لها اذ ثبتت اقدامهم فيها وتوفرت لهم اسباب الهناء والرخاء .

ولم تؤثر التطورات والفتوحات التي وقعت في هذه البلاد في اعتقاد اليهود الديني ولا غيرت شكلاً من مراسيمهم بل كانت بالعكس سبباً قوياً لتضارهم وتحفزم لدرء كل ما من شأنه ان يفسد لهم معاملاتهم وعاداتهم . وما زالوا منذ الخلق كسائر اليهود يعبدون الله عز وجل ويوحّدونه ويؤمنون بربهم ويؤمنون بما نزل من السماء الى آدم والى الآباء والانبياء بقوله لهم باللفظ العبري : « آني يهوه » اي انا يهوه .

وقد فصل المجتهدون من علماء اليهود اسمه المقدس تفصيلاً وافياً خلاصته باللغة العبرانية : « هيا ، هيو ، يهيه » ومعناه كان (في الماضي) وكائن (في الحال) وسيكون (في المستقبل) اي انه تعالى حيّ قيوم دائم الى الابد . وكان يرفق احياناً اسمه الكريم في التوراة كلمة « الوهم او شنداي » ومعناها الجبروت والشدة . ويحترم اليهود ايضاً الانبياء الذين اوحى اليهم في زمن ملوكهم وعددهم — ٤٨ — .

ويتألف اليهود كل الألفة مع مواطنيهم مهما اختلفت اديانهم وتزعاتهم . فهم كفرنسيين في فرنسا وكاروس في روسيا وكالانكليز في بريطانيا الخ وهنالك ايضاً لا يختلفون عن الشاميين من حيث الاخلاق والزي . ولا يسميهم دخل قوي في الألفة مع مسلمي الشام . فهم يتسمون بأسماء لا يسمي بها غيرهم من اليهود كصبي وصبري وعارف ومراد ويحيى وعبد وبيهة وعائشة وجميلة والى ما هنالك من الاسماء العربية المحضة ، وما يزيد ائلافهم مع المسلمين انهم مضطرون بحكم الدين الموسوي ان يراعوا شلهم احكام الختان والغسل والطهارة .

ولغة اليهود « العبرية » اينما حلوا ورحلوا يتعرف بها بعضهم الى بعض وبها يؤدون فروض صلواتهم اليومية وشعائرهم الدينية . ولغتهم هذه هي شقيقة اللغة العربية .

فإن الصرفيين العرب لا يتعذر عليهم معرفة دقائق الصرف العبراني وكذلك العبرانيون لا يصعب عليهم تعلم اللغة العربية والتعمق في دقائقها . وهي كما قلنا لغة سامية يبدأ تحريرها كالعربية من اليمين إلى الشمال وأغلب كلماتها هي كشقية لها لفظاً ومعنى . وعدد حروفها ٢٢ حرفاً وهي : ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت اي ايجد هوز حطي كلن سغصص قوشت .

وقد كان للغة العبرانية الفضل الأكبر في حفظ حياة اليهود إلى هذا الزمن فهي التي جمعت شملهم في البلدان المختلفة وهي التي ذبت عن حياتهم وحافظت على كياناتهم . وقد حث العلماء المعاصرون على رفعها إلى مصاف اللغات الحية مما حدا بهم إلى تأسيس الجامعة العبرية في القدس الشريف في ١ نيسان سنة ١٩٢٥ وبدؤا بترجمة الآثار النفيسة والكتب المفيدة إليها . ولا يمضي زمن إلا ويكون لهذه اللغة على ما أرى شأن عظيم ومركز سام . وربّ قائل يقول أنه قد يحول دون توسع علماء اليهود في الترجمة والانشاء فقدان الكلمات الفنية الحديثة من اللغة العبرانية فالجواب أن التلמוד أتى على ذكر بعض المخترعات التي نظنها وليدة القرنين الأخيرين كالمطيد والكهرباء ومما ما باسمائها المخصوصة . وقد أعيدت إلى اللغة في هذا العصر ومع هذا لم يحجم علماء اللغة في القرن الماضي عن استعمال الكلمات الدخيلة المحتاج إليها والتي ثني بالعلماني المقصود إدخالها على اللغة العبرانية . ولذلك فاني أفاءل خيراً بمستقبل هذه اللغة السامية القديمة واتمنى أن يجتهد حذوهم علماء اللغات الشرقية الشقائق .

السامرة (١) } ينسب السامريون أنفسهم إلى سبط يوسف وينسب
كهانهم أنفسهم إلى سبط لاوي ويقررون أن هذا السبط

(١) لا شك أن المطلعين على ما جاء في التوراة المعتبرة عند اليهود والمسيحيين معاً سيجدون بوناً عظيماً بين ما ذكر في هذه الرسالة وبين ما جاء هناك ولكننا أردنا أن ننقل ما يقوله السامريون عن أنفسهم . وكتبت هذه النبذة اقتباساً من كتاب مخطوط أنه أحد كهان الطائفة السامرية في نابلس .

هو بيت الكهنوت الاسرائيلي حصراً . و « السامرية » نسبة الى اقطاع شمرونيم الذي كان في ملك سامير الاشوري الشمروني . وذلك ان الاشوريين لما غزوا فلسطين غزوتهم الاولى انتشروا في البلاد وامتلكوا كثيراً من اقطاعاتها . وكانت فرقة شمرونيم تملك اقطاع سبطية واخذوا يستغلون ارضه بعد ان خربوا المدينة المذكورة . ثم آل هذا الاقطاع الى الامير سامير امير الفرقة فجاء اليه احد ذوي اليسار من آل يوسف واشترى اقطاعه واخذ يعمره هو وآله ، فلبستهم نسبة الارض ثم ابنتوا اخيراً مدينتهم التي تسمت بالسامرة نسبة الى اصل تسمية الاقطاع ومالكه الاشوري .

ويعزو السامريون سبب انشقاقهم عن سائر اسباط اسرائيل الى خلاف ديني نشأ بينهم وبين هذه الاسباط . وذلك ان الاسرائيليين ظلوا الى القرن الثالث من دخولهم ارض كنعان يقدسون جبل جرزيم الذي هو جبل « ناباس » الجنوبي ويقربون عليه قرايبتهم اعتقاداً منهم ان يوشع أقام هيكل العبادة الاول في هذا الجبل . وكان الى ذلك التاريخ مركزهم ومقام امامهم الاكبر وكاهنهم الاعظم . فلما ورث الامامة الكبرى الامام عزري بن يحيى وكان حديث السن فحسده الكاهن الأعظم عالي وأنف انت يكون له مروءة واخذ يدس له الدسائس حتى نجح في استمالة فريق من الاسرائيليين فهجروا جرزيم وانتقلوا الى سيلون — قرب القدس — وكانت ماهراً في الشعوذة واعمال السحر فمظم حوله الجمع فأقام هيكلًا وصندوقاً للشواهد وادعى انها الاصليان وأوجب تقديسها وصرف الوجوه عن جرزيم . وقد ساعده في عمله اخفاء الهيكل وصندوق الشواهد اللذين أقامهما يوشع على جرزيم باعجوبة ربانية انتقاماً من اليهود لخالفهم الشريعة وانغمسهم في المعاصي . فاعتبر سائر اليهود قول عالي واخذوا يقدسون هيكل سيلون .

اما سبطا يوسف ولاوي فانهما ظلّا على عهدهما من نصر الامام عزري وتقديس جرزيم واعتباره المحل المختار الذي اختاره الله للهيكل والذبيح . ومن هذا الحين اصبح الاسرائيليون فرقتين فرقة عزري ومركزهم جرزيم وحدوده ، وفرقة عالي ومركزهم سيلون . وقد استحكمت العداة بين الفرقتين فأخذتا يتبعدان احدهما عن الاخرى

وظفقت كل فرقة تلصق بالآخرى التهم ، وجرت بينهما مناقشات ومنازعات كانت تؤدي في بعض الاوقات الى اراقة الدم .

يقول السامريون ان عالي الكاهن بعد ان عظم امره اخذت مطامه تظهر واساء السيرة في اليهود هو واولاده واخذوا يخالفون اوامر الله وشريعته ، وقد نبئ ولد اسمعه صمويل اتقن الشعوب . واغتم الفلسطينيون فرصة انشقاق الاسرائيليين فرحفوا على اليهود ونكلوا بهم فلما مات الكاهن خلفه صمويل فلم ير الا ان يدعي النبوة ربطاً لقلوب اليهود به فصدقوه هؤلاء لقوة شعوزته ودهائه ولكنهم طلبوا منه ان يقيم عليهم ملكاً يدير شؤونهم ويجمع شملهم دفماً للخطر الذي دامهم من ناحية الفلسطينيين فأقام عليهم شاول الملك . وكانت من أعمال هذا الملك اشهار الحرب على سبطي يوسف ولاوي لعدم اتباعهم لم وعدم اعتبارهم هيكل سيلون وذبحهم معهم في مذبح سيلون . وقد كبس شاول السبطين في عيد المظال فقتل منهم كل من وجده وذبح امامهم الا كبر شيشي بن عزي وخرب محل عبادتهم في جرزيم ونقض حجارة الهيكل . واحتل منطقتهم فتشتت قسم كبير من الذين سلموا من القتل منهم . وظل آل يوسف ولاوي اثنين وعشرين عاماً لا يقدرون على أداء فريضة الحج ولا يجرأون على التظاهر بشعائرم الدينية . وقد حاول كاهنهم الاكبر باير اقتناع داود حينما ملك باحترام جرزيم وبناء الهيكل فيه فلم ينجح واخذ يقيم الهيكل في يابيس « القدس الآن » وادعى هو وابنه سليمان من بعده انه المحل المختار وأناطوا به جميع المقدسات المودطة بجرزيم دون ان يكون في أسفار التوراة الخمسة دليل على ذلك في زعم السامريين . ولما غزا بختنصر فلسطين اجلى في من اجلاء آل يوسف الى بابل وأسكن محالهم أمماً غريبة فسبب ذلك انحباس الأمطار وعطب الزيتون فالتمس القاطنون من الملك ان يسأل آل يوسف عن سبب ذلك فأجابه هؤلاء ان لنا جبلاً مقدساً نخرج اليه وننتقرب الى الله فيه بالقرايين فلم نكن نرى حبساً ولا عطباً فعزى على اعادتهم الى بلادهم ليعقبوا شعائرم . وقد وقع في هذا السياق بينهم وبين آل يهوذا خلاف على المحل المختار ولكن آل يوسف أقنعوا الملك بقوة نصوصهم فرجعهم وأعادهم وجعل لهم شيئاً من السلطة فجاءوا وأقاموا هيكلهم وزحفوا على يابيس وهدموا هيكلها . فكان نجاح

هذا عاملاً جديداً في ازدياد النغرة بين الفريقين أولاً وتحريف اليهود نسخ التوراة الموجودة في ايديهم ثانياً .

وقد طعن اليهود في اصلهم فقالوا عنهم كوتبين ونعتوم بانهم وثنيون وان لهم صنماً اسمه اشيا نكابة وتغرضاً وانتقاماً . وقد كان اليهود في عهد الحكم الروماني والفارسي كثر العدد . وكان لهم يد كبري في الثورات الوطنية التي كانت تنشب من حين الى آخر . وقد أفتت هذه المنازعات عدداً كبيراً . فلما دخل العرب فلسطين اخذ السامريون يدينون بالاسلام فيقل عددهم رويداً رويداً الى ان أصبحوا طائفة قليلة جداً ربما لا يتجاوز عددها الآن مائتي نفر ذكوراً واناثاً كباراً وصغاراً . وقد اقتبسوا من المسلمين واقتبس المسلمون منهم في نابلس على توالي الايام كثيراً من العادات والهجيات . وهم الآن يتكلمون بالعربية النابلسية العامية . وقليل منهم يعرف العبرانية كما ان عبرانياتهم قديمة بينها وبين عبرانية اليهود اختلاف بين وان تمت اللغتان الى اصل واحد . ولا يزال اصل بعض الأسر المسلمة في نابلس معروف بالنسبة والأرومة في الطائفة السامرية .

ينعت السامريون انفسهم بالمحافظين لانهم حافظوا ولا يزالون يحافظون على ادق شعائر العبادات والشرعية دون تأويل ولا انحراف . ويزعمون ان التوراة التي في ايديهم اصدق واقدم توراة وانها بخط ايشع بن فينخس بن العزر بن هرون نقلها ايشع عن المدرج الذي كتبه بيده موسى عليه السلام . وتوراتهم هذه مدرج طويل من الرق له اسطوانة مفضضة محبوطة في معبدهم تكاد تكون سلوتهم الوحيدة في هذا العالم الذي أصبحوا فيه غرباء عن كل امم واثراً تاريخياً اكثر مما هو شعب حي . وهم يزعمون ان توراة اليهود قد فقدت مراراً وحرفت كثيراً وان التوراة التي بين ايدي اليهود ملفقة استندت الى الظن والحدس على غير اساس ، وان اليهود عدا ذلك قد تسامحوا بكثير من مظاهر الدين واولوا نصوص الشريعة فصار بينهم فروق كثيرة . وفي ايدي السامريين كتب جدلية كثيرة في تثبيت طريقتهم والطعن في طريقة اليهود وتفسيراتهم وتأويلاتهم .

واول خلاف نشأ بينهم وبين اليهود خلاف القبلة . فالسامريون يعتبرون جبل

جرزيم هو الجبل المقدس والمحل المختار الذي امر ابراهيم عليه السلام بذبح ولده عليه والذي امر يوشع من قبل موسى باقامة الميكل فيه ويقررون ان عيد الفصح وقرابينه لا تجوز الا في هذا الجبل وهدود منطقته التي لا تعدى منطقة نابلس الآت . ومن الخلافات بينهم وبين اليهود وقت الختان . فالسامريون لا يقبلون عذراً لتأخير يوم الختان الى ما بعد اليوم الثامن من الولادة على حين يتجوز اليهود في ذلك . وبين الفريقين خلاف في مواعيد الاعياد وشعائرها وفروعها وفرضية القرابين والطبقات الملزمة بها . وللسامريين اصول فلكية دقيقة يستندون اليها في حساب تولد الاملة وتعين مواعيد الاعياد والشعائر .

ويخالف السامريون اليهود في تجويز بعض الانكحة فهم يحرمون نكاح امرأة الاخ الشقيق وبنت الاخ وزوج الاخت وامرأة العم وامرأة الخال واليهود يحللونها . وكذلك هم يختلفون في بدء عيد الفطير والطقس الخمسيني ذوي الاسابيع السبعة المقدسة التي يحجي بها الاسرائيليون ذكرى اسابيع الخروج من مصر ودخول ارض كنعان . والسامريون يتشددون في شعائهم الدينية لا سيما يوم السبت ، ويزعمون انهم بطبعة اوامر التوراة حرفياً . ويتشددون في احكام الدم والنجاسات ومواعيد الطهارة وكيفيةاتها ويحملون انفسهم عبثاً لا يملك الانسان نفسه من الشفقة عليهم من اجله . وهم اليوم لا يغسلون موتاهم ولا يحملونهم وانما يستأجرون لذين الغرضين أناساً من المسلمين لان للميت وغسله ومائه نجاسات يتعذر طهر السامري منها في الحال الحاضر . ويقولون ان السامري لا يطهر منها الا اذا رش بعد عزلة الايام السبعة بمراد بقرة مقررة الصفات . وقد نقد هذا الرماد الذي كانوا يتوارثونه منذ امد طويل ولم يمكنهم تعويضه . وللسامريين صلوات مفروضة بوم السبت وغيره . ففي غير السبت لهم صلاتان مفروختان هما صلاة الصبح وصلاة المغرب . وفي يوم السبت صلاتان زائدتان على تينك الصلاتين هما صلاة الظهر وصلاة العسرة . وصلاتهم ذات ركوع وسجود وانصاب يتلون فيها سوراً من التوراة . وهم يتوضأون قبيل الصلاة وضوءاً يقرب من وضوء المسلمين .

وام أعيادهم عيد الفصح في آخر اسبوع الفطير . ويكون في الرابع عشر من

الشهر القمري الذي يجتمع مع شهر نيسان . وهو عيد سنوي جامع يشبه الحج . يصعد السامريون فيه كبارهم وصغارهم جبل جرزيم . ويوجبون حضوره على كل سامري دون ان يقبل للمتخلف عذرا او مسامحة . فلما يكون يوم العيد وتأخذ الشمس بالزوال يتهبأوت للعيد في ثياب بيضاء وجبب زاهية ويثمنون بعمائم بيضاء او حرير (أغبانية) مطرزة ويهبتون سبعة اكباش سالمة من كل عيب ونقص و يحفرون ثورا عميقا بينونه بحجارة مرصوفة من دون طين . فاذا آن وقت الغروب يأخذون بتلاوة التوراة وقراءة الترانيل مصطفىين على شسكل امام ومؤتمين فخيما بأزف الوقت المقرر وهو بين الغروبين يعطي الكاهن الاكبر اشارته فيذبح الذبايحون الاكباش بسرعة البرق ثم يفتنون من هذه الصلاة الاولى وبادرون جميعا لتجضير الذبايح ينتهيا أناس و يملحها آخرون وبعضهم يوقدون النار و يحمون النور وهم في كل أعمالهم هذه في صلاة لا يفترقون عن التلاوة والترنيل . ثم يحرقون شعوم القرايين وأطرافها على مذبح يصنعونه من الحجارة و يلقون بعد ذلك الذبايح في النور و يقضون بعد ذلك ثلاث ساعات في الصلاة و يثا نضج القرايين فيرفعون عنها الحجارة و يخرجونها و يأكلونها و بعد ان ينتهوا من الاكل يحرقون الفضلات والعظام ، اذ انه لا يجوز لغريب ان يمس الذبيحة ولا اثرأ منها . وقد اعتاد المسلمون في نابلس ان يصعدوا الجبل في هذا اليوم للنفرج اولآ ولزيارة شيخ لم اسمه الشيخ غانم بظن انه من شهداء الحروب الصليبية اه .

وفي كتاب ولاية بيروت ان شروط العقيدة الاصلية عند السامريين خمسة وهي الاعتقاد بوحداية الله ونبوة موسى وان التوراة كتاب منزل وان جبل جرزيم هو مقدس وان الساعة آتية لا رب فيها . و يعتقدون ان الله منزه عن جميع الصفات ولا يؤمنون بنبوة احد من الانبياء سوى موسى و يشع و يعتقدون ان البشر يحاسبون على أعمالهم في اليوم الآخر و يؤمنون بمجيء المهدي و يطلقون عليه اسماء مختلفة فيسمونه « حاشا حيب » و « حاطا حيب » و « مرجع » وان لظهوره علائم فيظهر كلمة الله و ينقل عصا موسى والواحه العشرة و يجيء بقدره المن وهي الحلوى الآهية . و يعتقد السامرة بالملائكة و يفرض على كل سامري ان يصلي و يحج و يصوم و يزكي

فالصلاة صلاتان أحدهما صلاة الصبح والثانية صلاة الغروب وكل صلاة إحدى عشرة ركعة يسجدون في مبدأ كل ركعة ثم يقفون على القدمين ويتلون التوراة ، والصلاة جماعة أفضل والصلاة مفروضة على الرجال والنساء ولكن النساء لا يخالطن الرجال خلال الصلاة ويشترط أن يكون المصلي طاهراً والطهارة عندهم على نوعين الغسل أولاً والوضوء ثانياً ، فالطهارة من الحدث شروط أولى على كل موسوي حتى أن لمس الحائض موجب للغسل وعلى الحائض أن تحضر ثلاثاً من النساء يقفن على رأسها حين اغتسالها ، وأما الوضوء فيغسل المتوضي أولاً يديه ، وإذا كان من أصحاب الأعمال اليدوية فيغسل يديه إلى المرفقين والساعدين ثلاث مرات . ثم يتخضمض ويستنشق ثلاثاً ثم يغسل وجهه ويمسح أذنيه ويغسل رجليه ثلاثاً . ويتلون التوراة في الصلاة باللسان العبري القديم وتجاوز تلاوتها باللغة السامرية . والحج عند السامريين هو عبارة عن زيارة جبل جوزيم وهو ثلاثة أشكال حج الفطير وحج العنصرة وحج المظال . ويمسكون في صومهم أربعاً وعشرين ساعة قبل حج المظال بخمسة أيام فلا يدخل السامري كبيراً كان أو صغيراً شيئاً إلى فمه حتى الطفل الرضيع فإنه يمنع من الرضاعة طول هذه المدة ولا ينامون مطلقاً في هذه الأربع والعشرين ساعة بل يقضونها بالطاعة والعبادة . أما الزكاة فهي عبارة عن إعطاء واحد في العشرة من الأرباح إلى الكاهن والفقير . ويحجب السامريون نساءهم ويجوز الزواج ثانية إذا كانت المرأة عاقراً أو مريضة أو ذات عيب شرعي . وأصول مواريثهم لا تخالف أصول الشريعة المتبعة عند جميع الموسويين .

الارثوذكسية } ليس من دين يدين به أبناء آدم إلا فيه مذاهب متباينة بقبائل متنازعة زعمائه . فقد خاصم أهل الحثان المنتصرون رسل المسيح ليقتنعواهم بوجوب اخذ ثلث الوثنيتين الراغبين في التدين بالديانة السامرية . ولكن الرسل والكهنة اجتمعوا في اورشليم في السنة الخمسين بعد الميلاد « وحكموا بالآتي يُثقل بهذا النسا موسى على من يرجع إلى الله من الأمم » (١١ : ٢ — ٣ و ١٥ : ٣١ — ١٦ و ١ : ٣) .

وفي القرن الثاني نشأت في الدين المسيحي بدع اليهود الناصريين واليهونيين والكلساعيين والشمشونيين والفنوستيين على تفرق فحلهم فانتبذتهم الكنيسة وعاجلهم سهم القضاء . وقام بعدهم مبتدعون كثيرون اشتهر منهم في القرن الرابع قس كنيسة الاسكندرية آريوس اذ كفر بألوهة المسيح فجمعت عليه الكنيسة سنة ٣٢٥ مجمعا مسكونيا في مدينة نيقية حضره اول ملوك المسيحيين القيصر قسطنطين الكبير وثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا ما عدا الكهنة والشماسة والعلماء وحكمت عليه فعُري من الكهنوت ونفي وقُطع السبب بانباعه .

وبتأثير ضلال آريوس كفر مكدونوس أسقف القسطنطينية بالروح القدس فحكمت عليه الكنيسة وعلى بدع آقنوميوس وأبوليناريوس وصاليوس وماركلوس وأندوكسيوس وفوتينوس بالمجمع الثاني المسكوني الذي التأم سنة ٣٨١ في القسطنطينية على عهد القيصر ثيودوسيوس الكبير وحضره مائة وخمسون أسقفًا أثبتوا صلاحية المجمع الاول الشرعية واكملوا دستور الايمان الذي وضعه ، قاضين باقامته على كل اورثوذكسي فهو شعار ايماننا الى يوم القيامة ومطلعه « أومن باله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والارض . . . » وحطوا مكدونوس من رتبته الكهنوتية فسكن نيسس مشايحه .

وأولع نسطور يوس أسقف القسطنطينية بعشق الامة نافراً اليها في شاكلة من « خالف لي عرف » فكفر بالمسيح وأمه مريم فومته الكنيسة بأخفاف رأسه في مجمعها الثالث المسكوني الذي اجتمع في مدينة افسس سنة ٤٣١ على عهد القيصر ثيودوسيوس الصغير وحضره نحو مئتي أسقف قرعوا ضلال نسطور يوس بالحق فأسقط من الكهنوت ونفي الى مصر وباتت بدعته تزدحم في الكلدان كالخنفساء الى اليوم .

وركب أوطينا الراهب رأسه في محاربة ضلال نسطور يوس حتى انتشر عليه رأيه في طبعه في المسيح ففسد ايمانه بها وأغرق في غوايته حتى انصفت منه الكنيسة بحكمها عليه وعلى بدعته بمجمعها المسكوني الرابع الذي اجتمع في خلکیدون سنة ٤٥١ وحضره القيصر مكبانوس وستائة وثلاثون أسقفًا . وضرب الدهر بين القائلين بالطبيعة الواحدة فتشردوا قد دأ رذقت عليها المنية لولا زعيمهم أسقف أرقا يعقوب

الترزلي المشهور بالبرادعي . فانه لأم صدعهم بتجديده لهم مركز البطركية في انطاكية فتسموا « باليعاقبة » اكراماً له وانقسموا الى سريان وارمن ومصر بين . .
وفي سنة ٥٥٣ اجتمع المجمع المسكوني الخامس في القسطنطينية على عهد القيصر يوستنيانوس الكبير وكانت اعضاؤه مائة وخمسة وستين أسقفًا حكموا على غوايات اوريجانوس الشهير وما يُعرف في التاريخ الكنسي « بالقضايا الثلاث » واثبتوا أحكام المجمع المسكونية الاربعة .

وفي سنة ٦٨٠ التأم المجمع المسكوني السادس في القسطنطينية وحضره القيصر قسطنطين الخامس ومائة وسبعون أسقفًا وفي رواية أخرى مائتان وتسعة وثمانون أباً حكموا على القائلين « بالمشيئة الواحدة » في المسيح منهم سرجيوس بطريرك القسطنطينية وأونور يوس بابا رومية وأقاموا المجمع المسكونية الخمسة فبانت هذه البدعة تعالج النزاع في شيعة الراهب يوحنا ماردون التي عرفت « بالمرذّة » وانحصرت على قنن لبنان وتسمى الآن « بالمارونية » نسبةً الى الراهب المذكور الذي صار أسقفًا أول عليها حتى استوفت انقاسها أيام ركبات الفرنج الصليبيين على الشام سنة ١١٨٢ فانهم جذبوا الموارد الى الخضوع لكنيسة رومية فثبتوا فيه بعد ان طرد المسلمون الصليبيين الا انهم ابدلوا بدعة « المشيئة الواحدة » بما ابتدعته رومية من الاضاليل بعد ان قطعها الكنيسة من شركتها في القرن الحادي عشر .

وفي سنة ٧٢٦ بدأ القيصر لاون الابصوري محاربة صور الاولياء (الايقونات) وبقاياهم وشايعة أساقفة كثيرين فنادت الكنيسة من هذه البدعة حتى حكمت عليها في مجمعها السابع المسكوني الذي اجتمع في مدينة نيقية سنة ٧٨٧ على عهد القيصر ايريني الوصية على ابنها قسطنطين السادس وحضره ثلاثمائة وسبعة وستون أباً .
الا ان هذه البدعة تجددت في الشيع البرتسنتانية في أوائل القرن الخامس عشر ولا تزال توهقها باضرار حجة عاملة على تشعث الفتها وتمزق شملها .

وفي سنة ٨٧٩ التأم المجمع المسكوني الثامن في كنيسة اجيّا صوفيا وحضره القيصر باسيلوس المكدوني وعماله ليحافظوا على النظام جرياً على عادة أسلافه العواهل العظام وثلاثمائة وثلاثة وثمانون رئيس كهنة أثبتوا دستور الايمان الذي وضعه المجمعان

الاول والثاني على ما سر قاضين بانتباذ من يزيد فيه او ينقص منه . ولا يحصى هذا
المجمع رسمياً مع المجامع السبعة المذكورة مع ان الكنيسة كلها شرقاً وغرباً اشتركت
فيه وقررت احكامه بالاتفاق التام جرياً على عادتها فيها . وسبب ذلك هو انه لم
يلتزم بعده مجمع مسكوفي تام الشروط ليثبت صلاحيته الشرعية اتباعاً لنظام المجمع .

ونشرت كنيسة رومية الدين المسيحي في شعوب اذربا ايام كان الله خاتماً على
قلوبهم فبدلوا لها مقاماتهم وخشع ملوكهم امام اسافقتها فصفت في رؤوس الباباوات
زوابع المجد العالي واسترسلوا في سعيهم وراء السلطة المطلقة على الممالك والكنائس
فتزل جهل الغرب المطبق على مقتراحهم وأسدّر عيونهم نور الشرق — والشرق
مبعث النور — فنصح لم البطريركان المسكونيان فوتيوس في القرن التاسع وميخائيل
كيرو لاريوس في القرن الحادي عشر ان يتزعموا فما كان منهم الا ان غلوا في طغيانهم
فنبذتهم الكنيسة بمجمع التأم على عهد القيصر قسطنطين مونوماخس والبطريرك
ميخائيل المذكور فعمدوا بعد بأسهم الى القوة البدنية توصلوا الى ما اشرأت اليه
أطاعهم فسيروا على الشرق الحملات الصليبية التي سوّدت باغاثها فيه مجلدات برمتها
حق محققا المسلمون وطهروه منها وردوا على الكنيسة الارثوذكسية حقوقها التي منحتها
اياها الخليفة عمر بن الخطاب وخلفاؤه . فمقت الروم اللاتين حتى آثروا ان يروا
عمامة السلطان محمد الثاني (الفاتح) في كنيسة أجيا صوفيا على ان يروا فيها كمة البابا .
ولما انعجب نور الشرق عن رومية تاهت كنيستها في شعاب الباطل فأجفل منها
معظم أم اوربا متعوذين بالمذهب البرتستانتي فأنشأت لم « ديوان النقديش » المشهور
بفظائمه . ثم لما سطع فجر العلم في اوربا وامتنع عليها إكراه الناس على التدين بما
تمليه عليهم عمدت الى دهاء الرهبانيات كالجزويت والكبوشيين وغيرهم فاستغوت بالمال
حزائق من الطوائف الشرقية القديمة منها حزبة الروم الكاثوليك الذين استغوتهم
من الملة الارثوذكسية فاتحلوا لانفسهم وصف « المللكيين » ليومهاوا الناس انهم الاصل
ولكنهم لم يومهاوا الا انفسهم فصدق فيهم قول النبي :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
اما الحقيقة التاريخية فهي ان القائلين « بالطبيعة الواحدة » من أقباط مصر

نعتوا الارثوذكسين « بالملكبين » تمسكهم بايمان ملوك القسطنطينية .
فن هذه الحقائق التاريخية التي ايدها شواهد العقل والنقل المثبتة في المطولات
يعلم الطالع :

١ ان الحقيقة الانجيلية حفظت في الكنيسة الارثوذكسية مصونة عن كل شائبة
بدعة وضلال وتحفظ الى منتهى الدهر (مت ١٦ : ١٨ و ٢٠ : ٢٨ يو ١٤ : ١٦) .
٢ وان المملكة البيزنطية التي عاشت زهاء الف ومئة وخمسين عاماً قد ناصرت
الكنيسة على صيانة هذه الحقيقة مؤثرة اياها على المصلحة المادية .

٣ وان امر الكنيسة الارثوذكسية شوري لأنها تعتمد في حل المشكلات الى
المجامع اقتداءً برسل المسيح الخالص فلا يستبد فيها شخص واحد برأيه (مت ١٨ : ١٥ —
١٧ واع ١٥ : ٦)

٤ وان السلطة العليا فيها منحصرة في المجامع المسكونية وحدها فهي تؤمن بما
حدده من عقائد الايمان المقررة في الكتاب المقدس وتلتزم باوامرها وتحفظ قوانينها
وتبذل كل بدعة نبذتها وتحكم على من يقاسرون على نقض احكامها والعيب بقراراتها
ايا كانوا .

٥ وان الشرقي كان موطن احبار الدين المحققين ، وجهاذة اليقين الراضين ،
الذين حددوا العقائد المسيحية تحديداً لا يحتمل التأويل والتبديل بما افاء واعليها من
البيانات الواضحة والحجج الدامغة مما اضطر الغرب ان يجعل قياده في يده وينزل على
حكمه في جميع الامور الدينية .

٦ وان الروم الارثوذكسين كانوا اصحاب البلاد وكان معتقدهم سائداً في
من توطنها من العباد حتى افنتحها المسلمون وامنهم على دينهم واموالهم فعاش بوجاهتهم
في الممالك الاسلامية حتى اليوم بقية الطوائف النصرانية التي حكمت عليها الكنيسة
قبلاً وقد قال القرآن الشريف في الروم « غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد
غلبهم سيفلون » (سورة الروم) .

الكشلكة } الكشلكة او الدين الكاثوليكي او الكنيسة الكاثوليكية اسم
 واحد للمذهب الديني المعروف الذي يدين به اليوم نيف
 وثلاثمائة مليون من البشر كما ورد في اضبط الاحصاءات الحديثة . ولمن اصحابه
 ويثبتون قولهم بالبرهان انه هو الدين الوحيد الذي بشر به السيد المسيح قبل تسعة عشر
 قرناً واخذه عنه رسله الحواريون لينشروه بامرهم في كل العالم (متى ٢٨ : ١٨ —
 ٢٠ مرقس ١٦ : ١٥) تحت رئاسة الاساقفة الخاضعين للبحر الاعظم بابا رومية وخلف
 القديس بطرس المقام من السيد المسيح كالمنقلد للرئاسة العامة المطلقة على كنيسته
 وكراعي نعاجه وخرافه (متى ١٦ : ١٨ — ١٩ يوحنا ٢١ : ١٥ — ١٧) واما اسمها
 فمشتق من لفظة يونانية معناها الجامعة والمنشرة في كل الارض لان الكنيسة
 الكاثوليكية منذ عهد الرسل انتشرت في جميع انحاء المعمور حتى ما وراء حدود
 المملكة الرومانية .

واصل الكشلكة تلك الجماعة الاولى التي انشأها السيد المسيح بذاته ودعاها كنيسة
 (متى ١٦ : ١٨) فيها من الاثني عشر رسولاً (متى ١٠ : ٢ — ٥) ثم من الاثنين
 والسبعين تلميذاً (لوقا ١٠ : ١) وأنبأهم بتبشير انجيله في كل العالم (متى ٢٦ : ١٣)
 واوصي تلاميذه قبل صعوده ان يتلذذوا كل الامم وبعمدهم باسم الاب والابن والروح
 القدس ويعلمهم ان يحفظوا جميع ما اوصاهم به (متى ٢٨ : ١٩ — ٢٠) فما مر عليهم
 بضعة ايام حتى حل عليهم البارقليط اي الروح القدس الذي وعدهم بارساله (يوحنا
 ١٥ : ٢٦) فأعطاهم بالسنة جميع الامم التي كان حضر بعض ابنائها اورشليم اعيد
 العنصرة ووقفوا بذلك على الدين الجديد (اعمال ٢ : ١ — ١٢) فاعتمد في ذلك اليوم
 ثلاثة آلاف من اليهود (اعمال ٢ : ٤١) ثم بلغ عددهم خمسة آلاف بعد ايام
 (٤ : ٤) ثم شاع اسمهم فرفقوا بالمسيحيين (١١ : ٢٦) ثم صار التخصيص بظهور
 بعض الشيع فدعوا بالكاثوليك وكنيستهم بالكنيسة الكاثوليكية قريباً من عهد
 الرسل كما ورد في كتاب القديس اغناطيوس تلميذهم والفيلسوف يوستينيوس النابلسي
 المستشهد سنة ١٦٥ م ولم يزل منذ ذاك الوقت اسمهم الخاص دون سواهم .
 يؤمن الكاثوليك بكل العقائد التي اوحى الله في الكتب المنزلة وفي التقليد .

ونقسم الكتب المنزلة الى قسمين أسفار العهد العتيق وأسفار العهد الجديد . وأسفار « العهد العتيق » منها اولية وحنا ثانوية . فالاولية هي التي كتبت في الاصل باللغة العبرانية وهي : أسفار موسى الخمسة (التكوين والخروج والاحبار والعدد وثنية الاشتراع) ثم الاسفار التاريخية (يشوع والقضاة وراعوت والملوك الاربعة واخبار الايام الاثنان وعزرا ونحميا واستير) ثم الاسفار النبوية : اربعة كبار (أشعيا وأرميا وحزقيال ودانيال) واثنا عشر صغار (هوشع ويوثيل وعاموس وعوبديا ويوفان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجاي وزكريا وملخيا) ثم الاسفار الحكيمية (مزامير داود وأمثال سليمان وأبواب ونشيد الاناشيد والجامعة) .

اما الاسفار (الثانوية) فهي التي كتبت بالكلدانية او اليونانية ونقلت في الترجمة المعروفة بالسبعينية وهي : طوبيا ويهوديت وابن سيراخ والمكابيون (اثنان) . وهذه كتب « العهد الجديد » : الاناجيل الاربعة القانونية للرسولين متى ويوحنا والتلميذين مرقس ولوقا . ثم سفر أعمال الرسل للقديس لوقا . ثم رسائل القديس بولس الاربعة عشرة ثم رسالة القديس يعقوب ورسالتا بطرس وثلاث رسائل يوحنا ورسالة يهوذا ورؤيا يوحنا .

وفي الكنيسة الكاثوليكية معتقدات أخر ليست مدونة في الاسفار المنزلة وانما اخذتها بالتعليم الحي بسلسلة متواصلة من عهد الرسل الى يومنا وأعلنت بها في مجامعها او في براءات أحبارها وفي تعليمها اليومي . وخلاصة هذه المعتقدات المدونة في أسفار العهد العتيق ولا سيما في أسفار العهد الجديد مرجعها الى ما يلي :

أولاً عقيدة التوحيد : اي اعتقاد وجود له واحد روح بسيط أزلي لا اول له ولا آخر لا يحصر جوهره المكان قائم بذاته ذو صفات وكمالات لا حد لها من قداسة وحكمة وقدرة ورحمة وعدل . وهو خالق كل الكائنات الروحية والهيولية من العدم بمجوده واختياره .

ثانياً عقيدة الثالوث : هذا الاله الصمد ذو الجوهر الفرد والطبيعة الالهية الواحدة له ثلاثة أقانيم هي صفات جوهرية نسبية متساوية بكل كمال وكل قدرة لا يفرقها شيء سوى نسبة بعضها الى بعض . فنَدْعُوْهُ الْاَقْنُومُ الْاَوَّلُ « أَبَا » وهو اصل

اللاهوت غير مولود وغير منبثق . والثاني « ابنًا » مولوداً من الآب منذ الازل ليس ولادة جسدية بل ولادة عقلية روحية بمعرفة الآب لذاته ولكماله يصدر به هذه المعرفة ابنه الشبيه به وضياء مجده وصورة جوهره (عبرانيون ١ : ٣ كولوسي ١ : ١٥) فهو اله من اله نور من نور اله حق من اله حق من جوهر الآب (دستور نيقية) .
والثالث (روحاً قدساً) منبثقاً من الآب والابن ليس بطريق الولادة العقلية بل بتبادل حب الآب لابنه وحب الابن لآبسه المولود منه . وهذا الحب ليس عرضياً بل جوهرياً ندعوه الروح القدس . وهذه عقيدة ثلث لا فاني في الله اوصى بها الله بنوع خفي في العهد العتيق كما يؤخذ من بعض آياته ثم صرح به السيد المسيح في نصوص عديدة في الانجيل وقرره تلاميذه في رسائلهم بما لا يبق في الامر ادنى ريب وان كان سرّاً يفوق الادراك البشري .

ثالثاً عقيدة التجسد : هو سر الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس الذي تأدس واتخذ في احشاء صريم العذراء دون زرع بشري طبيعتنا البشرية بكل خواصها ماعدا الخطيئة ليفدي بني آدم من نبعة الخطيئة الاصلية التي ارتكبها الابوان الاولان بخالفتهما لا وصره تعالى في جنة عدن وخلفاها لسائر نسلها وبها حصل هلاك الجنس البشري ففقد البرارة الاصلية التي منحها قبل خطيئته فلم يعد اهلاً للتمتع بالعيم الابدي ومساعدة الله في سماء . واذ كان الانسان غير قادر على الوفاء عن خطيئته لجلال الله فانه تعالى رحمه ووعدته بمخلص بمخلص يُعبد له بفدائه ما فقدته من تلك النعم (نكوبن ٣ : ١٥) وليس هذا المخلص الا السيد المسيح منظر الآباء والأنبياء وجميع الشعوب وهو الاله المتجسد ذو الاقنوم الالهي الواحد وذو الطبيعتين الالهية والانسانية (يوحنا ١ : ١٤ و ٣ : ١٦ لوقا ١ : ٢٦ — ٣٦) فهذا الاله المتأنس قضى على الارض ثلاثاً وتلاثين سنة يعمل ويعلم وأنشأ كنيسة واسلم نفسه اختياراً للعذابات والموت ثم قام بقوة لاهوته من قبره في اليوم الثالث وتراءى مراراً لتلاميذه ثم صعد الى السماء بعد اربعين يوماً . وبكل ذلك اتم جميع ما تنبأ عنه الانبياء دون ان يخل من نبواتهم حرفاً .

ولما كانت اعماله سواء صدرت من طبيعته الالهية كالمجرات التي صنعها او من طبيعته الانسانية كمولده وموته ذات قيمة غير منتهية لصدورها عن شخصه الوحيد

الالهي شخص ابن الله فقدّمها لابيه ولا سيما موته على الصليب تكفيراً عن خطايا البشر الذين يستطيعون بعد ذلك ان ينالوا نعمة البرارة والخلاص الابدي بواسطة المعمودية والاعمال الصالحة والتوبة عن الزلّات .

رابعاً عقيدة القيامة : يؤمن الكاثوليك بخلود النفس فمعد انفصالها عن الجسد بالموت تدخل السماء ان كانت طاهرة من كل خطيئة ثقيلة او خفيفة وتعاقب بعقوبات جهنم ان كانت في حال الخطيئة المميت دون توبة عند الموت . اما ان كانت مدنسة ببعض الخطايا الخفيفة او لم تكفر تماماً عن خطاياها السابقة المغفورة فيحكم عليها بعذابات موقته وذلك ما يدعونه المطهر ريثما تفي لعدل الله الوفاء التام . وفي آخر الايام سيبعث الله الموتى من قبورهم فيعودون الى اجسادهم ليحضروا الدينونة الاخيرة التي يتولاها السيد المسيح فيحكم نهائياً على البشر فيجازى الابرار بالنعيم الابدي ويعاقب الاشرار بالعذاب الدائم (يوحنا ٥ : ٢٦ — ٢٩) .

خامساً المعتقدات التقليدية : ماعدا المعتقدات السابقة التي وردت في الاسفار المقدسة يؤمن ايضاً الكاثوليك ببعض الحقائق التي لم تصرح بها الكتب المنزلة وان امكن اثباتها من بعض آياتها كعقيدة عصمة الخبر الاعظم عن الغاط في امور الايمان والآداب اذا علم كتنائب المسيح وكخليقة هامة الرسل وكعقيدة الحبل العذراء مريم بلا دنس وكعقيدة وجود المطهر وهلمّ جرّاً . فهذه العقائد يمكن ترفيتها بسلسلة متواصلة الى زمن الرسل تشهد عليها نصوص الآباء والمجامع جيلاً بعد جيل ويؤمن بها ارباب الكنيسة في تعليمهم البوحي بالاجماع . لما كانت الكنيسة الكاثوليكية تعلن بكونها هي كنيسة المسيح وبعارضها في ذلك غيرها من الكنائس المنفصلة عنها كان لا بد ان تمتاز الكنيسة الحقيقية عن سواها ببعض العلامات الخاصة . وهذه العلامات قد سبق الرسل ودوّنوها في دستور الايمان المنسوب اليهم وتكرر ذكرها في كل دساتير الايمان المقررة بعدهم وهي اربعة : ان تكون الكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية . وهذه العلامات لا تستطيع ان تثبتها لنفسها اي كنيسة كانت الا الكنيسة الكاثوليكية .

فهي « واحدة » باتفاق جميع اعضائها في خضوعهم لرأس واحد ، منظور هو نائب

المسيح وخليفة بطرس هامة الرسل ثم في اعتقادهم كل ما تعلمه الكنيسة دون خلاف وأخيراً في اشتراكهم بالاسرار عينها .

وهي « مقدسة » لان منشأها السيد المسيح هو القداسة بالذات ثم لان كل تعاليمها وآدابها صالحة مقدسة ولانها ايضاً تقدم لذويها وسائط حجة للقدّيس نفوسهم لا سيما بالاسرار السبعة التي رسمها المخلص أعني المعمودية والميرون والتوبة والقربان الاقدس ومشيخة المرضى والكهنوت والزواج بقرينة واحدة دون طلاق . ولذلك قد اولدت عدداً لا يحصى من القديسين في كل انحاء العالم تشهد على قداستهم اعمالهم العجيبة وفضائلهم السامية التي لا تزال آثارها ظاهرة لكل ذي عينين . وكفى دليلاً عليه وجود الرهبانيات الساعية وراء الكمال بنذورها والمنقائية في عمل كل خير دون غاية زمنية .

وهي « جامعة » لانها وحدها قد نشرت تعاليمها في جميع أقطار العالم المعروف فقام دعائها باسم الرب الموصي بنشر انجيله بين كل الامم ومن ثم لا يكاد يخلو قطر من بعض تبعاتها . وهي أعظم عدداً من اي مذهب كان اذا قيس بها منفرداً منقسماً كالروم والشيع البراتانية والبوذية والبرهمانية وهلم جرا . وفي اسمها دليل على هذه السمعة فان الكاثوليكية معها الجامعة . وقد ظهرت هذه العلامة منذ عهد الرسل اذ يقول القديس واس في رسالته الى اهل رومية (١ : ٨) « ان ايمانكم يبشر به في العالم كله » .

وهي « رسولية » لان سلسلة أخبارها الاعظميين تنصل دون انقطاع برأس الكنيسة الاول القديس بطرس هامة الرسل . وبپوس الحادي عشر الجالس اليوم سعيداً على كرسي رومية انما هو خلفه المائتان والسادس والستون .

هذه علامات الكنيسة الكاثوليكية الاصلية . اما ما يرى في بعض بلاد الشرق من الاختلافات في الطقوس والمعات والاداءات الدينية فكل ذلك ثانوي عرضي يمكن تغييره مع الزمان دون ان يمس جوهر الكنيسة الكاثوليكية لا بل يزيناها ويزيدها جمالاً .

ومعلوم ان الكنيسة الكاثوليكية انتشرت بكل سرعة في العالم كله منذ عهد

الرسول الحواريين حتى تجارزت حدود المملكة الرومانية . ولوقوع بلاد الشام في جوار فلسطين لا يستغرب انتشار الصراية فيها قبل سواها . وذلك ما تثبته أقدم الشواهد التاريخية وأولها سفر أعمال الرسول الذي منه يلوح انشاء الدين المسيحي في انطاكية (١١ : ٢٦) وفي سائر سواحل الشام ذكر منها صور وعكة وفيصرية (٢١ : ٣ — ٨) .

ويمكننا ان نتبع تاريخ الكنيسة الكاثوليكية في الشام جيلاً بعد جيل على الرغم مما حل بها من اضطهادات الوثنيين وعلى الرغم مما شاع من البدع كالاربوسية واليعقوبية والنسطورية والمنتولية فلم يكن بين الطوائف الشرقية ما يفصلها عن الكنيسة الرومانية في ايمانها وخضوعها لرأس الكنيسة الرومانية وآدابها غير الاعراض السابق ذكرها . والدليل على ذلك اكرام كنائس الشرق لقديسي الغرب واكرام الغربيين للقديسين الشرقيين . وفي طقوس الشرقيين القديمة ما يشهد الى اليوم بتلك الوحدة والاتفاق . وكذلك سير القديسين الشرقيين ثبت ذلك الامر . وكثيرون منهم ازهروا في الشام كالقديس يوحنا م الذهب والقديس افرام السرياني والقديس مارون الناسك .

غير ان تملك العرب على الشام واستفحال الشيع المضادة لتعاليم الكنيسة وصعوبة طرق المواصلات بين الشرق والغرب اضعفت الدين الكاثوليكي كثيراً في الشام الى ان عاد فتعزز بقدوم الصليبيين الى الشرق ثم بدخول المرسلين منذ القرن الثالث عشر في هذا القطر فظهرت آثاره الطيبة أولاً بين الموارنة ثم بعد ذلك بزمان بين الروم والارمن ثم بين الكلدان والسريان حتى قامت لكل هذه الطوائف كنائس منظمة لها بطاركتها وأساقفتها ورعاياها ولكل طائفة تاريخها الخاص يترجم عن اعمال بنيتها ومظهر ملتها وارتباطها مع الكرمي الروماني .

واليوم يبلغ احصاء الكاثوليك في الشام نيفاً وستمائة الف . معظمهم الموارنة (٣٠٠,٠٠٠) ثم الروم الكاثوليك (١٢٠,٠٠٠) ثم الارمن (٨٠,٠٠٠) ثم السريان (٢٠,٠٠٠) ثم اللاتين (١٠,٠٠٠) ثم الكلدان (٢,٠٠٠) هذا ما عدا المهاجرين منهم الى اميركا وغيرها .

وقد تعززت الكشلكة في الشام بدخول الرهبان واقدتهم الفرنسيون في القرن الثالث عشر . ثم في القرن السابع عشر الكرمليون والكبوشيون واليسوعيون . ثم في اواخر القرن الثامن عشر اللعازريون وفي القرن التاسع عشر اخوة المدارس المسيحية والاخوة المريميون مع راهبات من رهبانيات مختلفة كراهبات الزيارة وراهبات المحبة واليوسفيات وراهبات القلبين الاقدسين وراهبات السجود وراهبات العائلة المقدسة وراهبات العجزة الخ . ولكل من هؤلاء الرهبان والراهبات من المشروعات الجليلة ما يكفي وحده لشريف الكنيسة الكاثوليكية . والله الحمد على كل حال .

الموارنة طائفة من النصارى الكاثوليكين الشرقيين يعرف من } المارونية
نوارينهم انهم ينسبون الى النواصك البار القديس مارون }
القرنسي النشأة على ما يرجح . اعتزل هذا الفاضل الدنيا في اواخر القرن الرابع ولجأ الى صومعة في قمة جبل غير بعيد عن انطاكية فمالبثت رائحة فضائله ان فاحت في تلك الانحاء . فنجذبت اليه جماعات من الناس فصدوه ليلتمسوا منه بركته وصلواته ويسترشدوا بتهالجه و يقتدوا بسيرته . وقد زهد قوم منهم بالدنيا واختساروا العزلة والذمغ لخدمة الله في المغاور واعالي الجبال ليقيموا بعيدين عن ضوضاء العالم على ان أريج حياتهم الطاهرة لم يمكن اخفاؤه فتقاطر المجاورون حول تلك المناسك وتألقت منهم طائفة عرفت فيما بعد باسم الطائفة المارونية وكان اهم المراكز التي تنفوا حولها دير القديس مارون المبني على ضفاف النهر العاصي في نواحي افامية .

ولما توافر عددهم مسئت الحاجة الى تنظيم احوالهم الروحية فأقيم لهم بطريرك هو البار يوحنا مارون وبه نبتدي سلسلة بطاركة الموارنة وعاش هذا البطريرك الاول في اواخر القرن السابع في حين كان للموارنة امرء بديرون شؤونهم الزمنية ثم أخذ الموارنة يهجرون الى الافطار المجاورة فنزل قوم منهم في جبال عكار وعمرها فيها القرى وسارت فئة نحو الجنوب الى لبنان الشمالي فعاثوا ان قويت شوكتهم فيه فبلغ في القرن العاشر عدد رجالهم الصالحين للقتال اربعين الفا على ما ذكر مؤرخو الحروب الصليبية . وقصد فريق منهم سورية الداخلية فاستوطن جوار دمشق واستغل الارض فيها

وبني الدساكر والمرابط . وفريق أمّ القدس وآخر ترح إلى قبرس في أيام الصليبيين وبعض الجبال سكنت حلب في أواسط القرن الخامس عشر وهبط بعضهم مصر ورودرس ومالطة . على أن الاغلب فضلوا الإقامة في جبال لبنان فاعتصموا بها ونموا وكثروا رغم ما أصابهم من السكبات في أوقات مختلفة . ولما ضاق بهم جبالهم رحل قسم منهم إلى بلاد المهجر كأميركة وأفريقية وأوقيانية حيث ألفوا جليات لها مقامها المعتبر في عالم التجارة والصناعة والأدب كسائر اخوانهم اللبنانيين والسوريين وبلغ عدد الموارنة بما فيه المهاجرون خمسمائة ألف نسمة .

أما في الدينيات فيتفق الموارنة مع الكاثوليكين بمقدمهم وشرائعهم الدينية والأدبية وهم مثلهم خاضعون لسلطة بابا رومية إنما لم وللسريان لغة طقسية واحدة هي السريانية لكنهم يختلفون عن سائر الطوائف بترتيباتهم ونظام إدارتهم الروحي المبنية كلها في دستورهم المجمع اللبناني الذي عقد سنة ١٧٣٦ وفي عاداتهم المشروعة ويرأس الطائفة بطريرك يعرف ببطريرك انطاكية مستقل عن سائر البطاركة الشرقيين مركزه الشتوي دير سيدة بكوكي فوق جونية ومقره الصيفي جديدة قنوبين في لبنان الشمالي فوق طرابلس . ويخضع لإدارته مطارنة يقيم بعضهم نواباً له وبعضاً على أبرشيات معينة مستقل بعضها عن بعض ويعهد إليهم في تدبير هذه الأبرشيات الروحي والزمني وإدارة أوقافها مباشرة أو بواسطة وكلاء يسمونهم لذلك ويراقبون أعمالهم ، وفي الأبرشيات كمهنة يعنون بخدمة الرعايا . وفي الطائفة جمعيات رهبانية يقيم أعضاؤها في أديارهم ومدارسهم ويتفرغون لخدمة الله والنفوس .

وكان للموارنة شرع خاص بتقاضون بموجبه أقره لهم جميع الذين حكموا البلاد من نصارى وغير نصارى ولا تزال أغلب قوانينه مرعية الإجراء عندهم حتى اليوم . ونبغ منهم في رجال الدين كثيرون نذكر منهم البطاركة جرجس عميرة الذي ألف أول غراما طيق سرياني ووضع قواعده باللغة اللاتينية ليسهل على المستشرقين درس هذه اللغة ثم العلامة اسطفانوس الدويهي المؤرخ المشهور ويوسف حبيش وبولس مسعد ويوحنا الحاج والبطريرك الحالي الياس الحويك صاحب المواقف المشهورة في القضايا الوطنية .

ثم الاساقفة كالمطران جرمانوس فرحات والسيد يوسف سمعان السمعاني وبوحننا حبيب ويوسف الدبس وغيرهم كثيرون من رجال الدين ممن خدموا اللغة العربية والقانون والتاريخ .

وبين العلمانيين اسراء شهاب وبيت ابي المم وأناس امتازوا بخدمة وطنهم واعمالهم المبرورة كآل خازن ودحداح وحبيش والسعد وكرم والظاهر ونبغ غيرهم في خدمة العلم كآل البستاني والشدياق والنقاش والباز . ولا يمكن في عجلة سرد اسماء جميعهم .

البرتستانتيه } التأم في اوائل سنة ١٥٢٩ في احدى مدن جرمانيا مؤتمر
بامرا الامبراطور كارلس الخامس قرر عدم السماح باحداث
تغيير في الرسوم الدينية وكان هذا القرار موجهاً ضد الاصلاح والمصلحين . وفي ١٩
نيسان من نفس السنة أرسل كثيرون من الامراء والاشراف واربع عشرة مدينة
امبراطورية احتجاجاً قالوا فيه انهم مستعدون ان يطيعوا الامبراطور والمؤتمر في كل
القضايا الواجبة والممكنة ولكنهم لا يخضعون لاحد في ما يعتقدونه مخالفاً لكلمة الله
وهميهم . فسما من ذلك برتستانث او محتجين ومن هذا الوقت أطلق هذا الاسم على
كل المسيحيين من غير اللاتين والكنائس الشرقية بفروعها . وهم يدعون انفسهم غالباً
انجيليين ويدعون غيرهم تقليديين نسبة الى التقليد كما سترى .

والبرتستانتيه بمعناها اللغوي لا يخلو منها دين او مذهب ففي كل زمان ومكان
أفراد وجماعات يحتجون على رسوم في الدين او المذهب الذي ولدوا فيه قد ينجحون
او لا ينجحون اما البرتستانث فقد نجحوا نجاحاً لم يقدره احد لهم فعددهم الآن يتجاوز
مئتي مليون في الدرجة الاولى عدداً بعد اللاتين وكل من انضم اليهم من الكنائس
الشرقية وفي الدرجة الاولى في الرقي وسعة الملك .

والبرتستانتيه في المسيحية كالومانية في الاسلام فكل من المذهبين يحصر عقيدته
في الكتاب الذي يعتقد انه كتاب الله . ثم ان البرتستانث وان افرقت اكثر فرقم
في امور اكثرها عرضية فعم مجمعون على امور كثيرة واليك التفصيل في ما هم مجمعون

عليه وما هم مختلفون فيه : اهم ما تجمع عليه اكثر فرق البرتستانت (١) عدا ما هم مجمعون عليه مع غيرهم مما يأتي بيانه) :

- (أ) : ان الكتاب المقدس هو القانون الوحيد في كل ما يلزم للخلاص :
 - (ب) : ان المسيح هو المخلص الوحيد وليس باحد غيره خلاص .
 - (ج) : ان الخلاص كله نعمة مجانية من الله .
 - (د) : ان الايمان هو السبيل الوحيدة لنيل الخلاص .
 - (هـ) : ان الاعمال الصالحة هي ثمر الايمان الحي فنعمل لاننا مخلصون لانكي نخلص .
- والبرتستانت اجمالاً قسمان كبيران — الاول الابسكوبيان اي الاسقفىون وهم الذين يقولون ان درجات الاكليروس ثلاث الاسقف والقسيس والشماس — الثاني البرسبتيريان اي القسوسيون وهم الذين ليس عندهم رتبة اساقفة . واكثر فرق البرتستانت هذا القسم . فالاسقفىون مثلاً يجرون العبادة غالباً بموجب كتاب صلاة اي صورة معينة تلى وقت عبادة الجماعة . واما العبادة العائلية والاجتماعات الاخرى الروحية فيتركونها لحرية القسيس او من ينوب عنه . اما القسوسيون فالحرية مفوضة للخادم في كل الاوقات . وعندهم بعض صلوات وارشادات مكتوبة لمساعدة القسيس في احوال خصوصية .

على ان هذا النظام لا يعد جوهرياً فهذه الكنيسة الانكليكانية وهي تجري عبادتها بموجب كتاب صلاة تقول في العقيدة ٣٤ « لا يلزم ان تكون التقاليد والطقوس في جميع الاماكن واحدة متساوية اذ قد اختلفت في كل الازمان و يصح تغييرها على مقتضى اختلاف المكان والزمان وعادات الناس بحيث لا يرتب منها شيء مضاد لكلام الله . . . وكل كنيسة تختص بامة فلها سلطان ان تثبت وتغير وتبطل طقوسها ورسومها التي رتب بسلطان الناس فقط » .

وكل الاسقفىين والاكثرية العظمى من غيرهم يجرون السرين المعمودية والشركة و المعمدون الاطفال والبالغين الذين لم يعمدوا أطفالاً اما بعض القسوسيين فلا يعمدون الا البالغين ويسمون بالمعمدانين وبعضهم لا يجري السرين مطلقاً وهم المعروفون بالفرنديس او الكويكرس .

ينفق البرتستانت مع غيرهم في امور كثيرة جوهريّة ويخالفونهم في امور أخرى واليك التفصيل : اهم الامور الجوهرية التي يتفق فيها البرتستانت مع غيرهم . يتفقون في قانوني الايمان — اولاً القانون المعروف بقانون ايمان الرسل وهو يرجع الى اواخر القرن الاول المسيحي بل قيل ان الرسل انفسهم وضعوه — ثانياً قانون الايمان النيقاوي وضعه المجمع المسكوني الاول الذي التأم سنة ٣٢٥ في مدينة نيقية مع ما أضيف اليه في مابعد سوى عبارة واحدة بخصوص انبثاق الروح من الابن اضيفت فيما بعد لا يقبلها الروم الارثوذكس . ويوجد قانون ايمان ثالث مجمع عليه يسمى قانون مار انثناسيوس ولكنه الل شهرة واكل استعمالاً من الاولين . ويمكن تلخيص الامور الجوهرية التي يتفقون فيها في ما يأتي : (١) التوحيد والثلاث (٢) الخلق والسقوط والفداء (٣) تجسد الكلمة الازلية المسيح ابن الله من مريم العذراء بالروح القدس وكل ما يتعلق بتاريخ فداء المسيح من ميلاده الى مجيئه الثاني للدينونة (٤) القيامة والدينونة (٥) وجوب التبشير بالمسيح ودعوة الغير الى الايمان به (٦) عدم تحريف الاسفار التي يتفقون على قانونيتها من الكتاب المقدس .

وامم الامور المختلف فيها سلطان الكتاب المقدس . ويعتقد البرتستانت انه المرجع الوحيد المعصوم الذي يجب الرجوع اليه في عقائد الايمان . ويعتقد غيرهم ان للكتاب والتقليد سلطاناً متساوياً ومن هذا يدعوهم البرتستانت لتقاييد بين . والتقليد عند المسيحيين كالتمود عند اليهود والحديث عند المسلمين . وبعد فلا خلاف بين البرتستانت وغيرهم في عدد اسفار العهد الجديد انما الخلاف في عدد اسفار العهد القديم . فالبرتستانت لا يقبلون الا الاسفار التي يقبلها اليهود وذكر عددها بوسيفوس . وغيرهم يضيف اليها اسفاراً تسمى ابوكريفاً وجدت في الترجمة السبعينية مضمومة الى باقي الاسفار . ومع تسليم البرتستانت بلزوم المجامع وفائدتها فهم لا يحبون لما تقرره قوة ولا سلطاناً الا اذا اثبت من الكتاب المقدس . اما المجامع عند الروم الارثوذكس والمجامع والبابا عند البابويين فهم معصومون من الخطأ في ما يقررونه من عقائد الايمان . ويعتقد البرتستانت ان فرصة الخلاص ننهي بالموت وبه يقرر حال كل نفس اما في النعيم او في الجحيم . ويتفق معهم غيرهم في حال اهل الجحيم ويخالفون في حال اهل النعيم

فعندهم مكان عذابٍ وقتي غير الجحيم يسمى عند البابا وبين المطهر وعند الروم الارثوذكس عقالات الجحيم تذهب اليه الانفس لتكفر عن ذنوب صغيرة ، وتصرف فيه مدة تطول وتقصر بحسب عدد تلك الذنوب وصفتها ، ويمكن تقصير هذه المدة بالصلوات والصدقات . يحصر البرتستانت الشفاعة وطلب الخلاص بالمسيح وغيرهم يطلبها منه ومن الملائكة والقديسين .

عند البرتستانت مران فقط هما المعمودية والشركة وغيرهم يضيف اليها خمسة فيصير العدد سبعة والمضافة هي : (١) النثبات عند اللاتين والموارنة . والميرون عند غيرهم . (٢) الكهنوت . (٣) الاعتراف للكاهن . (٤) الزواج . (٥) المسحة الاخيرة قبل الموت . اما الافاضة في تعريف السر وفاعليته وما يحدث فيه وما يحدثه هو من التغير وفي سبب هذا الخلاف فانها تخرجنا كثيراً عن المقصد .

والبرتستانت يعترفون لله وحده والشخص الذي اخطأوا اليه ، والله وحده عندهم السلطان على مغفرة الخطايا . وغيرهم يوجب الاعتراف للكاهن . وللكاهن سلطان مطلق على غفران الخطايا .

ولما كان البرتستانت في هذه الديار ثمرة الارساليات نرى من الواجب ان نشير الى الداعي الى الارساليات ، فالداعي اليها او امر الكتاب المقدس الكثيرة ، واهمها امر المسيح الاخير الصريح « اذهبوا وتلذذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس » . وقد أطاع رسوله امره وتفرقوا في انحاء العالم المعروف حينئذ وابتس لهم ما يستندون عليه امام قوات هذا العالم سوى ايمانهم وثقتهم بوعده . وعدوا مخالفة امره هذا جرماً عظيماً فقال الرسول بولس « اذ الضرورة موضوعة عليّ فوبل لي ان كنت لا أبشر » . ولا يزال هذا التبشير من سميات الكنيسة الحقيقية ففي العقيدة ١٩ الانكليكانية « كنيسة المسيح المنظورة هي جماعة المؤمنين التي فيها يبشر بكلمة الله النقية » .

وقد وجه البرتستانت قواهم الى هذا الواجب حالما تمكنوا من تنظيم شؤونهم ، فتألفت الجمعيات هنا وهناك ، وربما كان اقدمها جمعية الموراثيين نسبة الى مورافيا على ضفاف الدانوب ، ونعرف بجمعية الاخوة المتحددين ، وقد كانوا ولا يزالون في المقدمة بالنسبة الى

عدد هم الذي لا يتجاوز ٠٣٠٠٠٠٠. وفي اواخر القرن الثامن عشر زاد عدد الارساليات البرتستانقية وزاد نشاطها. وقد طلبت من امين سر الجمعية (G. M. L.) المستر هاردمان في القدس بعض احصاءات لهذه الارساليات فأسل آخر ما عرفة منها اعربيه بالشكر قال : عدد ارساليات البرتستانات في العالم ٣٨٠ ، عدد المرسلين رجالاً ونساء ٢٩٠٤٩ والمال الذي صرفته خمسة عشر مليون ليرة انكليزية . « هذا عدا ما جمع في حقول الارساليات نفسها وصرف عليها ايضاً » . وعدد الارساليات في فلسطين ١٧ وعدد المرسلين فيها ١٦٠ .

وعمل بعض هذه الارساليات عام وبعضها خاص محصور في قارة او مملكة او اقليم او دين او مذهب او رتبة من الناس او الذكور او الاناث او الطب العام او الخاص او طبع الكتب او نشرها او التبشير مجرداً او فتح المدارس فقط . وهذا الاختصاص في الغرب حتى في الامور الدينية هو اساس نجاحه .

ومن المبادئ الاساسية لهذه الارساليات ان ننظم المهتدين جماعات تشرع بادارة شؤونها بنفسها ، وتسير نحو الاستقلال الاداري والمالي . ومنها عدم التدخل في سياسة البلاد التي يرسلون اليها ، ووجوب اطاعة اوامر حكوماتها ، والمحافظة على قوانينها ونظاماتها في كل ما لا يخالف الضمير بناءً على قول المسيح « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وبناءً على اوامر رسله المتعددة بالصلاة والطاعة للحكام . ومع ذلك فقد اوقعت السياسة الاوربية تهمّة المداخلة في السياسة على المرسلين ، لانها استعملت الارساليات على غير قصد من المرسلين جسراً عبرت عليه الى مقاصدها الاستعمارية فشوت سمعة المرسلين . ولقد كان من الطبيعي ان توجه الارساليات افكارها الى هذه البلاد مهبط الوحي ومهد المسيحية لانعاش المسيحية وتبشير غير المسيحيين بها . وفي احصاء بتاريخ سنة ١٩١٣ ان عدد الارساليات في هذه البلاد اكثر من ٣٠ اميركية وانكليزية واسكوتلاندية وايرلندية والمانية ودانماركية ومورافية واسوجية . ويقوم باكثرها افراد او مدينة او جماعة صغيرة واعمالها غالباً محصورة في العواصم كالقدس وبيروت ودمشق او بعض المدن والقرى كيافا وحبفا والناصرية وبيت لحم والخليل ورام الله وصفد والشوفات وبرمانا وبيت صري والشوير وشملاق وبلبك والنبك ودير عطية وغيرها . وليس بين

كل هذه الارساليات سوى ارساليتين عموميتين كبيرتين لها طائفة منظمة بمجامع وقوانين وميزانية مالية مستقلة عن ميزانية الارسالية، الاولى اميركية قسومية في الشمال، والثانية انكليزية اسقفية في الجنوب .

ارسالية الشمال اميركية قسومية أسست سنة ١٨١٠ . وسنة ١٨٢١ نزل اول مرسلها من ميناء يافا وشرعت بعملها في القدس وجوارها ، ولكن قضت الاحوال ان يخصص عملها في الجزء الواقع شمالي رأس الناقورة ، وقام مرسلوها بمبادي الارساليات البرتستانتيه بكل امانة ونشاط وكانت لهم الهد الطولى وفضل السبق في نشر العلم ورفي البلاد لا بما عملوه فقط بل بتحرى بض غيرهم ايضاً .

ودائرة عمل ارسالية الجنوب من رأس الناقورة شمالاً الى حدود مصر جنوباً ، وهي انكليزية اسقفية فاعضاؤها من كنيسة انكلترا المثبتة . أسست في لندن في ١٢ نيسان سنة ١٧٩٩ واسمها جمعية المرسلين الكنسية ويعبر عنها بالاحرف (C. M. L.) وللإحاطة بعمل ارسالية فلسطين لا بد من ذكر لمحة من تاريخ الاسقفية الانكليزية فيها . في سنة ١٨٤١ تأسست اسقفية انكلبيكانية في القدس بالاشترك مع بروسيا . وكان من مبادي المرسلين الاولى ان لا يشقوا من الطوائف الاخرى المسيحية طائفة برتستانتيه وخصوصاً من طائفة الروم الارثوذكس التي يعتبرونها ام كنائس البلاد . بل قصدوا ان يعملوا بالاتفاق مع رؤسائها لانعاش المسيحية من الغفلة التي استولت على معظم مسيحي الشرق . ولكن مقاومة هؤلاء الرؤساء وهيهم طوائفهم على المرسلين وعلى كل من يقترب منهم ، اضطرهم بعد تردد طويل الى تأليف طوائف . وقد دانت بالمذهب البرتستاني من كل طبقات البلاد ، وارثي كثيرون من اولاد الفقراء والفلاحين الى اسمى ما يمكن الوصول اليه من المراتب . على ان تأثير المرسلين لم يقتصر على العدد القليل من البرتستانت العرب بل عم البلاد بل هم كانوا من اول عوامل الرقي .

ان لكل من الارساليات المذكورة عمالاً وافراداً متعلقين بها وعددهم بحسب سعة عملها . ولكن للارساليتين السابقتين فقط طوائف برتستانتيه منظمة بمجامع وقوانين وميزانية مستقلة عن ميزانية الارسالية كما مر .

ليس لطائفة البرتستانات العرب كما مرة وسية مشيخية وليس لها كتاب صلاة تجري بموجبه عبادة الجماعة سوى بعض ارشادات مطبوعة ضرورية لارشاد القسيس في بعض الواجبات وهو مع ذلك غير مقيد بها . وتستعمل كتاب ترتيل فيه الآن ٤٣٢ ترنيلة بانغام مختلفة غربية وبعض انغام شرقية ، وانما العلامات الموسيقية كلها غربية . وهذا الكتاب مشترك بين سورية وفلسطين ومستعمل للعبادة في اليكليسيتين . وعدد نفوس الانجيليين في لبنان ١٠ آلاف نفس . بقي الكنائس الاخرى غير المشيخية منها كنيسة المروندس في برمانا ورأس المنن والكنيسة المعمدانية في راشيا الوادي وجوارها والكنيسة الانجيلية في دمشق للكنيسة المشيخية الاسكوتلاندية والكنائس الانجيلية في جهات قضاء القلمون وهي تابعة للارسالية الدانيمركية ولها عدة مراكز في البك ودير عطية وبيروود وصدد وغيرها .

اما طائفة البرتستانات العربية في فلسطين فهي أسقفية انكليكانية تجري عبادتها بموجب كتاب الصلاة العامة المترجم عن الانكليزية مع عقائد الدين التسع والثلاثين وكتاب الترتيل المشترك مع كنيسة سورية . رسم اول قسوسها الوطنيين سنة ١٨٧١ في الناصرة وكانت طائفة الناصرة في مقدمة كنائس فلسطين في إقامة الاوقاف والسعي نحو الاستقلال وكان احد افرادها عودة عنزام المستوطن القدس في الربع الثالث من القرن الماضي وقف املاكه كلها لكنيسة القدس واصبحت الآن ذات قيمة كبيرة . وتبعه غيره في الوقف على الكنائس . ويبلغ مجموع البرتستانات في فلسطين وشرقي الاردن نحو ثمانية آلاف انسان .

وبعد فان في العالم اجمع الآن حركتين متضادتين نمر عنهما بالجذب والدفع ، فبينما انت ترى الشعوب تتحرك بدفع بعضها عن بعض فتتألف كتلاً متفرقة تجدها في نفس الوقت تجذب وتقتارب وتنفام وتسعى لتوحيد هذه الكتل او ربط بعضها ببعض على الاقل ، وعلى الرغم مما تجده من التباعد بحركة الدفع والتمركز نجد الناس يقرب بعضهم الى بعض بحركة الجذب ، والعامل الاقوى في حركة الجذب سرعة المواصلات وانتشار العلم ، فسرعة المواصلات قربت الناس بعضهم من بعض فأخذوا يتفاهمون ، والعلم جعلهم يحكمون العقل اكثر من العواطف فرأوا ان كثيراً من الفوارق اما وهمية

أو عرضية أو مبالغ فيها . وما يجري في الدائرة البشرية الاجتماعية يجري في الدائرة الدينية . فعلي الرغم من بعد مسافة الفوارق الدينية والمذهبية نجد أهل هذه الأديان والمذاهب أكثر تسامحاً وامرعى سعيًا نحو الاتفاق ، حتى في الأديان التي تراها على أعظم مسافة من البعد ، فلا تكاد تمر سنة حتى يعقد مؤتمر الأديان يجتمع فيه نواب معظم الأديان الإلهية كالسيحية والإسلام واليهودية وغير الإلهية كالبودية وغيرها . وقد عقد أول مؤتمر رسمي في ١٦ أيلول سنة ١٩٢٤ في سوق الغرب اجتمع فيه نواب الجبهتين للسمي في زيادة الاتحاد وتوحيد النظام .

لا ينبغي أن الأحكام الشرعية التي علمت من الكتاب والسنة السنة } ثلاثة أقسام : الأول الأحكام الاعتقادية وأصولها الجملة ستة الإيماء بالله وبالملائكة وبالكتب وبالرسل وباليوم الآخر والقدر . ويقال لجميع هذه الأحكام دين الإسلام وهي ما جاء به جميع الأنبياء . وهذه وإن كانت في تبيينها مذاهب عديدة إلا أن ما عدا مذهب أهل السنة باطل .

القسم الثاني الأحكام العملية وهي عشرة : الفرض ، الواجب ، السنة ، الاستحباب ، الإباحة ، الحرم ، الكراهة التحريمية ، الكراهة التنزيهية ، الصحة ، الفساد . ولا يحلو فعل العاقل البالغ عن حكم منها ، فالأشرائع المتعلقة بأفعال المكافين ثلاثة أنواع إجمالية . الأول العبادات وهي عبارة عن الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر الفرائض والواجبات . الثاني المعاملات كالنكاح والطلاق والهبّة والوصية والبيع والشراء والكمائة والوكالة . الثالث العقوبات كالمدية والكفارة والغدية والقصاص ، وفي تبيينها مذاهب كثيرة إلا أنه نقرر فيها المذاهب الأربعة ، وأصحابها أبو حنيفة نعمان بن ثابت ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، ومالك بن أنس ، وأحمد بن حنبل ، فما اتفق عليه هؤلاء الأئمة الأربعة هو حق وصواب ، وما اختلفوا فيه يحتمل الخطأ والصواب ، لأن كل مجتهد يخطئ ويصيب ، والحق واحد لا يتعدد ، وكل مؤمن مأمور باتباع مذهب منها إذا لم يكن بلغ مرتبة الاجتهاد ، ويلزمه الاعتقاد بصواب متبوعه ، إذ لا يجوز له تقليده إن اعتقد خطأ .

القسم الثالث الاحكام الشرعية المتعلقة باحوال القلوب ، والمتكفل بذلك علم الاخلاق والتصوف . والقصد هنا بيان اعتقاد اهل السنة والجماعة في القسم الاول . وينبغي ان نبين اولاً من هم اهل السنة والجماعة ثم نذكر عقائدهم اذ ربما يظن بعض الناس ان كل من يطلق عليه اسم المسلم هو من اهل السنة والجماعة ، وليس الامر كذلك فان اهل البدع والاهواء مخالفون لاهل السنة والجماعة ، والحال ان فيهم من يعد من اهل ملة الاسلام ، لذلك رأيت من اللازم اولاً بيان من هم اهل السنة والجماعة ، ثم بيان عقائدهم التي اتفقوا عليها ، ولم أتعرض للمخالفين لهم ولا لذكر جميع الطرفين ، وسرد المسائل التي وقع فيها اختلاف بين الاشعرية والماتريدية لما ان ذلك خارج عن موضوع الخطط وانما هو من خصائص الكتب الكلامية ، بل اقتصر على أهم المسائل الاعتقادية التي يكلف كل مؤمن باعتقادها .

اما اهل السنة والجماعة فهم السلف الصالح من أئمة الدين والفقه واهل الحديث ومن اخذ عنهم ، وهم الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي عن ابي هريرة وهو قوله صلى الله عليه وسلم : افرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة وثفرت أمي على ثلاث وسبعين فرقة ، وفي رواية زيادة كلها في النار الا واحدة ، قيل من هي قال : ما انا عليه وأصحابي .

وقد ألف العلماء كتباً لبيان هذه الفرق ومقالاتها كالشهرستاني وابن حزم وعبد القاهر البغدادي وغيرهم . اذا أطلق اهل السنة والجماعة يراد بهم الاشعرية والماتريدية ، اما الاشعرية فهم أصحاب الامام ابي الحسن علي بن اسماعيل من ذرية ابي موسى عبد الله ابن قيس الاشعري الصحابي الجليل . اخذ علم الكلام اولاً عن شيخه محمد بن عبد الوهاب الجبائي شيخ المعتزلة وتبعه سب في الاعتزال حتى صار للمعتزلة اماماً ، ثم رجع عن مذهبه وصنف كتباً في الرد عليهم ، وأجمع على عقيدة الاشعري المالكية والشافعية وبعض الحنفية وفضلاء الحنابلة ، ولم يكن ابو الحسن اول متكلم بلسان اهل السنة انما جرى على سنن غيره او على نصرة مذهب معروف فزاد المذهب حجة وبياناً ، وليس له في مذهب السلف اكثر من بسطه وشرحه وتأليفه في نصرته . ولد سنة ستين ومائتين وتوفي سنة اربع وعشرين وثلاثمائة .

واما الماتريدي فمهم اصحاب الامام ابي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي نسبة الى قرية بسمرقند ، الحنفي المتكلم فاحصر السنة وقامع البدعة وحبي الشريعة ، كان اماماً جليلاً مناضلاً عن الدين موطداً لعقائد اهل السنة قطع المعتزلة وذوي البدع في مناظراتهم ، وله مصنفات منها كتاب التوحيد وكتاب بيان وهم المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن وهو كتاب لا يواز به فيه كتاب .

وليس هو من اتباع الأشعري لكونه اول من أظهر مذهب اهل السنة كما ظن . لان الماتريدي مفصل لمذهب الامام ابي حنيفة واصحابه المظهرين قبل الاشعري مذهب اهل السنة . وكانت وفاته بسمرقند سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .

والحاصل ان كلا من هذين الامامين الجليلين ابي الحسن وابي منصور لم يبدعا من عندهما رأياً ولم يشنقا مذهباً انما هما مقرران للمذاهب الساف مناضلان عما كان عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . احدهما قام بنصرة مذهب الشافعي وما دل عليه والثاني قام بنصرة مذهب ابي حنيفة وما دل عليه . وناظر كل منهما ذوي البدع والضلال حتى انقطعوا .

وعما ينبغي ان يعلم انه ليس بين هاتين الطائفتين اختلاف في اصول الدين وانما اختلفوا في بعض مسائل متفرعة عن الاصول لا تستلزم تضليلاً ولا تفسيقاً . ثم ان عقائد اهل السنة والجماعة تنحصر في اربعة اركان هي مبنى الايمان : الالهيات والصفات والافعال والسميات .

(الركن الاول في ما يجب لله تعالى وما يجوز وما يستحيل) — العالم بجميع أجزائه حادث وجد بعد ان لم يكن ، وهو قابل للفناء وله صانع واجب الوجود لذاته ممتنع العدم بالنظر لذاته ، واحد لا شريك ولا مثيل له في ذاته وصفاته وافعاله ، قديم لا بداية له ، أبدي لا نهاية له ، متصف بصفات الكمال ، منزّه عن سمات النقص ، ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، ولا تحلله الجواهر ولا الاعراض ، ولا يحل في غيره ولا يتحد بغيره ، ولا يقوم بذاته حادث ، منزّه عن الثقل والانتقال ، استوى على العرش على الوجه الذي عناء وبالمعنى الذي أراده ، استواء يليق بجلال ذاته ، وهو فوق سمواته فوق عرشه ، مبين مخلقه لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون

بقدرته ، ومع ذلك فهو قريب من كل . وجود بل هو اقرب الينامن جبل الوريد .
وهو تعالى مرئي للمؤمنين بالابصار في دارالقرار ، فيرونه لا في مكان ولا على جهة
من مقابلة واتصال شعاع او ثبوت مسافة بين الرائي والمرئي .

(الركن الثاني في العلم بصفاته تعالى) الله تعالى متصف بالعلم والقدرة ولا رادة
والسمع والبصر والكلام والحياة ، وهي صفات له أزلية ونعوت له أبدية ، فهو تعالى
قادر على جميع الممكنات ، وجميع الحوادث واقعة بقدرته تعالى ، وقدرة الله على
المقدورات كلها قدرة واحدة ، يقدر بها على جميع المقدورات على طريق الاختراع
دون الاكتساب ، ومقدوراته تعالى لا تثنى .

وهو سبحانه مريد لافعاله فلا وجود الا وهو مستند الى مشيئته وصادر عن
إرادته ، لا يقع شيء في العالم الا بارادته ومشيئته ، فالخير والشر والطاعة والمعصية
واقعة بارادة الله تعالى وقضائه وقدره ومشيئته ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ،
وإرادته تعالى قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في اوقاتها اللاتقة بها على
وفق سبق العلم الازلي ، والارادة غير الامر لانه قد يأمر بالشيء ولا يريده ،
ويريد الشيء ولا يأمر به ، ويريد الشيء ويأمر به ، ولا يريد الشيء ولا يأمر به .
وغير الرضا ايضا فان الارادة قد تتعلق بما لا يرضى به الله تعالى كالكفر الواقع
من الكفار فانه تعالى أرادهم ولم يرض به ولا يرضى لعباده الكفر ، وليست عين العلم
لان العلم يتعلق بالواجب والمستحيل والجائز ، والارادة لا تتعلق الا بالجائز .

وهو تعالى عالم بجميع الموجودات كلياتها وجزئياتها ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب
عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات ، وعلمه واحد بعلم به جميع المملوءات
على تفصيلها من غير حس ولا بداهة ولا استدلال عليه ، وعلمه قديم لم يزل عالماً بذاته
وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصات
مكتشفة بالعلم الازلي .

وهو تعالى حي وحياته بلا روح ولا اغتذاء ، وجميع الارواح مخلوقة ، والحياة
شرط في العلم والقدرة والارادة والرؤية والسمع فمن ليس بحي لا يصح ان يكون
عالمًا قادراً مريداً سامعاً مبصراً .

وهو سبحانه سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق ، ولا يحجب سمعه بُعد ، ولا يدفع رؤيته ظلام ، لم يزل رائيًا لنفسه ، وسامعًا لكلام نفسه ، وان الانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر ، وان كليهما غير الانكشاف بالعلم ، بل لكل منهما حقيقة يفوض علمها لله تعالى . وهو تعالى متكلم بكلام قائم بذاته ليس بحرف ولا صوت هو به أمر نام مخبر وان القرآن كلام الله غير مخلوق ،

(الركن الثالث في الافعال) الله تعالى لا خالق سواه وكل حادث في العالم حدث بقدرته وخلق لا محدث له غيره ، وجميع أفعال العباد اختيارية اواضطرارية ، مخلوقة له تعالى ومتعلقة بقدرته وانما الله تعالى خلق في العبد قوة تسمى الارادة الجزئية واقدر عبده على صرف هذه القوة الى ما شاء من جزئيات الأمور والنتائج باختياره ، وهذا الصرف هو الذي يسمى بالكسب تارة وبالميل والجزء الاختياري تارة أخرى . ويسمى ايضا بقدره العبد . وقد جرت عادة الله تعالى انه لا يخلق القدرة على المعصية في اعضاء العبد حتى يصرف العبد ارادته الجزئية اليها ، فاذا صرفها اليها بان مال قلبه وعزم عليها فمناك يخلق الله تعالى القدرة في اعضائه على فعلها فيفعلها فقدره العبد التي هي الميل المذكور مقارنة لايجاد الله تعالى ليس لها تأثير في ايجاد الفعل بل مجرد مقارنة .

وهو تعالى لا يجب عليه شيء من فعل الاصلح لعباده ، ورعاية الحكمة والمصلحة في فعله ، فله ان يعذب على الطاعات ويثيب على المعاصي ، وان يتلى عبده بضروب الآلام من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق ، ولا يعد ذلك منه قبيحا ولا ظلما لانه يتصرف في ملكه لا في ملك غيره ، بفعل ما يريد ، ولا حاكم عليه بل له الحكم ، وانما يثيب على الطاعة بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق والازوم ويعاقب على المعصية عدلا منه تعالى ، وقد راعى الحكمة فيما خلق ، امر نهضلا منه ورحمة ولا باعث له على الفضل .

بعثة الانبياء ممكنة عقلا وواقعة قطعاً ، وفي وقوعها حكمة بالغة ورحمة للعالم شاملة ، واحتياج الناس الى الانبياء كاحتياجهم الى الاطباء ، النبوة انما تحصل بمجرد

اصطفاه الهى لا باستحقاق من المبعوث واجتماع شروط فيه ، بل الله يختص برحمته من يشاء وهو تعالى اعلم حيث يحمل رسالته ، وقد ارسل الله تعالى رسلاً من البشر الى البشر مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة ، وايدهم بالمعجزات الخارقة للعادات المقرونة بالتحدي وكلهم جاؤا بتوحيد الله تعالى والنهي عن الشرك واخلص العبادة له تعالى ، وهم صادقون فيما جاؤا به مصونون عن التحريف والتبديل ، معصومون من كل نقص حسى^(١) او معنوي مبلغون امهم جميع ما أمروا بتبليغه ، واوهم آدم وآخرهم نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

ان الله سبحانه ارسل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة بشيراً ونذيراً ، وجعله خاتم النبيين فلا نبي بعده وايداه بالمعجزات الباهرة ، والبراهين الظاهرة ، وانزل عليه القرآن الكريم الذي هو له معجزة باقية الى يوم الدين فتدفع بشريعته الشرائع التي كانت قبله الا ما قرر منها ، وفضله على سائر الانبياء ، وجعل الشهادة له بالرسالة شطرا لايان ، والزم الناس تصديقه في جميع ما اخبر به عنه ، وامره بتبليغ ما انزل عليه فقال تعالى : « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك » فبلغ صلوات الله وسلامه عليه الرسالة وادى الامانة ونصح الامة حتى اتاه اليقين .

ان الله تعالى ملائكة هم عباد الله المكرمون ورسول الله بينه وبين انبيائه وامناؤه على وحيه لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لا يوصفون بذكورة ولا انوثة ، ولا يأكلون ولا يشربون ، ولا يعلم حقيقتهم ولا عددهم الا خالقهم ، وهم اجسام لطيفة نورانية يرونها ولا نراهم بصورهم الاصلية .

(الركن الرابع في السمعيات) ان لهذه الدنيا اجلاً محدوداً فاذا جاء اجلها يتبدل نظام هذا الكون ، فتبدل الارض غير الارض والسموات غير السموات ، ويعيد الله تعالى الارواح الى الاجساد ، ثم يجازي الله تعالى كل نفس بما كسبت اما بنعيم ابدى او عذاب سرمدي وجميع ما اخبر به الصادق من عذاب القبر ونعيمه ، وسؤال الملكين

(١) النقص الحسى يكون في الذات كالجذام والبرص والعمى والجنون ، والمعنوي يكون في الصفات كدناءة الحرفة ودناءة النسب وكالمعاصي الكبائر والصغائر .

ووزن الأعمال ، والمروءة على الصراط ، والشفاعة لمن أذن له الرحمن ، جميع ذلك حق يجب الإيمان به .

الشيعية لفظ معناه الاتباع والأنصار يطلق على الواحد والثنى والجمع والمذكر والمؤنث نقول هو شيعة وهي شيعة وهما وهم وهمن شيعة وجمعه شيع وأشياع ، ثم صار علماً بالغلبة على اتباع علي بن أبي طالب عليه السلام .

عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل سلمان الفارسي القائل بإعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن أبي طالب والموالاة له . ومثل أبي سعيد الخدري الذي يقول أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة . ولما سئل عن الأربع قال الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج قيل فما الواحدة التي تركوها قال ولاية علي بن أبي طالب قيل له وإنها مفروضة معهن قال نعم هي مفروضة معهن . ومثل أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت وأبي أيوب الأنصاري وخالد بن سعيد بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة وكثير أمثالهم . ومن أرادهم فليراجع كتاب الدرجات الرفيعة لابن معصوم .

عرف هؤلاء باسم شيعة علي ثم غلب فأطلق فقليل لهم شيعة . ذكر أبو حاتم الرازي في كتاب الزينة في الألفاظ المتداولة بين أرباب العلوم على ما نقل في كتاب الروضات أن أول اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الشيعة) وكان لقب أربعة من الصحابة وهم أبو ذر وسلمان وعمار والمقداد إلى أن آوأن صفين فاشتهر بين موالي علي عليه السلام . ومما تكن منزلة هذه الرواية من الثقة فالأمر الذي لا خلاف فيه أنه لما استقل الأمويون بالأمر وناهضوا الهاشميين واتباعهم تلك المناهضة الشديدة كان اسم الشيعة على إطلاقه علماً على اتباع آل البيت .

أما ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن أهل مذهب التشيع من بدعة عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء فهو وهم وقلة علم بحقيقة مذهبهم . ومن علم منزلة هذا الرجل

عند الشيعة وبراءتهم منه ومن اقواله واعماله وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم في ذلك ، علم مبلغ هذا القول من الصواب .

لا ريب في ان اول ظهور الشيعة كان في الحجاز بلد التشيع له . وكان التشيع هناك ضعيف الحول ولكنه مكين في قلوب اهله . ثم استفحل امره في العراق زمن خلافة علي عليه السلام . اما في الشام فالمعروف بين الشيعة في جبل عامل خلقاً عن سلف ان الذي دأبهم على هذا المذهب ابو ذر الغفاري لما سُوِّيَ الى الشام ولا يزال في قرية الصرفند (بين صيدا وصور) له مقام معروف باسمه اتخذ مسجداً ميموراً وهو غير مسجد القرية الجامع وفي قرية ميس الجبل له مقام آخر . وميس هذه قرية في جبل عامل على طريق القادم من دمشق . وروى الحر العاملي في كتابه اهل الآمل ان ابا ذر لما أُخرج الى الشام تشيع فيها جماعة ثم أخرجه معاوية الى القرى فوقع في جبل عامل فتشيعوا من ذلك اليوم . ثم ذكر رواية عن الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وقد سئل عن اعمال الشقيف فقال ارنون وببوت وربوع تعرف بسواحل البحار واطثة الجبال هؤلاء شيعةنا حقاً .

وفي كتاب الروضة والفضائل لشاذان بن جبرئيل اقمي رواية مسندة الى عمار ابن ياسر وزيد بن ارقم تدل على انه كان زمن خلافة علي عليه السلام قرية في الشام عند جبل الثلج تسمى اسمعار اهلها من الشيعة ، واسمعار هذه قرية خربة بين مجدل شمس وجبانا الزيت وهناك نهر يعرف بنهر اسمعار .

المتأولة جمع متوالي مأخوذ من الموالاة وهي الحب ، لموالاتهم اهل البيت واتباعهم طريقةتهم . والظاهر ان تلقبهم بهذا اللقب في جبل عامل لم يتقدم عن القرن الثاني عشر للهجرة لان كل المؤرخين قبل هذا القرن لم يعرفوا لهم هذا اللقب ولم ينزهم به احد منهم وكانوا اذا أرادوا ذلك تجنبوا الشيعة وقالوا الرافضة كما فعل المحبي في خلاصة الاثر . ولكن من تأخر عن القرن الحادي عشر لم يلزمهم بترك نزهم به كما فعل المرادي في سلك الدرر فانه لم يذكرهم في جبل عامل الا باسم المتأولة وفاقاً للشهرة في عصره .

وقد جاء في احدي « السالنامات » التركية ان ابتداء ظهور المتأولة سنة ١١٠٠

للهجرة . وعلى الجملة ان هذا اللقب أطلق عليهم لما أظهروا وجودهم السياسي وخاموا طاعة أمراء لبنان واجتمعوا جملة واحدة في جبل عامل تحت قيادة آل نصار الوائليين وفي بعلبك تحت لواء بني حرفوش وفي شمالي لبنان بزعامة المشايخ آل حمادة .

كانوا يومئذ (ينتخون) باسم بني منوال فعرفوا به واشتهر عنهم ويدلنا على ذلك ان هذا اللقب لم يكن الا للذين دخلوا في غمار تلك العن عرف به شيعة جبل عامل وبعلبك وشمالي لبنان ولم يعرف لشيعة حلب وحمص وحماة ولا لشيعة دمشق الا الذين تديروا الصالحية وأطراف الميدان وهم من مهاجرة بعلبك وجبل عامل .

الشيعة في الشام هم في جبل عامل ، وهو البلد الواقع بين صند جنوباً ، ونهر الاولي شمالاً ، وغور الحولة وما حاذاه الى ارض البقاع شرقاً ، والبحر المتوسط غرباً . وفي مدينة بعلبك واعمالها وزمنهم فيها قديم .

وفي أعمال حمص قرى قليلة لم وفي نفس المدينة جماعات ظاهرة ومستترة وفي أعمال ادلب قرى الفوعة ونبل وغيرهما وكلها شيعة وفيها الى اليوم السادة بتو زهرة نقباء الاشراف في مدينة حلب في الزمن السالف . وكل هؤلاء من بقايا زمن الحمدانيين ومن فلول شيعة حلب يوم تشنت شملهم .

وفي دمشق ويرجع عهدهم الى القرن الاول للهجرة وفي اكناف حوران وهم من مهاجرة جبل عامل وفي شمالي لبنان والمنتن والبترون وهم من مهاجرة بعلبك . ولا يقل عدد نفوس الشيعة في الشام عن مائتي الف من الامامية .

معتقدات الشيعة ، وهم فرقة من المسلمين ، اعتقادات المسلمين العامة عينها ولكنهم في الاصول يخالفون اهل السنة بالامامة ، وهي عندهم رئاسة عامة في امور الدين والدنيا لشخص من الامتصاص بحق البيابة عن النبي وهي واجبة عقلاً على الله لانها لطف وكل لطف واجب عليه تعالى ولذلك خالفوا المعتزلة القائلين بوجودها على الخلق عقلاً والأشاعرة القائلين بوجودها على الخلق شرعاً .

و يجب عندهم ان يكون الامام معصوماً وانفرد بهذا الشرط الامامية والاسماعيلية من الشيعة ، وان يكون منصوحاً عليه وان يكون أفضل اهل زمانه .

وان الاثمة اثنا عشر اولهم علي بن ابي طالب المنصوص عليه من الرسول صلى الله

عليه وسلم وآخروهم محمد بن الحسن العسكري الذي اخفى عام ٢٦٠ سنة سر من رأى وهو حي برزق ولا يعلم الناس مقره وسيظهر في آخر الزمان في مكة المكرمة وقد قال بقولهم هذا فريق من اهل السنة . واما القول بانه يخرج من مرداب سر من رأى فلم يقل به احد من الشيعة وان نسبة اليهم من لا يعرف مذهبهم جهلاً بمحقيقة الحال .

ويخالفون الاشاعرة في بعض صفاته تعالى فالاشاعرة تقول في كونه تعالى متكلماً ان الكلام معنى قائم بذاته تعالى ليس بحرف ولا صوت ولا شيء من اساليب الكلام وهو قديم . والشيعة والمعتزلة يقولون ان الكلام قائم بالغير يراد من كونه متكلماً فعل الكلام لا ان الكلام قائم به ولذلك فالكلام حادث .

والاشاعرة تقول ان افعاله تعالى لا لغرض والا لكان ناقصاً مستكلاً بذلك الغرض . وعند الامامية ان افعاله معللة بالعلل والاعراض والا لكان عابثاً والغرض مائد لغيره اما لمنفعة العبد او لاقتضاء نظام الوجود ذلك الغرض .

والاشاعرة تقول ان الافعال كلها واقعة بقدر الله وانه لا فعل للعبد اصلاً . وقال بعضهم ان للعبد من ذلك الكسب اي كونه طاعة او معصية . وقال آخرون ان العبد اذا صمم خلق الله الفعل عقيب التصميم وانه تعالى فاعل للكل حسناً او قبيحاً . والشيعة امامية اوزيدية يقولون بقدرة العبد واختياره وانه ليس بمجبور على فعله بل له ان يفعل وله ان لا يفعل وان الفعل منسوب اليه نفسه وانه يستحيل عليه تعالى فعل القبيح . وقالت الامامية بوجوب اللطف عليه تعالى وهو ما يقرب من الطاعة ويبعد عن المعصية ولا حظ له في التمكين ولا يبلغ درجة الاجاء .

وقالوا بجران المسببات عن اسبابها فالشيع مثلاً شيء حادث عن الاكل لا انه شيء يحدثه الله عند الاكل .

وقالت الاشاعرة بإمكان الرؤية البصرية يوم القيامة على الله تعالى . وقالت الشيعة والمعتزلة باستحالتهما مطلقاً .

وقالت الاشاعرة في الحسن والقبح بانها شرعيان اي انه ليس في العقل ما يدل على الحسن والقبح بل ما حسنه الشرع فهو حسن وما قبحه فهو قبيح . وقالت الشيعة

الامامية بان الحسن حسن في نفسه يستحق صاحبه المدح والتبجيل فبمح بنفسه يستحق صاحبه الذم ولا يتوقف ذلك على حكم الشارع .

ويقولون ان العدل صفة من صفاته تعالى واجبة الثبوت له . هذه أمهات المسائل الاصولية التي يخالفون فيها بعض فرق المسلمين كالاشاعرة وربما وافقهم في أكثرها غيرهم كالمعتزلة . واما في الفروع فلا تكاد تجد لهم قولاً مخالفاً لا يكون قائلاً به غيرهم من فرق المسلمين اليوم .

فهم اتفردوا اليوم بالقول بالمتعة وان كان اثرها في العرب منهم قليلاً بل اندر من النادر . وهي متعتان متعة النكاح ومتعة الحج ، فالاولى هي الزواج الى اجل مسمى تحل عقده باقضاء الاجل ، وعلى الزوجة المتمتع بها بعد انقضاء الاجل ان تعتد العدة الشرعية فلا تنكح زوجاً غيره حتى تنقضي عدتها ، ولا بد فيها من ذكر المهر والاجل ولا توارث بينهما وبين الزوج للدليل الخاص الا مع الاشتراط ولكن الولد منها ولد شرعي لا فرق بينه وبين اخوته . واما متعة الحج فهي الطواف الاخير المعروف بطواف النساء فلا تحل للمحرم النساء حتى يأتي به .

ومنها في الميراث مسألة العول والتعصيب فهم ينكرون العول . ويقول امامهم جعفر بن محمد الصادق على ان الذي احصى رمال عاج يعلم ان الموارث لا تعول ويحرون فيما جاء من ذلك على قاعدة من له الغنم فعليه الغنم .

ولا يقولون بالتعصيب بل يرثه اقرب الناس اليه ، وطبقات الارث في النسب ثلاث : الآباء والابناء ، والاخوة والاجداد ، والاخوال والاعمام . فالمنقدمة من هذه الطبقات تحجب ما بعدها ، فاذا كان ذو فرض اخذ فرضه ورُد الباقي على نفس الطبقة لا يتعداها سواء كان المردود عليه ذكراً أو أنثى .

فاذا مات الميت عن بنت واب اخذت البنت النصف والاب السدس بالفرض ورد الباقي عليهما كل بقدر سهمه لانها من طبقة واحدة فلم يكن له اب بل جد او اخ كان الرد على البنت لانها من الطبقة الاولى والجد والاخ من الطبقة الثانية فهي اولى منه بآية واولو الارحام .

ويقولون بالجمع بين صلاتي الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء سفرًا وحضرًا ولكن التفريق افضل .

واذا قال القائل لزوجته انت طالق ثلاثاً فان كانت جامعة لشروط الطلاق وقعت واحدة والا كان الطلاق باطلاً . وشرط صحة الطلاق ان تكون الزوجة طاهرة في طهر لم يواقعها الزوج فيه وان يكون الطلاق بشهادة ذوي عدل . وتجتمع الشيعة في ايام عاشوراء فتقيم المآتم على الحسين بن علي شهيد كربلاء عليه السلام ويهدم بذلك بعيد يتصل بعصر العاجلة واول من رثاه ابو باهل الجمحي بقصيدة يقول فيها :

نبت الشاذي من أمية نوّماً وبالطف قتل ماينام جميعها
والظاهر من سيرة ديك الجن الحصي في كتاب الاغانى ان هذه الاجتماعات للمآتم كانت معروفة في زمانه . ثم ان بني مويه ايام دولتهم عنوا بها مزبد العناية . ولا تزال الى اليوم تقام في جميع اقطار الشيعة وليست هي من الفروض كما يتوهم بل يستحبونها لانها تصدر عن ولاء ومحبة . وقد نظرف بعض العجم فأبدعوا فيها بدعاً يمجتها الله والاس من خرب انفسهم بالمدى واسالة الدماء على اتوايهم وعمل ما يسمونه (الشبيه) وقد مقته العلماء من الشيعة ولم ندعن لهم به العامة في كثير من البلدان التي استحكمت فيها هذه العادة .

أطلق هذا اللقب على فرق خالفت الاسلام مدعية بان لكل الباطنية
ظاهر باطلاً ولكل تنزبل تأويلات . ولم القاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم قوم . فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية ، وبخراسان التعليمية والمخددة ، وهم يقولون نحن اسماعيلية لانا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص ، ثم ان الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج — هذا ما قاله الشهرستاني . وقال عبد القاهر البغدادي ان الذين وصفوا اساس دين الباطنية كانوا من اولاد الجوس ، وكانوا مائلين الى دين اسلافهم ، ولم يجسروا على اظهاره خوفاً من سيوف المسلمين فوضع

الأعمار منهم أساساً من قبلها صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس ، وتأولوا آيات القرآن ومنن النبي عليه الصلاة والسلام على موافقة أساسهم . ولما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضاً لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة أو إلى مثل أحكام المجوس .

وذكر أنه خرج منهم أناس بالبحرين والقطيف والاحساء . ومنهم من ظهر في طريق الحجاز واستولى على مكة . ومنهم من ظهر بالقيروان واستولى باتباعه على بلاد المغرب . ومنهم من استولى على هجر . ومنهم من ظهر باليمن وقتل الكثير من أهلها . ومنهم من خرج بالشام وهو أبو القاسم بن مهران . وإن زعيمهم الأول ميمون بن ديصان كان مجوسياً أولاً . ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بجران واستدل على ذلك بأن حمدان قرط داعية الباطنية بعد ميمون بن ديصان كان من الصابئة الحرائية . واستدل على ذلك أيضاً بأن صابئة حران يكتفون أديانهم ولا يظهرونها إلا لمن كان منهم . والباطنية أيضاً لا يظهرون دينهم إلا لمن كان منهم ، بعد أحلافهم إياه على أن لا يذكر أسرارهم لغيرهم . قال عبد القاهر : الذي يصح عندي من دين الباطنية أنه دهرية زنادقة يقولون بقدوم العالم وينكرون الرسل والشرايع كلها ليلهم إلى سابعة كل يوم . والاربعون من الحور الأعظم الذي تدهر عليه الباطنية هو من ذلك . ومن ذلك أيضاً من من الوجوه بالطريقة الماسونية . وعلى الجملة فإن هذه المذاهب خلافة عبيد الله . جالب تميمته . سمه المالك فعولوا فيه معالاة عقيدة حتى أخرجه من البشرية . فذكرت أكثر أهل الشام في القرون الثلاثة الأولى الإسلام على ما يظهر من مذاهب النصارى ، ولمسلمون أقل منهم . لقد انتهى أعمال جميع القبائل القديمة في الشام مثل بني كلاب وبني جزيه . وبني عاملة أن دأبوا بالإسلام . لم تخاف منهم يدي . يد . سوى . وخ في حلب وعلاب في شمالي . برقي تدمر . ولما مر السائح وياق الد في القرن الأول هجره بجمع كانت نصف سلة وقويت حركة الإسلام في القرون التالية لما سكنها من قواد المرءانيين في حسين من أولاده .

وكانت الشام في الإسلام تولى عليها اصحابه ترة ونولي غيره أخرى . و

اهل حلب سنية حنيفة حتى قدم الشريف ابو ابراهيم الممدوح فصار فيها شيعية وشافعية . واتى صلاح الدين وخلفاؤه فيها على التشيع كما اتى عليه في مصر . وكان المؤذنون في جوامع الشهاب يؤذنون بحمي على خير العمل . وحاول السليوقيون مرات القضاء على التشيع فلم يوفقوا الى ذلك . وكان حكم بني حمدان وهم شيعة من جملة الاسباب الداعية الى تأصل التشيع في الشمال . ولا يزال على حائط صحن المدفن الذي في سفح جبل جوشن بظاهر حلب ذكر الأئمة الاثني عشر وقد خرب الآن . وفي سنة ١٤١٠ ظهر في حلب قوم يقال لهم الراوندية خرجوا يحلب وحيران وكانوا يزعمون انهم بمنزلة الملائكة وصعدوا تلالاً يحلب فينا قالوا ولبسوا ثياباً من حرير وطاروا من التل فكسروا وهلكوا .

وصف المقدسي مذاهب الشام في القرن الرابع للهجرة فقال ان السامرة فيه من فلسطين الى طبرية ولا تجد فيه مجوسياً ولا صابئاً ، مذاهبهم مستقيمة اهل جماعة وسنة . واهل طبريا ونصف نابلس وقُدَس واكثر عمان شيعة ولا ماء فيه لمعتزلي انما هم في خفية ويبعث المقدس خلق من الكرامية لهم خوانات ومجالس ولا ترى به مالكيًا ولا داودياً ، وللاوزاعية مجلس بجامع دمشق والعمل كانت فيه على مذهب اصحاب الحديث ، والعقهاء شفعوية واقل قسبة او بلد ليس فيه حنفي وربما كانت القضاة منهم قال : واليوم اكثر العمل على مذهب الفاطمي .

ووصف ابن جبير المذاهب المتغلبة على الشام في القرن السادس فقال : وللشيعة في هذه البلاد امور عجيبة وهم اكثر من السنيين بها وقد عموا البلاد بمذاهبهم وهم فرق شتى منهم الرافضة وهم السبابون ومنهم الامامية والزيدية وهم يقولون بالنفضيل خاصة . ومنهم الامماعيلية والنصيرية يزعمون الالهية لابي رضي الله تعالى عنه . ومنهم الغرابية وهم يقولون ان علياً (رض) كان أشبه بالنبي (ص) من الغراب بالغراب و ينسبون الى الروح الامين عليه السلام قولاً تعالى الله عنه علواً كبيراً . الى فرق كثيرة يضيق عنهم الاحصاء . قال وسلط الله على هذه الرافضة طائفة تعرف بالنبوية سنيون يدبنون بالفتوة و باور الرجولة كلها وكل من الحقوه بهم لخصلة يرونها فيه منها يحرمونه السراويل فيلحقونه بهم ولا يرون ان يستعدي احد منهم في

نازلة تنزل به ، لم في ذلك مذاهب عجيبة ، واذا اقسام اقدم بالفتوة برّ قسمه ، وهم يقتلون هؤلاء الروافض اين ما وجدوهم . وشأنهم عجيب في الأتفة والائتلاف .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته الرد على النصيرية ايام استولى هؤلاء على جانب كبير من الشام : ان للقرامطة في معاداة الاسلام وقائع مشهورة وكتباً مصنفة فاذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين وقد قتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم واصرائهم وجندهم ما لا يحصى عدده الا الله تعالى وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين ، فهم مع النصارى على المسلمين ، ومن اعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على النصارى ، ومن اعظم اعيادهم اذا استولى النصارى على ثغور المسلمين ، وبسببهم استولى النصارى على القدس الشريف وغيره ، فان احوالهم كانت من اعظم الاسباب في ذلك . وانفقوا بعد صلاح الدين ونور الدين مع النصارى فجاهدوا المسلمين حتى فتحوا البلاد .

وقال ان لم القاباً معروفة عند المسلمين تارة يسمون الملاحدة وتارة يسمون القرامطة وتارة يسمون الباطنية وتارة يسمون الاسماعيلية وتارة يسمون النصيرية وتارة يسمون الخرمية وتارة يسمون المحمرة . وهذه الاسماء منها ما يعيهم ومنها ما يخص بعض اصنافهم . وهم كما قال العلماء فيهم ، ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض .

وحقيقة امرهم انهم لا يؤمنون بنبي من الانبياء والمرسلين لا بنوح ولا ابراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولا بشيء من كتب الله المنزلة لا التوراة ولا الانجيل ولا القرآن ، ولا يقرون بان للعالم خالقاً خلقه ولا بان له ديناً امر به ، ولا ان له داراً يجزي الناس فيها على اعمالهم في غير هذه الدار ، وهم يبنون قولهم على مذاهب الفلاسفة تارة وعلى أقوال المجوس الذين يعبدون النور . وقال ان اخوان الصفا ونحوهم هم من أئمتهم وينكرون على الرسل ودعوى انهم من جنسهم طالبون للرئاسة فمنهم من احسن بطلبها ومنهم من اساء في طلبها حتى قتل ويجعلون محمداً وموسى من القسم الاول والمسيح من القسم الثاني ويستهلزون بالصلاة والزكاة والصوم والحج الخ .

الاسماعيلية } هم القائلون بانتقال الامامة بعد جعفر الصادق الى ابنه الاكبر
 { اسماعيل ، انتقلت اليه بعد ابيه دون اخيه موسى الكاظم . وهم
 يوافقون الامامية في سوق الامامة من امير المؤمنين علي بن ابي طالب الى جعفر
 الصادق ثم يعدلون بها عن موسى الكاظم الذي هو الامام عند الامامية الى اسماعيل
 هذا . ثم يسوقونها في بنيه فيقولون ان الامامة انتقلت بعد امير المؤمنين علي الى ابنه
 الحسن ثم الى اخيه الحسين ثم الى ابنه علي زين العابدين ثم الى ابنه محمد الباقر ثم الى
 ابنه جعفر الصادق ثم الى ابنه اسماعيل الذي تنسب اليه هذه الفرقة بالنص من ابيه .
 ثم يقولون انها انتقلت من اسماعيل الى ابنه محمد المكنوم ثم الى ابنه جعفر الصدوق ثم
 الى ابنه محمد الحبيب ثم الى ابنه عبيد الله المهدي اول خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب ،
 وهو جد الخلفاء الفاطميين بمصر ، ثم الى ابنه العزيز بالله ابي منصور تزار ثم الى ابنه
 الظاهر لا عزاز دين الله ابي الحسن علي ثم الى ابنه المستنصر بالله ابي تميم مَعْدُ خامس
 خلفائهم بمصر .

ومن هاهنا افرقت الاسماعيلية الى فرقتين مُستعلوية ونزارية . فاما المستعلوية
 فيقولون ان الامامة انتقلت بعد المستنصر بالله الى ابنه المستعلي بالله ابي القاسم سادس
 خلفائهم بمصر ثم الى ابنه الامر باحكام الله ابي علي منصور الى آخر من جاء بعدهم وهو
 حادي عشر خلفائهم بمصر . واما النزارية فانهم يقولون ان الامامة انتقلت بعد
 المستنصر الى ابنه تزار بالنص من ابيه المستعلي . ثم الاسماعيلية في الجملة من المستعلوية
 والنزارية يسمون انفسهم اصحاب الدعوة الهادية تبعاً لامامهم اسماعيل المذكور ، وكان
 يسمى صاحب الدعوة الهادية — وفي القرن التاسع كانوا بسموت في ديوان الانشاء
 بالقصاد وبين العامة بالفداوية — وهم يرون ان الارواح مسجونة في هذه الاجسام
 المكلفة بطاعة الامام المطهر ، فاذا انتقلت على الطاعة كانت قد تخلصت وانتقلت
 للانوار العلوية ، وان انتقلت على العصيان هوت في الظلمات السفلية .

وذكر في العبر ان منهم من يدعي الوهية الامام بنوع الحلول ، ومنهم من يدعي
 رجعة من مات من الائمة بنوع التناسخ والرجعة ، ومنهم من ينتظر مجيء من يقطع
 بموته ، ومنهم من ينتظر عود الامر الى اهل البيت . وينفق المستعلوية والنزارية في

بعض المعتقدات ويختلفون في بعضها . ولدعاة الائمة المستورين عندهم مكانة عظمى لاسيما الداعي القائم بذلك اولاً وهو الداعي الى محمد المكنوم اول ائمتهم المستورين ، فان له من الرتبة عندهم فوق ما لغيره من الدعاة القائمين بعده . واشتهر من دعائهم رمضان وابنه ميمون وعبد الله القداح ابن ميمون ، اطلع هذا على اسرار الدعوة من ابيه وسار من نواحي اصفهان الى الاهواز والبصرة وسلمية من ارض الشام يدعو الناس الى اهل البيت . ثم انشأ ابنه احمد فارسل هذا احد دعائه الى اليمن والى المغرب . ومن نسب احداً من هؤلاء الدعاة الى ارتكاب محظور او احتقار اثم فقد ضل وخروج عن جادة الصواب عندهم ، ويرون تخطيطاً من مالا على الامام عبيد الله المهدي اول ائمتهم القائمين ببلاد المغرب وارتكابه المحظور وضلاله عن طريق الحق ، وكذلك من خذل الناس عن اتباع القائم بامر الله بن عبيد الله ثاني خلفائهم ببلاد المغرب او نقض الدولة على المعز لدين الله اول خلفائهم بمصر ، ويرون ذلك من اعظم العظائم واكبر الكبائر . ومن اعيادهم العظيمة الخطر عندهم يوم غدیر خم (غيضة بين مكة والمدينة على ثلاثة ايام من الجحفة) وسبب جعلهم له عيداً انهم يذكرون ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل فيه ذات يوم فقال لعلي : « اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار » . ومن اكبر الكبائر عندهم واعظم العظائم ان يرمى احد من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولا سيما الائمة بكبيرة ، او ينسبها احد اليهم او يوالي لم عدواً او يعادي ولياً . ويقولون ان الامام منهم لا يموت الا وقد خلف ولداً ذكراً منصوباً عليه . واصل هذه التركة كانت بالبحرين في المائة الثانية وما بعدها ومنهم كانت القرامطة الذين خرجوا من البحرين حينئذ ثم ظهروا باصبهان في ايام السلطان ملكشاه السلجوقي ، واشتهروا هناك بالباطنية لانهم يبتغون خلاف ما يظهرون ، وبالملاحدة لان مذهبهم كله الحاد ، ثم صاروا الى الشام ونزلوا فيما حول طرابلس وظهروا دعوتهم هناك ، واليهي تنسب قلاع الاسماعيلية المعروفة بقلاع الدعوة فيما حول طرابلس كمصيف واخلوايي والقدموس والمرقب والعليقة والمينقة والكهف والرصافة وغيرها . وهم بعضهم راشد الدين سنان ، وهو رجل كان بقلاع الدعوة وانتهت اليه رياستهم في زمن صلاح الدين .

ولما اقترق الاسماعيلية الى مستعلوية ونزارية اخذ من منهم ببلاد المشرق بمذهب النزارية عملاً بدعوة ابن الصباح ، واخذ من منهم بالشام بقلع الاسماعيلية بمذهب المستعلوية وصاروا شيعة لمن بعد المستعلي من خلفاء الفاطميين بمصر واشتهروا باسم الفداوية لفادائهم بالمال على من يقتلونه . روى هذا الفلقشندي وقال ابن ساعد : ويلقب الاسماعيلية بالسبعية لقولهم بسبعة أئمة ، و يرون ان في كل دور سبعة أئمة ، اما ظاهره ان وهو دور الكشف ، واما مخنفون وهو دور السر ، ولا بد من امام ، اما ظاهره واما مستور ، لقول امير المؤمنين رضي الله عنه لن تخلو الارض عن قائم لله بحججه ، ويلقبون أيضاً بالباطنية لقولهم ان لكل ظاهر باطناً ، وبالتعليمية لقولهم ان العلم بالتعليم من الائمة خاصة ، وربما لقبوا بالملاحدة لعدولهم عن ظواهر الكتاب والسنة لانهم يتأولون سائر النصوص ، وعندهم ان من مات ولم يعرف امام زمانه وليس في عنقه بيعة امام مات ميتة جاهلية اهـ . وذكر كاتب جلبي انه كان للفداوية الذين اشتهروا في زمن الظاهر بپيرس — هكذا كانت العامة تسمي الاسماعيلية — من طرابلس الى صيدا الى حلب على الساحل حتى حوران سبعون قلعة أهمها قلعة صهبون . وقد ذكر مؤرخو حلب انه جاء الى جبل السماق سنان بن سلمان بن محمد ابو الحسن البصري صاحب الدعوة النزارية ومتولي الحصون الاسماعيلية ، وكان ادبياً فاضلاً عارفاً بعلم الفلسفة وله شعر حسن وكلام منشور جيد ، وتمكن في الحصون وانتقادت اليه الطائفة الاسماعيلية ما لم ينتقادوا الى غيره .

و يقضي مذهبهم على ما قال هوار في المعلة الاسلامية بان الله لا صفات له ولا تدركه العقول ولا تفهمه الالباب ولم يخلق العالم مباشرة ، بل تجلت ارادته في امره وهو العقل العام وفيه تختفي جميع الخصائص الالهية وهو الله المتجلي . واذ كان لا يُصلى لكائن لا يدرك فان الصلاة تنسج نحو صورتها الخارجية وهي العقل الذي هو حقيقة معبود الاسماعيلية . فكما انه لا سبيل الى معرفة الله بل يُعرف العقل فقط فهذا العقل يطلق عليه اسماء الحجاب والمكان والازل والعقل والاول . والعقل يخلق الروح العام الذي هو الجوهر في الحياة واذ كانت حياة العقل بالعالم وهو ناقص من هذا النظر فيرمي بالضرورة الى تحقيق الكمال . ومن هنا نشأ حركة بمعنى آخر عن

حركة أخرى تتولد منها . الروح تخرج المادة الأولى التي تتألف منها الأرض والكواكب وهي غير عاملة بل تتجلى في أشكال تطوي فيها الأفكار على العقل . وهناك كائنان ضروريان وأصليان وهما الأمد والزمان . والكواكب والعناصر نتيجة لازمة من عمل هذه المخلوقات الخمسة مشتركة . ويُفسر ظهور الإنسان بالضرورة التي يشعر بها الروح العام في إحراز العلم الكامل حتى يرقى إلى طبيعة العقل العام ومتى جرى الوصول إلى هذه الغاية تبطل كل حركة . وللخلاص يجب على المرء تحصيل العلم الذي لا يتأني أن يتأني إلا من تجسد العقل على هذه الأرض ويتجسد ذلك في الرسول وخلفائه والأئمة . ويسمى العقل المتجسد « الناطق » والروح المتجسد « الأساس » والاول هو الرسول الذي يتجلى فيه الكلام الموحى ، والثاني هو ترجمان هذا الكلام بما يحوي من المعاني التي تؤول . والمباني الثلاثة الأخيرة هي الامام والحجة ، الذي يبرهن على رسالة الأساس ، والداعية . وكان محمد الناطق وعلي الأساس .

والذين يرخص لهم بالاطلاع على أسرار الدين هم طبقات كانوا أولاً سبعة ثم صاروا تسعة . وبدأ الداعية مع من يريد تلقيه أسرار الدعوة بأن يضع له مشكلات في صعوبة فهم الشريعة وهي الطريقة التي يجري عليها الباطنية عامة ، ولا يزال به حتى يذكر له أن هذه المشاكل قد حلت على أيسر وجه بتأويل القرآن ومعرفة رموزه . وللحساب المستخرج من قيمة الحروف العددية شأن كبير . ومتى اقتنع المدعو بقوة البراهين التي أوردها له الداعية يستخلصه بأن لا يبرح بادنى سر من الأسرار التي سيفضي بها إليه ، ويعلمه بأن الوسيلة للنجاح أن يخضع خضوعاً أعمى لأوامر الامام الروحية والزمنية . وجمهور المؤمنين بهذه الدعوة ما كانوا يقفون على أكثر من الدرجة الأولى أو الثانية من الأسرار، والدعاة يصلون إلى الدرجة السادسة الأقليل . ولا يبلغ الدرجة العالية إلا بعض الممتازين . وهذا أنسبه بتعاليم الشيعة والمتصوفة في تعيين درجة الإنسان الكامل .

والجنة معناها مجازاً حالة النفس الواصلة إلى كامل العلم ، وجهم معناها الجهل ، وما من نفس يحكم عليها بالخلود في جهنم على الأبد ، بل تعود إلى الأرض بالناسخ حتى

تعرف امام الزمان وتأخذ عنه علوم الدين . والشر لا بقاء له ولا بد من زواله يوماً
بتمثل كل الموجودات في العقل العام تمثلاً تدريجياً . ومع ما اشتهر عن الاسماعيلية
من القتل يجب ان نذهب الى ان ما اجترحوه لم ينشأ عن عقيدة لم يل يجب ان ينظر
فيه الى الافراط الذي عرف به رؤساؤهم سيف نيل السلطة السياسية . وقال ر. س.
من السياح : ان من عرفهم من الاسماعيلية هم على جانب عظيم من الكرم ولطف
الأخلاق ، وقلما يحبون التنقل ويعملون في بلادهم ويتمسكون باهداب دينهم الذي
يحالف مذهبهم القديم كل المخالفة وهم أشداء عند الحاجة خاضعون لزعمائهم . انتهى
قول هوار .

ولم يعرف الزمن الذي نزل فيه الاسماعيلية بعض ارجاء الشام اذ لم يجر لم ذكر
قبل أوائل القرن الخامس للهجرة . وكان الحكيم المنجم وابوطاهر الصائغ وهما من
دعاة الاسماعيلية واما هما من العجم اول من اظهر هذا المذهب بالشام في ايام الملك
رضوان بن نئش السلجوقي صاحب حلب الذي أغضى عنهم وأراد اقتحامهم حزبا له
فقبل دعوتهم على ما قيل ، واستمالوا اليهم خلقا كثيرا بسرهم والجوز وجبل الدماق
وبني عليم وجعل لهم في حلب دار دعوة . ولم يلبثوا ان اغتالوا في جام حمص (٤٩٦)
عمره جناح الدولة صاحب حمص ، تولى ذلك ثلاثة من العجم بابسون لباس الصوفية
بيسا كان يتهب لغزوة صنجيل امير طرابلس من الصليبيين لرفع الحصار عن حصن الاكراد .
ولم يلبث هذا الطيب المنجم ان قضى نحيبه هدا بالدعوة الى رفيقه ابوطاهر الصائغ .
واستولى الاسماعيلية على أقاليم من الصليبيين ثم استرجعها هؤلاء منهم (٤٩٨) ووضع
السيف في الاسماعيلية بحلب سنة ٥٠٧ هـ . كما وضع فيهم في دمشق سنة ٥٢٢ هـ
(خطط الشام ج ١ ص ٢٩٩ وج ٢ ص ٣) وكذلك كان حالهم في الباب من عمل حلب .
قال ابن جبير : فداخلت اهل البلاد الحمية فتجمعوا من كل اوب عليهم ووضعوا
السيوف فيهم واستأصلوهم عن آخرهم . وقال ان الاسماعيلية يذلون الانفس دون
امامهم سنان وحصلوا من طاعته وامثال امره بحيث ، يأمر احدهم بالتردي من شاةقة
جبل فيتردى . وفي تلك السنة ايضا نزلوا برق بن جندل احد مقدمي وادي التيم .
وفي سنة ٥٢١ هـ حاول اغتيال احد الاسماعيلية من المعجم السلطان صلاح الدين يوسف

ابن ايوب فأنجاه الله وأغضى الطرف عنهم . وفي سنة ٥٨٨ قتل الاسماعيلية كوزاد امير صور . وبعد مدة قتلوا ريموند بن ريموند الرابع المعروف بالاعور امير انطاكية من الصليبيين قتلوه في الكنيسة . وفتح الظاهر بيبرس والثار قلاعهم وخضعوا بعد ذلك لمالك مصر .

وكان للاسماعيلية في بلاد الحجاز وقائع عظيمة وهم الذين قتلوا الوزير نظام الملك في بغداد وغيره من رجال الاسلام حتى ضاقت بهم الصدور . وقد سموا اوائل دخول الصليبيين الى الشام بالحشاشين او القتلة (Les assassins) لان رؤسائهم كانوا فيما قيل يعطون الحشيشة لمن يريدونه على قتل احد خصومهم السياسيين . وكانت الصليبيون يطلقون على رئيسهم شيخ الجبل . وقد نالوا من الصليبيين كثيراً كما نالوا من أمراء المسلمين . وهم جمعية سياسية ترمي الى إقامة ملك . وما كان هذا القتل منهم عن باع مذهب بل سياسي . على انهم أخافوا رجال السياسة في هذه الديار وهي في أشد اوقات ضيقها زمن الحروب الصليبية وحروب الثار . وبلغ عدد الاسماعيلية اليوم في الشام نحو خمسة وثلاثين الفا منهم جماعة في سلمية وفي قلاع الدعوة في جبل النصيرية . ومن الاسماعيلية عشرات الوف في الحجاز والهند والافغان وثمان ومسقط وزنجبار ، افرقية الشرقية . واسماعيلية هذه البلاد يجيئون الزكاة كل سنة ويرسلونها الى امامهم آخاخان في الهند اما سائر الاسماعيلية فليسوا مرتبطين به . وقد ذكر بعض اعيانهم ان الاسماعيلية اليوم يقولون ان كل زمن لا يخلو عن رجل من السلالة الطاهرة يسمىونه 'مما' ، اعتباره 'اعتبار علمي ديني خالٍ من كل غرض سياسي' .

النصيرية او قال القدماء : هم اتباع نصير غلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب . هم يدعون الوهية علي رضي الله عنه . مغالاة فيه . يزعمون ان مسكنه السموات واذا مر بهم السحاب قالوا : السلام عليك يا ابا الحسن ويقولون ان الرعد صوته والبرق ضحكهم ، وهم من اجل ذلك يعظمون السحاب ، ويقولون ان سنان العارضي رسوله . ان كشف الحجاب عما يقوله من اي كتاب بغير اذن ضلال . يحبون ان يسمي قاتل علي ويقولون انه خالص اللاهوت من الناسوت ويخطئون

من يلغسه . وان لم خطاباً بينهم من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم ولا يذبحه ولو ضرب عنقه . وهم يخشون مقاتلتهم ومن اذاعها فقد اخطأ عندهم . ولهم اعتقاد في تعظيم الخمر ويرون انها من النور ولزمهم من ذلك ان عظموا شجرة العنب التي هي اصل الخمر حتى استعظموا قلعها . ويزعمون ان الصديق وامير المؤمنين عمر وامير المؤمنين عثمان تعدوا على علي ومنعوه حقه من الخلافة .

وقال المحدثون منهم انفسهم على ما ذكره صاحب تاريخ العلويين ان النصيرية رجع لهم اسمهم القديم بعد انتهاء الحرب العامة (١٩١٨ م) وسميت العلوية وكانت محرومة مدة ٤١٢ سنة اي من قتال الاتراك للعلويين وان اسم العلويين الذي كان يطاني على طائفتهم دثر عدة قرون^(١) وسمى الموجودون باسم الجبل ويطن بعضهم ان اسم النصيرية هو نسبة للسيد ابي شعيب محمد بن نصير البصري النخيري مع ان الاصح هو لانه تغلب اسم الجبل عليهم واصبحت كلمة الصيري اشنع كلمات التحقير .

وقال ان قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم ، معناه كمال الدين وكمال الدين هو ولاية علي ، وهذه هي الحكمة المقصودة من نزول القرآن بالتدرج . ويقول العلويون انه لما اعلن كمال الاسلام كان لا يزال بعض العقائد مكتوماً وخفياً ، ولذلك بقي الى هذا اليوم مكتوماً بخصوصيته ، وبعبارة اصح ان بقاء عقيدة العلويين مكتومة هو من كمال الاسلام واعلانها مضر به لان الرسول صلى الله عليه وسلم بشر المؤمنين بولاية علي وبذلك كمل الاسلام ولكنه بقي حريصاً على كتمان البقية ولذلك كان كتمان البقية من كمال الاسلام ايضاً . وهذا هو تعليل تكتم العلويين في عقيدتهم . وهم يقولون ايضاً ان بني هاشم كانوا يعرفون في زمن النبي احكاماً ما كان يعرفها الأمويون وان اهل البيت تعلموا علوماً لم يسمعوا غيرهم . وهنأماً بدأ اسرار العلويين . ومن جملة اسباب تكتم العلويين ان بيعة غدريختم لم تكن الا افشاء لبعض حقوق اهل البيت والامر باتباعها واحترامها .

(١) اجمع المؤرخون ومن كتبوا في الملل والنحل ان النصيرية عرفوا بهذا الاسم في القرن السادس والسابع وبعده ، فدعوى انه كان يطلق عليهم اسم العلويين وحرّم عليهم اربعة قرون فيها نظر .

وقال ان السلطان سليماً العثماني لما فتح الشام استدعى عشائر تركية من الأناضول الى خراسان وقدرها تسعون الف خيمة اي أكثر من نصف مليون تقريباً واسكنهم في القلاع في جبال النصيرية والمواقع الغنية المرتفعة منه ، ولم يمض أكثر من خمسين عاماً حتى انقرض الأتراك في المنطقة الضيقة التي لم تكن حاصلاتها تكفي سكانها الأصليين ، ولم يبق من الأتراك سوى خمسة عشر ألفاً وهم اليوم في البايروالبوجاق وقليل منهم في الساحل ، حافظوا على جنسيتهم واسانهم ، ومن نزل منهم ارجاء حماة وحمص تغلبت عليه العربية .

وليس بين العلويين اختلاف في المذهب بل تفرقوا عشائر وانحازوا فمنهم الكلبية وهي من أكبر العشائر والنواصرة والجهنية والقراحلة والجلقية والرشاونة والسلامة والرسالنة والجردية والخياطية والبساترة والعبدية والبراعنة والفقاروة والعمامرة والحدادية وبنو علي والبشالوة والياشوطية والعنارية والمتاورة والحلبية والخزرجية والسوارخة والنيلاية والسرانية والصوارمة والمهالبة والدراسة والمحارزة والبشارغة والجواهرية والسواحلية والانطاكيون والاطنويون . والنسبة في هذه الأسماء اما الى اشخاص منهم معروفين عندهم او الى قرى ومدن معروفة في ارضهم وغيرها .

وقال ايضاً ليس للعلويين ديانة خاصة او مذهب خاص كما يظن بعضهم بل ان العلويين مسلمون شيعيون جعفر يون ، لا تفرق بينهم وبين سائر الجعفرية قيود دينية او اجتهادات عملية ، ويعتقدون ان الائمة الاثني عشر هم معصومون من الخطايا ، وان أقوال الائمة دلائل قطعية ، ولا يمكن ان يخالف الامام القرآن والأحاديث ولا يحق لاحد ان يؤول القرآن ، ولا ان يفرق بين محكمه ومتشابهه سوى اهل البيت ، ولا تنفع عند العلوي القواعد الصرفية والنحوية او الاصولية في استخراج الاحكام الشرعية ، بل كل ذلك من جملة حقوق اهل البيت . وان العلويين يمتازون على بقية الجعفرية اي الاثني عشرية بانتسابهم في الآداب الدينية الى الطريقة الجنبلاية وهذا الانتساب هو الذي ادى الى اقترانهم عن بقية الاثني عشرية . ويرى المؤلف ان يفتد العلويون والشيعية المناوئة والامماعيلية ، وليس بين هؤلاء وبين العلويين سوى الافتراق الخاص في اعتبار الائمة بعد جعفر الصادق .

وقد سألنا الاستاذ الشيخ سليمان احمد من علمائهم فأجاب معذراً عن التوسع في وصف مذهبهم وختم بقوله : أمة توات عليها النوائب السياسية والاجتماعية طيلة خمسة أجيال فأخملتها أي اخمال ، وانزوى علماؤها وصلحاؤها وعاث الجهل في عشايرها فساداً ، ليس من السهل الكتابة عنها ، وليس بالهين ضلال التاريخ ، وقل من جرى في يمهاته فلم يعثر . لا فرق بينهم وبين الامامية الا ما اوجبه السياسة والبيئة وعادات العشائر التي توارثها سكان الشام ، اكثر الناس اختلافاً ، واقلهم ائتلافاً ، اذ شيخ مذهبهم الذي ينتمون اليه (الحصيني) من رجال الامامية نقرأ ما له وما عليه في كتب الرجال . انما لم طريقة كالنقشبندية والرفاعية وغيرها من الطرق الصوفية بالنسبة الى اهل السنة . وهذا مصدر النقولات الباطلة عليهم ، وما أبرئي جهاتهم من كل ما يقال ، ولكن أشهد بالغرض والغرض على غالب المؤرخين الذين كتبوا عنهم اه .

• يسكن النصيرية او العلويون اليوم في جبال اللاذقية وطرابلس وحماة ومنهم فئة قليلة في دمشق وصالحيتها وفي قرى عين فيت وزعورا وعجرا في الحولة وعدد العلويين اليوم مائة وستون الفا . وقد استعمل العنف معهم في اكثر الادوار السالمة فنفروا وقد كان الظاهر يبرز في القرن السابع امر ان تبنى لهم جوامع في قراهم فبنوا في كل قرية جامعاً وما كانوا يدخلونها على عهد ابن بطوطة في القرن التاسع بل كانت حظائر للغنم واصطبلات للدواب وهكذا فعل عبد الحميد الثاني من العثمانيين فبنى لهم جوامع لم يلبثوا ان خربوها واهانوها . وتأسف العلويين شأن سائر الطوائف الاسلامية الصغرى كما زادوا علماً وتربية رجعوا الى الاصول الصحيحة . وفيهم كرم وشجاعة ومكارم اخلاق .

* * *

الدره ز لما طمع الحاكم باسم الله الفاطمي سادس خلفاء الفاطميين او العبيدين بمصر في دعوى الربوبية ، اخذ يمهّد لذلك المقدمات ولقب نفسه الحاكم باسمه وامر الخطباء بان يقرأوا بدل البسملة (باسم الله الحاكم المحيي المميت) وفي رواية انهم كتبوا بسم الحاكم الله الرحمن الرحيم . فلما انكر عليهم كتبوا بسم الله الحاكم الرحمن الرحيم فجعلوا في الال الله صفة للحاكم وجعلوا في الثاني العكس . وانشأ

يدعي علم المغيبات ، وكان من دعائه رجلان عجيبان من دعاة الباطنية يقال لاحدهما محمد بن اسماعيل الدرزي^(١) المعروف بنشتكين . الآخر حمزة بن علي بن احمد وهذا من اعظم دعاة الحاكم كان يؤثره على جميع عشيرته ، وكان صاحب الرسائل والمكاتبات عنده . وصنف الدرزي كتاباً كتب فيه ان روح آدم انتقلت الى علي بن ابي طالب ومنه الى أسلاف الحاكم متقصة من واحد الى آخر حتى انتهت الى الحاكم بأمر الله . وقري هذا الكتاب في الجامع الأزهر بالقاهرة ، ففهم الناس على مؤلفه ليقتلوه ففر منهم ، وحدث شغب عظيم في القاهرة وقتلوا كثيرين من اصحابه . وكانت بلغت جريدة امائم سنة عشر الف . ولم يسمع الحاكم بأمر الله بعد ان وقع ما وقع الا ان يبعث الى الدرزي في السر مالا واوعز اليه ان يخرج الى الشام وينشر فيها الدعوة ، فنزل وادي تيم الله بن ثعلبة غربي دمشق ، وقرأ الكتاب على اهله واستألم الى الحاكم ، واعطاهم المال فكثروا مشايعوه وانصاره .

وكان الامراء النشويون سكان لبنان على استعداد لقبول دعوة الدرزي فانقادوا اليه فسمي جماعته بالدروز . والدروز ينكرون هذه التسمية ويحبون ان يدعوا بالموحدين ، وكان يسميهم اصحابهم بالاعراف . وغلب عليهم في حوران في العهد الاخير اقب آل معروف دعوا به تحبياً . وهذا كان من شعار اليمانيين لانقسام هذه الطائفة الى اصلين من أمهات اصول العرب في هذا القطر وهما القيسية واليمانية . ولما انشأ الدرزي يثبون دعوتهم بين المسلمين غزوا في عقر دارهم في وادي التيم نحو سنة ٤١٠ على الأرجح وغزوا في جبل السماق من ارجاء حلب لما جاهروا بمذهبهم ايضاً وخرّبوا ما عندهم من المساجد فقتل دعائهم وأعيانهم سنة ٤٢٣ (خطط الشام م ١ ص ٢٤٦ و ٢٥١) .

ووقع خلاف بين الداعية الاول محمد بن اسماعيل الدرزي والداعية الثاني حمزة ابن علي بن احمد ، فكتب التقديم . لهذا ومات الدرزي في سنة ٤١١ فقام بالدعوة حمزة

(١) الدرزي بفتح الدال معناه الخياط فارسي معرب والعامية تضم الدال ويقولون في الجمع الدرّوز والصواب الدرّزة محرّكة .

واصبح القوم يقدسونه و يلقبونه بهادي المستجيبين وحجة القسائم وغير ذلك . ولما هلك الحاكم كتب حمزة الرسالة السمّاء بالسجل المعلق وعلقها على ابواب الجامع وفيها يقول ان الحاكم اخفى امتحاناً لايمان المؤمنين ، وشرع حمزة بزرع في القلوب بذرا الاعتقاد بالوهية الحاكم وتوحيده وعبادته ، ويجتمع هو واتباعه في المعبد السري ، حتى ثارت عليهم المسلمون وطردوهم ففروا من مصر الى الشام .

قال الاستاذ البخاري ان الدروز يخالفون في عقائدهم عقائد الفرق من ارباب الديانات يتظاهرون بالتبعية لمن يكونون تبعاً له ، واما في الباطن فانهم ينكرون الانبياء عليهم السلام وينسبونهم الى الجهل وانهم كانوا يشيرون الى توحيد العدم وما عرفوا المولى ، ويشنعون بالطعن على جميع ارباب الديانات من المسلمين والنصارى واليهود ، والديانة الحققة عندهم هي توحيد الحاكم ، ويفترض عندهم صدق اللسان بدل الصوم وحفظ الاخوان بدل الصلاة . ويقرأون القرآن ويؤدلونه وبذهبون الى قدم العالم تبعاً لبعض الفلاسفة ويقولون بالنساعخ معبرين عنه بالنقص ، فالجسد يسمى قيماً عندهم ، وان الميت حين موته تنتقل روحه الى من يولد وقتئذ ، فالارواح الانسانية لا تنتقل عندهم الا الى قوالب انسانية . ويقولون الهوية الالهية تنتقل من قالب وتحل في قالب آخر في كل عصر ، فتجلى في كل زمن بصورة وتجلت اخيراً في الحاكم ، وان حمزة ايضاً ظهر في كل عصر بقالب ، ففي زمان كان فيثاغورس الحكيم ، وفي زمان كان شعبياً ، وفي زمان كان سليمان بن داود ، وفي زمان كان المسيح الحق ، فهو النبي الكريم عندهم ، وحمزة العصر المحمدي هو سلمان الفارسي ، ويزعمون ان القرآن قد اوحى حقيقة الى سلمان الفارسي وانه كلامه وان محمداً اخذه وتلقاه عنه حتى زعموا بان خطاب لقمان الذي خاطب به ولده في معرض الوصية بقوله : « يا بُنيَّ اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر » هو خطاب سلمان لمحمد والتعبير بالبنوة انما هو من خطاب المعلم للتلميذ .

واذا اراد احد من جهالم ان يدخل في سلك الموحدين ينبغي له ان يستجلب رضاهم بتقديم وسائل العطف . مدة حتى تتحقق نوبته ، فاذا قبلوه أدخلوه على الامام فيوصيه

بمحافظة السر وعدم اشهاره ، وبأمره بتحرير العهد الواجب تحريره ، اذ لا يكون موحدًا خالصًا بدون تحرير العهد على نفسه ، فاذا حرره وسلمه الى الامام صار واحداً منهم . وصورة العهد وهو المعروف لأول انتشار الدرزية بميثاق ولي الزمان : « توكلت على مولانا الحاكم الاحد الفرد المنزه عن الازواج والعدد ، أقر فلان بن فلان اقراراً أوجبه على نفسه واشهد به على روحه في صحبة من عقله وبدنه وجواز امره طائعاً غير مكروه ولا مجبر ، انه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلها على اصناف اختلافاتها وانه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره والطاعة هي العبادة وانه لا يشرك في عبادته احداً مضي او حضر او ينظر وانه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضي بجميع احكامه له وعليه ، غير معترض ولا منكور لشيء من افعاله سواء ذلك ام سره ، ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبه على نفسه واشهد به على روحه او اتسار به الى غيره او خالف شيئاً من اوامره ، كان يريثاً من الباري المعبود وحرم الافادة من جميع الحدود واستحق العقوبة من البار العلي جل ذكره ، ومن أقر ان ليس له في السماء اله معبود ولا في الارض امام موجود الا مولانا الحاكم جل ذكره كانت من الموحدين الفاضلين . وكتب في شهر كذا وسنة كذا وكذا من سني عبد مولانا جل ذكره ومملوكه حمزة بن علي بن احمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين والمرشدين بسيف مولانا جل ذكره وشدة سلطانه وحده » .

وليس لاحد من الناس ان يدخل في مذهب الدروز لان ذلك لا يتأتى الا بان الدعوة الاولى ، وقد سد هذا الباب بعد ذلك . ويحرص الدروز كل الحرص على كتمان عقائدهم ولذلك يعبرون عن مرامهم في كتبهم ورسائلهم بطريق الرمز والكنابة فلا يفهم ما يراد منها الا الطبقة العالية من ارباب الدين عندهم او مشايخ العقل . ويذكرون مباحث من علم الكلام ، وبعض مقالات غلاة المتصوفة ، وتأويلات الرافضة والملاحدة ، وخصوصاً الاسماعيلية من غلاة الشيعة . ولهم فضاة منهم يحكمون في المعاملات المدنية الجارية بينهم على مقتضى الشريعة ، غير انهم يخالفونها في بعض المعاملات بحكم العادة الموروثة وقد اصطلموها على التوصية بما يشاؤون لما يشاؤون . ولا يجوز عندهم الجمع بين امرأتين فان لم يطلق التي

عنده لا يمكنه التزوج بغيرها . وتطلق المرأة بادنى سبب ، ولا يجوز عندهم رد المطلقة ولو كان بعد زوج آخر .

و يقسم الدروز من حيث الدين الى ثلاثة أقسام : العقال او الاجاويد والشرائح والجهال . ويرخص للشرائح بالاطلاع على ما كتبه الشيخ الفاضل بشرح احد اوليائهم الامير عبد الله النخعي الملقب بالسيد دفين قرية عبيه وهو الذي بنى المساجد ووجدد الجوامع ، وكان على ما قيل يريد ان يرجع بالدروز الى مذهب اهل السنة والجماعة توفي سنة ٨٨٤ .

ولا يباح للجهال من الديانة غير معرفة المسائل الاولى من الدين . ومن العقال طبقة اتقياء يقال لهم المنزهون وهم مثابرون على العبادة والورع ، ومنهم من لم يتزوج ، ومنهم من لم يأكل لحماً طول حياته ، ومنهم من هو صائم كل يوم ، ولا يذوقون شيئاً من بيت احد من غير العقال . والعقال جميعهم يعتقدون ان اموال الحكام والامراء حرام فلا يأكلون شيئاً من طعامهم ولا من طعام خدامهم ولا من طعام محل على دابة مشتراة من مال حاكم ، وقد يعتاشون من عملهم خاص يتعاطونه بانفسهم من زراعة وصناعة . وينزهون السنثم عن الفاظ الفحش والبذاءة ويتجنبون الاسراف . وسمع بعد هذا رأي العلامة الامير شكيب ارسلان (من مقالة في جريدة الشورى ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤) في الدروز قال : الدروز فرقة من الفرق الاسلامية اصلهم من الشيعة الاسماعيلية الفاطمية ، والشيعة الاسماعيلية الفاطمية اصلها من الشيعة السبعية القائلين بالاثمة السبعة ، وهؤلاء هم من جملة المسلمين كما لا يخفى . واذا قيل ان الدروز هم من الفرق الباطنية التي لا يحكم لها بالاسلام فالجواب ان الدروز يقولون انهم مسلمون وقيمون بجميع شعائر المسلمين ويتواصون بمرافقة الاسلام والمسلمين في السراء والضراء ، ويقولون ان من خرج عن ذلك منهم فليس بمسلم . ولهذا أصبح من الصعب على المسلم الذي فهم الاسلام كما فهمه السلف الصالح والذي سمع حديث (فها شققت عن قلبه) ان يخرج الدروز من الاسلام . وفي الشرع المحمدي قاعدة : نحن لنا الظاهر والله يتولى السرائر . وقد قال الله تعالى : « ولا تقولوا لمن اتى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا » وهؤلاء

لا يلقون السلام فقط بل يلقون السلام ويقولون انهم مسلمون، ويحفظون القرآن، ويلقن ملقنهم الميث « اذا جاءك منكر ونكير وسألاك ما دينك ومن نبيك وما كتابك ومن اخوانك وما قبلتك فقل لها الاسلام ديني ومحمد نبي والقرآن كتابي والكعبة قبلي والمسلمون اخوتي » وليس من شعائر الاسلام شيء لا يقيمه او لا يوجب اقامته الدروز .

واذا قيل انه مع كل هذه المظاهر تحتوي عقيدتهم الباطنية التي تعرفها طبقة العقال على ما يصادم اركان عقيدة السنة والجماعة ولا ينفق معها في شيء . فالجواب قد وجد في الاسلام اثمة كبار يترضى عنهم عند ذكرهم ولم يباب تزار وتعلق فيها القناديل وكانوا يقولون بوحدة الوجود ! فهل وحدة الوجود مما يطابق السنة ؟ كلا فهل اخرج المسلمون هؤلاء الاثمة من الاسلام ؟ واما تجسد الاله فليس من عقيدة الدروز كما يشتمهم بعضهم والتجسد شيء والتراثي شيء آخر . واما تأويل آي القرآن الكريمة بحسب زعمهم فكم من فرقة في الاسلام انفردت بتأويل للآيات الكريمة ١٠٠٠ هـ . وبعد فان للدروز روابط مهمة بينهم منها انهم مها كانت بينهم طوائف وحزبات يتخلون عنها ويصبحون جسماً واحداً يوم يريدون مقاومة عدو لهم . وهم من التسامح على جانب حتى مع من يخالفهم . ومعظم عاداتهم اسلامية واستأثروا اسلامية وفيهم من الاسلام شيء كثير من جوهره . وقد رأينا العهدنا ابناء هذا المذهب كلما نعلموا قربوا من الاصول الاسلامية وفيهم اليوم فئة صالحة مستنيرة تريد الجهر بالرجوع الى مذهب اهل السنة . ومن اراد زيادة تفاصيل في مذهب الدروز فعليه بالرجوع الى كتبهم ورسائلهم وهي محفوظة في دور الكتب العامة هنا وفي الغرب . وينزل الدروز اليوم في شوف لبنان وجبل حوران ووادي التيم وبعض قرى القوطة بدمشق والجبل الاعلى في حلب وبعض قرى عكا ولا يقل عددهم عن مئة الف .

مؤسس هذا المذهب رجل من فارس اسمه الميرزا علي محمد الشيرازي ولد سنة ١٢٣٥ هـ وتوفي والده وهو حدث فكفله خاله وعلمه مبادئ الفارسية والعربية وحسن الخط واشتغل لاول امره بالتجارة وسافر

البابية

سني العشرين اخذ يكثر من الرياضة والعبادة فخاف خاله على صحته فأرسله الى العراق وقضى أشهراً في كربلاء والتجف اجتمع خلالها الى علماء الشيعة وخرج من العراق بافكار تخالف ما عرفه الناس من الاسلام ، واخذ يثبت دعوته فقال اليه جماعة وحج في تلك الايام . وكان يقول ادخلوا البيوت من أبوابها « انا مدينة العلم وعلي* بابها » يشير الى انه واسطة السعادة والنجاة ، ثم دعا نفسه «الباب» ومعنى الباب عند الشيعة نائب المهدي المنتظر وتخلي عن اسمه . وبعد مدة أرسل الى بوشهر ومنها أرسل دعائه الى شیراز واصفهان يثبون دعوته . فعقد والي شیراز لم يجالس المناظرة مع الفقهاء فألقى هؤلاء بكفر الباطنية ووجوب قتلهم . لكن والي اكنة قطع العصب الكهربي من كعابهم ومخجهم . وجيء بالباب من بوشهر (١٩ رمضان سنة ١٢٦١) وأتزل في دار ابيه ريثما يهدأ روعه ، ثم استقدمه والي سرا وبعد المفاوضة تظاهر والي بانه اقنع بصحة دعوة الباب وجعل هذا في قصره ، ثم عقده مجلساً لمناظرته فأفتوا بكفره فلم يسمع والي الا ان أشار بضربه على رجليه فلما استغاث أوعزوا اليه ان يصعد المنبر ويعلن توبته ففعل . وظهر الوباء في شیراز واختلت أحوال فارس فبعث والي اصفهان يستدعي الباب اليه ، فلما رأى والي شیراز ذلك نفى جميع اصحاب الباب من ولايته ، ولما حمل الباب الى والي اصفهان أوعز هذا بان يحسن القوم استقباله فاستقبلوه ، ثم عقد له مجلس المناظرة فأفتى العلماء بقتله ، فاعتذر والي عن تنفيذ فتواهم ، وخباء في قصره مطلقاً له حرية التأليف والكتابة وبقي في داره حتى قُتل والي وخلفه في الحكم ابن اخيه ، فطالع هذا رجال عاصمة الملك بالامر ، فأمروا بنفيه الى آذر باجيان فحبس في قلعة جهريق ثم في قلعة ماكو .

وبث الباب دعائه وساعده المحيط واختلال الامن في كثير من الولايات ، فاشتد دعائه في بث دعوته فلقبت قبولاً من بعض الناس ، وفي مقدمة أتباعه الملا حسين بشرويه الملقب بباب الابواب في خراسان ، والثاني الملا محمد علي البار فروشي بمازندران والثالثة امرأة من فزو بن اسمها زرين تاج من عائلة عريقة في العلم وزوجة احد المجتهدين وهي جميلة الصورة جميلة الادب ، تحفظ القرآن وتعرف تفسيره وأسراره ، فاقنعت بصحة دعوة الباب ، ولم يلبث ان دعت اليه سرا وجهراً وأن لم تجتمع به ، قال

الناس الى مواعظها وفننتهم بفصاحتها وجمالها وجميل شعرها ، وقد حسرت نقابها ولقبت بقرّة العين ، ثم خرجت الى خراسان فالتقت في رشت بالبارفروشي أحد الدعاة ومعه جند من البابية فبعثاً منادياً ينادي « عجّلوا أيها الناس فقد ظهر الامام المنتظر » فنصبوا منبراً ووقفت قرّة العين سافرة وحشت الناس على الاعتقاد بالباب فأمن بعضهم وأنكر الآخر ، ثم انتقلت على هودج الى مازندران والناس يتبعونها ، واخذت تطوف القرى تبشر بدعوة الباب فقبضت عليها الحكومة وخنقتها وأحرقتها .

ثم قام الملا حسين بشرويه وقد كثّر أنصار الباب والوفاء منهم جيشاً صغيراً قاتل جيش الشاه في مازندران وجعل الملا علي البارفروشي مقدماً ومها « حضرت اعلى » وحجبه عن الناس ، وأصيب بشرويه في إحدى المعارك وأوصى جماعته بان بطيعوا « حضرت اعلى » وتغلبت الحكومة على قلعته وقبضوا على ملا محمد علي وحاكمهم فقتلوه على بكرة أبيهم . وبلغ عدد من قتل في هذه الوقائع ألفين وخمسمائة من البابية وخمسمائة من الجند وغيرهم . وحدث مثل ذلك بقيام أحد الدعاة الملا محمد علي الزنجاني في زنجان ولكنه لم يوفق . وكذلك وقع في مدينة تبريز فقاتلت حكومة فارس دعائهم حتى أبادتهم . أما الباب فكان مسجوناً في سجن جهر يق . ولما اندلع لسان الثورة في مازندران وزنجان وتبريز وقتلت الانفس ، ارتأى رئيس حكومة فارس قتله فقتله بمشورة الشاه في ٢٨ شعبان سنة ١٢٦٦ هـ . ووضعت حكومة فارس في أشياهم السيف في جميع بلادها خصوصاً بعد ان ثبت ان الذي حاول اغتيال ناصر الدين شاه سنة ١٢٦٨ هـ هو من شيعة البابية .

وكان من جملة العلماء الذين فننوا بدعوة الباب رجل اسمه بهاء الله ميرزا حسين علي فلما وقعت هذه الحوادث قبض عليه وسجن ثم حوكم ، وكان سفير روسيا يدافع عنه من تهمة الاتفاق مع الخارجين على الشاه ، ثم أفرج عنه ونفي الى العراق فأرسل مخفوراً بالجند الفارسي مع بعض فرسان من سفارة روسيا في طهران لثلاث بغتالوه سيفه الطريق فأقام في العراق ١٢ سنة ثم حمل الى الاستانة ومنها الى ادرنة فأقام فيها نحو خمس سنين ثم صدر الامر بنفيه الى عكا سنة ١٢٨٥ هـ . ونفي اخوه مرزا يحيى نوري

الملقب بمدُ بجي صبح ازل الى قبرص وظل البهاء في عكا حتى واما اجله سنة ١٣٠٩ فدفن فيها ، وخلعه ابنه عباس افندي وكان كأبيه على غاية من حسن السمات والأخلاق وعظم النفس وبسط اليد وجمال الادب وحسن العشرة حتى استمال باخلاقه من يعتقد بالبابية ومن لا يعتقد . ولما توفي سنة ١٩٢٢ تفرق امر الجماعة وانقلبوا فرقاً كما كان عباس افندي في حياته مع صبح ازل متحاصمين متشاكسين . ومرت دعوتهم الى عدد قليل من انباء البلاد والى بعض اهل اوربا واميركا . وبالعون في عدد من دانوا بهذا المذهب في الغرب . وهم في الشام وفي اميركا واوربا بضمة آلاف على الاعاب .

يقولون ان من تعاليم الباب تحريم الكتب المنزلة قبله ونسخ القرآن واحكامه . انه قضى بهدم المزارات حتى الكعبة وقبر الرسول وفرض بناء ١٩ مزاراً باسمه ومن دخلها كان آمناً وأبطل الحج وقسم السنة الى ١٩ شهراً وجعل الشهر الواحد ١٩ يوماً فأيام السنة عنده ٣٦١ وأضاف اليها خمسة ايام سماها المسروقة ورمز عنها بحرف (هـ) وجعل اول يوم من شهر (فروردين ماه) العارمي الموافق للحادي والعشرين من شهر مارس الافرنجي الغربي الذي هو يوم الاعتدال الربيعي وهو يوم عيد الورد عند الفرس عيداً للفطر وخصه بنفسه وسماه عيد رضوان . وجعل الصوم ١٩ يوماً من شروق الشمس الى غروبها وخصص الايام الخمسة المذكورة للهو والطرب قبل دخول شهر الصيام . والمطهرات عنده خمسة البار والهواء والماء والتراب وكتاب الله (اي البيان كتابه) وكيفية التطهير بالبيان ان يتلى ما تيسر من اسم القطية اي الباب مع تلاوة آية التطهير ٦٦ مرة على كل شيء نجس . وجعل الدم وروث البهائم وغيرها طاهراً . وللباب وخليفته بهاء الله عدة رسائل وكتب منها ما كتبها بالفارسية ومنها بالعربية من اهمها من قلم الباب كتابه البيان وفيه شريعته وتعاليمه . ومن اهم كتب بهاء الله كتاب اقدس نهج فيه منهج القرآن . في ترتيب الآيات والسور ودون فيه شريعته واحكامها باللغة العربية . وقد ادخل البهاء عدة اصلاحات على مذهب الباب اقتضته الحال ذلك . وبعضهم يطلق على اهل هذا المذهب اسم البابية نسبة للمؤسس

الأول وبعضهم يلقبهم بالبهائية نسبة لبهاء الله الذي زاد في المذهب وتقص منه ، وهم يسمون انفسهم اهل الباب .

قال كليمان هوار : ان الباب أنشأ ديناً جديداً بتعاليمه وعقائده وانشأ مجتمعاً جديداً تحت ستار الإصلاح في الاسلام . فالله واحد وعلي محمد مرآته التي يعكس فيها النور الالهي ويتأثي لكل انسان ان يشاهدها . وقال الباب في كتابه البيان : عليكم ان تجعلوا من انفسكم ومن اعمالكم مرآتي بحيث لاترون فيها الا الشمس التي تحبونها وقد برأ الله العالم على سبع صفات سميت حروف الحقيقة وهي القدر والقضاء والارادة والمشيئة والاذن والأجل والكتاب . ويدير شؤون الطائفة ١٩ رجلاً وكل بابي يدفع لم في السنة خمسة في المئة من قيمة رأس المال ، وتلغى جميع العقوبات ما عدا العرامة التي توضع على زوجين لا يريدان ان يتعاشرا بالمعروف . والتجارة والعقود مشروعة ، ويسمح بدفع فائدة عن بضائع بيعت بالنسيئة . والزواج اجباري بعد الحادية عشرة والطلاق ممقوت ، ويمهل الزوجان المتخاصمان سنة لتأليف ذات بينهما وعلى الارامل من الرجال والنساء ان يتزوجوا ، وعدة الرجال منهم تسعون يوماً والنساء خمسة وتسعون يوماً واذا لم يفعلوا يغرمان غرامة .

ولا يضرب الولد قبل ان يبلغ الخامسة وبعد ذلك لا يضرب اكثر من خمس ضربات . ويسمح لمن يدينون بهذا المذهب ان يستعملوا الخلي والجواهر خلافاً لما امر به الشرع الاسلامي . ويسمح لهم بالوضوء ولكن لا على انه فرض ، ويجب ان يكون في كل حي حمام ، ولا يتحجب النساء ويؤذن بالتحدث اليهن من دون اكراه ، وان يكون الكلام معهن جهراً لا سراً . ويحج اتباع الباب الى البيت الذي ولد فيه حيث يقام له مسجد ، او الى المكان الذي سجن هو فيه او خاصة حواريه ، ولا يسمح لمن يدينون بمذاهبهم بالارتحال والسياسة الا لمن اضطر الى ذلك ، ولا يسمح بركوب البحار منهم الا للحجاج والتجار ، ولا تقام صلاة جماعة الا على الاموات وخطبة المسجد واجبة ، ويدفن الموتى في زحاج او في حجار منحوتة مصقولة ، ويجعل في يد الميت اليمنى خاتم يكتب على فمه « لئلا يفزع الموتى في قبورهم » . وليس من حق احد ان يستعمل الشدة مع انسان ولا ان يسي الى اخيه ، ويجنبون على كل من يكلمهم او يكاتهم

ويفرض عليهم ان يؤدوا الرسالة التي اؤتمنوا عليها الى صاحبها من دون عبث بها .
 ويحظر عليهم تعاطي المخدرات والمسكرات ، ويجب ان يدعو كل واحد منهم في كل
 شهر تسعة عشر انساناً ، وان يجتمع معهم ولو على شرب الماء القراح ، ويحظر عليهم
 الكدية ، ومن الضلال اعطاء الشحاذين . ونقسم مواريتهم على الصورة التالية بعد
 صرف نفقات الدفن والجنسازة : للولد ٩ من ستين وللزوج ٨ من ستين وللوالد ٧ من
 ستين وللأم ٦ من ستين وللأخ ٥ من ستين وللأخت ٤ من ستين وللأستاذ ٣ من
 ستين ، ولا يرث احد من ذوي القربى بعد ذلك اه .

وحظر على البابية لما نزلوا عكا الدعاية الى مذهبهم في الشام . ولما اعلنت الحرية سنة
 ١٩٠٨ انتقلوا الى عكا وزاد اشياهم قليلاً وهم هنا قلائل ربالم يتجاوزوا المائتين وهم على
 غاية من حسن الاخلاق وجميل المعاملة قلما شكوا منهم انسان او اشتكواهم من انسان ، ولا
 تجد بينهم من لا يحترف حرفة وبمعمل ويكد . ولا سيما رئيسهم الاخير عباس افندي
 فقد كان محافظاً على صلواته مع الجماعة لم يخرج في ممتته عن روح الشرع الاسلامي .
 فاما ان يكون صادقاً في اسلامه او انه عاش في ثقية متقنة كما يعيش كثير من ارباب
 النجمل الضعيفة بين المخالفين لم من السواد الاعظم ، ولا سيما الشيعة بين ظهري
 اهل السنة .

وكان عباس على علم وادب اذا تكلم يمزج الفلسفة بالمنقولات فيتعذر على كل انسان
 فهم كلامه ، وله خطب ومواعظ انطلق بها لسانه في سياحة له في اوربا واميركا دامت
 خمس سنين ، وبوخذه من مجموع اقواله ان البهائية او البابية ترمي الى تطبيق الشرائع
 السماوية على العقل وحل المشاكل القائمة بين اهل الاديان السماوية الثلاثة اليهودية
 والنصرانية والاسلام . وقال مرة ان الباب صاحب المذهب كان يريد التوفيق بين
 السنة والشيعة . بل كان يرمي الى وحدة العالم الانساني ونشر السلام العام والتأليف
 بين قلوب البشر بقوة الدين وتحكيم العقل والعلم ، وبهذا التعصب الديني والجنسي والوطني
 السياسي ، ونشر العلم وانشاء محكمة عامة كبرى تفصل الخلافات التي تحدث بين الشعوب
 والدول ، والى تربية بني البشر على الفضائل الانسانية والى اقامة القواعد الاقتصادية وتأليف
 لغة عامة تفهمها جميع الامم .

ويقال على الجملة ان التشيع كان منشأ البابية والاسماعيلية والنصيرية والدرزية .
وكما كانت فارس مثابة كثير من اسباب المذنية الاسلامية كانت ايضاً منشأ معظم
ما نقرع من الاسلام من النحل والطرق الغريبة . ولو تسامح اهل هذه المذاهب في
نشر حقائقها ، لما نقول عليهم المنقولون ، ولا رماهم المخالفون بما قد يكونون منه ابرياء .
يقي ان يقال ان في الشام مذهب اليزيدية عبدة الشيطان ، ومن ينتحلون هذه النحلة
قريتان في ضواحي حلب ، ولما كانت جبهة اهل مذهبهم في جبل سنجار من عمل
الموصل لم نخضعهم بمبحث خاص لانهم لا يسترعون الانتباه ويبتثلون على الاغلب
في سواد الامة والله أعلم .

الاخلاق والعادات



عادات الدمشقيين^(١) } كان سهر الشاميين وسمرم قبل نصف قرن تقر بها
في بيوتهم ، تكنفي كل طبقة باجتماعها مع اهل
طبقتها ، فتج عن ذلك ان ترى في المدينة الواحدة من مدن الشام الكبيرة نبايناً ،
يكاد يوم لاول وهلة انهم من بلاد مختلفة ينباينون بازياهم وما كلمهم ومشاربهم
وسمرم ولهجاتهم ، وبالطبع بتصوراتهم وعقليتهم . الى ان ولي الشام مدحت باشا
الوالي العثماني الشهير ووضع أسس الاصلاح العلمي والاجتماعي والاداري ، وبدأت
النهضة الادبية عقب ذلك فتعارف الاولاد بالمدرسة اولاً ، ونقومت السنتهم ،
واعنادوا التلفظ بالفصح الصحيح ، وفتحت الاندية والمقاهي ودور التمثيل ، ثم قاعات
الصور المتحركة ، وتعارف الناس وقلت الفوارق ، وقضي على الارستقراطية الاقايلاً ،
وحلت محلها الديموقراطية ، فنشأ عن ذلك اعتياد الشباب الراقي المتعلم ارتياد المحال
العامة والاحتكاك بمن مضى وقت تعليمهم ، فمرنوا ايضاً على الخطاب بالفصح الصحيح
ما أمكن ، ودعم ذلك جميع الطبقات حتى غير المسلمة وما نزال نرى ذلك في تقدم مستمر .

نقسم حفلات الدمشقيين الى مدنية ودينية . اما الدينية فننحصر فيما يلي : عيد
الفطر والنحر ، والرجوع من الحج ، والايباب من زيارة مسجد الرسول عليه الصلاة

(١) كتب هذا الفصل الفاضل السيد محمد شخاشيرو .

والسلام ، وسنة الختان ، وبعض نذور لله يقوم بها من أبل من مرض شديد ، وآب من سفر خطر أو بعيد ، وعادات القوم في تلك الاعياد اخراج الصدقات والزكوات والتوسيع على الفقراء ، وتكثر الزيارات ، ويصافح القوم عما بينهم من سيئات ، ويصلون أرحامهم ويوسعون على عيالهم . وعادتهم في ذلك ان يبدأ الاصغر سنًا بزيارة الأكبر ، ويُقدّم الأكبر سنًا ويحترم في كل شيء . ومنشأ ذلك على ما اعلم الأُمّية فان غلبة الأُمّية على قوم نضطروهم الى احترام من كانت أكثر تجربة منهم ، وذلك معقول لان من مرت عليه السنون ، وحلب الدهر أشطره ، وكثرت تجاربه ، كان جديرًا بالاحترام . اما اليوم فحقيق بالاحترام من يقدم الخدم النافعة لامته ، وليس للسنة دخل في ذلك . وخير الناس كما قيل أنفعهم للناس .

و يتقدم عيد الفطر شهر رمضان ، وللمشقيين فيه عادات : منها اتمام فريضة الصيام ، والانتقطاع عن بعض عادات ضارة ، ويقضون نهاره في سماع المواعظ في المساجد ، وليله في زيارات بعضهم بعضًا ، وارنياد محال اللهو المباح ، وتكثر حركة الاخذ والعطاء والبيع والشراء ، وهو من المواسم المذكورة في البلاد .

اما حفلات الحج في هذا العصر ، فتم حين رجوع احدهم من بعد اداء فريضة الحج بان يقدم الى خواص ذوي قرباه وجيرانه واصدقائه وزملائه واحبابه هدية ، وتختلف هذه الهدية بحسب مقدرته المالية ، ويبتدئ المهنثوث بزيارته في داره ، ويقدم له خواص اصدقائه واقربائه قبل وصوله الى وطنه هدايا تكون غالبًا من اللباس الفاخر ، وبكوت مثل ذلك بعد رجوع احدهم من زيارة مسجد الرسول الاعظم في المدينة المنورة . وتختتم هذه الزيارات غالبًا باقامة حفلة بدعوتها مولدًا وهي عبارة عن اجتماع بضم اصدقاء المحنّي به وذوي قرباه وزملاءه وجيرانه في داره ، ويدعون المنشدين ويفتحون بتلاوة بعض آيات من القرآن الكريم وينشدون بعض قصائد في مدح الرسول ينلون المولد النبوي فيه وتعداد بعض آثاره ونسبه وبعض ارهاصات تقدمت بعثته ، وحين مولده ، يقصدون من ذلك التبرك .

ومثل ذلك حفلة الختان ومن المتعارف فيها ان يهدي الى صاحب الحفلة اهله واصدقاؤه شيئًا كثيرًا من السمن والارز والغمم والقهوة ، بل من جميع ما يلزم لتلك

الحفلة ، و يكون ذلك دهنًا عليه و فاقؤه ، حين اقامة حفلة مثلها عند الهادين . و تحيي هذه الحفلة مثل اخواتها ايضًا بتلاوة المولد .

ولم يبرح بعض من لا يعتد بعقولهم ينذرون بعض نذور غريبة وهي ما يسمونه بالنوبة بقيمون لها حفلة هي عبارة عن دعوة بعض الفقراء المشعوذين ، ممن يضربون على الطار والطبل ، ويلعبون بالشيش ، وبعض قطع من السلاح الابيض و بطفثوث بافواهم النيران فيجتمع عليهم الاطفال وبعض صغار الاحلام فقط . وهي عادة اصيحت على وشك الزوال .

ومن الحفلات الدينية ايضًا حملات تكايا او زوايا المولوية ، وار باب هذه الطريقة لهم حين اقامة هذه الحفلات لباس خاص وهو ثوب ابيض فضفاض ، و يلبسون على رؤوسهم ما يسمونه « كلاها » وهو من اللباد مستطيل الشكل ، ويمتاز رئيس تلك الطريقة بوضعه عمامة خضراء فوقها و بدورون على انفسهم على نعمات موسيقية مطربة جداً من حيث الفن الموسيقي . وهي من حيث نظامها اتقن حفلات الشرق الدينية على الاطلاق ، وهي بالحفلات المدنية التي منها بالدينية .

اذا حضرت احدهم الوفاة تعلن وفاته ان كان من الاشراف والعلماء وار باب الظهور في مآذن المدينة ، ثم يحضر غسل المتوفى اصدقاؤه وذوو قرباه . وغسل الميت عند المسلمين يقوم مقام التقرير الطبي في هذه الايام ، يثبت بها ان الميت مات ميتة طبيعية فيطلع الغاسل على عامة جسمه ، فاذا كان فيه اثر ضرب او رض او خنق ظهر ذلك لحاضري غسله ، وهم غالبًا من محبيه ، فيشيع ذلك و يتصل بالحكام ، وبعد غسله يشيعون جنازته الى احد المساجد و يصلون عليه ، و يذهبون به الى المقبرة ويمشي المؤذنون امام جنازته بذكر الله وذلك اشهاراً لموته واعلاناً له . وبعد رجوعهم من المقبرة يذهبون الى منزل حميد الأسرة يعزونه و يحضرون على ثلاث ليال بعد العشاء احد المساجد القرية من دار المتوفى ، يسمعون ما تيسر من القرآن الكريم ، و يسمون ذلك « صباحية » ، و يحضر تلك الحفلة اقرباء الراحل وجيرانه وزملاؤه ، و يصرفون على الفقراء والمعوزين الدراهم والطعام بحسب ثروة المتوفى . وهذه العادة كادت تبطل

لمعرفة القوم بقيمة الوقت فآخذوا يكثفون بالتمزية في بيت آل الفقيده . وعادة إعادة المريض معدودة عندهم من الواجبات يواسونه و يسألونه و يكررون الاختلاف اليه .

من عاداتهم المدنية انه متى بلغ الشاب العشرين الى الثلاثين ان يتولى عميد أسرته ارسال عميدة العائلة مع من ترضاه من أخت وعممة وخالة ونسيمة وبعض خواص الجيران الى بيوت المدينة وحياتها بحثن و ينقبن على زوجة لذلك الشاب ، وتكون قاعدتهم في خطبتهم غالباً الكفاءة من جهة الثروة والسن والآداب . ولا يزان يوالين بحثهن عاماً كاملاً على الأقل ومتى قرر قرارهن على احدي البنات يكررن التردد الى دارها مرات عديدة ليربنها بجميع مظاهرها ، يربنها في زينتها وفي وقت الغسيل ووقت الطبخ وتنظيف المنزل . وعادة الدور التي يكون بها بنات في سن الزواج وهي عادة من الخامسة عشرة الى الخامسة والعشرين ان يناط بالبنات تقديم القهوة والشراب للخاطبات فية أمل الخاطبات مشيتها وتقل اقدامها وادبها في تقديم القهوة في الاياب والذهاب و يخاطبنها فيرين غنة كلامها وفصاحتها ، ومتى أصبح الامر نقر بآ واقعاً يذهبن الى الحمام معاً ويرين جسمها عارية وشعرها ويشمن آذانها وفمها وتحت إبطها ورائحة عرقها وثيابها ، وبنقن ذلك الى الخاطب وعميد الأسرة مع وصف شكلها وجمال وجهها وطولها وغير ذلك . هذا مما له مساس بالنساء من طرف الخاطب .

اما وظيفة النساء من جهة الخاطب فيزرن الحي القاطن فيه سرراً ويرسلن من يثقن به من اقربائهن وجيرانهن فيدخلن غالب بيوت ذلك الحي باحثات عن اخلاق الخاطب وثروته وتجارته او وظيفته ، وعن عدد آل بيته ومركز تلك الأسرة في الحياة الاجتماعية . ويجري التقصي عن آداب بيت الخاطب واصوله ويذهبن بالخطوبة سرراً الى مقر الخاطب او طريق ذهابه وايابه فتراه فاذا راق الخاطب في أعينهن بعد تلك الاستخبارات يرفعن الامر الى عميد أسرة الخطوبة . وهنا تنتهي مهمة النساء ، ثم يتألف شبه وفد من عميد أسرة الخاطب ، والبعض من معارف عميد بيت الخطوبة ، الى دار ذلك العميد ، و يطلبون منه الموافقة على زواج تلك البنت من ذلك الشاب ،

بعبارات تختلف بحسب مركز تلك الأسرة في المجتمع . ويكون الامر مقضياً على الأغلب بعد تلك التمهيدات ، و يقررون المهر و يقرأون الفاتحة فاتحة القرآن الكريم للتبرك دليلاً على رضى الطرفين . وبعد ثلاثة ايام يقدم الخاطب خاتم الخطبة . وبعد اسبوع غالباً يحتفل بحفلة العقد يقوم بها الخاطب ، فيدعو برقاع مطبوعة على غاية الاتقان اهله ومعارفه ، معيناً وقت الدعوة و يومها ، ويرسل الى عميد أسرة المخطوبة بعدد من تلك الرقاع بنفقون عليه من قبل ، فيدعو من أراد من أسرته واصدقائه . فيجتمع المدعوون في محل المعين و يجري على الاغلب افتتاح تلك الحفلة بقراءة المولد ، و تدار المرطبات و قراطيس الحلوى على المدعوين ، بعد عقد قران الزوجين الشرعي ، و ينفض المدعوون ، و تنتهي حفلة العقد بعد دفع المهر المقرر ، وبعد شهرين او ثلاثة غالباً يذهب وفد نسائي من قبل العروس بعد ان يكون اهل العروس اتموا لوازم عروسهم يحملن هدية تختلف بحسب مكانتهن ، يسميها « تصبينة » فيعين موعد حفلة العرس وعدد المدعوات من اهل العروس وتكون تلك الحفلة ليلاً في الغالب ، و يرسلون بطاقات الدعوة ، وليلة الحفلة يرسل وفد من النساء في مركبات على عدد المدعوات من النساء الى دار العروس ، يأتين بها من دارها مع المدعوات الى دار العروس ، وتكون هذه على غاية الرواء والبهاء والزينة ، و يدعى عادة الى تلك الحفلة المعنيات والمطربات و يقضين تلك الليلة بعد دخول العروس بعرسه غرفة خلوتها بالغناء والرقص وسماع الموسيقى وآلات الطرب ، ويمسبن على ذلك الى الصباح ، وتعود السيدات المدعوات الى دورهن و يبقى في بيت العروس بعض الخواص من اهلها ، مثل امها وعمتها وخالتها و صريبتها سبعة ايام .

هذه هي الحفلة النسائية اما الحفلة الخاصة بالعروس (الرجل) فيتقدم احد وجوه أسرته او اصدقائه غالباً بعد داره لتلك الحفلة ويسمونها « تلبيسة » و يدعون اليها جميع اقارب العروس واصدقائه وارباب مهنته وجيرانه ، في جوقة موسيقية تدير هذه الحفلة نحو ساعتين نظرب الحضور بأنغامها ، ومتى حان للعروس لبس ثيابه بهزج الشباب عادة عند الباسه كل قطعة من ثيابه باهازيج وطنية تامة بحسب كل عصر ومصر . يذهب به الحضور عقب ذلك الى دار حفلة العروس بالأهازيج ، و يدخلونه الدار مع عميد

الأُسرة فيدخله و يضع يده بيد عرسه و يدخل بها الى غرفتها و يذهب بسلام -
 هذه حفلات الزواج و عوائد القوم قديماً ، و اليوم قد زيد عليها معاينة صحة
 الزوجين ، و ينظرون الى الكفاءة العلمية قبل كل شيء مما يبشر الأُسرة المقبلة باعلى
 درجات السعادة الزوجية ، و هذا الشكل في تأسيس الأُسرة بعض عليه المحافظون
 بالنواجذ ، و يؤيدونه بكل ما أوتوا من قوة ، و يرونه أضمن لحفظ السعادة البيتية من جميع
 اشكال النظم المتبعة في العالم -

ومن عاداتهم الخروج اواخر فصل الشتاء وادخل الربيع الى المنزهات العامة يوماً
 في الاسبوع لاستنشاق الهواء النقي ، على اختلاف عادم و مذاهيم ، نساء و رجالاً ،
 و تكون اما كن جلوس النساء خاصة بهن غالباً ، ولا يتيسر للرجال ان يحاطوا من بحكم
 العادة ، و الشاذ قليل . و من العادات القديمة التي نشأت من الامة ايضاً سماع القصص
 في المقاهي و قد تلاشت الآن هذه العادة ، و كان يجتمع في المقهى عدد يختلف
 بحسب المحل و القصص ، و يدعون القصص «الحكواتي» يتصدر في صدر المكان و يقرأ
 لهم غالباً القصص التي يرغبون فيها مثل رواية عنتره و الزير و ابني زيد و هي روايات
 حماسية ، تمثل الشجاعة و الكرم و الأتفة و الحمية و الوفاء و الصدق و المروءة و الجرأة
 و حفظ الذمام و رعاية الدمار و الجار ، الى آخر ما هنالك من مكارم الاخلاق ينسبونها
 الى ابطال الرواية ، و يجعلون نهاية النصر لهم و الدائرة على منائهم ، و يصفون الخصوم
 بالجن و الكذب و البخل و الرياء و الغدر و الحيانة و النكت بالهسد ، الى آخر ما هنالك
 من مفاسد الاخلاق ، مما يربي نفوس السامعين على حب الفضائل و يحجب اليهم العمل
 بها ، و يغض لهم النقائص و يحملهم على البعد عنها ، و غالب من يجتمعون لسماع تلك
 الاقاصيص من طبقة العوام ، و هم متصفون ببعض تلك الفضائل -

ومن ملاحيمهم خيال الظل و العوام يدعونه « قره كوز » ، و كان في اول القرن
 الحاضر من اشد العوامل تأثيراً في تهذيب الاخلاق و تقويمها ، بما يلقيه استاذ هذا
 الفن المشهور بدمشق السيد علي بن حبيب على السن تلك الحيات من المواعظ الاخلاقية ،
 بعبارات ملؤها انتقاد ، تفعل في قلب اشد الناس بلادة ، و كان يصور في كلامه العادات

السيئة المنعشة في عصره ، و يظهرها في قالب ينفر الناس منها ، و يصور ظلم الحكام واصحاب الفوذ واغلاطهم ، في صور نقد طيف ، وكان يحترمه عليه القوم و يعد استاذاً كبيراً في الموسيقى تخرج به كل من ينتمي لهذا الفن بدمشق .

ومن العادات الشائعة تعاطي القهوة والشاي في المقاهي العامة شتاءً ، وانواع المرطبات صيفاً ، والتدخين بالتبغ والنارجيلة على الدوام ، وتكون صورة اجتماعهم حسب طبقاتهم ، و يرتادون اما كن سمرم هذا ، بعد العشاء حين الانتهاء من مراولة الاشغال وطلب الراحة . واحاديثهم غالباً تدور على السياسة وفي موضوعات علمية واجتماعية يمتدحون فلاناً لمكرمة اتاما ، ويذمون فلاناً لقيصة بدرت منه . ارتقت احاديثهم في هذا القرن الى الخوض في هذه الشؤون العامة ، ولم تكن في القرن الماضي ندمي احاديث البطون والفروج الا قليلاً . ومنهم من يقضي سمره ببعض الالعاب الشائعة كالشطرنج والبليارد والدومينة والداما والنرد والاب الورق على اختلاف اشكالها واسماها .

وقد فشت مؤخراً عادة اريساد بعض الشباب اما كن الشراب ، وموقعها غالباً بين الرياض والغياض ، وعلى ضفاف الانهار ، وتكون اغلب تلك الاجتماعات حشائسة ، فترام جماعات منشاكلين حول مناخذ الشراب ، يجتمع كل الياف على اليافه ، وتجد جالساً الى كل منضدة غالباً رجل من ارباب الصوت الحسن ينشد اصحابه الاناشيد الحسان . ومنهم من يختلف الى زمرة من الموسيقى بين الفنانين ، يصحبون آلاتهم كالعود والكمنجة والقانون والدائرة والناي . ومنهم من يقتصر على بعض تلك الآلات . وتجري غالب الاجتماعات في اما كن خاصة . واما الحال العامة للشراب فتعوي من كل شيء احسنه كالمشدين والمغنين والآلاتية ، وتسمى تلك الاما كن الجنائن ، تضم غالباً الماء والخضرة والشكل الحسن ، وتبتدي وقت الغروب وتنتهي عند منتصف الليل .

هذا مجمل عادات دمشق ولا تختلف عنها عادات سكان القطر في الشمال والجنوب والغرب اختلافاً بذكر ما خلا بعض عادات دينية عند الطوائف غير المسلمة ، وفيما عدا ذلك فهم متشابهون في اخلاقهم الاجتماعية ، ويمتاز سكان هذه البلاد عن غيرهم

في المحافظة على ما ورثوه من بعض اخلاق الفاتحين العرب منذ نصف وثلاثة عشر قرناً
وهي الرزانة والوقار والصبر على المصائب ، ويلتزمون هذه الرزانة وهذا الوقار في اعمالهم
ومجالسهم بل وفي بيوتهم وبين ذويهم ومجالس سمرهم وشرايبهم وأنسهم ، ويكرهون من
يتصف بالطيش والرعونة والشكوى الصريحة ويتجنبون مجالسته ، واكل عادة من هذه
العادات شذوذ وهي قليلة .

* * *

عادات الخليليين^(١) }
للحايين المسلمين عادات يستعملونها في افراحهم واتراحهم
نذكر منها شيئاً يحفظه التاريخ الى ما بعد ان يحتاجه

تطور الزمن فبقي ذكره من مستغرب الاخبار ورائع الآثار فقول :
كما يستعملونه في قضية الولادة ان الطفل متى تخضت به امه وولده تلبسه القابلة
فان كان غلاماً صلت على محمد وان كان جارية ترضت عن فاطمة الزهراء ثم يقدم الى
احد اقاربه فيؤذن في أذنه الأذان الشرعي ثم يسمي من قبل وليه ويطبخ لأمه حلوى
بالشونيز والجوز لتكثير لبنها وتقتصر بالشرب على ماء الحمام المنقوع فيه اصول البنفسج
مدة اسبوع ويرسل احد اصدقاء الاميرة مائدة كبيرة تشتمل على مقدار عظيم من
الزلاية معها اباليج السكر ، و يولم اهل المولود في اليوم السابع وثيمة حافلة بين اطعمتها
حلوى قوامها الدبس والشمرة تعرف باسم « المغلي » وقد يحضر في ليلة تلك الوليمة
قيان للنساء ومطربون للرجال وكل صديق لأبوي المولود يقدم مدية بعضها ما كول
وبعضها مما يثلى به ومنها مسكوكات ذهبية قديمة تعلق سيف قلنسوة الطفل واسم ذلك
« تهنائة » وبعد مضي اربعين يوماً على الولادة تؤخذ النساء الى الحمام مع اترابها من
النساء ويكبس بدنهن « بالشدود » وهو المردقوش والخزامى المغربية . واذا شعرت
ام الطفل بمغص في بطنه تمضغ له لب عجو الدراقن وتعصر لفاظتها في فمه فيسكن
مغصه وتدهن مرافقه بالزيت وتذر عليه مسحوق ورق المرسين ومضى بدأت أسنانه

(١) نفضل بكتابة هذا الفصل العلامة الشيخ كامل الغزي اخذاً من كتابه نهر

الذهب .

بالخروج نسلق له شيئاً من الخنطة تدوفه بالسكر ولب الجوز واللوز والفسق وتطعمه منه وتفرق باقيه على الاهل والجيران .

متى بلغ الطفل الخامسة من عمره يرسل الى المكتب او الى الشيخة او المعلمة اذا كان جارية ومتى ختم تعلم القرآن العظيم تعمل له حفلة تسمى « نشيدة » يحضر فيها الى منزل الغلام جماعة الشداة والمطربين ودرائش الطريقة المولوية وبعد ان تقام نوبة سماح بطاف بالغلام ورفقاته بعض شوارع البلدة وهم ينشدون ازجالاً في المدايح النبوية ماشياً وراء الغلام حامل المبخرة ورجل آخر ينثر الشعير على رؤوس الناس دفعاً لاصابة عيون العين ثم يعود هذا الموكب الى منزل الغلام وتبسط له الموائد فيأكل وينصرف ويملاً جيب كل ولد فسقاً وزيباً مضافاً اليها شيء من النقود . وقد يختن الولد في هذا اليوم اذالم يكن ختن من قبل . واعتاد كثير من الناس ختن اولادهم في اليوم السابع من ولادتهم كما اعتادوا ثقب شحمة اذن الانثى فيه . وقد يفرد لختان الغلام حفلة بدعى اليها الاحباب والاصحاب ويولم لهم ثم يزين الغلام بالحلي والحلل ويركب على برذون مزين ويركب وراءه رديف . يقال له العريف ويطاف به في الشوارع بنقدمه احد مشايخ الطرق راكباً على برذون مجلل بسجادة الارشاد مكلاً رأسه بطيلسان احمر في يده عقافة يشير بها الى جماعته وهم سائرون امامه يحملون اعلام طريقتهم يضربون طبولهم وبعد ان ينتهوا من تطوافهم يعودون الى منزل الغلام وتلى قصة المولد النبوي وفي ختامها يختن الولد . وقد يرافق هذا الموكب طائفة من الدارين ولايسى الجواشس والخوذ في ايديهم السيوف والنراس يقفون في فساتح الطرق ويلعبون بعضهم مع بعض بسيوفهم وقد سار وراء جموعهم رجل يقود جملاً على ظهره منصة مهندمة يقوم فوقها رجل يرندي كسوة نساء عرب البادية يقال له « عبله » قد امسك بيديه صنوجاً يرقص بها حتى يصل الى دار المختون وهذا الموكب يسمى « عراضة » .

للغلام في اول يوم يصومه من رمضان طبق يملأ بأنواع الحلوى يفطر عليه . واذا بلغ الغلام مبلغ الرجال وتاق للزواج تأخذ امه وذوات قرابته بلمتن له زجة تنطبق اوصافها على اذواقهن . والاعنياء يغالون بالهور وربما بلغت جملة المهر الفذهب

عثماني وزيادة والمهر عند الفقراء لا أحد لأقله والمجمل منه ثلثاء والمؤجل الثلث الباقي .
والزوجة الغنية تضيف إلى المهر من مال أبيها قدره وربما زادت وتصرف الجميع على شراء اثاث
المنزل . وعقد الزواج يكون في بيت الزوجة باحتفال فائق يحضره المطربون وبطاف
على الحاضرين بكوؤوس المرطبات وأنواع الحلوى المحففة . وبعد أن يتم العقد بأيام
ينقل الجهاز الذي أعدته الزوجة إلى بيت الزوج بموكب حافل يتقدمه جماعة الحمالين
ولاعبوا السيوف والعصي، وشداة الأزجال، ويسبق ليلة القران ليالٍ يسمونها «التعاليل»
يحضر فيها المطربون والموسيقيون وتحرق الألعاب النارية . وقبل ليلة القران بليلتين
يدعو أهل الزوجة أقاربهم ويفرق عليهم الحناء وتقوشها فينلن منها على أيديهن مائتاله
منها العروس على يديها ورجليها ومعصمها وتعرف تلك الليلة بليلة النقش . ثم في صبيحة
اليوم الذي يكون القران في مسائه تقام وليمة العرس وتكون الدعوى إليها جفلى يجلس على
سماطها من أحب . وفي هذا اليوم يأخذ أهل الزوج الزوجة من بيت أهلها فيركبن العربات
المزدانة ويأتين بها إلى بيت زوجها وكن قبل ظهور العربات يأتين بها إلى بيت زوجها
ماشيات على أقدامهن يزغردن ولا يمررن بها على باب حمام زعما بأن جنه يخطفها . وأصل
هذا ما كان يفعله الانكشارية من اختطاف العرائس اللواتي يمررن على حمامهن فكانوا
لا يطلقون سراح العروس إلا بعد أن يأخذوا شيئاً من حليها أو نقوداً من زوجها .

في مساء هذا اليوم يأخذ الزوج زينته في منزل أحد أصدقائه ويحضر إلى منزله
بموكب حافل من المطربين والموسيقيين وهو يسير الهويني بين شابين يشبهانه يقال
لها سخاديج واحدهما سخدوج . قد حملت أمامه مصابيح ضخمة على عتلات في مقدمتهم
شداة يترنمون بمواليات كلما أتم أحدهم مواليه يهتف الجميع بقولهم : « الله يساور جوز
جوز جيّز » تحريف « الله يصور الزوج زوج جهاز » . وقد تقدم صف الزوج
صفوف المطربين وأصحاب الأزجال الحماسية وحملة المشاعل ومحرقو الألعاب النارية
والمدرعون واللاعبون بالسيوف العاب الفروسية إلى أن يصل هذا الموكب منزل الزوج
فيدخله وثلقاء عرسه وبضع بدا في بدء أقرب إنسان إليه ويدخلان الغرفة المعدة لهما
ويفتح على رأسيهما طيلسان وردي اللون . وفي صبيحة تلك الليلة يدخل الزوج الحمام ومعه
الجم الغفير من الخلالن والأخوان وبعد خروجه منه يعمل له أصدقاؤه الولائم على عدة

ايام وهي المسماة بالصبيات . وفي اليوم الخامس عشر يوم الزوج لاهل زوجته وليلة شقيقة تسمى عزيمة الخامس عشر .

ومما يستغرب من عادات بعض الامم من قطان اطراف حلب انهم يفرشون ليلة القران في غرفة العروسين قطيفةً يجعلون رؤوس ماالتوى من ريشها الى جهة صدر الغرفة فاذا وجد الزوج الوردة زراً غير باسم الثغر حول القطيفة اية جعل رؤوس ماالتوى من ريشها الى جهة عتبة البيت والا اقاما على حالها وفي الغد يقوم الخصام سراً فاذا لم يقع التراضي بين الطرفين فابها بعلامات القضية وتعلو الضوضاء وتشتد الضجة ويفتضح الحال .

ومما يستعمله الحلبيون المسلمون في اتراحهم من العادات هو ان بعض سكان اطراف البلدة يحضر حين وفاة رجالهم الاعزاء عليهم - نائحات بدويات ينثرن على رؤوسهن الحناء ويشددن في اوساطهن المآزر ويخدشن خدودهن ويسودن وجوههن بسخام القدر وحين خروج النعش من الدار يضر بن جبهة بابها باءفاء خزي زاعمة ان هذا العمل يمنع من ان يلحق بالميت غيره من اهله . ونعش الميت يسرون به وهم يجهرون بكلمة التوحيد ، وقد يكون في مقدمته من يؤذن اذان الجوق وينشد بعض المدائح النبوية ، وقد يمشي امام النعش جماعة الدراويش المولوية . واذا كان الميت من مشايخ الطربى ينقدم جماعته ويحملون نعشه ويتجاذبونه ويتماسكون به كأنه يحاول الطيران وهم يمنعون عنه وينادونه باسمه ويصرعون اليه بان يعدل عن الطيران وحمله اعلام الطريقة يفعلون باعلامهم فعل حملة النعش به فيركضون بها ايهاماً بانها تجرم وتحاول ان تطير بهم الى غير ذلك من الحركات التي ينكرها الشرع . اذا وصل النعش الى القبر حطوه الى الارض واخرجوا الميت منه ولحدوه ومن الناس من يودع في نقرة من جدار القبر قنينة فيها شيء من زيت الزيتون قصد تعتيقه لينتفع به بعد من يكون مصاباً بالريح فيطلي منه بدنه فيبرأ .

في الليالي الثلاث الاولى من الوفاة يجتمع في مسجد الحي بين العشائين نفر من الرجال والاطفال يكررون كلمة التوحيد وفي ابدنهم سحجة كبيرة ينظم في سلكها خمسمائة حبة كل حبة منها في الجوزة حجم . فاذا دارت دوراً سكنتوا وتلا امام المسجد

شيئاً من القرآن . ثم ندور دوراً آخر في ختامه بنهي الذكر و يفرق على الحاضرين الحلوى المعروفة بالغريرة . في صباح اليوم الثالث من الوفاة يجتمع الحم الغفير على القبر وتمد البسط على اطرافه وتوضع عليه قماقم ماء الورد ونثر فوقه الزهور و يفرق على الحاضرين أجزاء الربعات وبعد الانتهاء من قراءتها يصطف الناس حلقة و يذكرون الله تعالى و يفرق على الفقراء شيء من النقود و يعزي الناس اهل الميت و هم في المقبرة . وهذا اليوم يسمى الثالث وفيه وفي كل من اليوم السابع واليوم الاربعين واليوم المتم للسنة من الوفاة يدعى جماعة من القراء الى بيت الميت يتلون القرآن العظيم في نهارهم وفي المساء تبسط الموائد و يفتح باب المدار للفقراء فيأكلون و يزودون .

ومما اعتاده الحلبيون في اول يوم من المحرم ان يكون فطورهم من طعام حلوان يخرج جماعة من المجزة يتصدق عليهم الناس بشيء من البرغل يقال لهم « فاز من صلى » مموا بلازمة زجل ينشدونه على الابواب وهو « فاز من صلى على تاج العلي طه النبي المصطفى جدا الحسين » وبعض الناس يسمونهم الحسينية . وهذه العادة موروثه عن الطوائف العلوية التي كانت تقطن حلب . وفي يوم عاشوراء يوسع الناس على عيالهم بالمطاعم و يطبخون طعام الحبوب الذي يشير اليه ابن منير الطرابلسي الشاعر بقوله :
« وسهرت سيفي طبخ الحبوب ب من العشاء الى السحر »

وفي يوم عاشوراء كانت الحكومة قبل خراب مشهد الحسين نولم فيه وليمة حافلة يحضرها الوالي ومن دونه و ينشد احد المطربين قصيدة ابن معتوق في رثاء الحسين التي مطلعها « هل المحرم فاستهل مكبرا » . وتعطل الحكومة ايضاً في آخر اربعماء من صفر وفي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول وتحتفل بتلاوة قصة المولد النبوي في الجامع الكبير ، ويستمر الناس على تلاوة هذه القصة ليلاً ونهاراً الى آخر هذا الشهر ، و يولمون من اجلها الولايم العظيمة . وتعطل ايضاً في اليوم السابع والعشرين من رجب وتحتفل بقراءة قصة المعراج في المشهد المذكور . و يجتمع الناس ليلة النصف من شعبان في المساجد بين العشائين و يقرؤون سورة يسن ثلاث مرات و يلقيهم الامام دعاء ليلة النصف المذكور في كتاب نزهة المجالس وغيرها من الكتب ، وتهجر المعاصي في شهر رمضان و بكثرت رداد الناس على الجوامع والمساجد و يقبلون على تلاوة القرآن ومنهم من يقصد المقاهي ليلاً للتفرج على المشعوذين

والتصارعين . و يخرج قرب السحر طبال يوقظ الناس للسحور و يعقبه شدة المدايح النبوية في منارات الجوامع . و بعد صلاة العيد يخرج الناس الى المقابر لزيارة موتاهم و كان يخرج قبل العيد بيومين رجل سحرة معه حمار مدرع بالودع والخرز والأجراس يستجدي الناس بالرقص و يضحكهم بحركات حمارة و قال له جمحش العيد . و كان يخرج في ايام العيد ولدان قد صبغوا اجسامهم بالسواد و على رؤوسهم الطراطير يستدرون احسان الناس بالرقص والقفز و يقال لهم « يضة يضة » . و بعد انتهاء العيد يأخذ رواد الحجاز اهبتهم و يسافرون لاداء فرضة الحج و يحتفل احبابهم بوداعهم . و في عيد النحر يقبل الناس على الضحايا . و في تاسع آذار الرومي الشرقي يخرجون صباحا الى ضاحية البلدة لاستنشاق نسيم الصبا التي تهب في ذلك الوقت كما يزعمه بعض النجمين . و يكثر خروج الناس في اوائل ايام الربيع الى جبل الجوشن و ما قرب منه فاذا نور الشجر و اوراق يترددون على البساتين . و في شهر نيسان يحتكرون مؤوناتهم من السمن والجبن والفحم . و كان النساء في يومي اربعاء الزبعة و خميس البيض (و يكونان قبل يوم الأحد و هو اول يوم من عيد الفصح) يخرجن الى البساتين و يمضين فيها سحابة يومين و يفعلن مثل ذلك في يوم الاثنين الذي يلي عيد الفصح و يزعمن ان من لم يخرج الى الزهرة في هذه الايام لا يأمن الصداع و وجع الرأس الى غير ذلك من العادات التي بعضها مستحسن و بعضها مستهجن مما هو مذكور في كتاب نهر الذهب مسأ مفعلاً .

* * *

واما ما يستعمله النصارى الحلبون من العادات في افراحهم و اتراحهم فمنها ان سراد الزواج منهم يبدأ بتصفح وجوه النسوة في مجامع الناس و حين خروجهن من الصلاة فتى اعجبته انى سعى باعلامها انه يرغب ان تكون له زوجة وهذه هي الخطبة الاولى . ثم يسعى بالخطبة الثانية وهي ان يرسل احد اوليائه مع كاهن طائفته الى ولي مخطوبته فيعلم ان موليها يرغب ان تكون موليته زوجة له فاذا اجاب طليهما وضع الكاهن بد أحدهما به الآخر علامة على الرضى المتبادل ، و بعض الكهنة يسأل المخطوبة بقوله هل رضىت ان يكون فلان زوجاً لك فتطأطي رأسها بالايجاب و حينئذ يقدم لها قطعة من الخلي مرسلة من زوجها و بعد ذلك يشرع الخاطب بزيارة مخطوبته . و طالما

نهى الكهنة عن كثرة هذه الزبارة فذهب نهيهم سدى . وبعد مدة يرسل الكاهن الى اهل المخطوبة لينفق معهم على ميعاد عقد الخطبة وليقدم هدية الخاطب الى مخطوبته . وهذا العمل يسمى المشورة وقد ينكث اهل المخطوبة ويفسخ عقد الخطبة فيقيم الكاهن الحجّة على اهل المخطوبة ويغرمهم ما اتفق الخاطب في مدة الخطبة . اما اذا لم يفسخ عقد الخطبة فان رقاع الدعوة ترسل بتوقيع الوليين الى المدعوين لحضور حفلة الاكليل فيقبل المدعوون الى بيت الخاطب في اليوم المعين ثم يتوجهون الى بيت المخطوبة فيضعون عليها خمارها وازارها وتكون جميع ثيابها بيضاء ويأتون بها في وقت العجّة الى بيت خاطبها وهي تسير الهوينى بين امرأتين على شاكلتها وأمامها المصاييح وجماعة الموسيقى حتى اذا اقتربت من بيت خاطبها خف لاستقبالها فحاصرها ودخل بها الى منزله وانتظم عقد المدعوين ثم يقف العروسان بين يدي مطران الطائفة ومن معه من الكهنة وهم منخلون بملا بسهم الكنائسية و يشرع المطران يترنم بآيات من الانجيل مخصصة بعقد الزواج ويجري بين العروسين الايجاب والقبول و ياتي عليها النصائح ويأمرها بالتخايب والطاعة احدهما للآخر ويستغرق ذلك نحو ساعة من الزمن . وفي الختام يرفيهما هو والخاصرون ثم تعزف آلات الطرب وتدور اقداح الراح فيرقصون ويمرحون الى المزيج الاول من الليل فيقدم للخاصرين سفرة « الدخلة » وهي قطع من لحم الدجاج الهندي والهضم المحمضة المعروفة بالخللات والخبز الحواري وغير ذلك وبعد ان يتم الخاصرون اكلهم يعودون الى السماع والطرب . ثم في منتصف الليل يقوم بعض الادباء ويهني العروسين بقصيدة وفي الصباح يقدم للخاصرين الفطور من معمولات اللوز الهندي « الشوكولاتة » مع بعض الحلاوي واللحوم المقددة ثم يخلق الخاصرون حلقاً ويمجلون العروسين بالرقص العربي والكردي ثم ينصرفون . وفي هذه الصبيحة يهدي احد ابوي الزوج الى الزوجة قطعة من الحلوى تسمى الصبيحة وفي اليوم الرابع يحضر المدعوون الى منزل الزوج لتهنئة العروسين ثم في اليوم الثامن يزور العروسان اصحابهما فيجيئون لها ليلة طرب ثم في اليوم الثاني عشر يولم الزوج الى كهنة الطائفة وبعد شهر بطوف العروسان منازل الألى كانوا مدعوين ليلة القران و يردان اليهم الزبارة .

المهر يدفع من الزوجة الى الزوج عكس ما هو معروف عند المسلمين ولا حد لا كثره اذا كانت الزوجة غنية والرغبة منها في الزوج فوق رغبته بها وهو يسمى « دوطه » وبعض الكتبة يترجمون هذه اللفظة بكلمة « بائنة » واذا كانت رغبة الزوجين في الزواج متساوية فليس هناك دوطه انما كل واحد من الزوجين يهدي الآخر قطعة من الحللي قيمتها تناسب ثروته .

بعد انتهاء هذه الحفلات يصرف بعض المنفرنجين شهراً من حياته بالتغيب عن منزله يسمونه شهر العسل يمضي الزوجان في موضع تزده جميل بطلاق فيه حريتهما كأن العروسين يمضيان هذا الشهر في وداع الحياة المطلقة المؤذنة بفراقها لحلول ذلك الضيف الثقيل بل القيد الأبدى الذي لا يحل رثاقه الا بالموت : عادة اخذها الغربيون عن الامم الوثنية القديمة كأنها رمز الى معرفة انقضاء راحة الانسان بالزواج وطول عنائه بعده ذلك لأن الزوجين لا يلبث فرحها بعد الاقتران سوى ايام قلائل حتى يدخل في العريض الطويل من تكاليف الحياة واوصابها التي لا تُنفد الا بنفاد العمر . فما شبه الحياة وما فيها من الراحة والتعب بأثناء مفهم من الصبر قد بسط على وجهه قليل من العسل وكأن الانسان لا يضطر الى استعمال ما في هذا الأثناء اضطراراً حقيقياً الا بعد ان يتزوج فكان مقدار ما يناله حينئذ من الراحة وما يعقبها من التعب كمقدار ما في ذلك الأثناء من الصبر والعسل فلا ياتى من العسل غير القليل حتى يتفقد ويظهر تحته الصبر فيجبره مكرهاً ضرورة عدم امكان الحياة الا به وهذا مصداق قول الناس في الزواج « فرح شهر وترح دهر » .

وما يستعمله النصارى في اتراحهم انه متى احتضر المريض يحضر اليه كاهنه ويستأديه واجباته الدينية وبعد ان يقضي نحبه يتربصون بدفنه مدة اربع وعشرين ساعة يضعونه في خلالها في صندوق من الصفيح وفي هذه البرهة يرسلون رفاع الدعوة لحضور الاحتفال بالجنائزة ثم في الوقت المعين يضعون الصندوق في نعش مزدان بالابقونات واكاليل الزهر فيجمل الى البهجة ليصلى عليه ثم يحمل الى المقبرة وامامه صفوف الكهنة يترغون بآيات من الانجيل ووراهم عظماء الطائفة وتلاميذ المكاتب وحمل الصليبان والشموع وقد اكتنف النعش اربعة من كبار الطائفة يسكونه من اربع

اطرافه بسفائف من الحرير الاسود وحينما يصلون به الى اللحد يضعه الحمالون عن كواهلهم و يتقدم احد الادباء فيرثيه نظماً او نثراً ثم يوارونه في لحدّه و بصطف اهل المتوفي للتعزية ويمر عليهم المشيعون لجنازته لتعزيّتهم وفي مقدمتهم المطران وليف الكهنة . ولبعض الاسر الغنية ديماس تحت الارض مختص بدفن موتاهم يقال له خشخاشة يودعون فيه النعش دون ان يهيلوا التراب عليه وقد يكون هذا الديماس بنابة تشبه البيت مبنية على وجه الارض .

في اليوم الثالث من الوفاة يحفل للمتوفي بصلاة في البيعة يسمونها جنازاً يسرجون فيها من المصابيح قدر ما يقع عليه الاتفاق من النقود بين اهل الميت و بين كهنة طائفته وهذه الصلاة تعاد في اليوم التاسع وفي يوم الاربعين وفي نصف السنة وتمام السنة . وحداد الولد على ابويه ثلاث سنين والاخ على أخيه والزوجين احدهما على الآخر والا بوين على ابنيهما سنّان .

وما يستعمله اليهود الحلبيون من العادات في افراحهم واثراحهم ان يحننوا الطفل بعد يومين من ولادته واذا كان من سبط اسرائيل وكان بكر ابويه وجب على ابيه ان يفتديه من كاهن من سبط هرون بضع الطفل في حجره ويقول لآبيه . هذا المولود حق سبط الكهنة فيستوهبه ابوه منه بمقدار معلوم من الفضة . ومتى بلغ عمر الطفل سنة يأخذه ابواه كل سنة الى وليمة قدّس اي زفاف يطعمانه من طعام (السيموداه) فاذا بلغ الثانية عشرة يؤمر بصيام ذلك اليوم واذا بلغ الثالثة عشرة يلبسونه « كنفوت » وهو صدره تربط اطرافها الاربعة بفتائل من الغزل و يشد على رأسه وعضده اليسر « تيفلين » وهو سير من الجلد يشتمل على السكّلات العشر والاصحاح الاول من سفر الوصايا وحينئذٍ يعتبر رجلاً متمماً صلاة الجماعة التي لا نتم الا بعشرة رجال و يرث سبعين من تركته ابيه .

واذا بلغ الثامنة عشرة وجب عليه الزواج فبإشرا الخطبة ومتى انثى مخطوبة يكتب بينهما قنيان اسمه عهد يسمونه شيطاراً يعينان فيه مقدار المهر المدفوع من الطرفين و يذكران ما انفق عليه من الشروط ثم في اليوم المعين نتمقد جمعية يسمونها (كثرية)

فيها يكون تسلم الزوج الامتعة والنقود التي تعهدت الزوجة بتقديمها اليه وبعد ثلاثة ايام تكون حفلة الزفاف المعروفة باسم « قدوس » فيحضر المدعوون وتعزف آلات الطرب وتدار كوؤوس ابنة العنب من وقت العصر الى وقت الغروب ثم يقوم رؤساء الدين ويحرون المقدم بين المروسين ويقرأ احدهم قداسين يقف الزوجان مدة قراءة الاول متقابلين ومدة قراءة الثاني متخاضعين ويفتح على رأسها ملاءة من الصوف يسمونها « طليطة » اي طيلسان . وفي هذه الساعة يقدم الزوج الى زوجته قطعة من القصة فتأخذها منه ويشهد بذلك رجالان ليس لهما قرابة لاحد الطرفين وحين تسلم الزوجة القطعة المذكورة من الزوج يخاطبها بقوله (هاري آت ميقديشت لي بي طباعت زكيدات موشي واسرائيل) اي انت مقدسة لي بهذه القطعة مثل دين ومسي واسرائيل . ثم يتقدم الخاخام الكبير ويبيده كأس من الخمر فيبارك عليه بدعاء طويل باللغة العبرانية ويشرب منه جرعة ثم يدار على الحاضرين فيشرب من شفاقته كل واحد منهم جرعة ثم يعاد الى الخاخام فيرميه الى الارض فينكسر وبعد ذلك يدخل الزوجان البيت المعد لخلوتهما فاذا التقى آدم مع حواء في تلك الليلة وجب عليه ان يمسك عنها مدة خمسة عشر يوماً وان ينطبل اي ينغمس في حوض خصوصي وعلى الزوج ان يدعو في ثاني يوم من زواجه عشرة من رؤساء الدين ويولم لهم وعلى رئيسهم قبل الاكل ان يبارك على المائدة سبع مرات كما يبارك على كأس الخمر يوم الزفاف .

وبما يشتملون في أتراحهم ان المريض متى احتضر جلس عند رجله رجالان يذكرانه بقولهما (شجاع اسرائيل ادوناي ايلوهينو ادوناي احاد) اي اسمع يا اسرائيل الديان الهنا الديان واحد . فاذا قضى نحبه وضعوه على « اللوحوت » اي المغتسل وغسلوه بالماء الفاتر وادرجوه في ثوب من الكتان يعبسونه بالنقريض والخروق كيلا يطعم به نباشو القبور ثم يضعون جثة الميت في « الأورث » اي العش ويحضر احد اقربائه ويقرأ عليه قداساً اي يصلي عليه صلاة الميت ثم يحمل النعش بين ثلاثة اشخاص وعلى كل من مرت به الجنائزة ان يمشي معها اربعة اذرع او اكثر و يطلب من الميت السماح فاذا وصلوا بالنعش الى الكنيسة قرأ عليه احد اقربائه قداساً آخر ثم يحملونه الى مدفنه و يوارونه فيه ترابه و يقوم احد الحاضرين و يبارك عليه بقوله : (باروخ

ديان ها ايميت) اي تبارك من شرع الحق : ثم يقرأ ولده قديشاً ثالثاً و يهود هو ومن معه من الاقارب والاصحاب الى بيت الميت وفي اثناء الطريق يغسل كل واحد من الحاضرين يديه ويقول : (عينيـنو لو رأو و ياديـنو لو شافينـغو بـهدام هذه) اي عيوننا ما رأأت و ايدينا ما سفكت هذا الدم . فاذا وصلوا الى بيت الميت قام احد الحاضرين الى كل وارث له وخرق ثوبه من زيـقه وهو يقول : (باروخ ديان ها ايميت) ثم تحضر مائدة عليها اطعمة متنوعة يرسلها احد الحاضرين فيأكل منها ورثة الميت على شرط ان يضع الطعام بايديهم احد الحاضرين و يباركهم بقوله : (باروخ ميناحيم ايليم) اي نبارك الذي يسلي الحزين . وعلى ورثة الميت ان يلزموا من ازلهم سبعة ايام لا يعملون فيها عملاً مطلقاً ويسمونـها « التآهل » اي الحداد . وفي اليوم السابع يصنع طعام للقراء وهكذا في اليوم الثلاثين وبعـد تسعة اشهر و مرور السنة اه .

* * *

عادات لبنان ١ كانت عادات لبنان الى اواخر القرن الماضي ، قبل ان واخلاقه ٢ بدأ اهلـه بالمـجرة الى اميركا ، كمعادات معظم جبال الشام ، تغلب عليها السذاجة والفطرة السليمة ، وفي اهلـه مضاء ووفاء و ابناء . يقل الكرم و يكثر الحرص في اهل القسم الشمالي منه وهم الموارنة والروم ، وكان العكس في حال اهل القسم الجنوبي وهم الدروز والسنة والشيعة والنصارى الذين كانوا من اصول عربية ، فان اخلاقهم ظلت عربية بجملة ، ولهم في باب الكرم وحفظ العهد فصول . وقد يكون الشماليون الين عربكة ، واقرب الى السكون في الاحابن ، والجنوبيون اشد بأساً واقوى شكيمة . ودخل تبدل كبير في العادات بانشار المدارس الاجنبية في الجبل منذ نصف وستين سنة ، واستبدلت العادات الافرنجية ببعض العادات الوطنية الا قليلاً . وحمل الذين عادوا من المهاجر بعض عادات من نزلوا عليهم ، فاصبحت عادات الجبلين مزيجاً من الغربية والشرقية . ويكثر التقليد في سكان الشمال اكثر منه في سكان الجنوب . وهناك فروق ليست بقليلة بين سكان الجرد الشمالية والجنوبية .

كان اللبنانيون من اول من نفخ في ديارهم بوق الهجرة الى اميركا ، ولبوا دعوتها

سراعاً قبل غيرهم من الشاميين ، لان حاصلات ارضهم قليلة لا تكفي لمولم . وكانوا من قبل مولعين بمواطنهم ، لا يحبون ان يتنقلوا ولو في ارجاء هذا القطر ، وكان من يسافر من احدى قرى الجبل الى دمشق يضرب به المثل في بعد الهمة وكثرة الشجاعة . وكثيراً ما كانوا يتنقلون بقولهم :

« جوزك يا مليحة راح عالشام وحده »

وكان اقصى ما يباغته تصورهم من البعد « انطاكية » شمالي الشام و« دقلة » في السودان ، ويقال الى اليوم « اوصلك الى دقلة » . وكان اذا نشط احدى للسفر الى مصر او الاسكندرية ، يمد كنفه وصل الى الميناء ، بقصدونه من القاصية لسمعوا ما بقص عليهم من عجائب رحلته . فلما بدأوا بالهجرة وكثر عددهم ، واستسهلوا ركوب المخاطر في بلاد المهجر ، ونجحوا وارثا شوا ، تبدلت عقليتهم بعض الشيء ، وهم كما كثروا من مهاجرون في طلب الرزق يعتمدون على انفسهم ومضائهم وتضائهم ، لا علم يحجبهم ولا دولة يهملها امرهم . حملوا في جنوبهم عزماً وحزماً ، وحملوا ايضاً روح التحزب والفرقة الذي امتازوا به لما نشأ لهم عليه رؤسائهم . وكان المتعلمون منهم في هذه السبيل اشد مراساً من العوام . ولما كان العائدون من طبقة الفلاحين والعمال الى قراهم من ديار المهجر ، اكثر من الراجعين من اصحاب المعامل والمزارع والتجارات ، وبعبارة ثانية ان عدد الراجعين الاربين كان اوفر من عدد الاربين من المتعلمين والمغتربين — اصبح تسرب العادات الغربية لا يكاد يشعر به بين العامة على كثرتهم ، وهو ظاهر محسوس بين الخاصة على قلتهم .

وقصارى ما يقال في هذا الباب ان اهل لبنان اخذوا مدنية الغرب من مدارسهم هنا وبالاختلاط باهل وراء البحار بلا قيد ولا شرط ، على حين كان غيرهم ولا يزالون يأخذونها ببعض الحذر والحيط . ولبنان منذ عهد متناول كانت علائقه بالغرب اكثر من غيره من اهل هذه الديار . والروح اللاتيني ترفرف عليه . يحمله الى ربوعه الرهبان الموارنة من رومية وغيرهم من دعاة النصرانية والاستعمار . ولو مكنت طبيعة الجبل من انشاء مدن كبرى فيه ، لظهرت هذه الفروق على جليتها في اهلها ، كما تجلى مثلاً في اهل المدن الداخلية .

لم يبرح الدرر ز يعدون في المحافظين على عاداتهم القديمة واخلاقهم العربية من ايام ووفاء وحسن عشرة وكرم وحسن وفادة ، يعظمون رؤساءهم ولو كانوا في سن صغيرة جداً . والدروز ، ما خلا الطبقة المتمدنة منهم التي تلبس السراويل والمعاطف والسترات والاقمصه الافرنجية على الاساليب الغربية ، مازال جمهورهم يلبس لباساً واحداً في جميع البلاد التي ينزلونها : عمامة بيضاء وقفاطين من الاقمشة الغليظة القطنية واعبئة قصيرة مخططة واحذية بلدية ساذجة . كأزلبائهم لم يتبدل منذ حلوا هذه الارض ، ونساؤهم محجبات قليلاً يسبلن على رؤوسهن شاتراً ابيض فاذا رأين غريباً اظهرن احدى عينيهم فقط اي ان حجابهن الحجاب الشرعي .

كان اهل لبنان قبل حادثة سنة ١٨٦٠ يقسمون الى خاصة وعامة ، فالخاصة هم الامراء والمقدمون والمشايع . والمشايع على ثلاث طبقات ، مشايخ الاقطاع ، والمشايع الذين يدلون الى مشايخ الاقطاع بنسب ، وكانوا يعرفون بمشايع الطبق ، ثم مشايخ الطبقة الثالثة . وتختلف مصطلحات هذه الطبقات باختلاف المصور ، وكلامنا هذا يتبادل الاخيرة منها التي ثبتت الى ظهور الجبل بمظهر الاستقلال الداخلي بعد حادثة الستين . ولم عادات راسخة في خطابهم وكتابهم ومجالسهم وافراحهم واتراحهم ، امست عندهم بمثابة القواعد العامة ، وتختلف عن مجموع ما هو من نوعها في سائر البلاد ، والسرة في ذلك ان لبنان مدين بظهوره بمظهر المنزل المستقل منذ عهد المماليك والعثمانيين لامراء كانوا يتولون حراسة الجبل على سبيل الاقطاع مقابل مال يؤدونه ، وهم ينصرفون الى توظيف طبقات البلاد ، وتصنيف اهلها على ما يرون . وما أثبت هذه الاصول بين اشراف لبنان ان الارستوقراطية فيهم كانت ثابتة لا تتحول عنهم لفقر او غيره . ويغلب على الظن انهم جمعوا في عاداتهم بين العادات العربية ، وشيء من العادات الغربية اكدسيوما في مخالطتهم الصليبيين .

وفي الحق ان لبنان القديم وليد امرائه من المعنبيين والنوخبين والشهابيين والمعين والارسلانيين وآل علم الدين . وقد أفر هذه العادات المشايخ الجبلالية والعمادية والكديبة والتلاحقة والملكية وبنو العبد وفي المسيحيين آل الخازن والدحداح والضاھر وحبيش وغيرهم . واخذت تحتفظ كل طبقة باصولها وعاداتها لا يباح لاهل طبقة

ان يتزوجوا من اهل طبقه أخرى ، ولا ان يخلطوا بهم الاختلاط الم لازم . وكان الجلال والوفار يغلبان على اهل كل طبقة . ويعمدون من اسباب السقوط ان يسف ابن أسرة من أسر الامراء او المقدمين او المشايخ فيصير الى غير اهل طبقته ، ولذلك غلب ضعف الاجسام على بعض هذه الطبقات ، وتأصلت فيها بالوراثة الامراض العضالة لخروجهم عن الطبيعة في الزواج .

وكانت لهم عادات نشأهم عليها حكاهم في السلام والجلوس والخطاب . وهم يغالون في الحرص على كرامتهم ، وبعد اكبر أعيانهم من الشرف ان يكتب اليه الحاكم ويلقبه بالاخ العزيز ويوقع له بالمحب الخالص . ويكتب الامير الى الطبقة الثانية من الشعب وهي طبقة المشايخ « عزيزنا » او « اعز المحبين » او « حضرة عز يزنا » او « جناب » بدل « حضرة » . واذا كان طبق الورق صغيراً او كبيراً ، او كان توقيع الحاكم في أسفل الكتابة او في اعلاه فان لكل ذلك معاني عندهم . والغالب ان القوم كانوا لقلة أشغالهم يتسلون بمثل هذه التافهات ، ويضعون لها قواعد من عند انفسهم ، ويتنافسون في رضا الحاكم والوصول الى مجلسه وثقبيل يده وثوبه ، تأصل هذا الداء فيهم الى العصر الاخير ، فكان من كتب له هذا الشرف لناقل خبره اهل بيته خلفاً عن سلف وعدوه في مفاخرهم . وقد كثر فيهم حب الظهور حتى ان المرء ليبيع بستانه وداره وبيذل ماله لينال عملاً صغيراً في الحكومة او ليكتسي الحرير هو وعباله ويتعاطم على اهل قربته . ومنهم من ابتعدوا عن مواطن الشرف ليتزلفوا الى من اعتقدوا ان في ايديهم اسعادهم . وكم من بيوت خربت بسبب هذا التمجيد بالباطل والتقرب من اصحاب السلطان بفساد الاخلاق .

وكانوا الى عهد قريب يقدمون الرجال على النساء في اعطاء القهوة او الخمر ، يرفعون مقام الرجل فوق مقام المرأة ، ولا يزال اثر ذلك ظاهراً في الطوائف الاسلامية . فلما اقتبسوا المدنية الحديثة أصبح الرجل عند المسيحيين لا شيء تقرباً في بيته ، والحكم لامرأته تصرفه على هواها ، خصوصاً اذا كانت اكثر تعليماً منه ، او كانت امرتها أغني من امرته وجاءته ببائنة او جهاز . وهذه الاخلاق ماثلة في بيروت وفي بعض البلاد المكثظة بالسكان . ويحترم الاولاد آباءهم كما كان ذلك

في سائر بلاد القطر ، على صورة فيها التشدد الزائد ، حتى ان الولد لا يكاد يجالس أباه ولا يقعد امامه ، ولا يواكله ولا يدخن أمامه ولا يرفع صوته ، ولوتزوج واولد ، ولا سيما في البيوت التي احتفظت بنقلها . وكانت العادة ان لا ينفرق اهل البيت الواحد معها كثر افراده ، يسكنون في دار واحدة واذا كانت الأسرة فقيرة ففي غرفة واحدة . وكثيراً ما يخصصون الولد الاكبر في الارث بشيء من العقار او الارض او المال ، يؤثرونه به على اخوته ، لاحتياجه الى الظهور وحفظ كرامة البيت وقبول الضيفان ، والغالب انهم يحرمون الابنة ارث ابها ، لثلاثين نقل الثروة الى أسرة أخرى ، شأن كثيرين من المخططين في سلم المجتمع ، بل شأن من يعدون انفسهم في الراقين ايضاً .

كان اللبناني يتزوج في الثامنة عشرة او العشرين من عمره ولا سيما في الطوائف الاسلامية ، والمسيحيون قد يتأخرون الى الثلاثين وبعضهم الى الاربعين . وقد يخطف العروس عرسه في بعض الطبقات ، اذا كانت من طبقة غير طبقة ، وتظاهر اهلها بانهم بآبون زواجه ، اولعاء بين اهل الخاطب والمخطوبة ، او لعدم الكفاة في النسب او المال . وكانوا يحبون كثرة النسل بخلاف ما نراهم اليوم بعد الهجرة ، فانهم أصبحوا على مثال الامم التي تريد تقليل الدربة في البيت ما أمكن حتى لا يدخله الفقر . وكانوا يعدون كثرة العيال من اليسر والبركة ، وقلقون لمن يتأخر حملها من نساءهم ، ويشرعون بمداواتها او وضع التعاود بهذا المصطلح عليها بينهم ، وينذرون النذور ان رزقت ولداً ، يقدمونها الي قدسيهم واوليائهم . ولم كغيرهم خرافات كثيرة منها تخويف الاولاد في صغرهم بخيالات ، فينشأ الولد عند بعض المسيحيين جباناً ، والدروز يلقنون اولادهم الشجاعة والفروسية فيأتون شجعاناً اقوياء . ولذلك كان الدروز منذ القديم في هذا الجبل على قلة عددهم يخاف جيرانهم بأسهم . وقد زاد هذا الجبن كثيراً بعد انتشار التعليم ومعرفة قدر الحياة ، فأصبح يجبن من لم يكن يجبن ، ونزعت الاخلاق الحربية الا من الدروز ، وأصبح القوم يؤثرون الراحة وبتطلبونها حيثما وجدوها ، ويزهدون في سكنى جبالهم على كثرة غرامهم بها ، وتمجيدهم لهوائها ومائها ومناظرها وعنائها . وربما كان اهل لبنان من اكثر الشاميين اقتداراً على الاعلان عن ارضهم ، والاعجاب بمجبلهم ، والتبجح بثروتهم واثاث بيوتهم ، وتمجيد رؤسائهم

وعلمائهم وأدبائهم . وهذا مما ساعد على اعمار الجبل بما جلبه المهاجر اللبناني من المال الى ارضه ، وسمت العمم باهله ان يعمره هذا العمران الواسع بالنسبة الى البقاع الاخرى ، ولولا ذلك لكان كسائر جبال الشام المخطاطاً وفاقه .

تسربت الماديات الغريبة الى لبنان اكثر من غيره ، فبعد ان كان اللبناني يأكل واهله وضيوفه على سفرة في الارض او على خشبة مستديرة من صحفة واحدة ، بادوات منها الخزف ومنها ملاعق من الخشب من صنع البلاد ، أصبح يجلس الى خوان وامامه صحاف وملاعق وشوكات وسكاكين ومائدته مغطاة بثوب ابيض ، وعلى يده مندبل الغمر ابيض ، واثنان الطعام نأنيه أرسالاً . واكثر هذا محسوس الاثر بين المسيحيين ولا سيما سكان الساحل . وقد بلغ بعضهم حب التقليد ان أصبحوا لا يكتفون بخمر بلادهم ، ويتغالى بعض اغنيائهم المترفين فيجلب خمور الغرب يسقيها ضيوفه على مائدته . وغدا لا يطيب له الزجل والمواليسا والمعنى والقراديات والغناء العربي والقصائد العربية ، وكانت تنبسط أرواح أجداده الى سماعها ، بل يحاول ان يسمع النغمات الافرنجية لانها اجمل وهو « ثفرنج » و « تأدرب » ويجب ان يقطع صلاته مع آباءه .

وهكذا يقال في الرقص والالعب كلها فانها أصبحت بين طبقات المتعلمين افرنجية محضة في بيروت وفنادق لبنان الكبرى . وقد ولع بعض النساء في البيوت الراقية على الطراز الحديث بالرقص والمخاصرة والمقامرة ولا سيما في بيروت ، ولوعاً لا تكاد تجد له مثيلاً فيما بلغنا وعرفناه من اخبار الاقطار الغربية . فقد ترى المرأة البيرونية ولا سيما من المسيحيات ترقص من الهزيع الاول من الليل الى الساعة الثالثة والرابعة صباحاً . وترى السيدة المتقدمة في السن منهن تجلس الى منضدة القمار تقضي الساعات الطويلة ، وقد يكون بناتها العتيات واقفات ينظرنها ليذهبن الى النوم وهي مستغرقة . وكثير عدد النساء اللاتي فقدن صحتهم وشرفهن لشدة ولوعهن بالقمار والرقص ، واذا رأيت ازياً منهن ، حسبتهم اوربيات وزيادة ، أفرطن في التقليد ، وغرتهن الظواهر من مدنية الغرب فاجتزأن بها ، وكانت المرأة المسيحية في جنوبي لبنان في القرن الماضي تتحجب وتجتافي عن غشيان مجالس الرجال من غير محارمها .

وفي أندية بيروت في الشتاء والفنادق الكبرى في الجبل مدة الصيف ، نموذج من الحياة البيروتية التي أصبحت مزيجاً غريباً من الاخلاق والعادات ، يبدو فيها التكلف والتصنع ، ويفقد منها الروح العربي ، وليس المسلمون فيها على مستوى جيرانهم في النهوض الاجتماعي حتى ترسم لهم الآن صورة بعينهم . وقد اخذت بعض البيوت التي اخذت المدنية الحديثة لا تنكح في بيوتها او مجالسها واجتماعاتها الا بالفرنسية وقليل منها بالانكليزية ، او يمزجون لغتهم الاصلية باللغة التي تعلموا بعضها في المدارس ، واصبحت معظم عادات السكان الفرنسية مقبسة منقولة لا أصلية أصيلة .

وانت اذا دخلت اليوم دار لبناني متعلم ممن كتب له السفر كثيراً ، ورأيت العادات القديمة محفوظة يأخذك العجب ، لان اللبناني يحاول ان يقلد ، ولطالما عولج في هذه السبيل حتى تنزع منه عاداته وتقاليد ، ويلحق بالافرنج في مناحيه ومنازعه . ومن أشنع ضروب التقليد انه اخذ بعد ان تعلم بعضهم في المدارس تعليماً ناقصاً أبتز يستعمل في سلامه وحديثه بعض الفاظ فرنجية ، تساوى في ذلك البحري الجاهل والتاجر المتمول ، فصارت احاديثهم مزيجاً من العربية والفرنجية كعاداتهم واخلاقهم . وأثبت ابن هذا الصقع انه ما استطاع ان يتخلى عن القديم برمته ، ولا استعداد لان يقتبس الجميل من الجديد بحملته .

واللبناني أكثر من غيره من سكان هذا القطر اقتصاداً وتؤدة ، ومعرفة بأساليب الحياة ، وبعدهم هم ، وشدة حذر . وهو نظيف لا كائن الجبال الاخرى ، وفي مسكنه وزراعته وحوائجه شيء من النظام . وقد تبنت في بيت الفقير منهم في احدى المزارع الحقيبة ، ولا تستنكف من مؤاكلته ، ولا تأنف من النوم في فراشه ، والجلوس على مقاعده ، والاتكاء الى وسادته . فالزعامة الزمنية من قبل عند غير المسيحيين ، والرياسة الدينية عند المسيحيين ، كاننا بين اللبنانيين على أتمهما لسهولة تسلط الزعيم او الرئيس الروحي على رعاياه ، لضيق الرقعة التي يمتد عليها نفوذه . وقد استفاد ابن الجبل من هذه الزعامة ترتيباً ونظاماً على الجملة ، وولد فيه حب التضامن والصدق بما يلقيه اياه الشيخ او الكاهن ، ورُبط الناس بقيود يصعب النفل منها بعض الصعوبة

وهذا أقرب الى النفع من فوضى تصرب أطنابها بين سكان الجبال الاخرى ، وجهالة ممتدة الرزاق على الكبار والصغار لا تدري متى ينقشع ظلامها . وقد اضطر السكان ان يتلد بعضهم بعضاً في باب الاخذ باسباب الترقى والتعليم . وكان للموارنة التقدم ثم لمن يليهم من الروم والكاثوليك ثم يأتي الدروز فالسنة فالشيعة .

فقدت عادات ليست بقليلة من الجبل وبما فقد اركاد لباس الفلاحين وهي العمام والسراويل والعباءات ولا سيما من القرى التي هي مصطاف البيروتيين والطرابلسيين والمصريين ، ولباس جمهور عظيم منهم الآن هو اللباس الغربي ، والقبعة الافرنجية شائعة الاستعمال في النساء والرجال ، ولا سيما عند من تعلموا التعليم الغربي في مدارس التبشيز في بيروت وما اليها من القرى والمدن . والقبعة اليوم تهزم الطربوش والعمامة والكوفية والعقال أمامها ، كما تنهزم المدنية الشرقية أمام المدنية الغربية طوعاً او كرهاً ، وربما كان لحالة لبان السياسية مؤخراً دخل كبير في هذا التمثل السريع . والمغلوب ابداً مولع بشعار الغالب . وكل ما قام به اللبناني من اقتباس التمدن قبل هذا العهد كان مقدمة الى هذه النتيجة . ولولا ان الهجرة فحرت عظام اللبنانيين ، وتغافل حبيها في شغاف قلوبهم ، لكاف الخطر كبيراً من هذه السرعة في اقتباس عادات ليست عاداتهم ، وأخلاق قلما تلائم أخلاقهم ، في ارض هي مفتاح باب البحار . وكأنا بلبنان اذا ظل غرام امله بالرحيل عنه على هذه الصورة طلب الغنى ، يوشك ان يفرغ من سكانه ، وسكانه يتعلمون لايكونوا فلاحين وصاعاً بل تجاراً ومستخدمين . وقد أولعوا بتقليد الامم العظيمة الغنية في عامة مناحيهم وهم لا ثروة ثابتة لهم ، وفي ذلك ما يخشى عليهم من عواقبه ، ومن أظهر شؤمه على مجتمعاتهم ما نسمع به اليوم بعد الآخر من كثرة الاختلاس والاحتيال في دواوين حكومتهم وبيوت تجارتهم بحيث كادت ترتفع ثقة الغرب منهم ، ذلك لان المملوك فيهم يحاول ان يعيش عيش ارباب الطبقة الوسطى ، وهؤلاء لا يقنعهم الا ان يدانوا الطبقات العليا ، وتقليد اوربا أوقعهم في شرامورهم ، وفاتهم ان الأمة لا تفلح الا باقتباس الجديد ، والاحتفاظ بالقديم المفيد ، وان كل شعب يحاول ان يرتجل عاداته ، وبصطنع اخلاقه ، يندغم في غيره ، ويذوب في بوتقة من يريدهم ولا يريدهم .

العادات في الارزاء
الاخرى
تختلف العادات في القرى وتقتارب ، بحسب
قربها وبعدها عن الحواضر على الاغلب ، وبحسب
اصول سكانها ، فاذا كانوا من اصول عربية تجلت فيهم عادات البادية كاهل حوران
مثلاً فانهم على قربهم من دمشق قد رسمت فيهم العادات البدوية ، كاهل الحواضر
والبوادي من سكان اقصي الجنوب . ذلك لان العرب تسربوا الى الشام ادلاً من
الجنوب قبل الاسلام بقرون ، وما زالت موجات الهجرة تأتيها من تلك الاصقاع .
وبينا نجد اهل غوطة دمشق كاهل الحاضرة في مناحيهم كما يقول الرحالة ابن بطوطة ،
تري اهل المرج مرج دمشق ، ومأم من الغوطة ببيعيدين ، كاهل حوران ، في
عاداتهم ولباسهم وطراز معيشتهم . تمثل فيهم عيش البدادة ، وهم فلاحون مقيمون على
الحرت والكرك وماشييتهم قليلة . وعادات المسيحيين في حوران وجبل الدروز ومادبا
والكرك كمادات المسلمين السنة والدروز ، والتعديل القليل يدخل على عادات المسيحيين
لانهم اسرع الى التعلم من الاكثرية وان كانت الاقليات في الغالب تفتى في
الاكثرية . بيد ان الحال كانت على ذلك قبل الانتباه الاخير في الاقلية . مثال
ذلك ان النساء المسيحيات في نابلس وحماة يحجبين كالمسلمات مراعاة لعادات الاكثرية .
ولباس اهل بلاد غزرة والخليل ونابلس كلباس اهل حوران ، كوفية وعقال وعباءة
وقطائف . وكذلك اهل برحمة وحمص والمرة وما اليها مما هو في سمت الشمال
من الاصقاع . وسكان قرى حلب القريبة ، كسكان قرى دمشق يلبسون المائم .
وهذه لا تلبث ان تزول بالطربوش ، لان المتعلمين من ابناء القرى يؤثرون لباس
الطربوش على المامة او الكوفية . دع اهل المدن فقد قلت المائم فيها . ولذلك يصح
ان يقال ان القبعة تهزم الطربوش من الساحل ، والطربوش يهزم المامة في الوسط ،
والمامة تهزم الكوفية والعقال من سائر اطراف القطر النائية . وهكذا لا ترى وحدة
في اللباس في اية ناحية من انحاء الشام اجتزت بها . وقد يظن الغربي الذي اعتاد
عيونه رؤية التوحيد في الملابس ، اذا مر باحدى الحواضر عندنا ، انه في فاعة
تمثيل هنلي ، تعرض فيها صور من البشر غريبة في حركاتها ولباسها .
جاء في « دواقي القطوف » ان عادات الحورانيين في أعراسهم وولاداتهم

وآتمهم شبيهة بعوائد سورية القديمة ممتزجة ببعض عادات العرب ، مثل دفع الحاطب لوالد عروسه تقدما سيف القديم عشرة آلاف غرش تخفض الى ستة آلاف ثم الى الف غرش فقط لعهدها هذا عند المسيحيين . وعندهم اللطاف (النقوط) ورشق العروس عند مرورها في البلد بالعنصل (بصل الفار) . وفي المآتم يحملون الطعام الى بيت الميت . ومدة التوح سبعة ايام كاملة . ومن العار عندهم بكاء الرجال الى غير ذلك . واهم ملابس الرجال القمصان الطويلة البيضاء المرسلة الاردان ، والغنبار من نسيج الديما القطنية او الحريرية ، وسلطة (قنطيشة) واسعة الكمين قصيرة ، من الجوخ الازرق ، مطرزة بالحرير الاحمر الباقى ، والفقراء يتخذونها من الخام الازرق بلا طراز . وعلى رؤوسهم الكوفية والعقال . وفي ارجلهم المداس و « الجزمة » (الخذاء) . اما ملابس النساء فقميص ازرع ملون التطريز ، واسع الاردان والاكمام ، وفوقه « سلطة » اكبر مما يلبسه الرجال اما من الخام او الجوخ . وعلى رؤوسهن « شنبر » اسود حريري . فالمتزوجات يتلفعن به ويربطنه من وراء . والعزبات يعصبن رؤوسهن فوق المنديل . ولبسن « البوابيج » (السراميج) الصفراء والجزمات القصيرة ، ويتخذن زناراً من الفضة (حياصة) قيمته اكثر من الف غرش ، وله ذوائب مسترسلة ، وفي معاصمهن اساور فضية ضخمة ، وفي ارجلهن خلاخيل فضية ، وفي آذانهن تراكي ذهب (حلق مستدير) ، وعلى رؤوسهن عصاية من قماش مرصوفة بنقود ذهبية تعرف بالشفكة ، وفي اصابعهن خواتم فضية . ويستعملون جميعهم نساء ورجالاً الوشم الى غير ذلك مما يختلف باختلاف حالتهم اهـ .

وعادات السكان في القرى تشابه وكذلك ألبستهم ، وكلما بعدوا عما يقال له التمدن تمازجوا ونضامنوا ، فما يزال المسلمون في بعض قرى وادي بردى اذا كان عند جارهم المسيحي فرح او ترح بأقبي المسلمون يخدمون ضيوفه ، ويقدمون له الهدايا لبييضوا وجهه أمام الواردين عليه وبالعكس . وهذا من أجمل العادات في التضامن بين اهل البلد الواحد . وعادات المسلمين في الساحل والداخل متشاكلة ، وكلها مقتبس من عادات اهل دمشق . فدير الزور وحلب وحماة وحمص والمرة وانطاكية واللاذقية وطرابلس وبلبك وبيروت وحبيدا وصور وصفد والنبطية والصلت وناپلس وعكا

وحيفا و يافا والقدس والخليل وغزة ، و بالجملة فكل بلد فيه كثلة اسلامية او مسيحية من السكان لا تعجد عاداته الا دمشقية ، واهله يقتبسون من دمشق الى اليوم مايرى قهرم من عاداتها ، ومدينة دمشق محبوبة تهفو اليها نفوس الشاميين عامة ، واهلها محبون للرفة التي فطروا عليها ، ولانهم يعطفون كثيراً على الغريب وربما اغروا في عطفهم وآثروه على ابن حبيهم وكل من دخلها ولا سيما من سكان القطر متى خرج منها اكناب ودعاهم بالمار ولو خسر فيها جزءاً من ماله . قال القزويني : « واهل دمشق احسن الناس اخلاقاً وخلفاً وزياً وأميلهم الى اللهو واللعب ولم ينف في كل يوم سبت الاشتغال باللهو واللعب » ووصف اجتماعهم هذا الذي يدعى اليوم سبتية اي يوم يستوت وما يجري فيه من المساخر والصراع والغناء والالعاب بما لا يخرج الآن عما كان منذ نحو الف سنة . والغالب ان السبتية من عادات اليهود سكان البلاد الاصليين كما ان إضراب بعض المشايخ عن القراءة ايام الثلاثاء ، من عادات الصابئة لان يوم البطالة عند الصابئة يوم الثلاثاء . ومع هذا فقد مدح الدمشقيون منذ القديم كثيراً وهجوا كثيراً . ولعل المادح والقادح لا يخلوان من مبالغة .

ومن يتزوج من اهل هذا القطر بامرأة دمشقية يحسب نفسه سعيداً ، فالدمشقيات يتفر بن كثيراً ، وما يرحت دمشق تضم اليها الغرباء من اهل البلاد الاخرى وتتمثلهم ونعيمها عمن يدخل اليها من الرجال بعض نساءها ، يدخلن فيها عادات العاصمة الأموية ، ويمزجن اهل الوطن الواحد من طريق الأسر والبيوت . والبدو والحضر من جميع النحل يؤثرون البنين على البنات ، وكلهم يلدون كثيراً ، ويعيش الأطفال في المدن اكثر من القرى ، للمناية بصحتهم ووجود الاطباء والقوابل . ولولا ان البدوي يولد له كل سنة لا انقرض نسله لكثرة الغزو والتدحج في الدهر السالف .

وجميع النساء المسلمات في الشام في القرى سافرات يعملن مع الرجال في الحقول والمراعي على صيانة لانبذل فيها ، ما خلا بعض القرى القريبة من الحواضر فان عادة العجائب مرت اليهن ، فيلبسن ملاءات من احمر اسود او ازرق على الاغلب . وفي بعض المدن ملاءات ملونة باصفر واحمرهما او بابيض فقط . ولكن نساء دمشق خاصة اخترن زياً من الملاءات ومنسادل الوجه ، اقتبسنها عن نساء الاستانة ايام كانت

الحجاب شائعاً في نساء الترك . فلما كشف الحجاب في تركيا في العهد الاخير وأصبح زيهن كزي الغربيات قبعات على الرؤوس وأثواب قصيرة خفيفة . وزال الحجاب او كاد عند نساء مصر بالطبيعة لتغلب المدنية عليهن ، بقي نساء حواضر الشام كبيروت ودمشق وحلب وطرابلس حائرات يطمع بعضهم الى تقليد التركيات والمصريات . ولكن شدة المسيطرين من الرجال ، اضطرتهم الى الوقوف الآن عند حد حجابهن القديم ، فيظهرون في الشوارع في حبرات سوداء مسدولة الى اعقابهن ومناديل سود مسبلة على وجوههن ، وقد تكون سبب المتبرجات شفاقة جميلة لا تكاد تحجب الوجوه بل تزينها وتدعو الناظرين الى ارسال الطرف اليهن .

ومنذ هاجر الجركس من القافقاس بعد الحرب الروسية التركية سنة ١٢٩٤ الى الشام واسكنتهم الدولة العثمانية في بعض قرى منبج وحمص وحمص ودمشق وعمان وجرش والقيطيرة ، أدخلوا الى البلاد بعض عاداتهم في تربية المواشي والفلاحة والصناعات الزراعية . ويغلب على الجراكسة الامساك والتضامن لانهم في حاجة اليه لدفع عادية البوادي عنهم ، ويغلب التدين على شيوخم والشجاعة على شبانهم . واذا أراد الشاب منهم ان يخطب فتاة خطفها من بيت ابيها مما كانت منزلتها ومنزلته . ونساؤهم يظللن سافرات مادمن أبكاراً وعانسات ، حتى اذا تزوجن عمدن الى الحجاب وابتعدن عن محالس الرجال . والفتيات يخلطن بالفتيات ويغنين ويرقصن معاً ويتسامرون ويتحدثون من دون تكبر . ويقل فيهم تعداد الزوجات ، والمرأة الجركسية مثال المرأة الصالحة في تربية اولادها وادارة شؤون بيتها .

وقد اخذ الصهونيون في فلسطين بدخول عاداتهم منذ كثر سوادهم فيها ، ولكن من الصعب ان يقتبسها السكان الاصليون لانهم ينظرون اليهم نظراً اعداء ، وان كان في عاداتهم الجليل جداً كحب النظام والترتيب والنظافة والاقتصاد ، وتجويد الاعمال الزراعية على اختلاف ضروبها . وكذلك الحال في المهاجرين من الارمن الذين تسربوا من الشمال وامتدوا الى الجنوب قليلاً الى الغرب ، فان من عاداتهم ما هو المعقول ، وهو تضامنهم الى ما لا حده ، واقتصادهم ومهارتهم في التجارة والصناعة ، بيد انهم لا يمتزجون بالشبابين ويريدون كالصهونيين ان يعاملوا اهل البلاد ليربحوا

منهم فقط ، لا لتكون بينهم المنافع مشتركة كما هو الحال بين أبناء هذا الوطن الواحد على اختلاف نحلهم ، وعلى كثرة ما يوقد الواقدون من الرؤساء المتعصبين من جذوة التعصب ، يوشكون ان يقاطعوا غير أبناء جنسهم ، ولكن السواد الاعظم اذا عاملهم بالمثل وعمدوا الى مقاطعتهم لا يبقى أمامهم سوى الرحيل .

واهل دمشق وحلب بل واكثر المدن الداخلية من اشد الشاميين محافظة على عاداتهم واخلاقهم ، ولم يفرام الى اليوم بالتلقيب بالفاظ التشريف ، واستعمال الالقاب الضخمة ، راجت رواجاً كبيراً على آخر عهد الترك العثمانيين ، لان رتبهم والقبائل مما كانوا اسرفوا في منحه الرفيع والوضيع ، فصار اهل الطبقتين الوسطى والدنيا لا يتخاطبون الا بلقب « باشا » او « بك » او « افندي » و « دولتك » « عطوفتك » « معادتك » « سماحتك » « فضيلتك » « سيادتك » . اما القاب سيدنا ومولانا فتكاد تؤلف جزءاً مهماً من احاديثهم . ابتليت الامة بهذه الالقاب كما ابتليت بالتلقيب بالدين في القرن الخامس الى القرون الاخيرة . وقد وصف ابن جبير ما آثم اهل دمشق وجنائزهم في الدولة الصلاحية فقال : وتقباء الجوائز يرفعون اصواتهم بالنداء لكل واصل للعزاء من محتشمي البلدة واعيانها ويحلوهم بخططهم الهائلة التي قد وضعوها لكل واحد منهم بالاضافة الى الدين^(١) فتسمع ما شئت من صدر الدين او شمس او بدره او نجمه او زينه او بهائه او جماله او مجده او فخره او شرفه او معينه او محبيه او زكيه او نجيبه الى مالا غاية له من هذه الالفاظ الموضوعة ، وتنبعها ولا سيما في الفقهاء بما شئت

(١) اول من لقب بالدين في الاسلام بهاء الدولة بن بويه ركن الدين وذلك في القرن الرابع للهجرة . وسرى هذا التلقيب الى العلماء ثم سميت نفوس العمامة الى التلقب بالدين فأصبحت بعد القرن الخامس لا تسمع الا القاباً هائلة مضافة الى الدين تساوى الناس في التمجيد بها ولم تخل من التحلي بهذه الحلية سوى الاندلس لان دولم بقيت عربية الروح والجسم حتى في الايام التي كان الحكم فيها للبربر . وقد حمل بعض العلماء قديماً على هذه الالقاب المبتدعة لمخالفتها للشرع ولما فيها من تركية النفس المنهي عنها . قال الفلقشندي : وبقي الامر على التلقيب بالاضافة الى الدولة الى ايام القادر

ايضاً من سيد العلماء وجمال الائمة وحجة الاسلام ونفر الشريعة وشرف الملة ومنفي
الفريقين الى ما لا نهاية له من هذه الالفاظ المحالية ، فيصعد كل واحد منهم الى
الشريعة صاحباً اذياه من الكبر ذليلاً عطبه وقذاله قال : ومخاطبة اهل هذه الجهات
قاطبة بعضهم لبعض بالتمويل والتسويد وبامثال الخدمة وتعظيم الحضرة واذا لقي احد

بالله فافتتح التلقيب بالاضافة الى الدين وكان اول من لقب بالاضافة اليه ابو نصر
بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه زيد على لقبه بهاء الدولة « نظام الدين » فكان
يقال « بهاء الدولة ونظام الدين » . قال ابن حاجب النعمان : ثم تزايد التلقيب به
وأفرط حتى دخل فيه الكتاب والجند والاعراب والاكراد وسائر من طلب واراد
وكره حتى صار لقباً على الاصل . ولا شك انه في زماننا قد خرج عن الحد حتى
تعاطاء اهل الاسواق وآمن في مسامهم ولم تصر به ميزة لكبير على صغير حتى قال قائلهم :

طلع الدين مستغنياً الى الله — وقال العباد قد ظلموني
يتسمون بي وحقت لاء — رف منهم شخصاً ولا يعرفوني

وقال ابو الريحان البيروني : وبنو العباس لما لقبوا أعوانهم بالالقباب الكاذبة ،
وصوروا فيها بين الموالي والمعادي ، ونسبوا الى الدولة بامرهم ضاعت دولتهم ، فانهم
أفرطوا في ذلك حتى احتج للقائم بحضرتهم الى فرق بينه وبين غيرهم فثنوا له التلقيب
ورغب في مثل ذلك غيرهم ، وكان الراغب يُسجح حاجته بالبذل ، وثنزاح عنه
بالادلاء ، فاحتج ثانياً الى الفرق بين هؤلاء وبين الخنص بحضرتهم ، فثلثوا له
التلقيب والحقوا به التامها نشاحية . وبلغ الامر غايته من التكليف والثقل ، حتى ان
الذاكر يمل ذكرهم قبل ان يبتدي به ، والكانب بغني زماناً واسطراً ، والمخاطب لم
على خطر من فوت وقت الصلاة . قال وكذلك وزراء الخلافة قد أُقبوا بالاذواء
كذي اليمينين وذوي الرئاستين وذوي الكفابتين وذوي السيفين وذوي القلبن وأمثال
ذلك . وتشبه بهم آل بويه لما كانت الدولة منقلة اليهم ، وبالفوا فيه واستغرقهم
الكذب فسموا وزراءهم بكافي الكفاة والكا في الواحد وأوحد الكفاة . ولم ترغب
السامانية ولا خراسان في هذه الالقباب بل اكتفوا بالتكنية . وكانوا يذكرون في

منهم آخر مسلماً يقول جاء المملوك او الخادم يرمم الخدمة كناية عن السلام ، فيتعاطون المحال تعاطياً ، والجد عندهم عنقاء . مغرب . وصفة سلامهم ايماء للرکوع او السجود فتري الاعناق ثلثا لعب بين رفع وخفض وبسط وقبض وربما طالت بهم الحالة في ذلك ، فواحد ينحط وآخر يقوم وعمائمهم تهري بينهم هويآ . وهذه الحالة من الانعطاف الركوعي في السلام كناية عهدناه لقينات النساء . وعند استعراض رقيق الاماء ، فيا عجباً لهؤلاء الرجال كيف تحلوا بسمات ربات الحجال لقد ابتذلوا انفسهم فيما تأنف النفوس الالوية منه واستعملوا تكفير الدمى المنهى في الشرع عنه لم في هذا الشأن طرائق عجيبة في الباطل فيا للعجب منهم اذا تعاملوا بهذه المعاملة وانهبوا الى هذه الغاية في الالفاظ بينهم فيما اذا يخاطبون سلاطينهم ويعاملونهم لقد تساوت الازناب عندهم والرؤوس ، ولم يميز لديهم الرئيس والمرؤوس اه .

بمثل هذا اللسان الغريب وصفنا ابن جبير . ولما أفرط القوم في عاداتهم في الجنائز والمآتم والافراح والمجتمعات والقيام والقيود وتبادل السلام وتقديم القهوة والشاي وغيرهما ، ودخلت في طور من الهزل عجيب ، زهد فيها التعللون على المناحي الغربية ، وانشأوا يبتذونها بذ النواة . وخفت ايضاً الفاظ التكريم عن عهد الترك وهي آخذة بالزوال ، وبقدر ما يكثر سواد المتعلمين يقل سواد المداهنيين والمرائين ، على ما يقل المخرفون والمعتقدون . فقد كانت بعض الناس يعتقدون بالفال والمعدل والكيمياء والاحلام والكشف ، فقل اليوم من يفتنون الى هذه المسائل ، وخفت وطأتها حتى من القرى البعيدة . والمنورون من الناس قسماً قسم وقف عند حدود الشرع واكتفى بازماءه ، وآخر نزع ربة الدين ولكن في سره دون الجهر من القول .

حياتهم بالملك المؤيد الموفق والمنصور والمعظم والمنصور وبعد وفاتهم بالحميد والشهيد والسعيد والسديد والرضي وأمثال ذلك . ولكنهم لقبوا قواد جيوشهم بناصر الدولة وعمادها وحسامها وعميدها وسيفها وسنانها ومعينها ونصيرها اقتداءً بافعال الخلفاء . وكذلك فعل بغراجان من نلقب نفسه بشهاب الدولة ، وجاوز نفر منهم هذا الحد فسموا انفسهم بامير العالم وسيد الامراء . فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا وأظهر لهم ولغيرهم عجزهم اه .

. وبعض العادات لا تقوى على تزعمها إلا الأيام الطويلة والنشوء السريع ، وهذا متعذر الآن لتعذر نشر التعليم الإلجباري في الشعب ، فقد كان النساء إلى عهد قريب في الأحياء البعيدة عن مدينة حلب يخرجن في الجائز مستخفات وجوههن مخشطات لما لا بأس ثياب الحداد ، باكيات مولولات منتحبات وهذا من عادات الجاهلية التي منعها الإسلام .

وأول المسؤولين عن إقرار مثل هذه العادات المشايخ والوعاظ وأرباب الصحف . وقل أن رأينا من المشايخ والوعاظ من يتعرض لانكار مثل هذه البدع والعادات الضارة . أما الصحف فعلي كثرة ما نشرت من الأنوار في طبقات مخصوصة من الناس وفي البلاد الممدنة ، فقد بقيت في ناحية من النواحي مقصورة كل التقصير ، وهو البحث في العادات المفسدة والأخلاق السافطة . وأنا ليحزنا أن كان في الصحافيين أناس لا يزيدون المجتمع إلا فساداً فوق فساد ، لا ينهم بلقنوث العامة الكذب ، الخديعة والملق ، ويدعون أن قراءهم لا يرضون منهم إلا بهذه الطرق . ولكننا على يقين من أنهم هم يبيعون من قرائهم ما يتفق مع مصلحة جيبوبهم وأكياسهم . ومن أصعب الأشياء على النفوس الكريمة أن يندس في غمار رجال الصحافة أناس في الغاية من السفاهة والجهل المركب . وهذا من عواقب الحرية المفرطة ، فكل من يش من تحصيل رزقه وسدت في وجهه مذاهب المعاش لا يرى له باباً أعود عليه بالفوائد من إنشاء صحيفة ، والطعن والقذف بالناس أو اغرائهم بالمدح والتجليل . وهذا من استخف خسروب الاحتيال والتدجيل . فكان التدجيل إلى عهد قريب من خصائص بعض مشايخ الطرق فذهبت الآن ريجهم أو كادت وخلتهم هذا الضرب من الناس .

يمكن إرجاع أهم صفات الناس في هذا القطر إلى مادتين أصليتين « الوفاء والكرم » ولا تزال هاتان الصفتان ماثلتين في معظم الشاميين على كثرة ما اعتور مجتمعهم من تبدل وتعديل . وتجد هاتين المزييتين على أتمهما في كثير من أهل الطبقات الوسطى والدنيا ، يقومون عليها غالباً من دون أن يتوقعوا عنهما أجراً سمارياً أو مظهرأ دنيوياً . أما الطبقة العليا فمن النادر أن يكون فيها الوفاء والكرم ، وإن وفيت فلامر ما نفي ، أو تكارمت فلغرض ترقيته . وكما ضعف لوازع الدين في القوم ، وهاجهم عادات الغربيين ، انحلوا من عهدة الوفاء والكرم ، ولذلك ترى

الأوفياء والكرماء بعيدين الأقبلاً عن المناطق التي اختلطت بالغريب على سواحل البحر ، وأخذت من معارفه ، وتخلقت بأخلاقه ، واعتادت عادته .
ومنذ شاع الكذب والحسد في الشاميين ، ضعفت مادة حياتهم من التجارة والصناعة ، وكادت ثقة الغرب ترتفع منهم ، وإذا كتب لهم أن عاشوا في الجملة اليوم فبفضل الأسس القديمة التي قام عليها مجتمعهم وجامعتهم ، وبفضل نشاطهم في مهاجرهم حيث رأوا أنفسهم أمام جاليات كثيرة من الأمم اضطرتهم الحال معها أن يظهروا بظهر الأمانة ليعتاشوا ويرتاشوا . أما الحماس والمشاغبة فلم تقطع شأفتها فيهم حتى في ديار الغربة ، وربما زادوا على ما كانوا ألفوه منها ما رأوه في مهاجرهم عند الأمم الأخرى فاقبسوه وأضافوه إلى رؤوس أموالهم . وربما بلغت الجالية الشامية نحو ألف الف نسمة أي نحو سبع سكان القطر ، فما أمرهم بالسير إذاً حتى لا يشار إليهم بجملة ، لأنهم على الأقل يمثلون صورة من أمل البلاد في الخارج ، والأجانب لا يعرفون إلا أنها صحيحة مطابقة للأصل ، لأنهم مرأ مثل طبقات الشعب . ولو نزلوا في البلاد التي ينزلونها ، كما تفوقت قلوبهم في موطنهم الألي ، لكان لزاماً أن يؤثر ذلك في أخلاقهم وعاداتهم ، ولكسك ترام في مهاجرهم بجمعهم أهل كل إقليم بأقاييمه على الأكثر ، وقد لا تختلط لغاتهم بسكان الديار التي ينزلونها إلا كما يختلط الشامي بالمصري إذا نزل مصر ، يختلط به ليرج منه ويحفظ بشأيمته وتقاليده بعد جيلين وثلاثة وأحياناً بعد أربعة وخمسة .

عادات القبائل
وأحلافها
تمن أوسيع أهل القطر الشامي اليوم أي نحو خمسمائة ألف نسمة بادية أو قبائل رحالة ، ويقال لهم في الاصطلاح العرب أو العربان ، تصطاف في مكان وتشتو في آخر ، وقل من يألف منها سكنى الدور ، ويهجرهم من الخيام والمضارب تخرج من شعرا العزى ، يمدونها بمد ويشدون بها باطناب ، ويضربونها حيث نزلوا لرعية ما تبتهم ، يحملون معهم اثاثهم وخزائيم ودوابهم ومؤناتهم ، وهم شادية يقومون على تربية الشياه والعنز ويربى بعضهم الإبل ، والشادية من الاسماء التي تطلق على عشائر دير الزور على الفرات خاصة لأنهم جماعة

شياه - ومعاش البدو من مواشيهم وما تدرّ عليهم من السمون والالبان والاجبان والزبد وما يبيعون من نتاج قطعانهم ، او من غزو بعضهم بعضاً ان كانوا اشراراً على الفطرة لم تُندم اخلاقهم قليلاً بالاحتكاك بالمتحضرين ، واذ كان سكان البادية على هذه الحالة من التنقل واكثرهم يوغل في الشتاء الى وسط بلاد العرب انتجاعاً للكلاء والماء ، أصبح من المعتذر ان ننشأ لهم حالة ثابتة يتأق معها وصف كل قبيل منهم في عاداته وأخلاقه .

وعرب الشام من اصول شتى وقد تُنغير اسماء قبائلهم معها عظمت في كل قرن او قرنين ، فقد تغيرت اسماء القبائل التي كانت معروفة بدخول الاسلام الشام ، في القرن الثالث او الرابع ، وما عرف من اسمائها في القرن الثامن او التاسع تبدل في القرن الحادي عشر والثاني عشر ، وهكذا تبدل اسماء العشائر تبعاً للتأمر عليها ، وقد تسمى القبيلة كلها باسم اميرها او شيخها . والعشائر كلها تُقسم الى أنفاز وبطون ، والامارة او المشيخة ترجع على الأغلب لمن كان له اصل قديم من بيته ، او من كان اذكى قومه جناتاً ، وابسطهم بالكرم يدأ ، وأشجعهم يوم النزال قلباً ، وأصلبهم في الحوادث عوداً ، ثم تُنقل بالوراثة .

وغزو القبائل بعضها بعضاً يحول دون بقاء الثروة الناطقة والصامدة فيهم ، فقد تكون القبيلة اليوم في الغاية من طيب العيش ، ناعمة البال - مجلّلاً اي ماشيتها ، فتغزى من الغد في عقر دارها ، فلا تلبث ان تصبح أعرجى من مغزل لا سجد لها ولا لبد . دع ما يصيبها من نقص في الانفس ، فقد كان من النادر ان يجد رجلاً بلغ اقصى سن الشيخوخة لانه يُعتبط في الغزوات ، ويُقتل في سن الفتوة غالباً . والحكومات الشامية اليوم تحظر على القبائل الغزو ، وهم يخافون سطوتها لكان السيارات ورشاشاتها في الارض ، والطائرات وقذائفها في الجو ، وتحاول كل حكومة ان تعطي البادية ارضاً تزرعها لتأوي الى البهوت الثابتة ، وتُحلى عن عيش البداوة وما تستلزمه من شقاوة وشقاء . ومن عشائر الشام ما عرف انها كانت رحالة فأصبحت مزارعة مقيمة ، ولدت لها عيشها الثاني فاغثت يوم تحضرت ، مثل الدنادشة او بني دندش فهم قبيلة يمانية جلت الى حوران منذ نحو ثلاثمائة سنة ، ثم انتقلت الى أرجاء تل كلخ من عمل

حصن الاكراد ، ولحم اليوم قرى عامرة وبيوت وقصور في قرى الفتايا والحوز ومدان
وحير البصل والموح ومشق حمودة ومشق حمزة وبرج الدنادشة وغيرها ، وظلت
اخلاقهم الى عهد قريب اخلاق العشائر يجوبون الغزو والسطو ويحمون الثمار
والجار ، وهم على حصة موفورة من الكرم والوفاء وصحة العهد . وانفق مثل هذا التحول
لكثير من عشائر الحديديين والموالي وبني خالد ، فانهم لما امتلك السلطان عبد الحميد
الثاني ارضا واسعة في الشمال الشرقي من الشام في ارجاء حماة وحمص ، حمى العشائر
ومنع الغزو بينها ، فتحضر من هذه العشائر عدد كبير انصرفوا الى اعتمال الارض
والعناية بالزراع والضرع . وهكذا كانت الحال في القديم والحديث ، تدخل البادية في
الحضارة ، وقل ان خرج افراد من الحضارة الى البداوة ، لان الترقى سنة الطبيعة ،
والبداوة اصل ثم يذوب اهلها على الزمن في الحضرة .

تبعد منازل البدو عن سواحل البحر المتوسط غالباً ، ولا تزال تمتد في الداخل
حتى ينتهي العاصر من ديار الشام في الجنوب والشرق ، وهناك البداوة باجلى
مظاهرها . والاولى ان يقال مثلاً في عشائر المضل والموادجة والمجائرة النازلين على
ضفاف بحيرة الحولة ، وبني صخر الضاربين في البلقاء ، وبني حسن في عجلون ، والحسينية
والقواعرة والعكيدات في ارجاء حمص ، وبني خالد عرب حماة ، والحديديين والموالي
واللهيب والغيار عرب حلب ، والسبعمية والفدعان من عنزة النازلين من بحيرة الجبول الى
سلمية وعشائر البشانة والبواتية والغزاوية والمسايد ونقار والصقور عرب يمان ونابلس
وجنين وطولكرم ، وعشائر شرقي الاردن التي تشتهر في وادي العربيه او الاغوار ،
والحماد اي الصحراء العربية شرقاً ، وتصطاف في بلاد معينة الحدود معروفة — فالاولى
ان يطلق على هذه القبائل اسم نصف حضرة لان منها من يزرع الارض ، ومن
افلح في الفلاحة ، وابقن على الايام ان العيش الثابت خير من المتقلقل ، وان من
يدفع للدولة اجرة حمايته ، اماً بالآمن يتكل في حمايته على نفسه وسيفه وعصيته .
وهكذا يقال في عرب الغيات والعمور في اللجا والصفاء ، وعرب العدوات
والايديات والعباد والمشالخة والحمايدة والشوابكة والدعجة والعجارمة والنمر والكابد
في اطراف عمان والصلت ومادبا ، والحرشان والجبور في الموقر والعليا والتقيرة ، وبني

حميدة والسليط والحجايا والحباشنة والصرايرة والطارنة وكثيرة والمعابطة والحجالي والمدائن في ارجاء الكرك ، والحويطات والدمازية وابي تابة والمطالقة والنعميات والديابات وبني عطية في جهات معان ، وعرب الشرور وبني عطا والحللات والعبيدية والعلايا في وادي مومي وجبال الشراة ، والحديدات وعبيدين والبحارات والكلالدة والوهبيات والمناعين في الطفيلة ، فان كثيراً منهم يزرعون الارض ، ويقومون على تعهد الماشية ، وقد يبعدون في الانتجاع ثم يعودون ادراجهم .

وعلى مثل هذه الحال عشيرة العمور في ارجاء تدمر وعشائر بو شعبان في السجفة والجبور في البوكمال والكعيدات في الميادين ودير الزور وغيرهم من العشائر النازلة على شط الفرات الغربي فانها كلها نصف متحضرة وبقليل من العناية تدخل في المدنية وتترك عاداتها وشقائها ، ويسوغ لنا ان نستنتج ان البادية حتى اكثرها اغتالا في البداوة يمكن تحضيرها اذا اكرمت على التحضر خلافاً لما يذهب اليه بعض اهل الغرب . وفي الشام قبائل من البدو مثل عرب الروالة من عنزة وهم لا يقلون عن عشرين الف نسمة ، يتقلون ابدآ كالوَر او انجر كل مدة في ناحية ، ولا ينزلون المدن الا لابتياح حاجاتهم وبيع جمالهم واصوافهم والبانهم . والنور جيل من الناس في احط طبقاتهم ، يرتحلون كالبدو ويعملون الاعمال الخسيسة ، ولذلك يحنقهم جميع اصناف العالم من اهل المدن والقرى والبدو ، وهم قلما تخلو منهم بلاد ومنهم عدد كبير في بلاد اوربا .

ولا تختلف عادات العشائر لانها كلها في حالة اولية فطرية هدتهم اليها الحاجة الى الحياة فعشائر ولد علي والمرحان والمجمل والسردبة والنعم في حوران والقنيطرة والزوية ، والزيقات في طرابلس والتيامة والعزازمة والترايين والجبارات والحناجرة والكعابنة والصرايرة والجهالين وفقرة وثباني ومارين وفرحات وزو يدهين وضواحك وسلامات وصقير والرسيلات وابي صونية والغوالبية في اقصى فلسطين اي في ارجاء بئر السبع وعنزة والخليل والمجدل ، وعشائر القدس ورام الله وبيت لحم واريحا ويافا والرملة كالسويطرة وعرب النبي روبين والجساسين وابي كشك والسوالمية والعوجا والدبوك والنويمة والخطباء والفهيرات والعربينات والصيريات والتعامرة والعبيدية والسواحرة وعرب حيفا وعكا زمارين والناصرية وطبرية وصفد وهم الغابة والعواضين

والشقارات والزبدات والنواحة والكابية والضيبة وبنى عزة والنغناغية والرمل وعرب
التركان وجسر الزرقاء وقسارية والفقرة ونفيعات والدمائرة والسواعيد والسمنية
والغوارنة والسويطات والحجيرات والطوقية والمريسات وصبيح والحجيرات والمزارب
والسبارجة والجواميس والغزالين والتلاوية والمواسي والسرجونة والسدور والسمائرة
والخرامية والسمائية والمنارة وكراد الخيط والملاحاة والشمالسة والبويزبة والزفغرية
وزبد وقديرية وطوبا وحسينية وعلانية ووقاس والصوبلات والنميرات ، وعشرات
من القبائل كلها متشابهة في عاداتها واحوالها الطبيعية وجلها لا تسد مطامعه الا
الغارات واستباحة حى المعمور من البلاد ، عرفوا بذلك منذ عرف تاريخهم . وكان
الرومان خاصة يقيمون المخافر خوفاً من اجتياحهم القرى ، يقيمون لهم منهم زعماء يصدونهم
عن الاعتداء بعضهم على بعض ، او يحولون دون اعتدائهم على المقيمين من سكان
المزارع والساكنين .

وكما عرف البدوي بانه يجبر المتجني اليه ، فهو كذلك اذا آانس ضعفاً من احد
ابناء السبيل في البرية سرق منه ماله وثيابه او هميانه ودابته ، وندران يقتله فئانه
شأن معظم البشر عبد القوة لا يحاذر غيرها . ولطالما كان الجنود الشاميون ايام كانوا
يفردون على عهد الترك من اليمن تطيل البادية عليهم ايدي الاعتداء تارة و يكسونهم
و يطعمونهم تارة اخرى ، وهكذا كان الفار يعرى و يكتسى مراراً حتى يصل الى
المعمور من دياره .

وما ذا يعمل البدوي وما شئنه ترى أمامه ، وكيف يصرف ليله ونهاره ،
وكيف تطيب له الحياة في الصيف والشتاء ، وهو معرض لاشد الحرارة واشد البرودة ،
وخائف على الدوام يترقب غزوة خصمه وقبيله الذي يماذبه ؟ لا جرم ان البدوي ،
وهو بذلك وفراسته معروف موصوف أكثر من الفلاحين اهل القرى ، يعرف من
الاخبار التي تهمة من انباء العالم ما ينبغي له الاحاطة به ، وينتافله بسرعة البرق ،
حتى ان ما يحدث في الحجاز او العراق ، يصل خبره الى ابن بادية الشام وما وراءه
من العرب ، قبل ان تصل السيارة والبريد ، فينتقل الخبر في الافواه من قم الى قم ،
ويسمون الاخبار «العلوم» واول ما يسأل البدوي في البادية او المعمورة عن العلوم .

واذا لم يكن عند البدوي ما يتسلى به من القصص والاخبار التي تكون في العادة نمطاً واحداً يأخذ شاعر القبيلة ربابه بضرب عليها ، ويفكهم من نظمها او من محفوظه باشعار . وفي الغالب ان يكون ما ينشدهم اياه بلهجتهم التي بألفونها . ويحتوي على الاكثر الحماسيات وأخبار الغزاة والغزوات وايام الشجعان وحوادث الكرماء والضيغان . والرقص معروف عندهم وهو الدبكة او السحجة يرقص في الغالب الفتيان والعتيات ، دون الرجال والنساء المتزوجات . ومهور النساء غالبية في بعض العشائر ، وتكون من الجمال والشيء غالباً لا من النقود لقلة تداول النقد بينهم فهم يتقايضون الحاصلات ، كما يتقايضون البنات بالحيوانات . والبدوي يُخصب ان جادت الراعي من خيرات السماء ، والا فقد أثوب وأجذب ، ونفقت دوابه فأعوزته اللقيات .

ويجاس الرجال في العراء في خيمة مضروبة تكون في الغالب خيمة الشيخ او الغني ، يتعاطون قهوة البن وهم يجيّدون طبخها لفراغهم وتوفرهم على معالجتهم . وقد يستغي البدوي عن الاكل او يقلل منه كثيراً ، ولكنه لا يستغي بحال عن تعاطي القهوة في كل ساعة فهي نُقله وحلواؤه وشرابه المنعش ، وقد يصرف احدهم ثمن بن في السنة اكثر مما يصرف على طعامه ولباسه . واحب الهدايا الي قلب البدوي ان تحمل اليه مقداراً من البن . وطعامهم من أسهل الاشياء ، مقصور على بعض الالبان والبر والجريش والأقط والعصيدة ، ولباسهم ساذج للغاية وكسوتهم متشابهة : قفطان من القطن ، وعباءة خفيفه ، وزنار عادي ، وكوفية وعقال ، ولا يلبسون في الاعم من حالاتهم قمصاناً وصُدراً وسراويل ، واكثرهم حفاة ، ويصطنع بعضهم كسكان وادي مومي نعالاً من جلود الالباعر يفيطونها بحبال يدخلون فيها أبارهم ارجلهم تعلق بها .

قل ان تجد في البادية من يقرأ ويكتب ، فقد تبلغ العشيرة الف نسمة ولا تنظر فيها بمن يكتب جملة . ومن العشائر من تستأجر خطباً من اهل الحضر يكون معها في مشتاتها ومصيفها ، يقرئ بعض ابناء العشيرة القرآن ، وينظر في الانكحة والطلاق ويعظمهم بما يعلم من امور الدين . واكثر البادية لا يتطهرون ولا يصلون ولا يصومون ولا يعرفون من الاسلاء الا ان الله واحد وان محمداً رسوله . ولولا هاتان الكلمتان

لقلنا انهم كعرب الجاهلية حذو المذبة بالقذة وقد تصلي بعض القبائل كالروالة ، ولما كان الماء يعوزهم في منجماتهم وبنقلاتهم فهم يتيمحون صعيداً طيباً ، والله يعلم هل يحسن اكثرهم قراءة فاتحة الكتاب ، او يعرفون بعض سورة الصغار . وما كانت هذه العشيرة تصلي من قبل لولا ان لابسها بعض دعاة الشيعة وعلموا كل فريق منهم اقامة الصلوات ، ولقنوم بعض معتقدات التشيع من حيث لا يدرون . وقد تدبّر اليوم اي دان بالمذهب الوهابي قسم من الروالة لما لحقوا بنجد ، والمذهب الوهابي مذهب محمد بن عبد الوهاب هو مذهب احمد بن حنبل باصوله وفروعه .

واذ كان من الامور العادية في البادية ان تكون القبائل في خصام دائم ، وهي أشبه بمحكومات صغرى ثلقاتل وتستعين بالغرب على خصمها ، مست الحاجة الى قضاة يفصلون بينها في المنازعات ، وقضاة منهم يتقاضون عندهم باجر معلوم ، وأحكامهم سريعة نافذة ، ومن أحكامهم ما هو مطابق للشرع الاسلامي ، ومنها ما هو من بنات افكار القاضي ، او يأخذه من العرف والعادة . والاختلافات تقض بين المتخاصمين على ايدي الرؤساء صلحاً على الاكثر . وقل ان يراجع البدوي الحكومة في مسأله لان من اصولها البحث والتحقيق ، وهو يحب قضاء عاجلاً ، وان يحكم له او عليه في جلسة واحدة ، وينفي القاتل في بعض القبائل سبع سنين فاذا صالح اهل القتل ودفع الدية يهود الى عشيرته ، وتختلف دية القتل بين ٣٣ الف غرش الى ١٥ الفاً ، ولا يحق عند بعضهم لاحد بعد سبع سنين ان يثار للقتل ، والاخذ بالتأثر كثير عندهم ، ولا مدة عند معظمهم للمطالبة بالتأثر . ومن المأثور عنهم ان البدوي اخذ ثأره بعد اربعين سنة وقال انني نجت اخذه . وجزاء السارق تغريمه المالم المسروق من ضعفين الى اربعة اضعاف ، وينجو السارق بالفرار ، ويدفع الضارب للمضروب اذا عطل منه عضواً نصف الدية . والزاني يرحم عندهم حتى يموت ولكنهم تساهلوا في هذا الحكم ، والفحش عندهم على نسبة ما هو عند الحضرة وبكثير في بعض العشائر ويقل بحسب اختلاطها باهل المدن وبعدها عنها والنحور لا اثر لها في البادية لان العرب قلما يشبعون الخبز والادام فمالهم اذا والمُدام ولشظف العيش عندهم بعدون في الاعياد اليوم الذي ينزل على شيخهم ضيف يجب ان ينحر له شاة فانهم في تلك الوجبة مدعوون كلهم بالطبيعة

وعندما يأكلون اللحم فترى قطعاته تسافر من فوق الرؤوس حتى يُطعم من «المنسف» البعيد منهم عنه وتسمع عندها تعريق اللحم عن العظم اشبه باصوات حيوانات وقعت على عظام .

ويكثر تعدد الزوجات بينهم خصوصاً عند من يملك بعض نجمات او بضعة أباغر فتراه طول النهار وجزءاً من الليل ، تحت خيمته ينقهوى اي يشرب القهوة مستلقياً على قفاه ، يقص أقاصيصه وينعم ببطالته ، على حين ترعى امرأته وبناته الغنم والجمال ، ويحتطب الحطب او يجمعن العشب ، وتحمل المرأة الماء على رأسها من مكان بعيد ، او تستقيه في قربة تحملها على حمار ان كان صاحبها من اهل اليسار ، وتستخرج المرأة الزبد والسمن وتعمل الجبن وتخبز الخبز وتهبئ الطعام . ويعيش اولادهم كالسائمة في البرية بدون عناية ويهلك معظمهم قبل الخامسة من العمر ولهذا تكون أجسام من يفكثون منهم من الموت قوية تبعاً لقاعده بقاء الانسب . وهم لا طيب عندهم ولا جراح ولا قابلة الا ما تعلموه من اجدادهم من الوصفات ، وثقفوه بطول الزمن في مداواة الجروح ، ويداوون اكثر الامراض المستعصية بالكي وآخر الدواء الكي او يادهان وحشائش لم يعرفونها . وامراضهم قليلة بالنسبة لخشونة عيشهم وجسوبة طعامهم وقلة تطهيرهم ، وذلك لمكان الهواء النقي والشمس المطهرة من اجسامهم ، ولندرة ما يطعمون من الاطعمة المركبة من حامض وحلو وحار وبارد ، ولقلة العموم التي تساورهم وما تساور في العادة الا سكان المدن والقرى ممن يفقهون واجبات الحياة ، ويكدحون في طلب المعاش ولا يزالون مأخوذين بحب التقليد . والبدوي حاد النظر يرى الاشباح من مسافة بعيدة جداً وقديرى والقمر ليلة هلاله مالا يصره الحضري ، ومن رآه في تمييز المرئيات عن بعد باعد ، يكاد يصدق ما ذكرته العرب عن نظر زرقاء اليمامة . وكما كانت ابصارهم حادة كانت أسنانهم وأضراسهم سليمة برافة للطف اخلاطهم وتخليطهم .

قال الاستاذ اديب وهبة : « ان سكنى البدوي في بيت الشعر في البوادي المحفرة ، بالاخطار والمشاق ، وبعده عن الحماية وانتبازه الاسوار ، قد ولد فيه عدة مزايا يمتاز بها على الحضري ، منها الشجاعة والعصية والكرم والوفاء والأثقة والنجدة .

فتوغل البدو في البادية ، وتولعهم بالغزو والذارات قد جعلهم في قتال او استعداد دائم للقتال ، فأصبحت الشجاعة فيهم طبيعية ، وتعذر قيام الفرد معها كان شجاعاً بمقابلة العدد العديد من البدو قد اضطروهم للالتجاء الى العصبية ، وهي التضامن المطلق بين أفراد القبيلة ، حتى تطلب العشيرة باجمعها بحق احد افرادها ، وأقرب اسبابها لديهم الاخوة والأبوة والعمومة ، ومنها تتألف الأسرة ، ومن الأسر تتألف الفصيلة وتندرج بهذه الصورة الى القبيلة . والذي عليه عشائر الشرق العربي انها تطلب ونطالب بحقوق أفرادها الى الجدد الخامس من جدد الطالب والمطلوب ، اي كل فرد يتصل مع ايها بالجد الاول او الثاني والثالث الى الخامس ، له الحق بطالب حق قريبه ، وعليه ان يخضع للحق المطلوب منه ، ولهم بذلك قوانين وقواعد موروثة . ثم ان ابتعاد البدو عن المدن وتفردهم في الارض المقفرة يضطروهم الى اكرام الضيف والقاصد وحماية الضيف والملتجئ ، حتى اذا وقع احد افراد قبيلتهم بمثل هذا الامر الذي يكثر حدوثه لديهم ينقض ما أسلفه . وقد قويت هذه المزية فيهم حتى ضرب بكرمهم المثل ، وفاقوا به سائر الامم . وان مطاوي التاريخ العربي مستفيضة بافاصيص كرماء العرب وكرمهم العجيب . والبدوي يعتقد انه لا ذكر له ولا ارث أفضل من سمعة الكرم والجود . وان هذه المزية لا تزال عند بدو الشرق العربي على ما كانت عليه في زمن أجدادهم الجاهلين . فلا يحل ضيف بيت احدهم غنياً كان او معدماً ، الا ويسرع لتهيئة كل ما يرضيه ويسره ، وان الكثيرين منهم يضطرون الى تحمل اعباء الدين الثقيلة لارضاء قاصدهم . واذا استأمنهم مستأمن على امانة فدوا لحفظها اموالهم واولادهم وانفسهم ، وكذلك اذا اتجأ اليهم خائف ، او استجار بهم مظلوم ، او نزل عليهم موتور مطرود .

رأي في الاخلاق } تمثل الامم في العادة طبقتان من ابنائها « الوسطى
الشامية } والعليا » . والطبقة الدنيا وهي طبقة العامة مستتبعة
لا متبوعة ، لان ما هي فيه من تأخر اسباب الحياة ، لا يترك لها مجالاً للتفكير في
شيء ، غير ما يقع تحت حسها مباشرة ، وتستند حاجتها الطبيعية اليه . وقد تقلد

الطبقة السفلى الطبقة الوسطى تقليداً خفيفاً لا يكاد يشعر به ، وتقليد الطبقة الوسطى الطبقة العليا أشد ظهوراً من تقليد الدنيا للوسطى . وتنجلي في الطبقة العليا مظاهر السعة في العيش ، والبسطة في العلم والحضارة ، وهي ابدأ حريصة على مكانتها ، تحاذر سقوط شأنها من انظار الطبقتين التاليتين ، ونعد السودد كل السودد ، ما هي فيه من جاه ومال ومجد وعلم .

يُعد من الطبقة العليا العلماء والعظماء والقواد وارباب الاموال ، ممن يسيرن الجماعات الى حياتها او موتها ، وينفقون في روعها ما يرفع مستواها العقلي ، ويطهرون نفوسها من الآثام والآلام ، وبايديهم زبدة ثروة الامة وجهودها ، واليهم منتهى ما بلغته قرائح ابنائها يمثلون التسلسل في الفكر ، وتجسم فيهم الارادة الثابتة والعزيمة الصحيحة ، وهم صورة الهوت الحالدة ومنعكس التأثيرات الطريفة والتالدة ، ومثال الشعب ورقه ووجهه الواضح الجميل ، وفي قبضتهم مفاتيح المفاخر ومغاليق المآثر وهم المذكورون وهم المشهورون ، ومصير غيرهم الى الحمول والعناء .

من اجل هذا كان على تلك الطبقة ان تنجلي بحلى العزيلة والشرف ، وان تكون عفيفة الطعمة حسنة الادب ، بعيدة عن الموبقات والبذخ والسرف ، حريصة على النهوض بالبلاد تشارك في المسائل المدنية عن عقيدة راسخة وتأخذ بايدي العاثرين والبائسين ، وتلقن ابناء امتها علماً ينتج الثروة ويحفظ المجد ، ويولي الكرامة . واذا جئت بالظهور من دون استعداد له وحاولت الاحتفاظ بمكانتها دون ان تلذرع باسباب البقاء وتجديد مواد حياتها الحين بعد الآخر ، فان عزها لا يلبث ان يزول ، وسعادتها على وشك ان تضمحل ، ومن العبت ان تعيش هذه الطبقة بشهرة اجدادها من الحكام واهل الشرف وارباب المظاهر ، وان تعتقد ان جماع المفاخر وقف على احسابها وانسابها ، وتطلب من كل انسان ان يرفع مقامها لان من اجدادها من كان على شيء من الفهم او الظهور ، او انه كان يسفك الدماء ويستحل اكل اموال الناس حتي اثرى وحلف عقاراً وقرى وصامتاً وناطعاً . ورب صعلوك في نظر المتجدين كبير في عيون الخلق . والكبير من كبرت اخلاقه ، ونفع الناس واشفع بهم .

واذا جئنا نحاسب مثلاً بعض من انتسبوا الى الدين ، وهم اشرف الفئات في

العرف نراهم اقرب الناس الى امتيانه باعمالهم ، بأنون مالا ينطبق على جلال منزلتهم .
 فقد قشت المطامع فيهم واستحلوا الاموال مما كانت لوئها وطعمها ورائحتها واتوا
 للاحتفاظ بظواهرهم القديمة من الاعمال ما بدت به مقاتلهم ، فقصوا بفساد ذممهم
 على اوضاع الامة ، وركبوا مراكب الهوس واستمروا لانفسهم اكل ما اعتقدوه
 حلالاً طيباً فاضاعت الامة شخصياتها ومقوماتها ، واصبحت مزيجاً خريباً لا تعرف
 كيف تكيفه . وليس في المجتمع من يناقشهم الحساب ، وكيف يناقشون وهم المرجع
 وهم الهادون . وكان المشار اليهم بالبنان من اهل هذه الطبقة في الدهر الغابر ، يدلون
 بشممهم على الخلفاء والسلاطين ، ويسيطرون باخلاصهم على القضاة والحكامين ،
 ومن هانت عليه عزة نفسه بوشك ان يستهين بكل محمدة . ولقد ادر كنا احد كبار
 شيوخ العلم ، لما شاهد هذا التدخل في طبقة العلماء يشير على طلاب العلم الديني ان
 يتقن كل واحد منهم صناعة حتى لا يسف ل احد يستجدي نواله ، ولا يمسى عالة على
 ابواب الحكومات وارباب السلطات ، ان احتاج الى صناعته احترف بها ، والا كان
 لمناصب الدين والدنيا مخطوباً لا خاطباً .

ولي سويد بن عبد العزيز قضاء بعلبك سنة ١٦٧ هـ وكان محتاجاً ، فلقبه داود
 ابن ابي شيبان الدمشقي فقال له : يا ابا محمد وليت القضاء بلم العلم والحديث . قال
 تشدتك الله أتحت جيبك شعار ؟ فقال داود : نعم . فرفع سويد جيبه وقال :
 لكن جيبتي ليس تحتها شعار . وقال أنشدك الله هل هذا الطيلسان لك ؟ قال داود :
 نعم . قال سويد : فوالله ما هذا الطيلسان الذي ترى عليّ لي ، وانه لعاربة ، أفلا
 ألي القضاء بعد هذا ، فوالله لو ولوني بيت المال فانه شر من القضاء لوليته اه . هذا
 قول عالم في زمن كان صاحب السلطان يطلب الاكفيا الى القضاء فيغرون منه
 فرار السليم من الاجرب . ومنهم من ضرب لانه لم يقبل ان يلي القضاء ، وكان محتاجاً
 عليه قبوله لانه انتهاء الرياسة في العلم والعمل اليه . كان هذا في ذاك العصر الذهبي
 فما بالك بالعصر الاخير ، والجهال يتطلعون مناصب الدين الا في الندر ، ويقدمون
 لتوليتهما الرثي والهدايا وقل فيهم التزيه الذي يستحق ان يطلق عليه اسم العالم ،
 أفلا نسقط تجديرك هبة هذه الطبقة من النفوس بعد هذا ؟

وبينا نجد بعض القائمين على الدين من اهل السواد الاعظم لا يهتمون لغير املاء جيوبهم وبطونهم ، تشاهد بعض رجال الدين من ابناء الطوائف الصغيرة يجمعون شمل من النفوس حولهم ، يقودونهم الى محطة سعادتهم ، ويؤسسون لهم دور التعليم والقربات ، وينشأونهم من السقوط الذي صاروا اليه بحكم الايام . فلا بدع ان جاء مجموع الطوائف المسيحية على قلته - في الشام ، ارقى من مجموع الطوائف الاسلامية على وفرة عدده وسعة ثروته . وكان من اثر الرياسة الدينية المنفذة من الاسلام ان استخدمها اهل النصرانية في المصالح المهمة ، فكان لم فيها عموم النفع . وكانت هذه الرياسة على ما فيها فاجعة في تهذيب الشعب عندهم ، فأخرجوه من نيه الفوضى الى باحة النظام . وهذا هو سر الترتيب الذي تراه ماثلاً في المجتمع المسيحي وهو على حصة ضئيلة في المجتمع الاسلامي . ولا يؤاخذ الاسلام بانحطاط اهله وما المؤاخذ الا من أخذوا على انفسهم عهداً بان يطبقوا مفاصله فأهملوا واجبههم ، ولو كان الدين عاملاً من عوامل سقوط أمة ما كانت اليابان وهي تدين بالبوذية - في مقدمة أمم الارض علماً وعمراناً .

ولا مشاحة في ان من طبقة الدينين فئة صالحة ، ولكنها كانت في كل عصر نلقي الجبل على الغارب لغلبة اليأس طغيها ، وهناك فئة أشد تأثيراً وظهوراً وهي التي طالما قدمت وأخرت في سير المجتمع وباعت من هذه الامة المسكينة ما شاءت وشاءت منافعها ودارت في كل دور مع مطامعها كيف دارت . الا ان الدهر عاقب هذه الطبقة بما احق به من الكبائر ، فضر بها ضربة آذنت بانقراضها لانها خالفت طبائع الاكوان ولم تجار الزمن في نشوئه ، كأن تكون مثال الفضائل ترباً بانفسها عن الغيبة والنميمة وتتشرب افئدتها حب الصدق والصدع بالحق ونفاحي مزلق التفرير والتضليل وتحصن وكدها في واجبها من إرشاد العامة من طريق العلم الصحيح ، في زمن اشتد فيه النزاع بين القديم والحديث ، او بين الدين والاحاد ، وتجلى الانتقال في كل مظاهر الحياة . وما زالت هذه الفئة تحاول ان تسترد بالثرثرة والتبجح مجداً زائلاً ، وهي في حالة المحنصر لا تبدي ولا تعيد . وما تحدثت ان تخرج

من جهاتها ، وتطور بطور العصر ، وتأخذ بحظ من العلم الديني والمدني ، وتحتل بشيء كثير من مكارم الاخلاق .

كان احد افراد هذه الطبقة أبلي في الدعوة الدينية بلاء حسناً ، ورزق قلماً ماخياً ، وعزماً مؤاتياً ، واستعد للنزول والنزال في ميدان دعوته ، يحمل أكثر أدواتها . وما عثم ان ترك ما هيأته الفطرة له واكسبته ابناء التجربة وطول المدة وحاول بلوغ مظهر جديد اعتقد انه جماع المظاهر ، وهو لم يتمرس بأدابه ، ولا عرف مداخله ومخارجه ، وغلبه حب الشهرة فادعى ما لم يُخلق له ولا تُخلق به ونسي الغرض الذي يضطامع به ، وراح يستغل موضع الضعف من فطرته ولا يعمل فيما يرجى فيه كماله ، ترك سيرته الاولى وهام بمظهره الثاني ، زهد فيما يحسن وحاول التلبس فيما لا يحسن . وغرب من انسان لم يقنع بمنزلة مائة وضعت فيها بيئته وتربيته ، ويجاهد جهاداً آخر في ساحة الوغي ولا سلاح معه يستخدمه ، ولا آلة من أدوات الحرب ينقنها . الذكاء وحده ينفع الى حد معين ، وأدوات النجاح في طريقه تحتاج الى علم وفطرة . والعلم بالتعلم والتريض ، والفطرة هبة لا تُباع ولا تُشترى .

انت يا هذا اذا حفظت قواعد علم من العلوم ، يتعذر عليك ان تدعي الكيمياء والطب أو السياسة والاجتماع ، علوم مختلفة طويلة الذيل لا ينفع معها التخليط . القواعد المجملة التي تحفظ من كتاب في موضوع تحتاج في انقائها الى صرف طائفة طويلة من عمرك فلا تعطيك القرينة قياد كل امر ولا تبسر في سبيلك كل دعوى . ولذلك ترى من هذا شأنه صاعداً متديلاً ، ينفي اليوم ما اثبت امس ويحارب حيناً من سألته زهياً ، يصانع ارباب القوة طوراً ثم يقلب لهم ظهر الجحش تارة ، اذالم يستمرى ما اطمهوه ولم يستغل من امره ما استدبر في وضع الخطط التي خطها لهم ، والناس كلهم في نظره صغار عقول وارباب فضول وهو لا يرى غير نفسه استجمعت خسروب المحامد ، ولذلك لا يرضن عليها بما يمجدها ، ويضع الالقاب الضخمة لها وينوء ابداءً بالنطوى عليه من شرف وعلم وعمل ، ومن رضي عنه من الناس ينيله من عطفه ما لو وزن ايضاً . في ميزان القسط لثالت كذته . والعاقل من انصف

نفسه قبل ان ينتصف الناس منه ومن ظلم نفسه كان حرياً بان يظلم غيره ، ولهذا امثال غير قليلة فيمن بلقبونهم بـ « البارزين » اليوم وهم المستثمرون اي الباهيون . نموذج آخر . بينا تجد الاول يجرع دعوته كما يجرع الصاب والعاقم ويستعلي ويستطيل ويحاول ان يثبت انه مصدر كل خير ، لو استمع الناس له لثمت مساعدتهم الدنيوية والاخرية ، ترى اخاه قد اتخذ في الحياة غير طريقته وخالفه في سيره وسيرته ، فقد لقن في صباه مجملات يحكم فيها بالجزئيات على الكليات حكماً مسمطاً ويتلطف ويتطرق ليجد السبيل الى قلوب العامة والسوقة لانهم كثير سوادهم يستميلهم بالدعابة والفكاهة ، وماذا يهمه من الخاصة وهم قليل عديم ، وما يناله من غضبهم ورضاهم ما دام الجمهور عنه راضياً . واحسن ما يراه للوصول الى قلوب العامة ان يرضي كل صاحب سلطان ، لان في رضى القوي تطوي المظاهر والدنيا وهو عبدها وغايته من الحياة السجود على ابواب سدنتها ، لا يبالي ان يصعق كل من لم يمالؤه ويتوهم ان النقاد لا يفرقون بين الزيف والبهرج ولا بين الهازل الماكن والمجد المجاهد والعلم الحقيقي يولي صاحبه عزوفاً ، واذا قرن بالتمهيد لا يحاول صاحبه درجة اذا تخطاها ادركه العثار .

عرفت عالين دينيين أريدا على ان تفتح لها ابواب الرزق ، وتغدق عليهما المظاهر على ان يسفنا اسفاً خفيفاً يكون في السكوت عن رجل كانت لها صاحباً قديماً فحاز مظهراً كبيراً من مظاهر الدنيا حسده عليه عبيد المطامع والشهوات ، وكان جوابها كل مرة ان من لا يعمل للمصلحة العامة لا يستحق صداقتنا ، ليأت ما استطاع من الخير ونحن بالطبع له الاخلاء الاوفياء لا نريد منه جزاء . وهكذا قاطعاه وهو الحاكم المتحكم في الدولة ، وهكذا عزفت نفسها عن ان يرقصا للقرود في دولته ويزينا للظالم ظله وهو في ادج عزته . زهدا في الجاه العريض لزهد صاحبه في الفضائل وشدة هيامه بدرمه وديناره . رجلان يأكلان اللقمة بالتسفل والرياء وآخران جاهرا بانها تؤكل بدون هذا . وهذا مثال من اخلاق بعض المعاصرين ، وعبرة للاعقاب في الغابرين .

ظهر التعطيل في الاسلام منذ قرون ، بما قام به المبتدعة من اهل الطرق وسخفاء الدجالين والقصاصين ، فانحطت العقول وضعف مستوى العلم والتهذيب في الناس^(١) فمن تصدى يا ترى لمحاربة هذه الضلالات التي لم ينزل بها سلطان ؟ فشت اخلاق سيئة تخالف هدي الدين وتذك معالم الحضارة ، فتغافل الموكول اليهم هداية الخلق عن انتشار مسمومها كأنهم يقرونها ، وتركوا رعيتهن هملاً كالسائمة . وكانت دروس العلم مباحة مورودة الى اوائل هذا القرن ، وبتساهلهم كاد العلم الاسلامي ينقرض من انحاء الشام ، وجاء كثير من مرتزقة الوعاظ والخطباء والائمة والقضاة جهلاء يفتون بغير علم ، ويخطبون بالمبتذل الساقط ، وبلهون الجمهور بالقشور ، وبييعونه من سلمهم الكاسدة ما لو ائتمروا بالعوام باوامرهم لرجعوا الف سنة الى الوراء . واذا اجتمع هؤلاء الدينيون الى اكثر زعماء الاديان الاخرى ، ظهر الفرق بين النقصير والعناية وتجلت المباينة بين من ساروا مع الزمن ، ومن عاندوا الحقائق وحاربوا العقل وجمدوا في الفكر ، ومالوا الى الكسل عن العمل . وفوق هذا تراهم يجمعون اموالهم بخرق حرمة كل قانون وشرعية ، وهم متخاذلون متفاسلون لا يكاد واحد منهم يزكي اخاه ،

(١) قال الراغب الاصفهاني : لاشي^١ أوجب على السلطان من مراعاة المتصدين للرئاسة بالعلم ، فمن الاخلال بها ينتشر الشر و يكثر الا شرار ، ويقم بين الناس التباغض والنفاق قال : ولما تركت مراعاة المتصدي للحكمة والوعظ ، ترشح قوم للزعامة بالعلم من غير استحقاق منهم لها ، فأحدثوا بجهلهم بدعاً استغفروا بها العامة واستجلبوا بها منفعة ورياسة ، فوجدوا من العامة مساعدة لمشاكلتهم لم وقرب جوهرهم منهم .

فكل قوين الى شكله كأنس الخنافس بالعقرب

وفتحوا بذلك طرقاً منسدة ، ورفعوا بها ستوراً مسيلة ، وطلبوا منزلة الخاصة فوصلوا اليها بالوقاحة وبما فيهم من الشر فبدعوا العلماء وكفروهم ، اعتصاباً لسلطانهم ومنازعة لمكانهم ، وأغروا بهم اتباعهم حتى وطؤهم باخفافهم واظلافهم ، فتولد من ذلك البوار والجور العام اه . كهذا كانت الحال في القرن الخامس فكيف هي بعد ثمانية قرون والنفسخ باد في هذا الجسم .

ولا يتجدد خمسة منهم انفقوا على مقصد واحد من مقاصد الخير . والغافل يرجع الامية على هذا العلم الذي لم ينتج خيراً لاهله ولا لغيره ، لان الأميين لا تصدر منهم هذه الجراءة على العبث بناموس الكمال . ومن نفلتوا من حدود الشرائع على قريبه منها ، كانوا اشد انتقاضاً عليها من الجاهلين والغافلين .

ونئصرف على هذه الطبقة ، طبقة تنعم بالخاصة او العليا ايضاً ، من جماعة المتعلمين على الاصول المدنية الحديثة ، فقد دب في بعض هذه الطبقة موس الفساد ولما نزل في بدء تأسيسها ، وظهر لارباب البصائر ان الدروس الطبية والرياضية والاجتماعية والفلسفية والحقوقية تنير العقل ، ولكنها لا تحسن الاخلاق ، اذا كانت منخطة من اصلها . وربما كان العلم في بعض هذه الطبقة أداة شر تستخدمه حبائل اصيد ما يسد المطامع . والاخلاق مغروسة في الدم والأمرة ، والعلم صناعة يتعلمه الذكي الدائب . ولقد تلونت صبغة هذه الفئة في هذه الارض الطبية ، بالوائ اهوية البلاد وجوائها ، بل بالوائ المدارس التي تخرجت باساتيدها ، فمن تعلم منها في مدارس التبشير التي انعم بها اهل اوربة واميركة على آسية وإفريقية ، جاءت الاقليلاً منخلة من ربة حب الوطن وعهدة حب الجماعة ، واستحكمت في كثير من افرادها الانانية والآثرة استحكماً هون عليها كسر قيود الحكمة والخروج على الادب الصحيح .

وقد استبهر بعض هذه الطائفة بماداة الدينين والاعيان والازراء بسائر الطبقات واكل الحسد والحقد قلوبها ، فهي لا أتحاب بينها ولا تحب غيرها ، ولا تعرف من محيطها اكثر مما يعرف الدخلاء . شمتخت بانوفها ، واحتقرت كل من لم يجر على مثالها ، ولا تثقف ثقيفها . ومنهم من دفعه ما لقفه من تربية وحصله من تعليم ناقص ، الى خدمة مصلحة الغريب كيف كانت ، والفناء في محبته والدهشة بكل ما يأتي على يده وقبول كل ما حمله من خُلُق وثقافة والتغني بتاريخه ومجده والتغزل بجمال بلده والاعجاب بادضاءه ، اخذ كل ما اعطاه شاكرًا معتبطاً ، فخرج ذلك عن قوميته . وكثير منهم هجر بلده ، الى مكان يفت بزعمه العز ويدر اخلاف الرزق . ومنهم من تعلموا في مدارس الدولة المقطعة وتخلقوا بغير اخلاقهم ، وانحلوا زمناً من قوميتهم فلا يفكرون ولا يتكلمون الا بالتركية ، ولا يكتبون ان كانوا ممن

يحسنون الكتابة الا بالتركية . فلما تبدلت الحالة السياسية بعد الحرب العامة دفعتهم
الضرورة الى ادعاء العربية وكانوا من قبل يعقونها وهم من ابيائها ، زاعمين انهم تبدلات
اخلاقهم بمجرد الانتقال من دور الى دور . وليست الاخلاق بذلة تنزعها ، ولا طلاء
تزيله وتستبدل غيره به . ولما كان معظم من تعلموا هذه العلوم في العهد السابق من
اهل الطبقات النازلة في اصولهم ، كان الموروث لهم والمائل فيهم من الاخلاق مثلاً
من اخلاق اهل جوثومتهم ، ولذلك هان عليهم و بهون في كل دور ان ينزلوا عن
مستوياتهم لاول طارىء . وهذه الفئة مفسدة باخلاقها على المجتمع اكثر من الجهال
لانها تعلمت تعليماً مسموحاً ظنه كل شيء . ومذ فارقت المدارس التي تفاخر بانها
تحمل شهاداتها ، وكثيراً ما نال شهاداتها المتوسط والغني ، ظنت انها قبضت على قياد
العلوم وودعت الكتب فصارت ترجع القهقري في معارفها الاولى وتجت اخلاقها
في كل ما عانته من الاعمال ، فكانت اذا وسد اليها امر تلتهم الاخضر واليابس
واذا بدا لها طعم تهزأ بالفضائل اذا لم تجلب لها السعادة التي تنصورها .

رأت البلاد من سقوط الاخلاق في بعض اهل هذه الطبقة مائندى الجباء من
تسجيله رأت منهم من يقول ولا يخجل انه اذا قيل له ان الحسالة الحاضرة ستبديل
بعد عشرين سنة يفكر منذ الآن في امر راتبه الذي يقبضه من سلك ما كان يحلم
ان يحشر في جملة اهل ، و يقول ابدأ اعذرني اذا خدمت اغراض كل صاحب قوة
كما يشتهي ، واذا كسبت له آلة في كل ما يجب . هو غني الجيب فقير النفس . جاهل
يحشر نفسه في العلماء والطبيعة نضمه حيث تريد .

ومنهم من جعل رأس ماله في مصاعة ولالة الامر بها كانوا والنقرب اليهم
بكل حيلة ، لينال مظهراً يظهر به ، لاعنقاده واعنقاده كثيرين ان الشرف كل
الشرف في النقرب من الحكام وان كل مجد جاء من غير طريقهم لا وزن له اذا
نصبت الموازين ، وهؤلاء المتصدرون اسوأ مثال لمن حولهم . يحببون اليهم الاتكال
وضعة النفوس ، وكأنهم يقولون ان سيبلهم لا غيرها هي سبيل الفلاح والتجديد ،
وان الفضائل لا شأن لها امام المغام . وان العلم لا ينفع بغير تدليس ، والطريق
المسلوك عندهم طريق المداجاة والمحابة ، واثقان المؤمرات والسعابات .

ومنهم أناس ظنوا ، ويا لسوء ما ظنوا ، ان السعادة مناط القحة والسعادة هي المال والمال محلل اخذه من كل وجه ، فتراهم يرتكبون كل شائن من العمل ليجمعوا مالا وبعده . ويستمتعوا بمتع الحياة ، فهم حراس على كل ما يوصلهم الى غايتهم سلاط في التسور على مقامات اهل الفضل ، يصمونهم بكل كبيرة و ينزههم بالخفة والرعونة . جوزوا لانفسهم السرقة لانهم لا مأرب لهم في غير الاثراء و جمع المال جماع المزايا في نظرهم . احنقروا الشرائع فهان عليهم تبدل مذهبهم والتقرب الى اهل كل دين وطريقه بدينهم وطريقتهم . ولو أنصفوا لعدوا لصوصا عارفين بالوصوية ، واللص يسرق خفية من طريق واحدة قد يكون فيها مكرها ليطمع نفسه وعياله ، وهذا يسرق جهره من كل طريق ويزيد على لؤم طباعه تبجحا بالمبادي والشرف والامانة ، ومن الغريب ان يرى حتى من الاذكياء من يجلوته او يغالطون انفسهم في الخطاط اخلاقه وهم يعرفونها ورحم الله شاعر مصر اسماعيل صبري حيث قال :

غاض ماء الحياء من كل وجه فغدا كالح الجوانب فقرا
ونفسي العقوق في الناس حتى كاد رد السلام بحسب برا
اوجه مثلما نثرت على الاج لداث ردا ان هن ابدن بشرا
وشفاء بقلن اهلا ولواد ين ما في الحشا لما قلن خيرا

ومنهم أناس ورثوا عن آباؤهم استغلال اكل السحت والعبث بحقوق العباد . فلما تلقفوا القشور اللازمة لهم في المدارس التي سموها بالعلماء ومرتوا على النفاق والباطل ومرتدوا على آداب الاديان وخرجوا عن اوضاع المجتمعات ، جاؤا مراقا يسكنون القصور وعاشوا طول حياتهم في ذل النفوس يجمعون بين المازع المختلفة في وقت واحد علما بان احدها لا بد ان تكتب له الغلبة فاذا نجح كان لم حظ من نجاح اهله واذا اثمر الاخر لم اهتم خيرا به ، جعلوا بيوتهم للخمر والقمار والدية ومسارح وفطموا نفوسهم الا عن اتباعها المال الحرام . وهم باصحاب الملاعب اشبه منهم بالمتعلمين اصحاب المراتب واذا دخل الغرة حانتهم وفيها كل مفعول جائز هانت عليه انتهاك الحرمات ، واذا عاشروهم تعلم في بيوتهم من التزوير والتغوير ما يعاب به الحيوان فضلا عن الانسان .

ومنهم من ورثوا التذبذب من بيوتهم واحذوا الدس والوقية بالسند المتصل
 بآبائهم وكان قصارهم ان يحرزوا مناصب تمكنهم من المتاجرة بحقوق الناس ودمائهم
 ليناً تلوا وينفقوا في السفه ما تأثلوه ، فهم لا يستنكفون عن التقرب من اصحاب الشأن
 بكل ما لديهم من الوسائط و يسمون لعامة اصناف الناس بل و يصاعونهم على
 حين تلعنهم قلوبهم ، وهم موقنون ان المصانع على الجملة يعرف كذب مدافعهم ومع
 هذا يمشون في طريقهم وهم لا يحبون احداً ولا يحبهم احد . ونزع عقيدة عرفوا بها
 امس ، لتقلد غيرها اليوم ، اسهل عليهم من نزع احذيتهم وقمصانهم . قضوا أعمارهم
 في نصب الحيل والمكايد ، لا يلزمهم من دنياهم غيرها ، واكبر أفراحهم يوم يغشون
 ويسري في الناس غشهم ، كأن المدرسة التي تعلموا فيها لم تعلمهم غير ذلك . ولكن
 هي الفطرة اذا فسدت فكل خير بأنها يكون عارضاً عليها ، ثنبذه ولا تسيغه .
 ومنهم أناس عرفوا منذ قبضوا على زمام اعمالهم سلب نعمة الضعيف ومحاولة
 التقرب من القوي نبتتهم الطبيعة اولاً ، ثم عمي الدهر عنهم فباغوا مآربهم من
 المراتب ، ولم تسعهم جلودهم يوم شاهدوا العز بعد الذل ، فظهروا في مظاهر من
 الكبرياء والمظمة ، ومن اين للسافل باصله ان يكون فرعه عالياً . حصروا همهم
 في العبث بالمصالح العامة ، فلا يفكرون بغير املاء جيوبهم ، والدهان لساداتهم معها
 كانوا ، وتوفير المرافق لمن يحف من حول عرشهم ، وان كانوا من أحط الطبقات
 معرفة واخلاقاً . وقد رأينا من هذه الطائفة من بغير سيرته في السنة الواحدة مرتين ،
 ويدخل في آن واحد في عدة أحزاب وجمعيات سرية وجهرية ، ويقسم لكل واحد
 منها اليمين الخموس ، معاهدآ كل طائفة على الاخلاص لطائفتها وحزبها وطريقتهما
 دون غيرها ، وهو لا يتوقع من هذه المرونة المستغربة الا ان يكون له شأن مع كل
 حزب اذا كتب له الظهور .

ومن هذه الفئة أناس لا يهناً لهم بال الا اذا اغشوا ، فلما انتفخت صناديقهم
 بالورق والورق ، ضيقوا حتى على بنيتهم وبناتهم لئلا يسرفوا في أموالهم ، فاضطروهم
 الى ارتكاب كل شنعاء ، اما هم فعادوا يدعون الفاقة ، فترام لا بنفقون الا ما يحفظ
 عليهم مظهرهم ، ويوصلهم الى مراميتهم ، كأن الدينار جعل للخرن فقط ، والسعيد

من يجمعه ولو لم يستمتع به حياته ، ويخلفه لمن هم عليه أشد الاعداء ، يصرفونه في
العهر والخمر والزمر والقمر . ولو أنصف هذا نفسه لأنفق عشر دخله على ما يرفع
مستوى أمته ويزيل بؤسها ، وفي هذا ظهور له ايضاً ان تأقت نفسه الى الظهور .

ومنهم طائفة تعلي وتصوم ، وتزعم المساجد ودروس الوعظ ، وتنتظر بالدين ،
وتتقرب الى حملة الشرع وارباب الصلاح لا تفت السج من ايديها ، تنتظر بانها
تذكر اسم الله في غدوها ورواحها ، وهي في باطنها من أشد الخلائق عداوة للمجتمع
الانساني ، تة ل بالسنتها ما ليس في قلوبها ، ولو كشفت عنها الغطاء لا يقنت انها
من الشفقة بحيث لو شاهدت صفاراً يتضورون جوعاً ما أطعمتهم فتات موائدها ، ولو
بصرت بسانين يرتعدون دنقاً وعرياً ما كستهم بلاس بلاطها ولا زدوتهم حشالة
مطابجها وأهراشها ^(١) ، واذا وقع لها ان أكرمت على نجدة بئس مؤوف نيجحت بما
انت ، وقامت نقول بافضالها على المجتمع وتوحيه بلسان الحال الى انه لولاها لانهار بناؤه

(١) قال بعض الحكماء : ما من انسان الا فيه خلق من أخلاق بعض الحيوانات
وبعض النبات لكون الانسان مشاركاً لها في الجنسية وان كان مبايناً لها في النوعية ،
فمن الناس غشوم كالاسد ، وطائث كالذئب ، وخبث كالثعلب ، وشره كالخنزير ،
وجامع كالثمل ، ووقح كالذباب ، وبليد كالحمار ، وآتوف كطير الوفاء ، وصنع
كالشرفة ، وآنف كالاسد والنمر ، وغبور كالديك ، وهادي كالحمام . ومنهم
حسن المنظر والخير كالاترج ، ومنهم بخلاف ذلك كالعنص والبلوط ، ومنهم قبيح
المنظر حسن الخير كالجوز واللوز ، ومنهم حسن المنظر قبيح الخير كالحنظل والدفلى .
والمؤمن الخير هو في الحيوانات كالنحل يأخذ أطايب الاشجار ، ولا يقطف ثمرآ ،
ولا يكسر شجرةآ ، ولا يؤذي بشراً ، ثم يعطي الناس ما يكثرتفعه ، ويحلو طعمه ،
و بطيب ريحه ، وهو في الاشجار كالاترج بطيب حملاً ونوراً وعوداً وورقاً . والمنافق
الشرير هو في الحيوانات كالتفمل والأرسة ، وفي الاشجار كالكشوث ، فلا اصل له
ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا زهر ، يفسد الثمار ، ويبس الاشجار ، وكالشجرة
التي قل ورقها وكثر شوكةا وصعب مراقبها اه .

وتداعت صروحه ، وتوهم ان وجودها رحمة ، وعملها غبطة وأمنة ، ولها في نشر ما تخيله محامد ، أساليب غريبة مضحكة .

ومنهم أناس اذا عرفتهم في العهد الماضي عرفتهم بمجدهم التي لا غبار عليها ، وهم ما كانوا يجوزون لانفسهم التكلم بلغتهم الاصلية ، فلما تبدلت سياسة البلاد تبدلوا لساعتهم ، وصاروا لغير ما سبب معقول حرباً على من كانوا بالامس يتمنون رضاهم ، واخذوا انفسهم وابناءهم بتعلم لغة من جاؤهم ، وغيروا عاداتهم ولهجاتهم ، وأنشأوا يستخدمون كل الطرق للاحتفاظ بكراسيهم ، حتى اذا جلسوا عليها نسوا فضل المفضلين عليهم ، وقد عاهدوا انفسهم ان يخدموا كل صاحب قوة بالصورة التي تروقه مع ذكاء فيهم وتجربة أحرزوها فبان عليهم ان يبيعوها مقابل عرض قليل ومظهر ضئيل . التجسس فيهم فطرة والازراء بالقومية والوطنية من مألوفاتهم ما اساءوا استعمال ما أوثقوا عليه الا ليغثثوا بطرق عرفوها ، ويغثثوا ابنائهم ولو كان في ذلك هلاك ماث من الناس .

ومنهم أناس كانوا في اخذ المال كالعلقة يمتصون الطاهر وغير الطاهر ثم يفيضون منه على القانع والمعتز ، ويطعمون الطعام ويكسون الايتام . ومنهم من جمعوا عشرات الالوف ولا تجود انفسهم بدائق لتعليم اطفال الفقراء وإنجاد البائسين واكساد العراة . واذا تصفحت جرائد الجمعيات الخيرية التي قامت منذ نحو عشرين سنة لتعليم الايتام واغاثة المحاويج ، لا تسقط فيها الا نادراً على اسماء بعض ارباب السعة بمعنى ان هذه الطبقة كانت اقل الناس في معاونتها . والطبقتان الوسطى والبالزة هما اللتان جمعنا الدرهم فوق الدرهم ، افنطعناه من رزق عيالهما ، لتطعما به من هم اجوع منها ، وننشل من السقطة من هم اكثر سقوطاً من بنينا .

وفي هذه الديار عشرات من الاغنياء يدبحون في سلك الاعيان يعتزون باموالهم ، ويضنون بها كل الضئالة ، اللهم الا اذا كان في صرفها ارضاء شهواتهم ، وتوفير انواع رفاهيتهم . واذا أشير اليهم ان يشاركوا في المصالح الوطنية لووا وجوههم ، وهزؤا في باطنهم بهذه الاعمال التافهة ، حتى اذا حلت بهم مصيبة اخذوا يستخدمون

ولا ينجدون ، ويطلقون السنتهم في رجال كانوا بالامس يقدسونهم ، وأنى للامة ان تعرفهم ايام شقائهم ، وهم لم يتعرفوا اليها ايام سعادتهم . هذا وهم انصار كل حكومة تسوغهم اكل حقوقها وحقوق الضعاف ، وتطلق ايديهم في ظلم الفلاحين والمغفلين ، وتعاونهم في عاكسها على فض قضاياهم بما ينفق مع رغائبهم ، وتوسد اليهم امورها المنتجة لهم مالا وجاهاً .

في هؤلاء الاعيان رجل كان عنده من ادوات الزينة والتبرج ما يساوي المئات من الدينارين ، وربما كان ثمن ربطات رقبته المعمولة من الحرير لا يقل عن الف جنيه لان عددها كان التي ربطة معروضة في قاعة كبيرة ، وكنت اذا اردته على ان يتباع جريدة ليقرأها شكاك اليك ضيق ذات يده ، واطهر ان القراءة مما لا تسمح له به اوقاته الثمينة ، وكان يدفن امواله في الارض ، حتى لا يظهر عليها الناس اذا وضعت في المصرف ، فظهر منها الوف بعد ان اصيب بنكبة اضطرته الى نبشها . وبلغ الشح ببعضهم انه كان يطعم خدامه واولاده طعاماً غير ما يطعمه نفسه وزوجه ، ويدعي مع كل من يجتمع اليه انه فقير مملق ، لا طاقة له على تحمل شيء ، فلما اضطر الى الكشف عن دوائنه كانت الوقا عدا ما يسلمه بالر با المحقوت اضعافاً مضاعفة وعدا مزارعه وحنائقه . ومن الغريب ان يشطوع مثل هذا الرجل الذي رد الى ارض العمر في الجاسوسية وهو يتظاهر بالقوى . واكثر هؤلاء الاشحة يظهرون في العامة بظهر المتصدقين والمحسنين ، كأن تجود نفوسهم ببعض دريهمات لبعض المستكدين على رؤوس الاشهاد ، ليقال عنهم انهم اهل خير وصلاح . وهناك رجل كذب على قومه طول حياته الطويلة ، بنسبه وعلمه وثقواه ، فلم يعدم بين ضعاف العقول من صدقوه في دعاويه وعاش بمداومة الناس وبلغ من ثقة القوم به انه اذا حانت منية احدهم ، بلوب على من يأتمنه على اولاده بعده ، فلا يجد غير هذا المزور يقيمه وصياً على عياله لما استمر من امانته بين السذج في كل دور ، فلا يابث مال الموصي ان يمزق بيد الوصي . وهكذا كان هذا المدعي بعد نصف قرن من المشار اليهم المجمع على تكريمهم ، وقد عرف ايام تولى القضاء بتبرئة المجرم وتجريم البريء . ومن العجب انه لم يسأله احد من اين جاء بثروته ، والعادة على الاكثر ان لا يسأل الغني عن طرق غناه بل ينسج به ويتبرك

بانفاسه ، ولو كان لا ينزل منه عن قطمير لا حد .

ظهر كثير من العامة في حوادث وقعت بمظهر الغبراء على المصالح الوطنية ، وابانوا عن حمية واريحية ما كان يرحى صدور مثلها من ارباب الطبقة العليا ، ولا ممن اعتادوا ان يجعلوا من الاديان سلماً الى درك شهواتهم وقام من صنوف الأميين واهل المثربة أناس جعلوا هدفهم ما اعتقدوه حقاً نافعاً مخلصين في اقوالهم وافعالهم ، معنقدين الخير فيما بذلوا انفسهم وتقائسهم في سبيله . وتجلى النبوغ في افراد منهم بحكم قانون الرجعة ، فاثبتوا في الشدائد بهذا الشرف المغيب انهم ربما كانوا من سلالة عظماء اكارم . وهناك أناس ظاهرهم مهذب براق آثروا امتهان النفس في أخس الاعمال مقابل عرض يتألونه او اقبال يتخيّلونه ، فارتكبوا كل ما بورشهم عار الابد فكان ظاهرهم مجملات وباطنهم خبثاً وخديعة يفادون بكل ما ليس لهم فيه مصلحة ويداجون كل من يلقيهم بما يريد ، ولعلك على حق اذا قلت ان صيغ الكلام تضيق عن وصف أفعالهم . فهم ممن حُجب اليهم من دنياهم اذى القريب لا ينامون مل جفونهم الا يوم يوقعون باصحاب الشرف والمروآت .

ومالنا والاكثر من ضرب الامثلة بفئة هي معقد الآمال في اصلاح البلاد وهي لم تكد تحقق رجاء الى الآن ، وليست في اخلاقها مما يرغب المرء كثيراً في تكثير سوادها ، لان منها من تجرد من معنى الحق والصدق . ولو حلت نفوس اكثرهم تحليلاً دقيقاً لرأيتهم أعرف الناس بالمدخل والمخرج واعراهم من اكثر الفضائل الكسبية ، الدنية . ضعف عطفهم على جنسهم وهان عليهم ان يبيعوا وجداناتهم لمن يضمن لهم مظاهرهم . فهم ابدأ سلاح الغريب على القريب ، وهم يده الباطشة وأظافره الخادشة .

ولطالما نصب حلم ارباب الخلوم من تلاعب أناس استناروا بقبس العلم الحديث يتهارشون على ابواب جمعية مدنية وهم في الحقيقة لا بهمهم من دعوتها ، الا ان يحموا بسلطانها سلطانهم ويستروا في حمى كهفها معايبهم ، ومن الغريب انه لا يكاد يرقى في درجاتها الا من عرفوا بالاسترسال في حظوظهم وكانوا من المقوتين في العرف والعادة هذا وقانون الجمعية شديد في التسامح مع امثالهم ، ولكن كل قانون

ينصبغ بصبغة محيطه وما دام المحيط على ما ترى فلا بدع ان كان بعد هذا أعظم قانون سماوي او ارضي في حكم العدم .

ولا يفوتك ان الطبقة الوسطى في ديارنا هي التي تتمثل فيها الامة حقيقة لا مجازاً وبكثير فيها الخير ويقل الشر وهي التي تقوم بجلب المنافع ودرء المضار وتعيش في خوف الديان وتهتم لسعادة الاوطان هي في الغالب محدودة بعقول ابنائها كثيرة بما يتم على ايديها من الخيرات واجتماعها وهي التي تفكر وتقدر وقد قام كثير من الاعمال الناعمة بصنيعها ومن وضعها . فيهم الصبر وفيهم الأناة وفيهم الرحمة خسيهم اقل من رفيعهم هم قوة الظهر في جيش الامة بل في طليعته المتيقظة . السخاء مغروس في اكثرهم والمروءة والوفاء غريزتان يورثهما الآباء لابنائهم وهم يبعدون عن ارباب السلطات دأبهم التوفر على صناعاتهم وتجاراتهم وزراعاتهم وقلما تحدثهم أنفسهم ان يتخذوا بديلاً عن عمل عاناه آباؤهم واجدادهم .

الاخلاق التي نعت بكليات المجتمع هي التي رسخت في بعض العلية من اهل . وشهد الله ان هذه الامة لا تشكو قلة علمها بقدر ما تشكو ضعف اخلاقها واذا أخذت المطامع البشعة من قلوب دعاة الاصلاح وحماة الحوزة كيف يوجه اللوم على من كان دون طبقته ؟ وما يسوء ويؤء ان كان أقرب الناس الى ادراك معنى الفضائل أسرع الى عقوبتها وانتهاك حرمانها . واذا كانت في الطبقة الوسطى هنات لا يخلو منها انسان فهي كالعوذة ينقى بها شر الحاسد ويصان بها جمال المكرمات والمحامد وقلما يخلو بشر من عيوب صغيرة ضررها على صاحبها وحده .

اكثر ما تعاب به هذه الامة عصيانها على الانظمة والشرائع لا تطبق منها الا ما لا يمس بمصالحها الخاصة فاذا كان في بعضها ما يخالف الشهوات والاغراض خرجت عليها وحاربته والمهيمنين عليها . ولذلك صعبت هنا في كل قرن مهمة المصلحين في اصلاحهم لقلة الثبات ووفى الهمة . فقد يسرع بعضهم في التصديق خصوصاً اذا احسنت الدعاية بادي بدء ولكنهم الى نقض العهد أسرع من الماء الى الخدور . ومن أضر ما يضر هذا الشعب انه قلما يخضع للزعيم خضوعاً حقيقياً نقرأ معانيه في

حركاته وسكناته ولو كان الزعيم في الغاية من حسن الاخلاق و ارادة الخير لها .
 وهذه اخلاق العرب بعينها أفرطوا في حب حريتهم فحاول الصعلوك فيهم ان
 يكون وجيهاً فسارع الانحلال الى دولهم بالطبيعة وظهر التخبط في احرازم
 الرياضات منذ فجر الاسلام . وظلت هذه الاخلاق متسلسلة في دمائهم الى هذه
 العصور . وقد يربد الطامع في شيء من اعمال المجتمع ان نقرب الدولة رأساً على
 عقب و لننقل ولو الى عدوه على ان يتولاهما قريبه الذي لا يجبه وان يهلك في اللحم
 والنيران المستعرة فربق عظيم من قومه اذا كان له من هذا الحريق ما يشوي به سمكته .
 وانت اذا حلت روح المجتمع الشامي تراه فرادى لا بقل كثيراً عن غيره
 من المجتمعات الشرقية الراقية واذا جئت تحمله جماعات فهناك النفخ في القوى
 والانحلال في الروابط . الشاميون اذا اجتمعوا تخالفوا عادة على الرياسة والتصدر^(١)

(١) وصفنا ادب عربي اغتربَ زماناً طويلاً في بلاد الغرب فقال : عرف
 عنا نحن العرب انا مبالون الى التطرف في كل شيء الى تضحية النفس والى الانانية
 الزائدة الى الحب العذري والى التهنك الى الصداقة النادرة والى الحقد الذي
 لا نهاية له الى التآله والى الشغف بالماديات الى الديمقراطية الحقنة والى عبادة
 الشخصيات البارزة الى الاعتداد بالنفس والى عدم الاعتماد عليها والى سرعة اليأس
 والى السقوط في القنوط عند اول صعوبة نجدها في طريقنا . وبعبارة أخرى ان في
 الامة العربية قوى عظيمة تارة تدفعها الى أشرف الاعمال وطوراً الى اسفلها
 واخسها . قال وسبب ذلك على ما يظهر له ان هذه الامة العظيمة الذكية العاقلة على
 الاطلاق تعيش وتتمسك بعواظها القوية اكثر مما تعيش وتتمسك بعقولها وتسير في
 حياتها واعمالها اليومية بقوة المصالح الشخصية التي لا تترك سبلاً للمحول عليها
 الا طرفته . هذا ناريحنا يشهد علينا اتنا قوم ذوو ذكاء ومقدرة على الاعمال وذوو
 نظر بعيد لكننا سراع التأثير ضعاف قوى التوازن وسرعان ما تقع في اليأس ان
 اصابتنا مصيبة وان اصابتنا حسنة اخذتنا سورة الفرح وكذا نفقد رشداً . قال وهذا
 الحكم ينطبق على الافراد والمجموع ويجري وعلى كبيرنا صغيرنا وعالمنا وجاهلنا الاماندر .

وتباينوا في العكر والاجتهاد لان الذكاء غالب عليهم وحب الذات مستحكم في شغاف قلوبهم وكل واحد يريد ان ينقذ قوله ولو كان مغلطاً واذا لم يوافقوه رفاؤة على ما ارتأى عاداهم وربما آذاهم كآث الاختلاف في الاجتهاد يستلزم العداوة والسخيمة . فلا تستغرب بعد هذا ان اُصيبت اكثر اعمال الجماعات عندهم بالشلل والشل ومنها ما يموت كالجنين في بطن أمه قبل ان يثقل بشراً سوياً . وقد ينشي غير المسلمين الجمعيات والمجامع ويحالفهم النجاح اكثر من غيرهم لانهم على تربة مثقاربة وعلى تضامن ودؤوب في الجملة . وما ندرى لعل العامل في هذا النجح الضرورة التي دعا اليها تماسك الصغير امام قوة الكبير على حين ترى ان هذا الكبير لا يحسن على الاغلب الا الادلال بقوته الموهومة والاعجاب بماضيه يقف عنده ولا يعرف ان يبرهن على العظمة الغائبة بسداد اعماله الحاضرة .

ومن عيوب السواد الاعظم ان الهزل يغلب عليهم ، والجدة قليل فيهم ، يحبون المداعبة والهزل واللهو ويسوء بعض اللثام ان يروا في قريتهم من يجد . هزأون بمن يعملون وهم لا يعملون ولا يعرفون كيف يعملون فسيبيلهم سبيل العاقل والمعتل . ومن عيوبهم انهم لا يصدقون صاحبهم لان سوء الظن غالب عليهم هذا ولو جاءهم مستنصحا مسترشداً لانهم اميل الى المصانعة لا الى الصدع بالحق واقرب الى ان يرضوا جليسه ويسكتوا امامه عن هفواته وربما التمسوا له في حضرته المعاذير حتى اذا غاب عن عيونهم ساقوه بالسنة حداد ونحتوا أثلته واغتسابوه وعابوه بما قد لا تلمه تبعته . ومن اجل هذا تأصلت في القوم عادات واخلاق كان يتأتى نزعها لو كتب لها من ينقدها وينكرها غير مدالس ولا موالس . فالنعومة الظاهرة التي تشاهد في بعض الشاميين يحتاجون معها الى شيء من الخشونة والقسوة .

كانوا في الايام الماضية اذا ارادوا الخط من شخص سلبوه صفاته واتهموه « بالمرق من الدين » وربما اوصلوه بهذه التهمة الشنعاء الى ضرب عنقه وهذا سر قلة الواهب في القرن المتأخرة . واليوم نشأ لهم زي جديد من ازياء التهمات يلبسونها من لا ترضيهم حاله ، اضافوا الى من يحاولون النيل منهم تهمة « المروق من الوطنية » كأن الوطنية ما هم فيه من الخلل والتخاذل وطلب الظهور بقاصمة الظهور . وبالشقاء الدين

والوطن كم اتجربها منجرون في الغابر والهاضر . ومن تدبر احوال هذه الطائفة بادنى نظر ادرك ان كل من يتبحر بهذه الدعاوي هم اول من يدوس كل مقدس لبلوغ غرض حقير .

والدواء الناجع في مداواة هذه الاخلاق هو ان يكون للصغار مدارس وطنية متقنة تلقنهم العلم الصحيح والاخلاق الصحيحة والقومية الصحيحة . اما الكبار الذين اشتهروا بسوء القالة فيقاطعون ويتجههم لهم العقلاء في كل افق ، لا بدونهم من مجالسهم . هما بالغ من سلطانهن وجاههم ومالم . فان من السخف اللطف مع الاشرار في المحضر والتهامس في قبيح سيرتهم في المنعيب . يجب ان يناقشوا الحساب ولا يؤمن لهم على خطاب و« المؤذي طبياً يقتل سريعاً » .

سيقول فريق ممن يقرأون هذه الصفحات انها اغرقت في وصف اخلاق الطبقات وفضحت ما كان مكنوناً لا يعرفه الا ارباب البصيرة ونحن في زمن احوج ما نكون الى السكوت عن المعاييب حتى لا يدو عوارنا اغبرنا كأن غيرنا لا يعرفنا اكثر مما نعرف انفسنا . وكان الاولى في عرفهم ان نجامل ونججم بيد السكوت عن العيوب عيب كبير وكتمان العلة مدرجة الى الهلكة والتاريخ لا يكتب على الهوى ولا يؤنل لارضاء الداس . وما نخال منصفاً بصيراً الا ويعترف وهو مثلنا جداً آسف ان ما اصاب هذه البعير من المصائب منذ عهد طويل لم يكن الا بسوء اخلاق من تولوا من ابنائها امرها وانه من المستحيل بعد ان صرح الحق عن محضه ان تولف الشام كيئناً يذكر ونقوم في ساحة الحضارة البشرية بعمل يشكر ولوأوتيت علم الجرمانيين واللاتينيين ورزقت غنى الانكيز السكسونيين مادامت اخلاق اهل الحل والعقد فيها لا تعالج بالنقويم ولا يحاول القضاء على مواطن الضعف من نفوسهم وعقولهم . فالساكت عن الحق شيطان اخرس وصديقك من صدقك لا من صدقك . فصَلِّته لكن على عقلي فما مقياس عقلك كان لي معروفاً

استدراكات وتصويبات



فإننا في الأجزاء الستة من خطط الشام ندوين بعض حوادث ووثائق كانت مدونة في مفكرائنا ، أو عثرنا عليها في كتب ومدونات أخرى بعد انجياز الطبع . ووقعت لنا اغلاط منها ما انتبهنا اليه بعد النشر ، ومنها ما تفضل بعض العلماء والادباء فأرشدونا اليه ، فضعمنا تلك المستدركات وهذه التصويبات في الصفحات التالية ، إرادة التحقيق ، شاكرين كل الشكر لمن انتقدونا فأسدوا يداً اليها والى العلم جزاهم الله خيراً . ومن الياقدين الذين نظروا في الخطط من بعثوا اليها مباشرة بتقديراتهم ، ومنهم من كتبوا في المجلات العلمية . فمن تقدم من الاعلام المرحوم الشيخ سليم البخاري في دمشق نشير اليه بحرف «س» واحمد تيمور باشا في القاهرة «ت» والامير شكيب أرسلان في لوزان من موبسرا «ش» والسيد عبد الله مخلص في حيفا «د» والسيد عمر الصالح البرغوثي في القدس «ب» والسيد عيسى اسكندر المعلوف في زحلة من لبنان «ع» والاب أ.س. مرمجي في القدس «م» والسيد جميل البحري في حيفا «ج» .

ونقد الخطط في المجلات المرحوم الدكتور يعقوب صروف في مجلة المقتطف بالقاهرة «ص» والاب انتاس ماري الكرمل في مجلة لغة العرب في بغداد «ر» والسيد عارف النكدي في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق «ن» والمرحوم الاب لويس شينجو والاب هنري لامنس في مجلة المشرق في بيروت «خ ، ل» والسيد

اسد رستم والسيد انيس الخوري المقدسي في مجلة الكلية في بيروت « أ ، ي »
والدكتور فيليب حتي في مجلة الجمعية الآسيوية الاميركية الانكليزية (Journal
of American oriental Society) تشير اليه بحرف « ف » .

المجلد الصفحة السطر

- ١ ٧ ١٩ و ١٤ لاحتظ (ر) ان وادي موسى هي سلم (بفتح فسكون) لا البتراء
وسلم في شمالي غربي معان او في جنوبي الشراة . وقد أطلقنا
كما اطلق غيرنا على وادي موسى البتراء ، والبتراء هي دون نبوك
الواقعة في شمالها وذلك لان وادي موسى يقال لها (Pétra)
عند الافرنج ومن هنا جاء الهم من مشابهة الاسمين .
الان كل أمة اعرف على الغالب بحالتها — اعرف على الغالب
بحالتها من غيرها بها (ر) .
- ١ ٨ ١٦ و ٨ لا يقول (ر) يجمع ميل على ميول وان فشا بين الكتاب اذ
لم يجد له اثرأ عند الفصحاء ولا عند المولدين . وكذلك انكر
اعدمه والاولى ان يقال قتله او اتلفه
- ١ ١١ ٢ و ٠٠ « المخطوطات العربية » المتوفى اوائل المئة السابعة صوابه
سنة ٦٢ هـ (د)
- ١ ١٢ ١١ العلاءي بدل العلاءي (د)
- ١ ١٣ ٢٤ للربيع الزبيدي — للديبع الزبيدي (ت)
- ١ ١٢ ٣ جمال يوسف بن ايوب . صوابه جمال الدين يوسف بن ايوب
- ١ ١٩ ١ الشبه لابن نقطة — السبة لابن نقطة (ت)
- ١ ٢٠ ٢٥ الاشارات الى معرفة الزيارات ، لا في معرفة الزيارات للهروي
المتوفى سنة ٦١١ هـ (د)
- ١ ٢١ ٧ يضاف الى ما طالعنا منها : مفكرات توفيق طارق في مصانع دمشق
ومدارسها وجوامعها وما حوت من نفائس الصناعة الثابتة وا مقولة
(بالعربية والتركية) .

مفكرات فحجب نصار في بلاد فلسطين .
محاضرة في شرقي الأردن لاديب وهبة
تقرير في التعليم في فلسطين على عهد الاتراك والانكليز لاجد
سامح الخالدي .

الكشاف عن اسرار الاوقاف لمحمد سعيد الباني
المعلومات الزراعية والاقتصادية والادارية عن لواء دير الزور
لوجيه الجزار

رسالة في تاريخ جبل عامل ووصف قراء لاجد رضا
قصيدة عبد الرحمن ابن النقيب المعروف بابن حمزة التي يذكر فيها المغنين
والندماء في الدلائل الأموية والعباسية بشرح خليل مردم بك .
جداول قري دولة سورية وضعت بمعرفة وزارة الداخلية في سورية .
محاضرة في عمر بن عبد العزيز لعارف النكدي
تحفة الادب في الرحلة من دمياط الى الشام وحلب لاجد بن
صالح الادهمي الطراباسي المتوفى سنة ١١٥٩ (في الخزانة
التيمورية في القاهرة) .

٢٣	١	٢٤ و ١٣ (٥٧٧) القاهرة . (٢٤٦) رومية بدلا من بيروت
٢٧	١	٦ ظهيرة — ظهيرة (لبسيك)
٣٠	١	٨ القرن السادس — القرن السادس (القاهرة)
٣٢	١	١٨ للسيد اسعد منصور (بيروت) والصحيح ان محل طبعه غير معلوم (د)
٣٤	١	٩ يحذف ٥٠١ لوروده في ص ٢٨ س ٢٤ .
٣٦	١	٢١ تاريخ العلوبين لمحمد امين الطويل (اللاذقية)
		الفلاحة اليونانية لقسطوس بن لوقا الرومي ترجمة سرجس بن هاليا الرومي (القاهرة)
		الموشح للرزباني (٣٨٤) (القاهرة)

المجلد الصفحة السطر

- كتاب الوزراء والكتاب للجيشياري (ليبسيك)
 تاريخ العالم العثماني لاحمد تيمور (القاهرة)
 سيرة عمر بن عبد العزيز لابي محمد عبدالله بن عبدالحكم المتوفي
 سنة ٢١٤ هـ (القاهرة)
 الاعلام لخير الدين الزركلي (القاهرة)
 عامان في عمان له (القاهرة)
 ديوان خير الدين الزركلي (القاهرة)
 ابو العلاء وما اليه لعبد العزيز الميمني الراجكوتي (القاهرة)
 ذكرى ابي العلاء لطله حسين (القاهرة)
 شعراء النصرانية بعد الاسلام للاب لويس شيخو (بيروت)
 بيروت تاريخها وآثارها له (بيروت)
 منهج التعليم الابتدائي في فلسطين (القدس)
 نظم العقيان في اعيان الاعيان للجلال السيوطي (نيويورك)
 من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام لبندلي جوزي (القدس)
 قطعة من تاريخ ابن طولون فيها حوادث من سنة ٨٨٥ هـ الى
 سنة ٩٢٦ هـ نشرها ريشار هارتمان (برلين)
 النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٨٣٣) (دمشق)
 العصور القديمة للدكتور جيمس هنري براسند تعريب داود
 قربان (بيروت)
 تاريخ اليهود في بلاد العرب للدكتور اسرائيل ولفنسوت
 (ابو ذؤيب) (القاهرة)
 فتوح مصر واخبارها لابن اعين القرشي المصري نشره شارل
 توري
 كتاب الدين والدولة لابن ربن نشره منغانة (القاهرة)

الانتصار لابي الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط
المعتزلي نشره الدكتور نبرج (القاهرة)
سورة والسور يون من نافذة التاريخ للدكتور فيليب حتي
(نيويرك)

حروب ابراهيم باشا المصري في سورية والاناضول شرها
الخوري بولس قرألي وهي لمصنف مجهول (القاهرة)
حاضر العالم الاسلامي تأليف لوثروب ستودارد نقله الى العربية عجاج
نوهض وفيه فصول وتعليقات للامير شكيب أرسلان (القاهرة)
تحفة الاحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم
والبقاع المباركات للسخاوي (القاهرة)

حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري (٨٠٨)

حبة الكهيت لشمس الدين النواجي (٨٥٩)

سفينة الملك لشهاب الدين محمد بن اسماعيل عمر
تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة لمحمد عبدالله عنان (القاهرة)
منهى المنافع في أنواع الصنائع لرشيد غازي الدمشقي (بيروت)
ثلاث رسائل للجاحظ في الرد على النصاري وضم اخلاق الكتاب
ورسالة القيان (القاهرة)

رسالة الدلائل والاعتبار منسوبة للجاحظ (حلب)

رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء (القاهرة)

عناية الحكيم واحق النبيين بالقدس الميسوب الى ابي القاسم
مسلمة بن احمد الجريطي (المانيا)

اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء لمحمد الخضري (القاهرة)

رسالة في فضيلة العلوم والصناعات للفارابي (حيدرآباد الدكن)

نوير الاذهان في تاريخ لبنان لابراهيم الاسود (بيروت)

المجلد الصفحة السطر

- مذكرات تاريخية لاحد كتاب الحكومة الدمشقية نشرها الخوري
قسططين الياسا (حريصا في لبنان)
- اسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر لانيس زكريا
النصولي (بيروت)
- كتاب الدولة الأموية في الشام له
(بغداد)
- المختصر في جغرافية فلسطين لحسين روجي (القدس)
- مفتاح باب الابواب لمرزا مهدي خان التبريزي (القاهرة)
- عبد البهاء والبهائية لسليم قبعين (القاهرة)
- يا الهي بهاء كتاب عبد البهاء عباس الى موزال تعريب توفيق
وقابق (القاهرة)
- تاريخ نجد الحديث وملحقاته لامين الريحاني (بيروت)
- الاسلام واصول الحكم لعلي عبد الرازق (القاهرة)
- كتاب الزراعة الحديثة العملية لمصطفى الشهابي (دمشق)
- الدليل اللبناني السوري لالياس وجرجي جدعون (بيروت)
- دعوة عامة من المجلس الشرعي الاسلامي في فلسطين وبها
دليل الحرم الشريف (القدس)
- بيان المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى في فلسطين لسنة ١٣٤١
— ١٣٤٢ هـ (القدس)
- نذكار اليوبيل الذهبي لكلية القديس يوسف للاب لويس شينغو (بيروت)
- خمسة نقاري في أعمال المجمع العلمي العربي بدمشق لمؤلف الخطوط
جامع التصانيف الجديدة ليوسف اليان مركيس (القاهرة)

« لاحظ غير واحد من نقاد هذا الكتاب اننا ذكرنا من الكتب
والرسائل ما لا يجدر ذكره بين الامهات التي اعتمدنا عليها »

المجلد الصفحة السطر

ومعذرنا اليهم اننا اذا فلما اننا اطلعنا على الكتاب الفلاني فليس
معناه اننا اخذنا منه واعتمدنا في نقلنا عليه ، فالكتب كالأشخاص
ننعرف الى كثيرين ولا تختار لصداقتك منهم الا من يوثق
بصدقه ووفائه » .

١ ٣٧ ٩ تاريخ تدنيات . صوابه تدنيات بتقديم النون على الياء

١ ٣٧ ٢٥ بيوك تاريخ عمومي (التاريخ العام الكبير) لاهمديقي (الاستانة)

آيك تاريخي (تاريخ الشهر) (مجلد) (تركيا)

١ ٣٨ ورد في رقم ٥٩٥ كتاب مؤرخي الحروب . والصواب مقتطف

وهم يريدون بذلك مجموعة مقتطفة من عدة مؤرخين . وفي رقم

٥٩٩ الفاموس السياسي والاجتماعي صوابه معجم صغير في السياسة

والاجتماع . وفي رقم ٦٠٣ جبل انوس والمشهور انوس بشاء

ثلاثة . وفي رقم ٦١٧ في الصفحة التالية مؤآب والمشهور عن

العرب مؤآب او مؤآب (ر) .

١ ٤٢ ٣ الجليل بالجيم بدل الخليل بالحاء

« يضاف الى قائمة الكتب الفرنسية »

١ ٤٥ ٨ Dussaud : Topographie Historique de la
Syrie Antique et Médiévale

طبوغرافية الشام التاريخية في العهد القديم والقرون

الوسطى لدوسو

Miot : Mémoires pour servir à l'histoire des
expéditions en Egypte et en Syrie

مفكرات تؤخذ منها مادة لتاريخ الحملات على مصر

والشام لـميو

Choix d'inscriptions de Palmyre

منتخبات من كتابات تدمر

المجلد الصفحة السطر

Louis Rambert : Notes et impressions de Turquie . L'Empire Ottoman sous Abdul-Hamid II 1895-1905

• مفكرات وتأثرات عن تركيا او المملكة العثمانية على

عهد عبد الحميد الثاني من سنة ١٨٩٥ - ١٩٠٥ تأليف لويز رامبر

F. Charles-Roux : Les échelles de Syrie et de Palestine au XVIIIe-siècle

شروط سورية وفلسطين في القرن الثامن عشر لشارل رو

Pierre La Mazière : Partant pour La Syrie

في طريق الشام تأليف بيرو لامزايير

Gontaut-Biron : Sur les routes de Syrie après neuf ans de mandat

على طريق الشام بعد مرور تسعة اعوام على الانتداب

Lawrence. : La révolte dans le désert (1916-1918 »

الثورة في البادية في سنتي ١٩١٦ - ١٩١٨ تأليف لورانس

A. Rabhat : L'évolution politique de la Syrie sous mandat.

النشوء السياسي في الشام على عهد الانتداب لادمون رباط

Louis Halphen : Les Barbares. des grands invasions aux conquêtes turques du XIe siècle

البربر • من الغارات الكبرى الى الفتوحات التركية في القرن الحادي

عشر الويز هافن

Arnold van Gennep : Traité comparatif des nationalités

مختصر في المقابلة بين القوميات لارنولد فان كنيب

Ramsy Muir : Nationalisme et Internationalisme

القومية والتوسع فيها لرمزي • وير

G. Contenau : Le Congrès international d'archéologie de Syrie - Palestine avril 1926

• مؤتمر الآثار الدولي في سورية وفلسطين في شهر نيسان سنة ١٩٢٦

المجلد الصفحة السطر

- ١ ٤٧ ٥ الصحيح انه لم يطلق اسم سورية على الشام قبل عهد اسكندر الكبير ولم يطلق منذ عهد المراجعة (أ) .
- ١ ٤٨ ٨ يكوم — يكون
- ١ ٥٠ ١٩ قولنا شاطي البحر الابيض المتوسط في موطن بحر الزم وهو الاسم المشهور عندنا لا وجه له وتسمية هذا البحر بالبحر الابيض تسمية تركية لا حظ لها من الصحة (ر) .
- ١ ٥١ ٢ وهذا الحد مصنع كل التصنيع والاولى ان يقال موضوع كل الوضع او مخلق او مفعل او موهوم (ر) .
- ١ ٥٢ ١٩ القارة هي من (قره) تركية وهي من وضع المترجمين من الاجانب وعندنا لفظة البر (ر) .
- ١ ٥٣ ٤ يضاف على المدن التي خربت او تأخرت « أم قيس » من بلاد عجلون المشرفة على الغور و « صرخد » و « السويداء » و « شهبه » في حوران و « عرقا » في سورية الشمالية و « عمان » في البلقاء و « بانياس » في الحولة (ش) وعسقلان في اقصى فلسطين (ب) .
- ١ ٥٣ ١١ يضاف الى اسماء المدن التي يختلف عددها بين العشرين والثلاثين ألفاً حيفا ونابلس واللاذقية والخليل ودير الزور .
- ١ ٥٣ ١٤ يضاف الى اسماء المدن التي هي اشبه بقرى او القرى التي هي اشبه بمدن مما نقوسه عشرة آلاف او اقل او اكثر « الشويفات » و « بشري » و « اهدن » و « البثرون » وفي لبنان اكبر بلدة زحلة فبشري فاهدن فالشويفات فبيت شباب فبسكنفا فالبترون فكفر ذبيان فدير القمر فبعقلين فشعيم فالشوير (ش) . وقال اننا اغفلنا ذكر راشيا مع انها اكبر من حاصبيا . ونسينا بين المدن التي تزيد على عشرة آلاف حيفا وعكا . ومن كبار القرى شفاعمرو والطيرة وجنين .

المجلد الصفحة السطر

- ٥٤ ١ ١٧٣ و ١٧٢ و ١٥١ و ١٧١ حارونة — شارون اوسارون . يرى (ش) ان
نهر عكا هو «الكابري» لا «الكابرة» و يظنها محرفة من
الكوبري لان عبدالله باشا هو الذي جاء بهذا الماء من كعب
جبل صفد وعمل له جسوراً .
- كما ينمو الغنم والماعز كان حقها ان تكون المعزى او العنز واما الماعز
فهو واحد المعزى كما نقول الخروف واحد الغنم . (ش)
- النيلة — النيل . الاسفلت — الفيرا والقار . البتول — النفط
او الزيت الحجري . الانتيون — الاثمد (ر) .
- ١٢ ٥٥ ١ تحذف (والنصيرية) وتجمل في السطر ١٣ قبل (والاسماعيلية)
- ١٣ ٥٥ ١ الموارنة قوم لا نخلة او مذهب . (ر)
- ٧ ٥٥ ١ يضاف الى من رأت الشام من الفاتحين خالد بن الوليد وموسى بن نصير
- ٢١ ٥٥ ١ يضاف بعد الشعوب المسيحية ، واليهودية .
- ٥٧ ١ ١٧٢ و ١٧١ و ١٥١ العمور — الامور بين — الامور بين . على ما يظهر
بذرية لود — على ما يظهر بذرية لاوذ كداود وبذال مجمعة في
الآخر . (ر)
- قلنا ان آرام الابن الخامس لسام والمحققون على ان معنى ارام
البلدان العالية وان الاراميين سكان البلاد العالية .
- ٨ ٥٨ ١ الحوض الاعلى — السقي الاسفل . (ر)
- ١١ ٥٨ ١ تزداد هذه العبارة : والخثيون جنوبيون وشماليون وكان الجنوبيون
في جهات فلسطين والشماليون نزلوا اولاً جبل اللسكام (امانوس)
ثم انتشروا بمرور الايام من الفرات الى حماة وحمص ومن دمشق
وقربة تدمر الى كبدوكيا ولم يكن لهم ملك واحد بل كان لكل
فصيلة منهم ملك . ولم يعرف شي من الخثيين الشماليين قبل ان
يمر الرحالة بركهارت بحماة سنة ١٨١٢ ويرى على جدار ازقتها

لمجلد الصفحة السطر

خطوطاً قديمة بالخط المسند المصري أي المبروغليفي تختلف عن الآثار المصرية وعثر على كثير من مثل هذه الآثار في حماة وحمص وحلب ومرعش وكركيش وغيرها وقد علم من هيئة وجوه الحثيين الشماليين على ما رسموا في الآثار المصرية أنهم أقرب إلى الرومان منهم إلى سكان فلسطين ولون وجوههم أبيض ضارب إلى الحمرة .

١ ٥٨ ١٤ أنكر (أ) كون العبرانيين أنوا من جبال أرمينية إلى سهول الفرات وأنكر دخول العرب فلسطين منذ خمسة آلاف سنة وقال أنه لا يعرف أصلاً تاريخياً واحداً يثبت هذا القول . فليحذر القولان .

١ ٥٩ ٢٢و٤ القافقامي — القاني أو كوه قاني . الدم — الرس . نرام سين — نرحم سين وهو من الكلدان لا من الآشوريين . (ر)

١ ٦٠ ٨ الامبراطور — الانبراطور أو الانبراذور . (ر)

١ ٦١ ١٣و٤ ثقلت فلازر أو ثقلت فلاسر أو ثقلت فلاشر — الصواب ثقلت فلاسر . وهو الثالث لا الثاني لأن الثاني طوي بساط أيامه في سنة ١١٢٠ ق . م أما الثاني فقد ملك من سنة ٧٤٥ إلى سنة ٧٢٧ . شرطها لم — شرطها عليهم . أثبت المحققون أن كلمة « حارث » إذا دخلت عليها ال التعريف كتبوا بدوت الف بعد الحاء والا كتبوا حارث (ر)

١ ٦٢ ٢ العمائر — العمائر (ر) .

١ ٦٣ ٥و١١و١٩و٢٤ القائد بومي — القائد بومبيوس وأحسن منها بومبيوس . السميذع — السميذع بالبدال المهملة . الزباء بنت عمرو بن عدي بن نصر — صوابه بنت عمرو بن الظرب وأما عمرو بن عدي فهو قاتلها بحسب رواية مؤرخي العرب (ت) .

المجلد الصفحة السطر

صنوبر ضبط بكسر الصاد وفتح النون المشددة والمعروف بفتح الصاد والنون وامكان الواو (ر) .

٦٤ ١ ٨٥٤ و٨٥٤ وليكونوا عدة ضد الفرس — ليكونوا عدة على الفرس . زباد ابن الهبولة — زياد بن الهبولة او ابن هبولة او الهبول . ابن عنبر الخمي — ابن عنبر وزان صغير . ومرو والحيايات — ومرو والحيايات . (ر)

٦٥ ١ ٢٠٥ قال الاخفش بن شهاب من شعراء الجاهلية :
وغسان حي عزهم في سوام يُجالد عنهم مقنب وكتائب
وبهرا حي قد علمنا مكانهم لم شرك حول الرصافة لاحب
ومعناه هم ملوك ولم يكونوا كثيراً وكانت الروم توليهم ونقائل
عنهم فعزهم في غيرهم وانما كانوا نزولاً مع قوم من العرب .
والمقنب الجماعة والجمع المقانب . والشرك جمع شركة بينات
الطريق وهي النخائر واحدها نخيزة والشرك الموارد والآثار
والرصافة ناحية حمص وهي لهشام بن عبد الملك . واللاحب
الطريق الماضي المقاد .

كون الغسانين كانت منازلهم في جلق صحيح لانه منقول عن
ثقات العرب ووارد في الشعر الجاهلي . وقال (أ) ان المعول
عليه اليوم ان بني غسان لم يتولوا الحكم على سورية الا على قبائل
حوران وشرقي الأردن وقد اثبت هذا الخبر شيخ المستشرقين
نولديكي الالماني .

٦٦ ١ ١٤ والسباينة — السباينة ، واحدهم سبيجي انظر المخصص ج ١٠
ص ٢٩ (ت)

٦٧ ١ ٢٣ قرية خربة . الاصح خربة اما خربة فهي مكان آخر (ب) .
٦٨ ١ ١٤ كانت دمشق محتاجة الى ثغر بحري وكانت بيروت ميناءها الطبيعي

وكانت المردة يتعدون على الطريق بين الشام وبيروت ولما جاء
ابو جعفر المنصور الى دمشق قدم عليه الامير ارسلان بن مالك
من المعرة ومعه جماعة فشكوا اليه توالي القحط عليهم بسبب الجراد
فاقطعهم جبال بيروت الخالية وعهد اليهم بحفظ الطريق فرجعوا
ونادوا بالرحيل بمشائهم فجاءوا ونزلوا بمحضر ابي الجيش ثم نزلوا
جبل المغيشة (ظهر البيدر) ومنها الى سن الفيل وصارت بينهم
وبين المردة الوقائع^١ . والفالب ان الامير فند بن مالك واخاه
الامير ارسلان يجب ان تكون الامير ارسلان بن مالك بن
بركات (ش) .

- ١ ٦٩ ١٨٣ عند ذكر انتقال الموارنة من جهات حمص كان يناسب ان يقال
وجبل القلمون لان كثيرين منهم جاؤا من هناك والعنارة فئة كبيرة
في جبة بشرى اصلهم من عين حلية في القلمون الادنى (ش) .
واستعربوا وحكومتهم — واستعربوا هم وحكومتهم (س) .
- ١ ٧٢ ١٤ يقول (ش) ان سكان الحولة والغور واريحا جبل مستقل بنفسه
يقال لهم الغوارنة ليسوا بعرب .
- ١ ٧٧ ١٥ يصح ان يشار هنا الى الكتابة الكرشونية التي هي عربي باحرف
سريانية وكتب كثيرة للموارنة بالكرشوني (ش) .
- ١ ٧٨ ٢٣ و١٠ وكان السابقون — وكان السابقين .
سلسلة — سلسلة .
- ١ ٧٩ ١١ قر بهم — وقر بهم (س) .
- ١ ٨١ ١١ و٩ بين اسراء الافرنج الذين كانوا يحسنون العربية صاحب قلعة الشيف
الذي ذكره بهاء الدين بن شداد في سيرة صلاح الدين (ش) .
الحثيون في الشمال والكنعانيون في الجنوب — الحثيين في الشمال
والكنعانيين في الجنوب (س) .

المجلد الصفحة السطر			
٩٠	١	٢	ذكر ان نينوى سقطت سنة ٦٥٥ ق م والصحيح سنة ٦٠٥ وهو غلط طبع وفي (ص ٩١) ذكرنا انها سقطت سنة ٦٠٧ نقلاً عن مصادر اخرى . وقال (أ) ان الاعتقاد كان منذ بضع سنين انها سقطت سنة ٦٠٦ اما اليوم فان الاختصاصيين مثل اوستد الاميركي وغيره يعتقدون انها سقطت سنة ٦١٢ ق م .
٩١	١	١٣	ثم قا — ثم قام .
٩٤	١	٢٣	فانشأ المكابيون يحترمون عبادة اليهود — هم يهود متشددون في دينهم (ب) ويمكن اصلاح العبارة على الوجه الآتي : وانشأ المكابيون وهم يهود يحترمون عبادتهم
٩٥	١	١٥	طيطوس او تيتوس المشهور تيطس (ب)
٩٨	١	٤	كانت دولة بني سميدع في تدمر ونواحيها كما كانت دولة البطيين في شرقي جنوبي الشام
١٠١	١	١٢	كايتولوزا الاصح كاييتولينا (ب)
١٠٤	١	٢	ولما حاصر كسرى القسطنطينية خلت ارض الشام من جند الروم وكانت في مدينة صور اربعة آلاف يهودي فكتبوا الى اخوانهم بيت المقدس وقبرص ودمشق وجبل الجليل وطبرية ان يجتمعوا كلهم في ليلة فصح النصارى ليقتلوا النصارى بصور ويصعدوا الى بيت المقدس فيقتلوا كل نصراني بها ويغلبوا على المدينة فبلغ الخبر البطريرق المقيم بصور فأخذ اليهود وقيدهم وسجنهم وأغلق أبواب صور وصير عليها المنجنيقات والمرايات . فلما كانت ليلة فصح النصارى اجتمع اليهود من كل بلد الى صور وكانوا زهاء عشرين الف رجل فحاربوهم حرباً شديدة من فوق الحصون فهدم اليهود كل كنيسة كانت خارج صور فكانوا كلما هدموا كنيسة أخرج اهل صور من اليهود المقيدين عندهم مائة رجل

فيوقفونهم على الحصن و يضربون أعناقهم و يرمون برؤوسهم الى خارج فضربوا أعناق النفي رجل ثم انهزم اليهود .

١ ١٠٥ ٩ اذا قيل الجاهلية والاسلام فالمراد بالاسلام كما قال النووي من حين انتشر وشاع في الناس وذلك قبل هجرة الرسول الى المدينة بنحو ست سنين .

١ ١٠٦ ٢١ ومؤتة والحرباء — ومؤتة والحرباء بالجيم المعجمة .

١ ١٠٨ ١٠٥ و٨ و١٠ هذا نص الكتاب الذي بعث به الرسول عليه الصلاة والسلام مع دحية الكلبي على يد عظيم بصرى ليدفعه الى هرقل وهو بالشام على ما جاء في الصحاح : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وان توليت فان عليك اثم الأربسين (الفلاحون وقيل الاتباع) ، ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اهـ » . وكتب الرسول ايضاً الى الحرث بن ابي شمر الغساني امير دمشق وبعث اليه بشجاع بن وهب .

وحماره يعفور — وحماره يعفور (ت)

اجاز رسوله . سعوداً باثنتي عشرة اوقية ونش . النش نصف اوقية وهو عشرون درهماً لانهم يسمون الاربعين درهماً اوقية ويسمون العشرين نشاً ويسمون الخمسة نواة — قاله الجوهري . ومنه الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية ونش الا اوقية اربعون والنش عشرون فيكون المجموع خمسمائة درهم .

المجلد الصفحة السطر

- ١ ١٠٩ ١٥٢ انجاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤنة — وجعلوا على يمينهم رجلاً
من عذرة يقال له قطبة بن قتادة وعلى يسرهم رجلاً من الانصار
يقال له عبادة بن مالك اه .
- ١ ١١١ ١٨٧ يبنى وأزدود . والمشهور اشدود (ب)
- غزا المسلمون الشام سبع غزوات . عن سلمة بن أنجيل الحضرمي
قال : فتح الله على رسول الله فتحاً فأنت رسول الله فدنوت منه
حق كادت ثيابي تحس ثيابه فقلت يا رسول الله بئيت الخيل وعطلوا
السلاح ، وقالوا قد وضعت الحرب اوزارها . فقال رسول الله :
كذبوا الآن جاء القتال الآن جاء القتال ، لا يزال الله يزيغ
قلوب أقوام نفسا تلونهم ويرزقكم الله عز وجل منهم حتى يأتي
امر الله وهم على ذلك وعمر دار الاسلام بالشام .
- ١ ١١٥ ١٣ الواقعة وذكرها ابن بطريق بأعظ الياقوسة وهو اسمها اليوم
تقع في مكان مرتفع يطل على وادي اليرموك بجهة محطة وادي
كبيد المحرقة عن وادي خالد (د)
- ١ ١١٦ ٢٥ ولما انتصر المسلمون في وقعة اليرموك كان هرقل في بيت المقدس
وقد جاءها للاحتفال بتغليس الصليب الذي استرده قبل ذلك .
- ١ ١١٧ ٩٢ فقاتلهم — فقاتلهم المسلمون (س)
- فكانت فحل — فكانت وقعة فحل (س)
- ١ ١١٩ ١ كتب عمر الى ابي عبيدة وكان كتب اليه في امر الشام : اما بعد
فابدؤا بدمشق وانهدوا لها فانها حصن الشام وبيت ملكهم .
وهي لا يخنى — وهي كما لا يخنى

المجلد الصفحة السطر

١ ١٢٠ ٢٥١١ ذكر في الاصل ان وقعة اليرموك كانت في رجب سنة ١٥ هـ
وقد ظهرت وثيقة سر يانية تثبت ان الوقعة كانت في اليوم الثاني
عشر من رجب سنة ١٥ هـ الموافق ٢٠ آب سنة ٦٣٦ م عثر على
هذه الوثيقة رايت من علماء المشرقيات وحلها بالاشتراك مع
المستشرق الالماني نولدكي (د)

١ ١٢١ ٢١ وحاصرها — وحاصرها .

١ ١٢٣ ٥ ولم تمص الا قيسارية في فلسطين . ويقول (ب) ان عسقلان ايضاً
امنتعت وحوصرت زمناً طويلاً . وفي فتوح عسقلان قالوا :
وكتب عمر بن الخطاب (رض) الى معاوية يأمره بتتبع ما بقي
من فلسطين ففتح عسقلان سنة ٢٣ هـ صلحاً بعد كيد . ويقال ان
عمرو بن العاص كان فتحها ثم نقض اهلها وأمدتهم الروم ففتحها
معاوية وأسكنها الروابط ووكل بها الحفظة اه .

١ ١٢٨ . فننته الروم — فننته على الروم .

١ ١٢٩ ١٤ و١٧ له بد ان من — له بد من ان .

وفي الامهات المعتبرة ان عياض بن غنم كان بالشام مع ابن عمه
ابي عبيدة بن الجراح فلما توفي ابو عبيدة استخلفه بالشام فأقره
عمر بن الخطاب وقال لا أغير اميراً أتره ابو عبيدة .

١ ١٣١ ٤ وقال عمر لئن عشت انت شاء الله لأسيرن في الرعية حولاً ،
فاني أعلم ان للناس حوائج تقطع دوني ، اما عمالمهم فلا يرفعونها ،
واما هم فلا يصلون الي . فأسير الى الشام فأقيم شهرين ،
و بالجزيرة شهرين ، وبمصر شهرين ، وبالبصرة شهرين ،
وبالكوفة شهرين ، وبالبصرة شهرين . وكان عماله رخصي الله عنهم
على مثاله من العدل والزهد وحب الحق . قالوا انه ولي سعيد بن
عامر بن حذيم حمص وكان لا يقبض رزقه وعطاءه ولما قدم عمر

المجلد الصفحة السطر

حمص امر ان يكتبوا له فقراءهم فرفع الكتاب اليه فاذا فيه
سعيد بن عامر فبكي عمر ثم عد الف دينار فصرها وبعث بها اليه
فبكي سعيد وانحب ثم اعترض جيشاً من جيوش المسلمين فاعطاهم
اياها ولا مته زوجته على عمله وقالت: لو كنت حبست منها شيئاً
تستعين به فلم يلتفت الى قولها .

١ ١٣٣ ١٥٧ حاشية عند الكلام على قنسرين : كانت قنسرين عاصمة البلاد
الحلبية واستعمل ابو عبيدة عليها حبيب بن مسلمة بن مالك وأمر
عمر على حمص وقنسرين سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي ثم امر
عمير بن سعد بن عبيد الانصاري . وقد مصر معاوية قنسرين
وافردها عن حمص وقيل انما فعل ذلك ابنه يزيد وما برحت
قنسرين مصرأ مهاباً في الشام حتى كان عهد عمر بن عبد العزيز
فولى عليها هلال بن عبد الاعلى ثم ولى عليها ايضاً الوليد بن هشام
المعيطي والفراء بن مسلم على خراجها وولياها الوليد بن القعقاع
واليهم ينسب حيار بني عبس والى ابيهم تنسب القعقاعية قرية
من بلد النابا وولياها يزيد بن عمرو بن هبيرة وكذلك مسرور بن
الوليد وعبد الملك بن الكوثر الغنوي اه .

وذكر بعض المؤرخين ان عثمان اضاف الى معاوية حمص وحماة
وقنسرين والعوامم وفلاطين مع دمشق وكانت عمر قد ولاء
الشام كلها بعد موت اخيه يزيد ، وجزع عمر على اخيه ورزق
معاوية الف دينار كل شهر واقره عثمان بعد عمر .

١ ١٣٤ ١٦ بشر بن ارطاة — الغالب بسر بالسين . وفي اليعقوبي بسر بن ابي
ارطاة . وقيل ابن ارطاة العامري من بني عامر بن لوأي وفي أسد
الغابة بسر هو بضم الباء وسكون السين وهو بسر بن ارطاة وقيل بن
ابي ارطاة واسمه عمير ومثله في كتاب الطبقات الكبير لابن سعد .

المجلد الصفحة السطر

بعث معاوية عمرو بن العاص في سنة ثمان وثلاثين الى مصر
ومعه اهل دمشق عليهم يزيد بن اسد البجلي وعلى اهل فلسطين
رجل من خثعم . معاوية بن حديج على الخسارجة وابو الاعور
السلامي على اهل الاردن فساروا حتى قدموا مصر فاقتتلوا
بالمساة وعلى اهل مصر محمد بن ابي بكر فهزم اهل مصر بعد
قتل في العريقتين جميعاً . قال عمرو وشهدت اربعة وعشرين
زحناً فلم اربو . كيوم المسناة ولم ار الا بطلال الا يومئذ . فلما
هزم اهل مصر تغيب محمد بن ابي بكر فأخبر معاوية بن حديج
بمكانه فمضى اليه فقتله (عن كتاب الولاة والقضاة) .

١ ١٣٦ ٦ لما بعث علي عماله على الامصار كانت من جملة من بعث سهل بن
حنيف الى الشام فاما سهل فانه لما انتهى الى تبوك وهي تخوم
ارض الشام استقبلته خيول لمعاوية فردوه فانصرف الى علي
فعلم علي عند ذلك ان معاوية قد خالف وان اهل الشام بابعوه .
١ ١٣٩ ٢٢ و١ لما بدأت الفتنه بين علي ومعاوية ضاق هذا من قيصر الروم وقد
جمع الجموع ليخرج اليه فيحارب على الشام فقال له عمرو بن العاص :
اكتب اليه تعلمه انك ترد عليه جميع من في يدك من أسارى
الروم وتسأله الموائد والمصالحة تجده مريباً الى ذلك راضياً
بالعفو منك .

قال الدينوري واهل الشام ايام صفين اذا انصرفوا من الحرب
يدخل كل فريق منهم في الفريق الآخر فلا يعرض احد
لصاحبه وكانوا يطلبون قتلاً ثم فيخرجونهم من المعركة ويدفونهم .
١ ١٤٠ ١٠ و٨ و٤ قال الدينوري : لما رأى الحسن من اصحابه الفشل ارسل
الى عبد الله بن عامر بشرائط اشترطها على معاوية على ان يسلم له
الخلافة ، وكانت الشرائط الا يأخذ احداً من اهل العراق باوحنة

وان يؤمن الاسود والاحمر ، ويحتمل ما يكون من هفواتهم ،
ويجعل له خراج الاهواز مسلماً في كل عام ، ويجعل الى اخيه
الحسين بن علي في كل عام النقي الف درهم ، ويفضل بني هاشم في العطاء
والصلوات على بني عبد شمس ، فكتب عبد الله بن عامر بذلك
الى معاوية فكتب معاوية جميع ذلك بخطه وختمه بخاتمه وبذل
عليه له العهود المركبة والايمان المغلفة واشهد على ذلك جميع
رؤساء اهل الشام ووجه الى عبد الله بن عامر فاوصله الى الحسن
(رض) فرضي به وكتب الى قيس بن سعد بالصلح وبأمره
بنسليم الامر الى معاوية والانصراف الى المدائن فلما وصل الكتاب
بذلك الى قيس بن سعد قام في الناس فقال : ايها الناس اختاروا
احد الامرين القتال بلا امام ، او الدخول في طاعة معاوية .
فاختاروا الدخول في طاعة معاوية . فسار حتى وافى المدائن
وسار الحسن بالناس من المدائن حتى وافى الكوفة ووافاه معاوية
بها فالتقيا فوكد عليه الحسن (رض) تلك الشروط والايمان اه .
قال الاحنف بن قيس وقد اتاه كتاب الحسن بن علي رضي الله
تعالى عنهما يستنصره : قد بلونا الحسن وآل الحسن فلم نجد عندهم
ايالة الملك ولا صيانة المال ولا مكيدة الحرب . ولم يجبه الى ما
طلبه اليه اه .

عمرو بن العاص قريب معاوية والحقيقة انه من بني سهم وهو
بطن مستقل عن بني أمية (ب) .

يرى (ب) ان وصية معاوية الى ابنه يزيد موضوعة لان عبيد
الرحمن بن ابي بكر توفي قبل معاوية على الصحيح .

بالخذونة من قلعية - والصواب خلقيدونية وهي واقعة بازام
الاستانة . (ل)

المجلد الصفحة السطر

١ ١٤٩ ١٢ رأي (ب) تناقضاً في الروايات التي نقلناها عن صلح عبد الملك ابن مروان مع الروم في هذه الصفحة وفي صفحة ١٥١ و ١٥٢ والاضطراب واقع في نوع المدفوع ومهلة الدفع .

١ ١٥٢ ٢١ كان موريق وموريقان من قواد ملك الروم في القسطنطينية حارباً بالموارنة لقولهم بالطيبتين والمشيتتين وانتهى جيشهما الى طرابلس وضرب خيامه ما بين اميوت وقربة الناوروس ثم وفد وفد من لاون القائد الذي سجنه الملك الى البطريرك يوحنا والامير سمعان وبشرهما بانه قد نجا من الحبس وقبض على يستينان الملك وقطع انفه ونفاه وتولى السلطة مكانه واباح لهما ان يحاربا الجيش الموجه عليهما ، فلما عرف الجيليوت واهل العواصم بهذا الخبر انهالوا على الاروام من اعالي الجبل انهيلاً فقائلوهم حتى قتلوا اكثرهم ، وانهزم الباقون . قال الدويهي : وبسبب هذه الحملة على يوحنا مارون ولاسيما بسبب الواقعة التي جرت بين اهل الكورة وجبة بشري كانت بدءاً المنفرقة بين الموارنة والملكية لان الذين اتبعوا جيش الروم وانقادوا لرأيهم سموا ملكية تبعاً للملك ، والذين ثبتوا في الامانة تحت طاعة البطريرك يوحنا مارون سموا موارنة .

١ ١٥٧ ٢ يزيد بن الوليد — يزيد بن عبد الملك . (د)

١ ١٥٨ ٨ و ٥ و ٤ وكان ذلك من العوامل الكبيرة في قتله — لم يقتل يزيد بن

الوليد الملقب بالساقص بل مات على فراشه . (ت)

كانت الخليفة من بني أمية اذا مات وقام آخر زاد في ارزاقهم وعطايهم عشرة دراهم فيقولون « غير بعير وزبادة عشرة » اي رجل يرحل . وأصبح ذلك من أمثال الشاميين اه .

قال الطبري لما بلغ يزيد (١٢٦) امر حصن دعا عبد العزيز

لمجلد الصفحة السطر

ابن الحجاج فوجهه في ثلاثة آلاف وامره ان يثبت على ثنية العقاب . ودعا هشام بن مصاد فوجهه في الف وخمسمائة وامره ان يثبت على عقبة السلامة وامرهم ان يمد بعضهم بعضاً .

١ ١٦٠ ٩١ لما خالف اهل الغوطة (١٢٧) ولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وحصرها دمشق واميرها زامل بن عمرو فوجه اليهم مروان من حصن ابا الورد بن الكوثر في عشرة آلاف فلما دنوا من المدينة حملوا عليهم وخرج عليهم من بالمدينة فانهمزموا واستباح اهل مروان عسكرهم وأحرقوا المزة وقرى من البائية وأخذ يزيد بن خالد يقتل .

ادبار الأمويين — ادبار الأمويين .

١ ١٦١ ٢٠ و٢ قرية بوصير في الصعيد — قرية بوصير قرب القاهرة . (ل) قلما ان علم الامويين نُصِرِب في بكين عاصمة الصين والاولى ان يقال في ارض الصين وقد لاحظ ذلك ال و ف)

١ ١٦٢ ١٠ من جيد مدح الأخطل في بني أمية : حُشد على الحق عِيَّاف الخنا أنف

اذا أملت بهم مكروهه صبروا

شمس العداوة حتى يستفاد لهم
وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا
« ومعناه حشد اذا دعوا أجابوا مسرعين وأنف جمع أنوف
مبالغة من انف بمعنى استنكف . وشمس جمع شمس وهو الرجل
الصعب الخلق . واستفدت الامير من القاتل فأقادني منه
اي قتله مثل استعداديه فأعداني اي طلبت انصافه فأنصفني
والاحلام المقول » .

١ ١٦٤ ١٥ فواد الأمويين — فواد الأمويين واسباب انقراضهم .

سطر مكور وهو من (اسحق بن مسلم الى معاوية بن حديج) .
 ١ ١٦٦ ٢٥٣ علل الاستاذ المرحوم رفيق العظم سبب سقوط الدولة الاموية بان
 الأمويين ارتكبوا أغلاطاً في المبالغة باضطهاد العلويين منها
 تسميم ابي هاشم باصر سليمان بن عبد الملك وان الأمويين فقدوا
 أعظم الرجال الذين كانوا يخدمون الدولة باخلاص فأخرجوا من
 أخرجوا منهم حتى أخرجهم كحالد بن عبد الله وفتيبة بن مسلم
 ويزيد بن المهلب ومومي بن نصير ففقدت الدولة بفقدهم وفقد
 أمثالهم حائلاً لا يقدر من قوتها وانحطت هيبتها ، وان تباعد أطراف
 المملكة بما صار اليهم من الفتح الى عهد هشام بن عبد الملك ساعد
 على اختلال نظام الدولة ، فقد اتسعت دائرة ملكهم الى ما لم تبلغه
 قبلهم دولة الرومان . وضبط مثل هذا الملك المتراحم الاطراف
 مع صعوبة المسالك والمواصلات لذلك العهد ، متمذراً جداً ولا سيما
 على أمة حديثة العهد في سياسة الامم . وان الأمويين حافظوا
 على خشونتهم الاولى الى خلافة هشام ، واخذ الخلفاء بعد الوليد
 ابن يزيد يميلون الى الترف والراحة ، يضاف الى ذلك انقسام
 العرب في خراسان التي هي منبع الدعوة العلوية والعباسية الى
 مضرية ويمانية ونازع رؤسائهم على الولاية في إبان الدعوة .
 اما ما يقوله بعض المؤرخين من ظلم الدولة الاموية ويعزي اليه
 دمارها فبالغ فيه ، وما كان منه صحيحاً فهو في نظر المؤرخ
 ثانوي ، والحقيقة ان الخلفاء الأمويين كانوا أشداء على خصومهم
 دون سائر الناس ، وكانوا في منزلة من العناية بالرعية والاهتمام
 بالعدل بين الناس فوق منزلة كثير من الحكومات المطلقة .

يزيدا — يزيد (س) .

١ ١٦٢ ١٨١ و ١٧٢ و ١٨١ — يزيد (س) .

المجلد الصفحة السطر

من النقاد الذين يقام وزن آرائهم الاستاذان (ش ، ن) فقد اتهمنا بالتعصب لبني أمية وقال الاول : اننا دافعنا حتى عن يزيد فالنصرة الشامية بادبة في الكتاب لا تقتنى على احد . وقال الثاني في تساؤلنا عما عمل خصوم الأُمويين : انهم اوجدوا الأُمويين وحسبهم هذا حسنة . نعم اذا كان بنو أمية قد أنشأوا دولة غراء هي احدى مفاخر العرب على الدهر فانهم كانوا ايضا ملوك العرب وخلفاء الاسلام ، والملك والخلافة لم ينشئها الأُمويون ، ولا هم الذين وضعوا أساسها ، بل السابقون الاولون ، الحاملون أمية على الاسلام بالسيف ، وفي طليعتهم علي بن ابي طالب « صاحب الحماسة والخطب والزهد والنقوى » اه . هذا ما قالاه وهو كلام لا يخلو من نزعة علوية ايضا . ونحن في كلامنا على الأُمويين عمدنا الى ما قاله الثقات من المؤرخين فيهم ، ووزنا عملهم بميزان العقل والانصاف ، والتاريخ لا يهتم لغير الاعمال التي خرجت من القوة الى الفعل ، فعمل الأُمويين أثمن مئة مرة من عمل العلويين على ما خص به صاحبهم « كرم الله وجهه » من الصفات الممتازة . وما أظن الاستاذين المشار اليهما ، ومن يقول بقولهما من عقلاء الامة ، يجوزون في هذا العصر ان نشايح أناسا في الأُمويين لا يرمون الا الى نزعة دينية وتقليد استثمروه قرونا تبعا لاهوائهم ، على حين نذوخي ان نكتب للامة تاريخها بما علمناه وعلمه من قبلنا مثل ابن خلدون وابن تيمية وابن جرير والدينوري وغيرهم من المجمع على علمهم وعقلهم من سلف هذه الامة .

روى ابن تيمية في منهاج السنة عن بعض العلماء ان عليا كان زاهداً ولكن الصديق أزهده منه لان ابا بكر كان له المال الكثير في ادل الاسلام والتجارة الواسعة فأنفقه في سبيل الله وكان حاله

في الخلافة ماذُكر ثم رد ما تركه ليث المال . وقال ابن زنجويه
واما علي فانه كان في اول الاسلام فقيراً يعال ولا يعول ثم استفاد
المال والرباع والمزارع والنخيل والاقواف واستشهد عنده تسع
عشرة مربية واربع نسوة وهذا كله مباح والله الحمد . قال شيخ
الاسلام وخطب الحسن بعد وفاته فقال : ما ترك صفراء ولا
بيضاء الا سبعمائة درهم بقيت من عطائه . وروى الاسود بن
عامر حدثنا شريك النخعي عن عاصم بن كليب عن محمد بن كعب
القرظي قال قال علي لقد رأيتني على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم اربط الحجر على بطني من شدة الجوع وان صدقة مالي
لتبلغ اليوم اربعين الفاً . الى ان قال : واما علي رضي الله عنه
فتوسع في هذا المال من حله ومات عن اربع زوجات وتسع عشرة
ام ولد سوى الخدم والعبيد وتوفي عن اربعة وعشرين ولداً من
ذكر وانثى وترك لهم من العقار والضباع ما كانوا به من اغنياء
قدمهم ومياسيرهم هذا امر مشهور لا يقدر على انكاره من له اقل
علم بالاخبار والآثار ومن جملة عقاره يذبح التي تصدق بها وكانت
تغل الف وسق تمر سوى زرعها اه .

١ ١٧١ ٨ يرى (ب) ان الامويين انتهبوا الى مقاصد اعدائهم قبل هذه
المدة بكثير .

١ ١٧٢ ٢٣ جيوش العباسيين الصحيح جيوش الأمويين .

١ ١٧٥ ٢٥ و ٣٤ و ٣٥ يقول الطبري ان المجلس الذي اعد لقتل رجال بني أمية كان

على نهر بالرملة ويقول (ب) الاصح انه نهر العوجاء . وقتل في

قلاً نسوة شمال هذا النهر بعض ابناء بني أمية كما ذكر ذلك باقوت .

ذكر (ن) ان في الكتاب اياناً من الشعر بعضها لا موضع له في

التاريخ ، والبعض الآخر لبس محله حيث استشهد به . ونحن

المجلد الصفحة السطر

نوافقه على ان بعض ما استشهدنا به قد لا يصح ايراده الا من
باب التجوز الضعيف . اما الاستشهاد بالشعر فقد قصدنا به اولاً
تقوية الموضوع ، او بيان صورة امر وقع وما قيل فيه في عصره ،
وقد نستشهد بالشعر لادنى مناسبة ترويحاً لنفس القاري ، بعد
ان يكون تلا صفحات من الوقائع الجافة وسردنا عليه اشياء
اضطررنا الى سردها حتى لا نضيع سلسلة الوقائع والاحداث .

وبقي فيها وذريته — وبقي فيها هو وذريته .

١ ١٧٧ ١٢ نصح الجملة هكذا : ولم تكذ ننقطع هذه النعمة في الشام . وفي
سنة ٢٩٤ زعم رجل انه السفياي .

١ ١٧٨ ١٦ باللجون بين فلسطين والاردن . والاصح في شمال فلسطين (ب)

١ ١٧٩ ١٢ و بالجملة فان اهل الشام والوا عبد الله بن علي وكانوا معه فخار به
المنصور وهزمه ثم ان المنصور عفا عن اهل الشام .

١ ١٨١ ١٦ العواليك الصحيح الصواليك (ب) .

١ ١٨٣ ١٤و١٧ عبدالله بن سعيد الحرسي — الحرشي (ب) .

بالمعيطر — بابي المعيطر (والذي في القاموس المعيطر ولكن
شارحه صححه بابي المعيطر) (ث) .

١ ١٨٤ ٢٣ ثلاثمائة فارس من الصباب — من الضباب (ب) .

١ ١٨٥ ٤ وزاره — وزراؤه

١ ١٨٦ ٤ ذكر المسعودي ان عبد الملك بن صالح توفى بالرقه سنة ١٩٢

وكانت العامل على الجزيرة وجند قنسرين والعواصم والثغور
واضطربت البلد ان بعد وفاته ، وتغلب كل رئيس قوم عليهم ،
وصار الناس حزبين حزب يظاهر بمحمد وحزب يظاهر بالمأمون ،
فلم يبق بلد الا وفيه قوم يتحاربون ، لا سلطان يمنعهم ولا شيء
يدفعهم . ولما افضت الخلافة الى المأمون كان بقورس وما والاها

المجلد الصفحة السطر

من كور العواصم العباس بن زمر الهلالي وبالحيار وما والاها من كور
قنسرين عثمان بن ثمامة العبسي وبالحاضر الذي الى جانب حلب
منبع التنوخي . وقد كان يعقوب بن صالح الهاشمي يحارب الحاضر
فهرب اهل قنسرين وكان بعمرة السمان وتل منس وما والاها من
افليم حمص الحواري بن حنطان التنوخي . وبجدة وما والاها
حراق البهرائي وبشيزر وما والاها بنو بسطام وبمدينة حمص بنو
السمط واقام بدمشق والأردن وفلسطين جماعة من رؤساء
القبائل حتى ولي المأمون عبد الله بن طاهر اه .

١ ١٨٩ ٢١ المعروف بابن شكلة الهاشمي ، الاصح ان يقال المنبوز وكذلك
يصح ماورد في الصفحة التالية سطر ١٤

١ ١٩١ ١٧ في سنة ٢١٨ كتب المأمون الى عامله على دمشق في التقديم الى
عماله في حسن السيرة وتخفيف المؤونة وكف الازد عن اهل
محلته قال : فنقدم الى عمالك في ذلك اشد التقدمة واكتب الى
عمال الخراج بمثل ذلك . وكتب بهذا الى جميع عماله في اجناد
الشام جند حمص والأردن وفلسطين .

١ ١٩٥ ٧ ابا الغراء — ابا المغراء (ب) .
١ ١٩٧ ١٥ الفراعنة — الفراغنة (وهم جند من فراغنة ومبرقند وتلك
النواحي) (ت وب) .

١ ٢٠٠ ٢٥ و ١٣ ايتاح صوابه ايتاخ بالخاء المعجمة (ت وب)
توفي ماجور — توفي اماجور .

١ ٢٠٢ ٢٣ و ٥ ذكرنا ان احمد بن طولون ادعى الخلافة لنفسه بمصر وقد حقق
(ت) انه لم يدعها وهو الصحيح . وقال مثل ذلك (ت)
وذكر انه حاولها .

ذكرنا ان الخليفة طلب الى ابن طولون ان يزوجه ابنة ابنه

المجلد الصفحة السطر

خمارويه وقد قال (ت) ان الذي يذكره ابن طلب الزواج
وقع بعد وفاة ابن طولون وان خمارويه هو الذي طلب ان يزج
ابنته لولي العهد فقال المعتضد بل انا اتزوجها . قال و يذكر ايضا
ان الخليفة هو الذي دس على خمارويه من يزين له هذا الطلب .
وهذا هو الاصح على ما ذكره الثقات .

١ ٢٠٣ ١١ المتوكل — المعتمد .

١ ٢٠٥ ٣ و ٧ و ١٣ اي المعتضد — بابي المعتمد . نهر العوجاء هو غير نهر الطواحين (ب)
فقتل سعد فقتل سعداً (س) .

١ ٢٠٦ ٢٤ واخلف جيش حبيش — وخلف جيش حبيش .

١ ٢٠٧ ٠٠ قصة القرامطة مكررة بالحرف والمعنى في صفحة ٢٠٧ و ٢٠٨

و ٢٠٩ و ٢١٠ (ب) وانتقد (ن) مثل هذا فقال ان عبارات
تكررت بعينها في صفحات متقاربة مما لا وجه له ولا فائدة منه .
وقد نورد في بعض الاحيان اسماء اشخاص لام يعرفون عند
الجمهور معرفة تامة ولا نجن نذكرهم ذكراً كافياً . وعذرنا عدم
الاطلاع على تراجم هؤلاء الاشخاص واذا تكررت بعض عبارات
بعينها او اوردنا قصصاً بلفظين مختلفين فلا يكون الا من العجالة .

١ ٢٠٩ ١٢ وقالوا في تعليل لقب القرامطة انه محرف عن كرميثة ومعناه

بالبطية احمر العينين وذلك ان القرمطي الاول مرض مرة
فاًخذه الى بيته رجل اسمه كرميثة لقب بذلك لحرمة عينيه فسمي
باسم مضيغه (ش)

١ ٢١٠ ٤ تصحح العبارة على هذه الصورة بين عساكر الخليفة . . . ربين

القرامطة بمكان . . .

١ ٢١١ ٢٤ المبكثري — البكثري

١ ٢١٥ ٧ فبلغ كافور — فبلغ كافوراً

٢١٦ ١ ٥٤ ليستلمها — ليستلمها (ت)

آخذنا (ن) ان رأى في عرض الكلام : دولة تسقط ، وأخرى
 تقوم ، وثورة يهجم قوتها ، وجيش تنهزم جموعه ، فلانعلل لذلك
 تعليلاً يكشف الغطاء عن حقيقة الاسباب . وجوابنا عليه اننا
 مثله نشعر بذلك ، ولكننا لم نجد مستنداً نستقر به حتى نستنتج كل
 مرة ، ولعل هذا النقص يُسد بـمدنا ، فان المادة التي استقينها منها
 الكتاب على وفرتها لم تبعث الهمة على ان نعلل كل حادث مخافة
 ان تقع في تضليل القاري . وقد قال غستاف لوبون : اذا كان
 من الصعب على الفرد ان يكتشف الاسباب الحقيقية التي قدرت
 عليه أفعاله الخاصة ، فكيف يستطيع مؤرخ ان يدرك الاسباب
 السرية المستورة بضباب الدهر من الوقائع التي يجهل أصحابها
 انفسهم مبادئها .

٢٢٢ ١ ١٤ كاخضرة بني العباس — صوابه كخضرة .

٢٢٧ ١ ٨ داولة علوية — دولة علوية

٢٢٩ ١ ٢٥ و١٤ وفي تاريخ العلويين انه كان اليهود يقطنون في القرن الرابع

جهاث صهيون وينزل المسيحيون في اللاذقية والعلويون اي النصيرية
 في الجبل ولما استولت الروم على أرجاء اللاذقية في سنة ٣٥٧ شعر
 العلويون بالثغرات الادارية والعسكرية وأعلنوا الثورة على الروم
 وكان برأسهم حسين بن اسحق الضلعيني العلوي النخعي ففاز
 واستقل باللاذقية سنة ٣٦٨ ثم حكم مدة محمد بن اسحق النخعي
 ثم عقبه اخوه ابراهيم .

الف — الفا .

٢٣٤ ١ ٢٤ فرغويه — فرغويه

٢٤٢ ١ ١٩ بعقوه — بعقوه (س)

ملد الصفحة السطر		
٢٤٣	٢	وهم — دم (س)
٢٤٨	٧	المديرين — المدبرون
٢٥٢	١٩	واخفق بالنار — واخفق بالنهر (س)
٢٥٨	٢٥ و ١٣	الى علمه ويقتل وآله — الى علمه ويقتل هو وآله (س)
		الوزير بن — الوزير ابن
٢٦٣	١١	فيقوى بها وعسكره — فيقوى بها هو وعسكره (س)
٢٦٤	٢٢	لم يخطب بعدها في دمشق للعلوين والحقيقة انه خطب لم مراراً كما جاء في نفس الصفحة وبعدها في صفحة ٢٧١ و ٢٧٣ (ب)
٢٧١	١٣ و ٩ و ٣	ننش الى اخيه = نش الى ملك اخيه .
		نسلم = تسلم (ت)
		أرئق = أرئق (ت)
٣٠٠	١٩	دير ايوب وكفر بصل لبسا باليرموك وانما هما خلفه (ب)
٥	٤ و ٥	افي = في . بطالم = ابطالم (س)
٧	٢٣	فنهض وحسان = فنهض هو وحسان (س)
٩	٢٥	بعد بطنين = بطنين
١٠	٣	نائب = نائب
٢١	٩	أرئق = أبق وفي ص ٢٩ س ٢٣ مجير الدين أبق (أرئق) .
		اي انكم توقفت في فيه وقد نص ابن الفرات في تاريخه على انه أبق ونص عيسارته « وأقام الامير معين الدين أئسز الاتابك مكان الملك جمال الدين محمد ولده الملك عضد الدولة مجير الدين ابا سعيد أبق بعد الباء الموحدة قاف بن جمال الدين محمد بن بوري وهو آخر ملوك دمشق من بيت طغتكين » . (ت)
٢٤	١١ و ٢١ و ٢٣	طعتكين = طغتكين
		تأثر = تأثر

المجلد الصفحة السطر

ثرداد = ثرداد			
٢٥ الملوحة = الملاحه (ب)	٣٢	٢	
وغيرا صلاح للدين والحقيقة نور الدين (ب)	٤٠	٢	
٢٢ و٢٠ فرقته نحو عيذاب = وفرقة سارت نحو عيذاب .	٥٦	٢	
وأرسله مع حسام الدين (اي الاسطول) والمعروف استعمال أرسله لمن يعقل وأرسل به لما لا يعقل . (ت)			
١٥ و١٨ مجد البابا = مجدل بابا . ريحا = اريحا . (ب)	٥٨	٢	
٣ و٢ هي الأمانة = وهي من الأمانة . الملك آماري = اموري (ب)	٦٢	٢	
٨ وقع الفرنج بباقا وعكا وصور = لم يملكوا سوى صور . (ب)	٦٣	٢	
٢٥ فلقى الاهل والبلد — والولد	٦٩	٢	
١٩ كان صلاح الدين كثيراً ما يقول ان مرادنا من البلاد رجالها لا اموالها ، وشوكتها لا زهرتها ، ومناظرتها للعدو لا نصرتها .	٧٠	٢	
١ الكامات = الكوسات	٧٢	٢	
٧ خمارد كين = خمارت كين (ب)	٧٤	٢	
٧ وبلغ = ولما بلغ	٨٧	٢	
٧ في تاريخ العلويين ان النصيرية هدموا جبلة في الحروب الصليبية ولم يبق سوى نل التويني قرب جبلة . واتحد الاسماعيليون مع الأكراد في الحروب الصليبية على العلويين فاستنجد هؤلاء بالامير حسن المكزون السنجاري فجاءهم سنة ٦١٧ في خمسة وعشرين الفا من العلويين ونزل على عين الكلاب بقرب قلعة ابي قبيس وعلى سطح جبل الكلبية فيجتمع الاسماعيلية مع حلفائهم الأكراد واجتمعوا في مصيف وأغاروا ليلاً على جناح الامير وعساكره وغلبوه فرجع الى سنجار خائباً اه .	٨٨	٢	
٣ ساي لوي أسر في الحملة الصليبية السابعة كما ذكر في ص ١٢٨	٨٩	٢	

مجلد الصفحة السطر

اي في مدة الصالح نجم الدين ايوب وابنه قوران شاه . (ت)

٢ ٩٠ ٢١ و ٨ ابن شامة = ابوشامة

• المنيقة = المنيقة

٢ ٩١ ١٢ الى عمه الأشرف = الى اخيه الأشرف . (ت)

٢ ١٠٥ ٨ بمد صاحبها = بمد صاحبها .

٢ ١٠٨ ١٣ متعضة = متعضة

٢ ١٠٩ ٢٠ وص ١١٠ س ٥ الباذراي لعله الباذرائي .

٢ ١١٢ ٢٢ عني عنه = عفا عنه

٢ ١٢١ ١٦ الناصر قلاوون = المصور قلاوون

٢ ١٢٢ ١٤ استقرت الهدنة بين الملك الظاهر بيبرس وبين الاستتار بحصن

الأكراد والمرقب في رابع شهر رمضان سنة خمس وستين وستائة

لمدة عشر سنين متوالية وعشرة ايام وعشرة اشهر وعشر ساعات

على ان يكون النصف من غلات قرى جميع المملكة المحمية

والشيزية والحوية وبلاد الدعوة للملك الظاهر والنصف لبيت

الاستتار (والهدنة في سبع صفحات من الجزء الرابع عشر من صحيح

الاعشى) .

واستقرت الهدنة بين الملك الظاهر بيبرس ايضاً وبين ملكة بيروت

من البلاد الشامية في شهور سنة سبع وستين وستائة حين كانت

يبدؤها مدة عشر سنين متوالية على ان يكون جميع المترددين من

بلاد المملكة الى بلاد الظاهر وبالعكس آمنين مطمئنين على نفوسهم

وأموالهم وبضائعهم برآً وبحراً ليلاً ونهاراً ، وعلى ان المملكة لا تمكن

احداً من الفرنج على اختلافهم من قصد بلاد السلطان من جهة

بيروت وبلادها ، وتمنع من ذلك وتدفع كل متطرق بسوء وتكون

البلاد من الجهتين محفوظة من التجربين المفسدين .

وعقدت هدنة بين السلطان الملك الظاهر وولده الملك السعيد وبين الفرنج الاستبارية على قلعة لد بالشام في سنة تسع وستين وستائة على ان تكون قلعة لد والجهات المذكورة الى آخر الزائد للملك الظاهر ولا يكون لبيت الاستبار ولا للرتب فيها حق ولا طلب بوجه ولا لاحد من جميع الفرنجة فيها نعلق ولا طلب بوجه ولا بسبب . (وصورة هذه الهدنة دخلت في تسع صفحات ايضاً) .

٢ ١٢٣ ٢٤ قصة خبر موت الملك الظاهر بالسلم مذكورة في ابني الفدا وابن الشحنة ايضاً . (د)

٢ ١٢٥ ٧١ ولا بلاد ولده الصالح يحقق لفظ الصالح . (ت)

٢ ١٢٦ ٤ لما فتحت طرابلس كتب محيي الدين بن عبد الظاهر كتاباً يصف هذا الفتح : واستمر ذلك (الحصار) من مستهل شهر ربيع الاول الى يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الآخر فزحف عليها في بكرة ذلك النهار زحفاً يقفم كل مضبة ووهدة وكل صلبة واصله ، . . . وطلعت سناجق الاسلام الصفر على أسوارها ودخلت عليهم من أقطارها . . . وكانت اخذها من مائة سنة وثمانين سنة في يوم الثلاثاء واستردت في يوم الثلاثاء (وفي رسالة أخرى انها قامت بيد الافرنج مئة سنة وستاً وثمانين سنة) .

٢ ١٢٧ ٧ و٢٢ عقدت هدنة بين السلطان الملك المنصور قلاوون الصالح صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية وولده الملك الصالح علي ولي عهده وبين حكام الفرنج بعكا وما . . . منها من بلاد سواحل الشام في شهور سنة اثنين وثمانين وستائة وهي يومئذ بايديهم لمدة عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وعشر ساعات على ان لا يكون للفرنج من البلاد والمناصبات الا ما شرح في هذه الهدنة وعين فيها من

المجلد الصفحة السطر

البلاد وعلى ان الفرنج لا يجدون في غير عكا وعثليث وصيدا
 مما هو خارج عن اسوار هذه الجهات الثلاث المذكورات لاقلة
 ولا برجاً ولا حصناً ولا مستجداً . ومما جاء فيها ان شواني السلطان
 وولده اذا عمرت وخرجت لا نعرض باذبة الى البلاد الساحلية
 وان انكسر شيء من هذه الشواني في مينا من موافي البلاد التي
 انعقدت عليها الهدنة وسواحلها فان كانت قاصدة من له مع
 مملكة عكا ومقدمي بيوتهما عهد فيلزم كفيل المملكة بعكا ومقدمي
 البيوت بحفظها وتمكين رجالها من الزوادة واصلاح ما انكسر منها
 والعود الى البلاد الاسلامية ومثي تحرك احد من ملوك الفرنجة
 وغيرهم من جُؤا البحر لقصد الحضور لمضرة السلطان وولده في
 بلادهما المنفقة عليهما هذه الهدنة فيلزم نائب المملكة والمقدمين
 بعكا ان يعرفوا السلطان وولده بحركتهم قبل وصولهم الى البلاد
 الاسلامية الداخلة في هذه الهدنة بمدة شهرين واذا قصد البلاد
 الشامية عدو من النصار وغيرهم في البر واغارت العساكر الاسلامية
 من قدام العدو ووصل العدو الى القرب من البلاد الساحلية
 الداخلة في هذه الهدنة وقصدوها بمضرة فيكتب الى كفيل المملكة
 بعكا والمقدمين بها ان يدروا عن بيوتهم ورعيتهم وبلادهم بما
 تصل قدرتهم اليه وان حصل رجف من البلاد الاسلامية الى
 البلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة فيلزم كفيل المملكة بعكا
 والمقدمين بها حفظهم والدفع عنهم ومنع من يقصدهم بضرر
 ويكونون آمنين مطمئنين بما معهم .
 وعقدت هدنة سنة ٦٨٠ بين الأشكري صاحب القسطنطينية
 وبين الملك المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية ودمشق وحلب
 على ان لا يحارب احدهما الآخر ويرعى التجار في بلادهما .

المجلد الصفحة السطر

في الانس الجلبس : ام الكنائس بدلاً من جمع الكنائس وفي رواية أخرى ادعى الكنائس وهي اوجه . والايات لابن خضمر الضبع في عكا .

٢ ١٢٨ ٢٣ وأسر جميع = وأسر هو وجميع . (س)

٢ ١٢٩ ١١ قال مكسيم يتي في تاريخ الشعوب العام اثناء كلامه على اخفاق الحملة الصليبية الاولى ما تعريبه : لئن كان الصليبيون محمسين تحمسا دينيا فقد كان ينقص هذه الستائة الف رجل وحدة القيادة والتجانس والاتحام ، ولم يكن لنواب البابا ادنى سلطة اديبة . ان وحدة العاية المراد بلوغها لم تكن لتحول دون ظهور المطامع والمنافسات والدراسات ، ويضاف الى هذا السبب في الضعف أسباب أخرى مادية ، وهي صعوبة الطريق وقلة اسباب التموين وتدني القوى الحربية بسبب تفرق الجيوش في المدن المفتوحة او رجوع بعض الصليبيين الى الغرب الى ما هنالك من قحط واوبئة وخسائر في الحرب . وقال في الحملة الصليبية الثانية ان قلة ايمان الكيس وصعوبة التموين وقلة المؤنة جعلت الحملة شؤمى فقتل الثلاثمائة والخمسون الف رجل الذين كانت تتألف منهم قتلاً ذريعاً في مريسون واركلي .

وذكر من جملة فوائد الحروب الصليبية انها أوقفت سير المسلمين نحو اوربا وقربت بين شعوب اوربا وجمعتهم تحت لواء واحد وأشعرت قلوبهم حب الوحدة الادبية وساعدت على ايجاد فكرة اوربية . واخذ المسلمون والمسيحيون يعرف كل منهم صاحبه ويعرفون كيف يحترم بعضهم بعضاً ، وعقدت بينهم المعاهدات والصلوات خلال الهدنات والانقطاع عن استعمال السلاح وقد جهز ريشاردس فئة من العرب جعلهم فرساناً ، وعقد انكحة

المجلد الصفحة السطر

بين الطائفتين ، ودخل التسامح المتبادل في الأخلاق وقال ان
الصناعات والمهندسة والفنون والازياء واللباس والفنون الحربية
لم تخل من تأثيرات الشرق ، وان المدينة الشرقية دخلت في مدينة
الغرب بدون ان تستغرقها .

كان في جيش الصليبيين تروجيون فقد أمانت نروج بعشرة آلاف
منهم بودو بن الاول على فتح صيدا برعاية ملكهم سيكور (Sigurd) .

الناصر قلاوون (ان كان المراد الأب فالصواب المتصور وان ٣ ١٣٢ ٢

كان المراد ابنه فيقال الناصر بن قلاوون) . (ت)

قال علاء الدين علي الاوتاري الدمشقي : لما استولى التتار على ١٩ ١٤٠ ٢

دمشق في سنة تسع وتسعين وسبعمائة :

احسن الله يادمشق عزالك في مغانيك يا عماد البلاد
ويروستاق نيزوبك مع المزا مع رونق بذاك الوادي
وبأنس بقاسيون وناس أصبحوا مغنا لاهل الفساد
طرقتهم حوادث الدهر بالقتل ونهب الاموال والاولاد
وبنات محجبات عن الشمس نساء تبين ايدي الاعادي
وقصور مشيدات ثقفت في ذراها الايام كالاغنياء
وبوت فيها التلاوة والذكر سر وعالي الحديث بالاسناد
حرقوها وخربوها وبادت بقضاء الاله رب العباد
وكذا شارح العقبة والقصر سر وشاغورها وذاك النادي

٢ ١٤٣ ١٧ و٢٠ وقال شمس الدين السيوطي في هذه الواقعة في مرج الصفر (٧٠٢)

يا مرج صفر بيضت الوجوه كما فعلت من قبل والاسلام يؤثف
ازهر روضك ازهي عند نفثته ام يانعات رؤوس فيك ثقتطف
غدران ارضك قد اصبحت لواردها ممزوجة بدماء المغل نعترف

الى ان قال :

دارت عليهم من الشجعان دائرة فما نجا سالم منهم وقد زحفوا
ونكسوا منهم الاعلام فانهمزوا ونكصوم على الاعلام فانقصوا
ففي هاجمهم ببض الظبا زير وفي كلا كلهم سمر القنا تصف
فروا من السيف ملعونين حيث سروا وقتلوا في البراري حيثما ثقفوا
فما استقام لهم في «اعوج» نهج ولا اجارهم من «مانع» كنف
وقع الاتفاق سنة ثلاث وسبعائة مع صاحب سيس على ان
يكون المسلمين من نهر جاعان (جيجان) الى حلب وللا من حد
النهروان .

- ٢ ١٤٤ ٢٢ قشمر وكذلك في ص ١٤٥ س ٢ وص ١٥٦ س ٤ وصوابه قشمر .
- ٢ ١٤٩ ٢٢ قلاووت = ابن قلاووت
- ٢ ١٥٤ ٨ و ٣ بيبغا = بلبغا
- ٢ ١٥٨ ٤ فقر معه جاعة = فقر معه جماعة
- ٢ ١٥٩ ١٨ في ايام الشراكسة ثم في ايام الاتراك اخلافهم . الصواب في
ايام الاتراك ثم في ايام الشراكسة اخلافهم . (ت)
- ٢ ١٨٢ ١٧ ولما بلغهم = لما بلغهم
- ٢ ١٨٥ ١٧ الامير جرم = امير عرب جرم (فرع من طي) . (ب)
- ٢ ١٨٦ ٢١ وثمان مائة = وثمان مائة
- ٢ ١٨٧ ٢٣ لان شيخ الحمودي = لان شيخا الحمودي .
- ٢ ١٨٩ ٧ ان فارس = ان فارسا
- ٢ ١٩٠ ٢٠ قريبا المشطوب = تمربغا . (ت)
- ٢ ١٩٢ ٦ فدخل نور، ز دمشق = فدخل شيخ دمشق
- ٢ ١٩٥ ١٦ في شذرات الذهب : في سنة ست عشرة وثمانائة ظهر الخارجي
الذي ادعى انه السفياقي وهو رجل عجلوني يسمى عثمان ابن ثقاله
اشغل بالفقه قليلا في دمشق ثم رجع الى الجيدور ودعا الى

نفسه فاجابه بعض الناس فأقطع الاقطاعات ونادى ان مغل هذه السنة مساحمة ولا يؤخذ من اهل الزراعة بعد هذه السنة التي سوح بها سوى العشر فاجتمع عليه خلق كثير من عرب وعشير وترك وعمل له الوبة خضراء وسار الى وادي اليباس وبث كتبه سيفه النواحي يحث الناس على الانضمام اليه فارسمهم وراجلهم مهاجرين الى الله ورسوله ليقاتلوا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا . فثار عليه غانم الغزاوي وجهاز اليه طائفة وطرقوه وهو يجمع عجلون فقاتلهم فقبضوا عليه وعلى ثلاثة من اصحابه فاعتقل الاربعة وكتب الى المؤيد بنجبره فارسلهم الى قلعة صرخد .

٢ ١٩٨ ٦ تخلف = خلف

٢ ٢٠١ ٢٢ حسن الطويل = حسن الطويل

٢ ٢٠٢ ٣ وفي يوم الجمعة سابع رمضان (٨٩٣ هـ) منها قبل عصرها دقت البشائر بقلعة دمشق وشاع ان عسكر ابن عثمان انكسر شاليشه باب الملك وفرح الناس بذلك وفي يوم السبت ثامنه انكسر نائب الشام ورجع وانحاز الى تحت صفيق نائب حلب وشاعت كسرتهم وهرب ابن اسماعيل شيخ جبل نابلس وابن الحنفش واستادار الغور . وفي عاتمه هجم العسكر القلي على عسكر ابن عثمان وقتلوا منهم خلقا وانصروا عليهم . ووصل الى دمشق بعد ذلك رؤوس جماعات من عسكر ابن عثمان مقطعة عدة ثلاثين رأسا وصفيق من صناعقه وتلقاها الناس وهرعوا اليها . وخرج هذه السنة الحاج الحلبي هاجين من الفتن وظلم العسكر الذي نرب بلاد ابن عثمان وانما فعلوا ذلك لاجل ما فعل هو بقاصدم الامير ماميه فانه حبسه في مظمورة . ودخل في هذه الاثناء الجلبان الدمشقيون والمصريون وضيقوا على الناس وتعطلت مصالحهم اه . (عن ابن طولون)

٢ ٢٠٨ ٢٤ وقايتباي كان أعظم ملك في الممالك البرجيين حتى كان في
الخارج اعظم ملك في الاسلام قال زوبرنهايم : ان قايتباي كان
محتاجاً لعماراته وحملاته الى مواد مهمة ولقلة انتظام المالية انتظاماً
حسناً لم يستطع ان يجبي الخراج الا بالقوة . وقد انتقده
المؤرخون انتقاداً شديداً ونرى ان ما عمله من الواجب وهو امر
مفهوم بذاته في بلاده ايعيد الاسباب اللازمة للدفاع عنها . وقد
ادى عدم الترتيب في الجباية الى خراب مملكة الممالك والسلطان
كان مضطراً من اجل هذا الى استعمال الشدة في الجباية اه .

٢ ٢٠٩ ١٥ « جان بلاط بن يشبك الاشرفي » وفيه س ١٧ طومان باي بن
قانسوه ابي النصر الاشرفي قايتباي » فاذا كنتم حقةم ان
الاول ابن الثاني في الموضوعين فيها ونعمت والا فيكون الصواب
(من) بدل (بن) فاني رأيت التعبير بذلك في مواضع لا تحصى
كثرة من تراجعهم واخبارهم اذا أرادوا ان يذكروا شخصاً كان
مملوكاً لا آخر او منسوباً اليه قالوا (فلان من فلان) وكنت
أظنه في بادي الرأي محرفاً عن ابن ثم ظهر لي انه تعبير جورا
عليه ولكني لم أصل فيه الى رأي قاطع ونص صريح فلعلكم
بالبحث تصلون فيه الى شيء . ولا يبعد ان يكونوا عبروا بالان
عن المملوك او المنسوب ثم تحرف من النساخ من ولكن وروى
(من) في كثير من العبارات لعدة مؤرخين يستبعد معه ان يكون
محرفاً فيها جميعاً . (ن)

٢ ٢١٢ ٥ من ابن طولون في حوادث سنة ٩١٠ اتفق رأي المباشرين ان
تعرض المشاة من كل حارة بدمشق وكذلك الجند إرهاباً للعدو
فعرض عليهم غوثاً ميدان الحصار والقيبات بالميدان الاخضر وازداد
طفغان زعريهم (احداً منهم) وعلوا العجز من ارباب الدولة ثم قام

المجلد الصفحة السطر

بالشاغور أزعرهم ابو طاقية وجمع زعر الغوغاء وما حولها من
القرى وزعر بقية حارات دمشق واخذوا من اموال الناس شيئاً
كثيراً واعاره الامير اركاس شيئاً كثيراً من آلة الحرب ، ثم
خرجوا اطلاقاً اطلاقاً بترتيب يحجز عنه ارباب الدولة حتى
عرضوا بالميسدان الاخضر ، فاستقل الترك بانفسهم ولم يبق لهم
حرمة . وبعد ايام ركب الامير قلج متسلم دمشق والبس جماعته
وخرج معه مشاة ارسلهم له ابن الحنش ودار بهم حول دمشق
وبين يديه منادٍ ينادي بالامان وترك حمل السلاح اه .

ملوك قون ممخرو = ملوك ممخرقون ٥ ٢١٣ ٢

ويؤخذ مما قال ابن طولون ان السلطان جم الاخ الاصغر للسلطان
بايزيد الثاني العثماني لما قصد هو وجماعته سلطات مصر ايده
هذا بامور على ان يأخذ الملك من اخيه نخرج من مصر وترك امه
وولده بها ونزل الى اخيه فلما علم به ارسل له عسكرياً فكسره ففر
جم الى بلاد الافرنج فأرسل بايزيد الى بعض امراءهم ليضبطوا
اخاه في بلادهم ولا يمكنوه من الخروج منها . وهذا كان السبب
في معاداة ملك الروم لسلطان مصر ثم مات السلطان جم ولم يرسل
صاحب مصر والشام يعزي اخاه السلطان بايزيد الثاني فتأكدت
العداوة . هلك السلطان جم سنة ٩٠٠ ودفن في بروسة .

٢٠ ان السلطان سليم = ان السلطان سليماً ٢٢٠ ٢

١٤ ثلاثة عشرة قلعة = ثلاث عشرة قلعة ٢٢٢ ٢

٦ ثامن عشرين شعبان = الثامن وعشري شعبان (ص) ٢٢٣ ٢

٢٢٧ ٢ ٢١١٣ في ٤ صفر ٩٢٤ فوض الخنكار (السلطان سليم الاول) .

نيابة دمشق لجنبردي الغزالي من بلاد المعرة الى عريش مصر
على مال معين قدره مائتا الف دينار وثلاثون الف دينار واطاف

امر الجراكسة بدمشق من الحجوبة الكبرى والثانية ودوادارية
السلطان وامرية مبسرة وغير ذلك من الامريات اليه اه .
والحجوبة في الشام كانت ثلاثة اصناف حاجب الحجاب ويكون
مقدم الف من شأنه الجلوس بدار العدل ولا يقف كما يقف
حاجب الحجاب بين يدي السلطان بالديار المصرية واذا خرج
النائب عن دمشق كان هو نائب الغيبة عنه ويقوم بامر البلد
الى ان يقام نائب آخر . والحاجبان الاخران طبختانان او طبختاناه
وعشرة وربما كانوا اربعة : حاجب الحجاب وثلاث طبختانات او
طبختانان وعشرون او عشرة ورتبهم في المواكب ان يكون حاجب
الحجاب والذي يليه في المرتبة ميمنة والثاني مبسرة . كل هذا
من ترتيب دولة الممالك ابقاء الفاتح العثماني بحاله .
السوال = السوالمة .

٢ ٢٢٨ ٢٣ و١٢ ويقول ابن طولون في حوادث سنة ٩٢٦ انه جي يروثوس افرنج
الى دمشق مع جماعة من اهل بيروت واخبروا انه طلع من البحر
الى عند عين البقر هؤلاء الفرنج سيفي زي الاروام وراموا اخذ
ميناء بيروت ففاق عليهم المسلمون واقتتلوا فقتل من المسلمين نحو
مائة ومن الافرنج نحو الاربعائة وهرب الباقون وقد كانوا جاؤا
في تسعة سراكب منها خمس برشات والباقي اغريبة اه .
الدوادار حامل الدواة ويطلق سيفي عهد المالك على اشخاص
يواصلون كتب السلطان ويقدمون اليه السفراء وغيرهم ممن
يتمثلون امام الملك .

٢ ٢٣١ ٧ و١٨ من ثمان سنين = من ثمان سنين .

يرى بعض الناقدين ان من المؤرخين من قالوا ان الخليفة المتوكل
الذي اخذه السلطان سليم فاتح مصر الى الاسنانة لم يقتل كما كان

المجلد الصفحة السطر

- بظن بل بقي الى مدة السلطان سليمان وانه اطلقه من سجنه ووسع عليه وقال بعضهم انه اذن له في السفر الى مصر فسافر اليها ومات بها مدة ولاية داود باشا على مصر. ونرى ان مسألة هذا الخليفة ما زالت موضع نظر فلتحرر .
- ٢ ٢٣٢ ١١ و ٢٤ حكم الامير نحر الدين المعني من حدود يافا الى طرابلس ويقول (ب) انه لم يتجاوز صيدا وعكا
الاصبهاينة = الاصباھية (ث) .
- ٢ ٢٣٩ ١٠ ثمان سنين = ثمان سنين .
- ٢ ٢٤١ ٧ و ٢١ شخص واحدة = شخص واحد .
- الباس = الياس .
- ٢ ٢٤٣ ٣ محمود = محمودآ .
- ٢ ٢٤٨ ١٣ اخذ المحارزة قلاع القدموس والعليقة والمينقة مراراً وكانت الاسماعيليون يستردونها بعد مدة وفي سنة ١٠٠٠ تقريباً هجم الاسماعيليون على القدموس عندما كان العلويون مشغولين بالعبادة في يوم الغدير وقتلوا من المشايخ ثمانين شخصاً عدا العوام وتملكوا القدموس (تاريخ العلويين) .
- ٢ ٢٥٢ ١٠ الكاحل = المكاحل .
- ٢ ٢٥٥ ٠٠ وقبشلق = قبشلق .
- ٢ ٢٦٤ ١٧ بوله = نوله او نولا . (ع)
- ٢ ٢٧٣ ٣ البراعة = البراغنة (ب)
- ٢ ٢٧٥ ٢ ذكر المحبي درزية آل دمن وحبسوا لوضع حاشية على خطأ المحبي لان المعنبيين من السنة ونسبتهم الى التدرز وآهم من تسمية اميرهم (امير جبل الدروز) . (ع)
- ٢ ٢٨٥ ٢ طورسون = طورسون

٢ ٢٩٠ ١٧ في سنة ١٧٣١م ٤٤ ١ هـ (٤ نيسان) قام الانكشارية في طرابلس على واليها ابراهيم باشا فأهلكوه وجاء بعده عثمان باشا محتاطاً مما وقع فيه سلبه من الاغلاط ولكن وقع خصام بين بعض رجاله واحد الفلاحين فجمع الناس واستعد رجال الباشا لقمع الفتنه فقتلوا اولاً اثنين او ثلاثة من الانكشارية انوا بهم الى مجلسه ، وقالوا له ان الانكشارية والاهلين يجب اخذ الثأر منهم لانهم اهانوا سيدم اي الباشا فأمرهم بضرب المعتدين فأخذوا يطلقون النار على المارة فقتلوا سبعة او ثمانية اشخاص وجرحوا نحوهم ، ثم استدعى الباشا الانكشارية ليسجنهم في قصره فرأوا انه يتربص بهم الدوائر ففروا من سجنهم تحت جنح الليل وهاجوا وهاجوا ومن الغد نالوا من جند الباشا في وقعة معهم وطرد الانكشارية عسكر الباشا من البلدة واخرجوهم من اماكنهم فقتلوا من جماعته من لم يستطع الفرار وقطعوا اجسامهم ارباً والقوها في النهر - ودامت المعركة يوم ٦ نيسان طول النهار فقتل من رجال الباشا من ٢٥ الى ٣٠ ومثلهم من الجرحى كانوا في حالة خطرة وقتل ٦ أو ٧ من عسكر المدينة اي الانكشارية ومن الغد جرت مناوشات خفيفة ثم عقد الصلح بين الباشا والانكشارية على ان يمول قائم مقامه او كيخيته وكان اخاه وبعض الضباط ويخرج عسكره من المدينة ويكتفي لحمايته بالانكشارية والجند الوطني والبس رؤساء الشعب من الانكشارية كسوات وخلم عليهم فطافوا على اعيان المدينة وقنصل الانكايز فأهدوهم جوحاً والبسة ورضخوا لم بدر يهمات ، وجاء هؤلاء المشاغبوت الى تجار الفرج (الفرنسويين) وأعطاهم قنصل فرنسا جوحاً بقيمة ستين قرشاً ، ولما بلغ مسامع رجال الباب العالي هذه الفتنه عزل عثمان باشا

المجلد الصفحة السطر

- وخلفه سليمان باشا فمادت طرابلس الى سكينتها . (ملخصاً من تقرير
فنصل فرنسا الى وزارة البحرية في بلاده والى غرفة التجارة في مرسيليا)
٢ ٢٩٢ ١ في تاريخ العلويين لم يكن العلويون يحاربون مع الاتراك فقط
بل كانوا يحاربون بعضهم بعضاً ايضاً لان المنطقة ضيقة والنفوس
كثيرة وفي عهد الاتراك اصبح بقتل الاخ اخاه لياً كل ما عنده
ودامت الحرب بين الكلبين وبني علي سنة ١١٤٠ مدة سبع
سنين واتحدت اخيراً العشائر الكلبية والنواصرة والقراحلة
والياشوطية والجهينية وبيت محمد وهجمت على عشيرة بني علي
بالائتاق وحرقوا قراها وعند تجمع بني علي في قلعة عين الشقاق
حاصروها بعد ان هدموا جميع قراها ولم يبق ملجأ لبني علي سوى
الحصار الذي كان مبنياً على سبعة طوابق ودام بنو علي على الدفاع في
ذلك الحصن ثم دك المشايون الحصن الذي كان في قرية عين الشقاق .
٢ ٢٩٣ ٨ القبوقول والاورط = ولعلها الاورط والاورطة الطابور في
وجاق الانكشارية .
٢ ٢٩٤ ١٧ الامير حيدر = الامير حيدرآ .
٢ ٢٩٦ ١٤ فاعمل وجنوده = فاعمل هو وجنوده (س) .
٢ ٣٠٠ ٢١ قرية العرابة = قرية عرابة
٢ ٣٠١ ١٧ و٨ اغار وجماعته = اغار هو وجماعته .
الصواب مجلة الجنان بدلاً من الزهرة وهذه المقالة لنعمان القساطلي (ع)
٢ ٣٠٣ ١٤ أعلى = على .
٢ ٣٠٤ ٤ أبي الذهب = أبو الذهب
٢ ٣٠٨ ٢١ عرب غزرة = عرب غزرة
٢ ٣١١ ١٨ علي باشا المعروف بوجه طنجلي الا وفق انت ترمم بحتالجه لي نسبة
الى مدينة جتالجه .

المجلد الصفحة السطر

٢	٣١٣	٨ و ١١ ورفع سورها الداخلي = ورفع سور عكا الداخلي .
		وبني عثمان قرية شفاعمرو وصوابه وبني قلعة قرية شفاعمرو (ع) والصواب انه رما وعمرها .
٣	١٣	٢٥ وادي الملك = وادي الملح . (ب)
٣	٣١	١١ و ١٢ المدفنين = المدفنين
٣	٣٥	٢٠ استلام = تسلّم
٣	٢٧	١ واستلم = وتسلم
٣	٣٨	٢ وفتحت بروسيا = فتحت روسيا
٣	٣٩	٢٠ جينين نابلس = جينين ونابلس
٣	٤١	٤ الاعيان المتغلبة = الاعيان المتغلبة
٣٠	٤٤	١٨ و ٧ ولا من يرد عنهم = ولا من يردعهم . الولايات = والولايات .
٣	٥٠	١٤ أحرزه = أحرز
٣	٥١	١٩ فوصل الى حيفا وفتحت له غزة ويافا = وصل الى يافا ونزل فيها بعد فتحها . (ب)
٣	٥٢	١٠ و ٢١ لما كانت الجيوش المصرية تحاصر عبدالله باشا في عكا جاءه من نابلس ستائة رجل واخترقوا صفوف العسكر المصري ودخلوا عكا لمساعدة وزيرها شاهين سلاحهم ضاربين من عارضهم . عباس باشا بن محمد علي = الصواب انه حفيده لانه عباس بن احمد طوسون بن محمد علي هذا اذا أردتم تحقيق النسبة والا فولد الولد ولد . (ت)
٣	٥٤	١٩ وهذا عزيز مصر وولديه ابراهيم وعباس = الصواب عباس ولا حسن ان يقال ولده ابراهيم وحفيده عباس . (ت)
٣	٥٦	٠٠ آخر الصفحة شريف باشا نسيب ابراهيم باشا = يحقق هذا فإنا

لا نعلم انه صاهره . (ت)

١٩ عند مبرك سليمان = عند برك سليمان . (ب) ٥٩ ٣

٢٠١٤ و ٢٠١٥ و ٢٠١٦ = معها من كبار طائفة من ضباط = ومعه طائفة من ٦٣ ٣

كبار ضباط .

ترتيب والاولى ان يذكر بعدها بين قوسين (نصيبين) والاستاذ
زكي باشا بصرت على ذلك والاستاذ معلوف يقول انها غيرها (ت) .
ذكر المصنف المجهول في تدوين حروب ابراهيم باشا ان وقعة
ترتيب كانت يوم ١١ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ (٢٤ حزيران
سنة ١٨٣٩) وان ابراهيم باشا استولى من العثمانيين على مائة
وعشرين مدفعاً وعشرة آلاف بندقية وجميع مهماتهم وذخائرهم
وعتادهم وقتل منهم اربعة آلاف وخمسمائة وجرح ١٨ الفا
وأسر ثمانية آلاف وخمسمائة وقتل أمراء كثيرين وقتل من
جيش ابراهيم باشا اربعمائة وجرح ثمانمائة وفقد اربعمائة ثم قصد
بيده جك (البيرة) فهرب العثمانيون وغنم منهم ٣٢ مدفعاً بعثادها اه .

١٥ من سيئاتها = من سيئاته . ٦٦ ٣

٨ من الفناء = من العناء . ٧٣ ٣

٢٣ حدثت الفتنه في القدس . الاصح في القدس وبيت لحم . (ب) ٧٩ ٣

٢ بسبب كنيسة القيامة = وكنيسة المهد في بيت لحم . (ب) ٨٠ ٣

١٦ وبعده = وبعد ٨٤ ٣

١٩ قضايا الكاثوليك = قضايا الكاثوليك والموارنة . ٩٥ ٣

٦ ذكر في تاريخ العلويين انه في سنة ١٢٨٠ شبت حرب شديدة ١٠٠ ٣

بين بني علي والكاسية وهاجم الكسبة والنواصرة بني علي حتى بلغوا
قرية ست يبلو ثم حرقوا بتغراموا وديروتات ومنسله وخربوها
وكان الرجال يحاربون والفساء يشتغلن بالتخريب والاحراق

المجلد الصفحة السطر

- وهجم بنو علي على الفرقيّة وديرونة ورويسة البسانة وحرقوها .
- ١٠٢ ٣ ١١ ١٣٩٣ = ١٢٩٣ (ح)
- ١٠٣ ٣ ١٣ ثنائي = ثنائي
- ١١٦ ٣ ٧ اليوم رضوا = يوم رضوا .
- ١٣١ ٣ ١ المسحي بالبراق = المبكي واقع في حي البراق . (ب)
- ١٣٢ ٣ ١١ و١٢ و١٨ لم يستول اليهود على نصف قضاء صفد ويافا وهذا مبالغ فيه كثيراً . (ب)
- لونها أزرق الاصح أزرق وأبيض . (ب)
- خاتم سليمان = ترس او مجن داود . (ب)
- ١٣٣ ٣ ١ لم يريد خاص = لم طوابع يريد في قرايم . (ب)
- ١٣٦ ٣ ٥ ليستلم = ليتسلم
- ١٣٧ ٣ ٢ و٧ بفكر وجماعته = بفكر هو وجماعة . (س)
- على هذه القرية = هي مركز قضاء فيه مستشفى ودار حكومة (ب) .
- ١٣٨ ٣ ١٨ وثقار = وثقارير
- ١٤٨ ٣ ٥ و٢٠ نشئت اهلها والصحيح انهم كانوا مهاجرين قبل المعركة . (ب)
- وادي صرار حفير = الصرار الحفير . (ب)
- ١٤٩ ٣ ٤ و١٥ اختراق الانكليز الجبهة التركية في ١٩ من سنة . الظاهر ان اسم الشهر قد سقط في الطبع وهو ايلول سنة ٩١٨ ويا حينذا لو ذكرت نوارنج فتح كل مدينة فخيفا سقطت في ٢٣ ايلول ٩١٨ وكذلك عكا والناصرية ويمكن طبرية ونابلس وطول كرم = التي اسمها في معاجم البلدان العربية طور كرم (ع) .
- اللبان — اللبن ولم يبق هناك المان . (ب)
- ١٥٩ ٣ ٣ و١٣ و٢٢ اخذوا العريش ثم رفع ثم بث السبع على الصحيح المعلوم المحقق (ب)
- واحتلت البحارة الافرنية ميناء اسكندرونة يوم ١٨ تشرين الثاني .

المجلد الصفحة السطر

- بلاد كافية مقدمة = بلاد متقدمة تقدماً كافياً .
- ١٢ ١٦٠ ٣ القنابل والقناير = القنابل محرفة عن القناير فالصواب الاكتفاء
ياحداهما . (ت)
- ٢ ١٧٣ ٣ لم يقرر المؤتمر السوري كما قلنا ان يكون ولي عهد الملك فيصل
اخاه الاصغر الامير زيد .
- ٢٠ ١٧٥ ٣ في تاريخ العلويين ان الثوار الاتراك اعتدوا على القرى الساحلية
المتحاربة واحرقوا ستين قرية وقتلوا بعض العلويين ودامت الفتن
سنة اشهر قتل فيها من اهل الجسر وصهيون اكثر ممن قتل في
الحرب العمومية الكبرى .
- ٦ ١٧٧ ٣ مجموع النفوس لا ينطبق على التفصيل (ب) .
- ٢٣ ١٨٤ ٣ على بلادها نعدّها — على بلاد نعدّها .
- ٣ ١٨٥ ٣ يقول (ف) ان ما اوردناه بشأن الانداب على الشام بقولنا :
وقيل انه كان (ويلسون) بضم الـ يجعل الانداب على الشام
للارجنين وعلى فلسطين للبرنقال الخ فيه نظر ونحن معه في هذا
الشأن ولذلك اوردنا الكلام بصيغة المجهول ولم نفهم قوله اننا
نحافظ على التقاليد الموروثة وواجه النظر المحلية (ص ١٣٩ ،
١٤٠ ، ١٦٧ ، ١٧٧) ونحن هنا رويناهما علماء وتحققناه ولعل
حضرته ينظر الى تاريخ البلاد غير نظرنا اليه ويجب ان نكتب
برأي غيرنا او بما يمليه تعصب المتعصبين الذين تخرج بهم بعض
من يكتبون في تاريخنا .
- ٢٤ ١٨٧ ٣ الكفآت — الكفایات . (ت)
- ٢١ ١٨٩ ٣ والمؤامرات — والمؤامرات .
- ٧ ١٩٠ ٣ كما جعل لعلسطين علم آخر والصحيح ان علم انكليزي . (ب)
- ١٩٧ ٣ ١٧٧ و ١٧٣ في ٢٢٠٠ مقاتل = ٢٦٠٠ مقاتل في ٢٢٠٠ — ٢٦٠٠ مقاتل .

المجلد الصفحة السطر

- الزيزاء — زيزاء .
- وبنو صخرهم انقصودون الاصح عمان والامير عبد الله . (ب)
- ١٨ الكفاءة — الكفاية . ١٩٩ ٣
- ١ وها نحن نقدم — وها نحن اولاء نقدم . ٢٠٣ ٣
- ١ بار كوخيا — بار كوخيا . ٢٠٤ ٣
- ٢ و٩ و١٢ الدنية — المدنية . ٢٠٦ ٣
- زيوف — زبون .
- ساقط بعد عشرة . وامرات تأتي على خلاصة عملها .
- ٩ ساقط الصهيونية مما دل على انه ٢٠٧ ٣
- ١٤ حقى وككت — حقى ككت . ٢١٢ ٣
- ٢٤ و٧ اعتراض — اغراض . ٢١٦ ٣
- المانيا الاصح ايطاليا .
- ١٦ تدعى ساسوليل لا هاموليل ٢٢٨ ٣
- ١٢ و٥ و١٢ زبيننا — زنوبيا ٢٣٤ ٣
- والثاني حوران — الأردن
- اي افرادها — اي افرادها .
- ٩ ولاية رأسها — ولاية برأسها . ٢٣٥ ٣
- ١٢ القدس لم تكن ابالة مستقلة بل كانت تابعة الى بيروت ودمشق ٢٣٦ ٣
- ثم استقلت مؤخراً .
- ٢٠ الزيزة — زيزاء او الجيزة . ٢٣٧ ٣
- ١١ الحاميتين — الحاميتان . ٢٤٣ ٣
- ٠٠ يقتلنا بلاد قود — بلاد قود ٢٧٤ ٣
- ١٢ واثار يوسف كرم هذا وكان قائم مقام النصاري في شمالي لبنان ٢٩٤ ٣
- على متصرفه داود باشا فننته ، وعمر قل مساعيه في اصلاحه ،

المجلد الصفحة السطر

- ومن جعلتها رفع الخراج في لبنان من ٣٥٠٠ كيس الى ٧٠٠٠
ليزيل العجز من ميزانية الجبل ، وادى النفور بين المتصرف
ويوسف كرم الى الحرب فكسر عسكر داود باشا فاستنجد المتصرف
ولاية بيروت ودمشق فأرسلوا اليه زهاء عشرة آلاف مقاتل
فسارت على كرم وعندها تدخل قنصل فرنسا في الامر ومنع
الحماية الافرنسية ليوسف كرم فركب من بيروت على دارة
قاصداً الى فرنسا وكان ذلك سنة ١٨٦٦ م .
- ٤ ١٢ ١٦ كان في غزوة مدرسة قديمة تفاخر بمشاهير علماء البيات فيها ،
وكانت فصحاءها على العهد اليوناني المرجع الاول في البلاغة
والفصاحة . وكان في قيسارية في القرن الثالث للمسيح مدرسة
علمية يعلم فيها اربيعين احد رجال الكنيسة وتخرج فيها الاسقف
اوزيب ابوالتاريخ الكنسي . وقيل انه كان في اريحا مدرسة
اسمها ايليا .
- ٤ ١٥ ١٣ قون الشعر — قول الشعر .
- ٤ ١٩ ٢٢ يحذف اسم رجاء بن حيوة لانه من اهل القرن الثاني وقد ورد
اسمه ص ٢٥ س ٧ .
- ٤ ٢٠ ١٤ و١٤ اسماعيل بن عبد الله بن ابي مهاجر مولى بني مخزوم من اهل
دمشق كان يؤدب اولاد عبد الملك بن مروان .
ومن كتاب بني امية بدمشق اسود بن قبيس الحميري .
- ٤ ٢١ ٢٠ و٢١ له كان وله — كان له وله .
- ٤ ٢٢ ٧ تساءل (ص) عن القدر الذي نستطيع ان نثق به من اقوال
تؤخذ بالسماع ولو اجمع عليها عشرة من الرواة ، وقال هالك الحافظ
المتوفى سنة ٢٥٥ هـ كيف نثق بكل ما كتبه عن العرب في
جاهليتهم وهل كان له به كتب كتبت في عصر الجاهلية وفقدت

كلها الآن . وكذلك ابن النديم صاحب الفهرست توفي سنة ٣٨٥
وهو من الثقات له يد اولدى كل المستشرقين الاوربيين والامير كمين ،
ولكننا نرى فيما ذكره امورا كثيرة يصعب تصديقها . قال ثم ان
الكتب العربية القديمة لا يرجع تاريخ كتابتها الى ابعد من سنة ٣٥٠
وهذه قلما تكون سالمة من الادخال الخ . هذا ما قاله وهو يرمي
الى ايقاع الشك في كل ما كتب ودون في حضارة العرب ،
وبهذا النظر يسقط علم التاريخ لا محالة ، بل ان حوادث العالم
الكبرى لا تثبت بعد ذلك على محك هذا المنطق . فقد رأينا من
علماء الفرنج من انكروا محيي السيد المسيح عليه السلام وقالوا ان
التاريخ لا يؤيد بعثته ولا وجوده . وكتبوا في ذلك الكتب
ومما تصفحناه على ما نذكر كتاب في مجلدين اسمه « المسيح في نظر
التاريخ لم يعش قط »

Jésus devant l'histoire n'a jamais vécu.

وانت ترى انا اذا اخذنا بمذهب التشكيك يبطل كل خبر واثر
في القديم والحديث . ثم ان الجاحظ لما كتب ما كتب عن
الجاهلية ، لم يؤلف قصة خيالية بل استدل الى ما دونه اهل
القرنين السالفين من اخبارهم مما لا سبيل الى انكاره ، اذ لم يعم
دليل صادق على خلافه . وعجيب كيف يثق بعض المشككين
بروايات ابن النديم ثم ينقضونها في اما كن أخرى بمجرد خاطر
عرض لم . وان النديم قد دون ما عرفه على ما اجمع الباحثون
عليه وثبت عنده من اخبار المدنية ، بل نقلا عما رآه من الكتب
بعينه وعمن عاصره من المؤلفين . فكيف تحلل هذه ما يرونها حينئذ
وتحرم ما لا يرونها احيانا . وكان الا مثل بمن يذهب بمذهب
الشعوبية اي بفضل العجم على العرب ان يسلم بكل ما يقبله العقل ،

المجلد الصفحة السطر

ولا شيء في القل ما يناقضه . واذا ادعى انه لم ينثه اليينا كتاب واحد من القرن الاول ، فالجواب من اين نقل اهل القرب الثاني اذا ؟ والثابت ان التدوين وقع في النصف الاول من القرن الاول . وليت شعري كيف سكت العلماء عن مناقشة من دوتوا ، على حين كانوا يحاسبونهم على كل دقيق وجليل في العلم . وهل من المعقول من مثل الجاحظ على علمه وعقله ان ينقول على التاريخ وبدون التراث ، و يسكت عنه خصومه وهم اكثر من مواليه . ومن خصومه من حاولوا ان يناثوا منه في اقل من هذا . وكانت البصرة وبغداد في عهده تغصان بالعلماء والفلاسفة والباحثين بل بالموثمين والمحدثين والسفطائين ، وكانوا في عهد الرشيد والمأمون ممتعين بحرياتهم ، يجهرون بما يريدون ويؤلفون كما يشتهون . ولعل أصحاب الشك يدعون ان جميع الامة تواطأت على الكذب ، وهذا منقرض بالبدية ، وكيف تسمع هذه الدعوى بعد الذي انتهى اليينا من اخبار المسلمين وتدوينهم حتى ما بغض من قدرهم وقدر مقدساتهم . واذا لم يكتب البقاء اكل مادونه الناس ولم يساعده القدر فبأئنا بحروفه وخطوطه لا الحام في نصوصه ولا ادماج ، فليس معنى ذلك ان القليل الذي وصلنا لا شأن له ولا يستند بصحته بعد الذي عهدنا من تواتر المصائب الارضية والسمائية على هذه الامة وديارها خلال ثلاثة عشر قرناً . نعم لم تصلنا كتب خالد بن يزيد الأموي ولا كتاب اهرن بن اعين ولا كتاب عبيد بن شربة من اهل القرن الاول ، ولكن كتب سهل بن هرون من اهل القرن الثاني لم تصلنا ايضاً ، والجاحظ ينقل عنها ، أفمن المطلق ان ندعي ان سهلاً لم يؤلف للناس ورحل التاريخ كلهم مجمعون على انه الف وذكروا لما جربوا باسماء كتبه .

ولما إذا لا يثق هؤلاء الناقدون بما كتبه العرب ، ونشاج
صدورهم بكل ما كتبه من قبلهم ، أو ما قيل انهم عرفوه ،
بأخذونه قضايا مسئلة لا تقبل النقض ، و يعدون كل ما صدر
عنهم من أعاجيب المدينيات التي يجب ان تُدرس وتبحث . أمن
العدل ان نشق بكل ما يروى عن الحثيين والاشوريين والبابليين
والمصريين والكنعانيين والفينيقيين ، مع بعد اعصارهم عنا ،
وقلة ما صح من تاريخهم ، وانتهى اليينا من مكتوباتهم . ولا نشق
من دوننا لناكل شيء ، وكانوا في تصحيح السند من اغرب ما روى
الراوون في الامم . وما نخال من يذهبون هذا المذهب الا يحاولون
بانكار ما ينكرونه الخط من قدر مدنية العرب ، ليخلصوا من
هذه الدعوى الى ان المسلمين لبست لم مدنية تذكر ، لانهم على
رأي (ص) لم يقيموا التماثيل البديعة ولم يبرعوا في التصوير
والنقش شأن صائر الساميين وان عدّ هو ذلك من الكماليات .
وعندنا ان اصحاب هذا الرأي يحاولون انكار البديهيّات ، والاولى
ان لا يناقشوا ، لان اهواء الناس كثيرة في كل عصر ومصر ،
وقد أضاع وقته كل من يتطال الى نزع هذه العقيدة من
نفوسهم لانها من افكار رهبان القرون الوسطى ، كانت بالامس
تنبعث من فكرة دينية واليوم تنتشع بدعوة سياسية ودينية معا .
١٩ ٢٥ ٤ احمد بن سليمان بن جندلم . وفي ص ٣٤ س ٢٣ ابن جندلم
صوابه ابن حذلم كما في الشجر البسام في قضاة الشام لابن طولون
ومادة حذلم من شرح القاموس . (ت)

١٨ من القرنين — في القرنين ٢٦ ٤

٩ قال والده — قال ولده ٣١ ٤

١٠ و٦ قال الصفدي وكانوا يسمون عصر سيف الدولة الطراز المذهب ٣٢ ٤

المجلد الصفحة السطر

- لان الفضلاء الذين كانوا عنده والشعراء الذين مدحوه لم يأت
بعدم مثلهم .
منصور النمر — منصور النمرى .
- ١٤ ٣٣ ٤ قال الصفدي ان السلامي والبيغاء والأواء والخالدين من خزان
كتب سيف الدولة .
- ٢١ ٣٤ ٤ وابوالدحاح احمد بن محمد بن اسمعيل التميمي محدث دمشق
كان يسكن بدمشق في ربض باب الفراديس في طرف العقبة
(٣٢٨) قال القاسمي واليه تنسب مقبرة الدحاح .
- ٢٤ ٣٦ ٤ اسامة بن مرشد الكنافي الخ . عددناه في هذا الموضع من اهل
القرن الخامس وهو صحيح باعتبار ولده لانه ولد سنة ٤٨٨ ثم اعدنا
ذكره بين اهل القرن السادس ص ٤٢ س ١٦ وهذا صحيح ايضا
باعتبار وفاته لانه عمر وتوفي سنة ٥٨٤ وبقول (ت) غير ان
المصطلح عليه عند المؤرخين ان يعدوا الشخص من اهل القرن
الذي توفي فيه ولو كان أغلب حياته في القرن الذي قبله .
- ١٠ و ٥ ٤١ ٤ حمزة بن أسد ابو يولى التميمي الدمشقي العميد بن القلانسي الكاتب
صاحب ذيل تاريخ دمشق المطبوع توفي في عشر التسعين واربعمئة .
تولى رئاسة دمشق وجمع بين كتابة الانشاء وكتابة الحساب .
عبد الرحيم البياني — عبد الرحيم البينساني .
- ١٠ المقاييسات — المقاييسات . ٤٣ ٤
- ١٢ عبد الرحمن البازري — عبد الرحيم البارزي (بتقديم الراي
المفتوحة على الزاي) (ت) . ٤٤ ٤
- ٧ و ٦ ٤٥ ٤ صاحب مرآة الزمان في التاريخ المطبوع (والاصح ان يقال
المطبوع منه الجزء الثامن وهو الاخير) (ت) .
- ٣ ٤٧ ٤ ست الكتبة بنت الطراح المحدثه .

المجلد الصفحة السطر

٤ ٤٩ ١٨ شرح المفصل لأزمنخشري وشرح التصريف الملوكي لابن جني وهما
مطبوعان (والذي طبع شرح المفصل وأما شرح التصريف فلم يطبع وإنما
طبع، ثم تصريف ابن جني في لبسبك وفي مطبعة التمدن بالقاهرة (ت)
٤ ٥٣ ١٩ و ١٨ كيكادي - كيكادي .

بدر الدين محمد بن جماعة جاء مكرراً بعد أربعة أسطر في الصفحة ذاتها .
٤ ٥٤ ١٢ و ١٧ و ٢١ اسماعيل بن محمد جمال الدين بن الفقايع الحموي (٧١٥)
العالم بالقراءات والعربية درس في عدة مدارس بحماة (السيوطي) .
نور الدين عبد الرحمن بن العيني عالم دمشق في هذا القرن .
وبعد س ١٩ عبد الرحمن العيني فقيه الخ . هذا الاسم مكرر
فبيننا الى تكرره (ت) .

شهاب الدين محمود الحلبي جاء مكرراً في الصفحة نفسها بعد
اسطر قليلة .

الكاتب المجود (٧٣٩) والصواب ٣٢ و ٣٣ .
شهاب الدين محمود الحلبي ورد ذكره في ص ٢٠ وفاته ٧٥٥ .
ابو العباس احمد بن الخضر الدمشقي محدث كان حياً في سنة ٧٧١
وست العرب ابنة محمد بن علي الدمشقية المحدثه كانت حية (٧٦٦)
وقاضي قضاة دمشق ابراهيم بن احمد الباعوني من اهل هذا القرن
ومن اهله ايضاً يوسف بن شاهين الكركي وجمال الدين ابو الحجاج .

٢ ٥٢ ١ للجزري كتاب طبقات وله النشر في القراءات العشر طبع مؤخرآ .
٤ ٦٠ ١٣ و ٢ وفي حلب خليل بن احمد الشيخ غرس الدين (٩٧١) عالم بالحساب
والميقات والهيئة والوفى والموسيقى والطب وهو صاحب شجرة
الافادة بشرقية جامع حلب الاعظم .

وبوران بنت الشحنة الشاعرة الحلبية (٩٣٨) .
٤ ٦٢ ١٥ و ١٠ احمد بن الملا النججواني - النججواني بالخاء المعجمة ثم الجيم .

المجلد الصفحة السطر

يحيى الهنسي - البهسي .

- ١١ ميخائيل جردة - ميخائيل جردة (ع) . ٦٧ ٤
- ١٨ انطون الخلع - جبرائيل بن يوسف الخلع وهو ترجم الكا- ثان (ث) ٦٨ ٤
- ٠٠ عمر الياقي . اسمه مكرر لانه ورد في ص ٧١ س ٢٣ (ت) . ٦٩ ٤
- ٩ يضاف: محمد الطنطاوي عالم التربية والاصول والفقه والفلك الميقات ٧١ ٤
- ٧ و ١٤ او ١٦ محمد البيطار فقيه . حسن الشطي فقيه . محمد الجوخدار فقيه . عبدالله الحلبي فقيه اصولي . احمد الحلواني شيخ القراء . ٧٣ ٤
- محمد الخاني متصوف فقيه . عمر العطار فقيه عالم بالعربية . عبدالرحمن الطبي فقيه . محمد المرعشي أديب وفقيه . عبدالرحمن البوسنوي عالم بالعربية . احمد فوزي الساعاتي عالم بالعلوم المادية والدينية . عبد المجيد الخاني أديب شاعر . عبد الحكيم الافغاني عالم بالفقه والاصول . ملا عيسى الكردي فقيه اصولي . محمد محمود الاتامي فقيه اصولي . علاء الدين عابدين فقيه اديب . صالح قنباز عالم بالتربية والطب له عدة رسائل وكتب .

له مؤلف - له مؤلفان

امين ارسلان - محمد ارسلان

- ٢٢ سعيد المحاسني . محمود الماخي . عوفى عبد الهادي . يوسف الخيري . ٧٤ ٤
- ٩٥٥ يزاد على العالمين بالعلوم المادية : عبد الوهاب القنواقي . مصطفى قمر . هاشم الفصيح . صلاح الدين الكواكبي . يوسف قدورة . ٧٥ ٤
- عمر الترماني .

- يزاد على العالمين بالعلوم الاجتماعية : جميل صليبا . حبيب الخوري . اسكندر الخوري البيهجي . روي عبد الهادي . عثمان الطباخ . فرنسيس خياط . بولس شحادة . حسن فهمي الدجاني . احمد سامح الخالدي . ساطع الحصري . كامل نصري . حسن يحيى الصبان .

المجلد الصفحة السطر		
٧٦	٤	١٦٥ و ١٦٦ انطون جرجس - الطوب صالحاني وقد وقعت لفظة «صالحاني» بعد سطرين تم حذف . جودت المارديني . مصطفى الخيري . محمد علي السراج .
٧٩	٤	٢٢ الموارنة وبطاركتهم - ومطارنتهم .
٨٢	٤	٧ او من مدارس المبشرين - او على مدارس . . .
٨٩	٤	٧ و ٦ وكفاءاتهم - وكفائاتهم ومجاميع عليّة ^١ - مجاميع عليّة
٩١	٤	٣ و ٢٤ و ٢٥ واربع مجلدات - واربع مجلدات اقتحام هذا المكون - هذا المركب فلا يلبث ما ينشب - ما ينشئ
٩٢	٤	٢٣ تشهد الاغبياء - تشهد الاغبياء
٩٤	٤	٢٠ وفي سنة ١٦١٠م أنشئت مطبعة دير قزحيا في لبنان وهذا الدير بعد نحواً من ثلاث ساعات عن قنوبين وقد طبعت في هذه المطبعة الكتب الدينية باللغتين العربية والسريانية . والطبع كان على الحجر لا بالحروف .
٩٦	٤	٠٠ اللهم في - اللهم الا في .
١٠٠	٢	٢٠ و ٩ عنوة - عنوان .
		الفنيقيون ساميون وليسوا عرباً ساميين . (ب)
١٠٢	٤	١٩ شيخو الى ان - شيخوان . . . انتاس
١٠٤	٤	١٧ ومثلك قد اصببت لعله احببت . على ان البيت بمجموعه مغلط لم ينحل
١١٢	٤	١٥ و ٣ صور أخرى من - صور من . . .
		والابداع في عمل - وابداع في عمل .
١١٨	٤	٢٢ و ٢١ الكوادر - الكراون جمع كرز و يطلق في العارسية على تاج

المجلد الصفحة السطر

صغير مرصع بالجواهر كانت ملوك فارس يعلقونه فوق سرير
الملك ويلبسونه احياً ، ويطلق ايضاً على قلنسوة من الدجاج
مرصعة وهي المرادة هنا (ت) .

وفي آذانها الاجرام الثقال — الصواب الاخراس جمع خرص
بضم الحاء المعجمة وسكون الراء وبالصاد المهملة في آخره وهو
الحلقة من الذهب والفضة او حلقة القرط (ت) .

٤ ١٢٠ ٣ عبد الملك هو بابي المسجد الاقصى

٤ ١٢٣ ١٣٠٩ يقول (ع) ذكر ان قاضي شعبة في تاريخه المخطوط في باريز
ان علي بن محمد بن صالح الرسام عالم صفد المتوفى سنة ٧٤٩ هـ
كان في اول امره يرسم القماش وقال ان عنده كتاباً في علم
الملك صورت فيه جميع الابراج والنجوم بليقي الكتاب ابي
بالاحمر والاسود وتحت كل صورة أرجوزة بتعريفها .

٤ ١٣٩ ١٤٥٥ الغالب انه الصادر بدلاً من الصادر بتقديم الدال على الراء .
معاوية بن قزامل — معاوية بن قزامل .

٤ ١٤٤ ٢٠ من القصاصين اي الحكوية (الحكواتية) او الادبانية الخ وهؤلاء
لا يسمون في مصر بالادبانية بل يقال لهم المحدثين اي المحدثون
واما الادبانية تحريف — الادباء فطائفة مختصة بارتجال الازجال
تطوف على الدور والحوانيت بطبل للكدية (ت) .

٤ ١٤٨ ١٦٥٣ الا ليقموا — الا ليقوموا .

أكثر من ارض — اقل من ارض .

٤ ١٤٩ ٢٢ الاراضي التي — الارض التي .

٤ ١٥٩ ٤ لكل مدرسة — لكل قرية .

٤ ١٦٢ ٨ يستمد من عمله — يستمد المرء من عمله .

٤ ١٦٢ ١٧ بعض الاشجار — بعض القرى .

المجلد الصفحة السطر

- ٤ ١٨٣ ١٠ الحمامات المعدنية او الحمامات : زرقامعين التي في « شرق الاردن »
درجة حرارتها ١٤٢ بميزان فارنهایت ، والمالح في قرية تياسير
في الغور غور الاردن من جهات نابلس درجة حرارته ٩٨ ف .
وحمة ابي ذابله بجانب فحل وحمة ابي سليم في موقع المهدة من
ارض صنة بقرية محم الكفارات . وحمية يزور النيص من
ارض صنة ايضاً ودرجة حرارتها فوق ١٠٠ ف . اما حمامات
طبرية فدرجة حرارتها ١٤٤ فارنهایت وحمة جدر ماؤها عذب
جيد الطعم يشرب ممتناً وبارداً بخلاف طبرية (ع) .
- ٤ ٢٢١ ٩ أعجب احد سياح غالبا الذي زار الشام على عهد المروانيين
بما كان في اسواق حلب من البضائع الثمينة .
- ٤ ٢٤١ ٢٣ القيشاني : كان في المسجد الاقصى مصنع له كامل الادوات
وذلك في عهد الملوك العثمانيين وادهم سليمان القانوني وهو اول من
استعمل القاشاني في زخرفة خارج قبة الصخرة ، ولا تزال بعض
قطعه محفوظة في المسجد ، و يوجد الآت مصنعان فيها لرجلين
أرمنيين أنيا بيت المقدس من كوتاهية التي كانت من اشهر
معامل القاشاني في بلاد الدولة العثمانية ويشغل المصنعان بصناعة
القاشاني التي يرغب الفرنج في اقتنائها وهي جيدة الصنعة بعض
الشيء الا انها لا تحاكي الأنواع القديمة طبعاً . ويؤخذ التراب
لهذه الصناعة من مطعون حجارة الصوان الذي يطحن بآلة
بحارية قوية (ع) .
- ٤ ٢٦٦ ٥ الشام وقاعدة — الشام قاعدة .
- ٤ ٢٧١ ٩ يقول بعض الكتاب ان التجارة البحرية لم تقطع في البحر الرومي
في القرن الاول للاسلام الا بما كان يبدو من حركة الاسطول
اليوناني ولكن تجارة الشام منبت بالتأخر مع اوربا لما اصبح للشام

المجلد الصفحة السطر

- مناس كالبصرة التي كانت لقربها من الهد أكثر منافسة للشام .
- ٤ ٢٧٤ ٦ بلادنا كله كان في ذلك - بلادنا كان في ذلك كله .
- ٥ ٤ ٢٣ الف - ١٦ المأ .
- ٥ ٧ ١٠ « وان احتاج امير المؤمنين الى جند وكتب الى من ولاء ناحية من بلاده باستحاصهم اليه والى اي ناحية من النواحي او الى عدو من اعدائه خالفه او اراد نقض شيء من سلطانه ان ينفذ امره ولا يحالفه ولا يقصر في شيء كتب به اليه . »
- ٥ ١١ ٥ كل جمفل يجمع خمسة رجال وذكر منهم اربعة فقط ولم يذكر الخامس (ب) .
- ٥ ١٢ ١٦ وقال ابن طولون : كان سنجق الجراكسة من حرير اصفر اطلس بطرز مزركش شراريب وهلاله من ذهب شبه نعل المصطفى اه وقال غيره كانت للماليك راية كبيرة صفراء وهي مطرزة بالذهب وعليها القاب السلطان وبعدها راية عظيمة صفراء ايضاً وفي رأسها خصلة من الشعر وهي التي تسمى بالجاليش ويتلو ذلك رايات صغر صغار تسمى الصناجق .
- ٥ ١٨ ١١ اول من وضع البريد في الاسلام معاوية والاصح انه عمر بن الخطاب وانما معاوية نظمته ورتبه . (ب)
- ٥ ١٩ ٨ ارسل اماجور امير دمشق سيفه ايام المعتمد على الله وكانت امرته سنة ٢٥٦ الى اليرموك رجلاً واعطاء طيوراً وقال له ارسل الطيور يخبرك طيراً بعد طير . مما يستدل منه ان الزاجل كان معروفاً عند العرب في القرن الثالث للهجرة .
- ٥ ٣٤ ١٧ وكان الناس يغزون بنسائهم في المراكب على ما قال المقر يزي .
- ٥ ٣٥ ١ جزيرة رودس والاصح على ما اعلم انها ارواد وقد اشتهر هذا الاسم على كثير من المؤرخين (ب) .

المجلد	الصفحة	السطر
٥	٤١	٣ ازدود والاصح اسدود وهي قرينة لا تزال الى الآن (ب) .
٥	٥٤	١٦ عاصر بن جذيم — عاصر بن حذيم
٥	٧٤	١٩ في سنة ٧٠٢ ساهج الناصر قلاوون بالبواقي في ذم الجند والرايا بالشام وصدر بذلك منشور بخط العلامة كمال الدين محمد الزمكافي من انشائه وقرئ على المنبر بالجامع الاموي وجملة ذلك من الدراهم الف الف وسبعمائة الف وستة واربعون الفاً ومائة وخمسة واربعون درهماً ومن الغلال المنوعة تسعة آلاف واربعائة واثنان واربعون غرارة ومن الحبوب مائتان وثمان وعشرون غرارة ومن الفم خمسمائة رأس ومن الفول اذ ستائة وثمانية ارجال ومن الزيت الفان وثلاثمائة رطل ومن حب الرمان الف وستائة رطل
٥	٧٥	١٠ صدر مرسوم سنة ٧٦٥ عن نائب المملكة الطرابلسية الى نائب حصن الاكراد بابطال ما احدث بالحصن من الخمار والفواحش والزام اهل الدمة بما أجرى عليهم احكامه امير المؤمنين عمر ابن الخطاب .
٥	١٠٢	١ تصحح هكذا : فقيراً غير متمول فيه .
٥	١٠٦	١٨ نصف اراضي — نصف ارض . وجمعت بعد صفحات ارض على اراض ايضاً وهو غير صحيح فجمعها ارضون .
٥	١٢١	٢١ و١٩ المرصد يملكهم — المرصد لا يملكهم . ووضعوا اسماء لهم — ووضعوا لها اسماء .
٥	١٢٦	١٤ كانت معجورة — سواء كانت معجورة .
٥	١٢٩	١٩ التي قضت بتأليفه — الذي قضت المفوضية بتأليفه .
٥	١٣٣	٦ غير محصور على الاسلام — غير محصور بالاسلام .
٥	١٣٦	٥ ومدحت في الشام — ومدحت باشا في الشام .

المجلد الصفحة السطر

- ٥ ١٦٦ ٢١ سهل كبسون — والاصح سهل قيشون . (ب)
- ٥ ١٦٧ ١٨ مرفأً قيسارية اليوم لا مرفأً هناك . (ب)
- ٥ ١٧٢ ١٩ نقدر والزواية — ونقدر الزواية .
- ٥ ١٧٦ ١٦ والاتساع — واتساع
- ٥ ١٩٢ ١١ قطعها على — قطعها
- ٥ ٢٠١ ١٠ اعظم المقويات — اعظم القربات
- ٥ ٢٢٣ ١٢ و١٣ الظروف والاحوال — الاحوال
- محرومة من — محرومة
- ٥ ٢٣٤ ٦ بينة التي بين غزوة و يافا — وابها يُبنى كما في يافوت . وان جاءت في احسن التقاسيم للقدمي يُبنى فهي غلط املاء و يافوت اصح .
- ٥ ٢٤١ ٩ تحذف « والرقعة » لان الرقعة لا تعد من بلاد الشام بحسب مصطلحنا لانها على الشاطيء الشرقي من الفرات .
- ٥ ٢٥١ ٦ استخدمها الرومان — ايام استخدمها الرومان .
- ٥ ٢٥٨ ٢١ حوران ولبنان وافامية وغيرها — حوران ولبنان وغيرها .
- ٥ ٢٦٥ ٢٣ واعطى المجزمين — واعطى المجذمين .
- ٥ ٢٦٩ ٣ و٧ و١٥ الكتابة الاثرية هي على الثمنات :
- ١ : بسم الله الرحمن الرحيم . لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله صلى الله عليه . بنى هذه القبة المباركة .
- ٢ : عبد الله عبد [الله الامام المأمون] بن امير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضي الله عنه آمين .
- والكلمات الثلاث الموضوعة ضمن قوسين هي بخط اصغر ونقش اغبر وهي كانت ولا شك [الملك بن مروان] وقد أبدلتها يد صناع اما الذي تولى عمارة القبة سنة ٢١٦ هـ من قبل المأمون فهو صالح بن يحيى ولكنهم نسوا ان يرفعوا التاريخ الاصلي لبناء

المجلد الصفحة السطر

القبة وهو سنة ٧٢ ولورُفِعَ لأُخْفِيتِ الجريمة (ع) .
كانت في مسجد بيت المقدس ثلاث مقاصير للنساء طول كل
مقصورة سبعون ذراعاً .

الملك الظاهر بيبرس تولى سنة ٦٧٦ وعمر المسجد الأقصى
والصخرة سنة ٦٦٨ هـ لا سنة ٦٨٨ (ع) .

٢٨٢ ٢٣ وذكر صاحب الاغانى ان المأمون دخل دمشق فطاف فيها وجعل
يطوف على قصور بني أمية ويتبع آثارهم فدخل صحناً من صحنهم
فاذا هو مفروش بالرخام الاخضر كله وفيه بركة ماء يدخلها
ويخرج منها من عين تصب اليها وفي البركة سمك وبين يديها
بستان على البركة زوايا منسوبة كأنها قصص بقراض من الثقافة .
وفي ذلك دليل آخر على ان قصور بني أمية ظل بعضها الى
اوائل القرن الثالث ولم تحرب كلها .

٢٨٥ ١١ وهب صاحب حلب محمود بن نصر لابن ابي حصينة المدري
الاديب (٤٥٧) مكاناً بحلب تجاه حمام الواساني فجعله داراً
وزخرفها فلما تم بناؤها نقش على دائرة الدرايزين فيها :

دار بنيناها وعشنا بها في دعة من آل مرداس
قوم محوا بؤسي ولم يتركوا علي في الايام من باس
قل لني الدنيا الا هكذا فليحسن الناس الى الناس

والا تكامل البناء عمل دعوة حضرها الامير محمود بن نصر فلما
رأى حسن الدار وقرأ الابيات المتقدمة قال : يا ابا الفتح كم
صرفت على بناء الدار قال : يا مولانا هذا الرجل تولى عمارتها
ولا أدري كم صرف عليها . فسأل المعمار فقال : غُرم عليها
الفا دينار مصرية . فأمر باحضار النبي دينار وثوب أطلس
وعمامة مذهبة وحصان بطوق ذهب وسرفسار ذهب فسلمها الى

المجلد الصفحة السطر

ابن حصينة وقال له :

قل لبني الدنيا الا هكذا فليحسن الناس الى الناس

١١ ٣٠٠ • ويقول الظاهري ان هذه العبارة وردت في س ٧ ص ٢٩٩ •

٨ ٣٠٢ • كتب سيف الدين احد الاعراء الثنوخيين على باب داره سيف

عبد لبنات :

قسماً بن ضمت ابا طح مكة ومنى وزمزم والكتاب المنزل

ما شدتها طمع الغلود وانما هي جنة الدنيا لاهل المنزل

والدار لا تزال قائمة وطيدة الاركان •

١٦١٠ من نابلس = فوق نابلس • ٣ ٦

يقول (م) ان الافضل ان يطلق اسم بيعة او كنيسة على

معبد النصرى ويخصص اسم كنيس بمعبد اليهود •

٢٤٥٥ يقول (م) راجع سفر الملوك الثالث من التوراة تر وصفاً مدققاً ٤ ٦

لميكل اورشليم وان النصرانية كانت قد انتشرت قبل قسطنطين

والدليل ملايين الشهداء الذين سفكوا دماءهم في عامة اقطار

العالم في سبيل نصرتها انما نالت النصرانية الحربية على يد القيصر

قسطنطين الكبير اه • وقوله فيه نظر لان ما قلناه هو رأي علماء

التاريخ من الافرنج الذين كتبوا بغير مؤثرات دينية

وتعصبات مذهبية •

وقال ايضاً : لم يكن الاسقف رئيس دير الا من باب العرض

حتى ان اول الرهبان لم يكونوا من مصاف الكهنة ، انما الاسقف

من باب الوظيفة والدرجة رئيس ابرشية ، اي ولاية كنيسة اه •

١٢ و ١٩ و ٢٣ بطورزيتا = الطور • ٦

بنو الحارث = بني الحارث

اوزيب = يقول (م) ان الاسم الشائع هو اساييوس •

- ٦ ٦ ٥ واعد هرقل بناء ما كان خرب كسرى من الكنائس في مصر
والشام . وذكر المؤرخون ان الفرس خربوا كنائس القدس
بمعونة اليهود وبما خربوا كنيسة الجسمانية وكنيسة المنية وظللتا
خراباً الى القرن الرابع للهجرة ولما انصرفوا عمر النصارى كنيسة
القيامة والمقبرة والاكرانيون ومار قسطنطين اه .
- ٦ ١٢ ١٣ بطريركا = بطريركا .
- ٦ ١٤ ١٧٣ من مما = مما .
- الارمن القديم = الارمن القدماء .
- كاثوليك الرومانين = اللاتين .
- ٦ ١٦ ٨ و ٦ و ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٥ الاكس هومو = الاكسي هومو .
- واديار سان سبولكر = وكنيسة القيامة .
- واخوات روزير = واخوات الوردية .
- والبندكتيين = والبندكتيات ومثلها في سطر ٢٢ .
- سيده صهيون = راتسبون .
- لاخوات روزير = لراهبات الوردية .
- ٦ ١٩ ٥ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ٢٥ و كنائس صغيرة ثابتة = للفرنسيين والروم
الارثوذكس والكاثوليك والموارنة ومدارس الخ (م) .
- من رأي (م) ان النصرانية انتشرت اولاً في المدن كالقدس
وانطاكية والاسكندرية وافسس الخ حتى وصلت الى داخل
بلاط القياصرة .
- لكرملين = للكرمليات (م)
- ومدرسة اكليركية ومجمع الاب = ومدرسة اكليركية لجمعية
آباء القلب القدس وجمعية الاب ٠٠ (م)
- وفي الطور دير : كنيسة لكل من الفرنسيين والروم الارثوذكس .

المجلد الصفحة السطر

وكنيسة الفرنسيسيين من أبداع كنائس العالم - (م)			
٢٣ ٦٠	١٢ و ١٥ و ١٦ و ٢٤	وللراهبات الورديات = وللراهبات الوردية (م)	
		العثرون = الاطرون (ب)	
		راهبات البندكتيون = الراهبات البندكتيات (م)	
		دمشق = دمشق وتاسعة في يافا (م)	
٢٤ ٦٠	٢ و ٣ و ١٨ و ١٩	راهبات الفرنسيسكان = الراهبات الفرنسيسيات	
		البیض (م)	
		في يافا = في بيت لحم (م)	
		عين كريم = عين كارم	
		حريثة = حريصا (م)	
٢٩ ٦	٢٤	خلقة المري = عاقلة المري (ب)	
٣١ ٦	١٣	ليس هذا قبر موسى لان هذا النبي لم يعبر الأردن ولم يدخل قط	
		ارض الميعاد اي فلسطين بل مات على جبل نابو اي في جبال	
		موآب المقابلة لجبال اليهودية = راجع سفر التثنية الاشرع	
		من التوراة فصل ٣٢ آية ٤٨ - وفصل ٣٣ (م) .	
٣٤ ٦	١٢	يوحنا المعمدان = المعمدان (م)	
٣٥ ٦	٧	بحر الميت = البحر الميت (م)	
٤٣ ٦	٢٣	ايدار = اديار	
٥١ ٦	١١	الذبعر = اذبعر	
٥٦ ٦	٧	تهدم جامع عمر ومكانه الآن كنيسة القديسة حنة شمال كنيسة	
		مار يوحنا والجامع الباقي مع المأذنة من آثار فلاوون - (ب)	
٥٧ ٦	٩ و ٥	سويقة علوان = سويقة علون (ب)	
		قرية نروانا = قرية زوانا (ب)	
٦٣ ٦	١٩	في مفكرات طارق ان اسم سوق القطن القديم بدمشق سوق	

المجلد الصفحة السطر

الفسقار وفيه جامع هشام انشاء القاضي بدر الدين بن مزهر (٨٣٠) وان محراب جامع التوبة مهم هو ومنبره ونوافذه وكذلك جامع الشامية وجامع التبان في المناخية فان فيه عمودين مهمين وفيه قاشاني ومنبر قديم، وملاصق جامع السيدة سكينة جامع من بناء الملك الظاهر عليه كتابات، وفي جامع ركن الدين منكورش المعروف بالركنية في حي الاكراد نقوش وكتابات مهمة .

٦ ٦٥ ١٥ قال ابن طولون في رسالته المعزة فباقييل في المزة : و بالمزة العتيقة قبر دحية الكلبي . قال الصلاح الصفدي ودفن ابن عنين بمسجده الذي انشاء بارض المزة قرابة على باب دمشق . وذكر في الاطلاق الخطيرة مساجد المزة منها مسجد العنابة مسجد امين الدولة الوزير ويعرف بالخلخال ، مسجد بني عمير مسجد مسجد بني ظنة قديم، مسجد العامود جوار بستان الشيرازي ، مسجد المرج جوار بستان صاحب تاج الدين ، مسجد البسطامي جوار بستان ابن سلام ، مسجد بمقبرة حمص المعروف بمحميص ، مسجد صفي الدين الخادم انتهى . وبها من الجوامع الجامع الذي عمره الوزير صفي الدين بن شاكر من اهل المئة السابعة وهو الذي بلط جامع دمشق واحاط سور المصلى عليه وعمل الفوارة ومسجدها وعمر جامع المزة وجامع حريستا . وجامع المزة انشاء ابن السعادة وفي سنة ٧٢٠ كمل جامع المزة بناء المرجاني الزاهد واتفق عليه نحواً من عشرين الفاً . واجل من انتسب الى المزة الحافظ المزي المشهور المتوفى سنة ٧٤٢ دفن بمقابر الصوفية ومن انتسب اليها الحافظ ابو الفتح العوفي الاسكندري الاصل المزي المتوفى سنة ٩٠٦ . قال وهدم الملك الظاهر بدمشق كنيسة اليهود وكنيسة المصلبة بالقدس التي للنصارى وغير ذلك . ومن زوايا المزة زاوية الشيخ سعيد التي خارجها

المجلد الصفحة السطر

شرقي مصلى العيدين . وفيها من التراب نربة التاجر عبد الرحيم

الرحي وقد جعل فيها مسجداً ووقف عليها اوقافاً (٧٣٥) .

١٥ ٧١ ٦ خمسة عشر رطل = خمسة عشر رطلاً .

٢٥ ١٠١ ٦ تحذف « يراجع الدارس » .

٩ ١٤٨ ٦ مندرسة النورية = مدرسة النورية .

١٤ ١٥٧ ٦ هذه اسماء من هلك في ارض الشام من الصحابة الكرام : أبي بن

كعب . ابو الدرداء . ابو امامة . ابو عبيدة . ابو هاشم بن

عتبة . اوس بن اوس . بلال الحبشي . تميم الداري . جعفر

ابن ابي طالب . جبارة بن مالك . الحارث بن هشام . الحباب

ابن منذر . حرمة بن زيد . خالد بن الوليد (؟) . خزيمه بن

تابت . زيد بن حارثة . سعد بن عباد . سبرة بن فاتك .

سهيل الانصاري . سهيل بن عمرو . شرحبيل بن حسنة .

وشمعون وصهيب الرومي . الضحاك بن قيس . ضرار بن الخطاب .

ضرار بن الازور . عبد الله بن حوالة . عبدون بن السعدي .

عبد المطلب الهاشمي . عبد الله بن سعد . عبد الله بن رواحة .

عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق . محمد بن ابي حذيفة . مدرك

الفزاري . معاوية بن ابي سفيان . المقدام بن معدى كرب .

معاذ بن جبل . وائلة بن الاسقع . عبد الرحمن بن عوف .

فضالة بن عبيد .

١٠٦ ٢٠١ ٦ « الشعور بالعمومة » « الشعور بالعمور » .

٢٠ ٢١٦ ٦ وعلى اهل المسلمين = وعلى المسلمين .

٩ ٢٣٦ ٦ ينسبون الى النواصك = ينسبون الى الناصك .

٣٢ ٢٥٦ ٦ وصفوا اساس = وضعوا اساس .

٢٦٨ ٢٤١٥ ٦ وفي سنة ٧١٧ سويت بكوس على جهات مستقيمة بالملكة الطرابلية

المجلد الصفحة السطر

وابطال المنكرات وكتب بها سيف دولة الناصر قلاوون منها بهم
الخمور جهاراً وان يعمر النصيرية في بلادهم بكل قرية مسجداً اهـ .
امر الحاكم بكتب سب الصحابة رضي الله عنهم على حيطان
الجوامع والقياسر والشوارع والطرقات وكتب السجلات الى
سائر الاعمال بالسب ثم امر بقلع ذلك وكان - في بعض ابواب
دمشق في الامكنة العليا منقوشاً في الحجر اهـ .

٦ ٣١٢ ٢٢ في تاريخ فلسطين ان العزة والسيطرة والسيادة كانت في جميع
بلاد الساحل والسهل للبدو واهل الوبر فبلاد السبع وغزة كانت
منقسمة بين العزازمة والحناجرة والترايين والتيهاها والجبارات
فالعزازمة يمانيون ومشايخهم اجداد ابن سعيد وامراء الترايين
عائلة ابي ست وامراء التياها الهزئيل وانساب هذه القبائل غير
صریحة فانها مزيجية من عشائر مختلفة وقبائل متنوعة وفيهم
القيسي واليمني وبلاد الخليل اكثرها قيسية ومقاطعة القدس
يمانية وقيسية اهـ .

٦ ٣٣٤ ٣ قال ابن عبدربه العرب تسمي العجمي اذا اسلم المسلماني ومنه يقال
مسلمة السواد والمهجين عندهم الذي ابوه عربي وامه عجمية والمدرع
الذي امه عربية وابوه عجمي وقال الفرزدق :
اذا باهلي انجبت حنظلية له ولداً منها فذاك المدرع
والعجمي النصراني ونحوه وان كان فصيحاً ، والاعجمي الاخرس
اللسان وان كان مسلماً اهـ .

(وقعت أغلاط قليلة في الطبع يهتدي الى صوابها بالبداة) .



حياة محمد كرد علي مؤلف خطط الشام

« ترجمته بنفسه »



اصل أسرتنا من السليمانية تنسب الى الأكراد الايوبية ، جاء جدي الى دمشق في التجارة وكان من اهل اليسار فراقته وسكن فيها . ثم ذهب في بعض السنين الى الحجاز متجراً ، واتفق له ان انتقد ذات يوم عملاً من أعمال محافظ الحج ، وكان ظالماً جباراً ، فشق ذلك عليه ، وامر بمصادرته في كل ما يملك ، فاضطراب يذهب الى الامتانة مستعدياً . وما زال يعمل الوسائط حتى اجتمع بالسلطان ، واقترح عليه هذا ان يصرف النظر عن دعواه على محافظ الحج ، وبأخذ مقابل ماله فريتين في الشام إقطاعاً له ولاولاده من بعده ، فأبى وقال للسلطان : ما جئت لأخذ صدقة بل جئت أطلب عدلاً وانصافاً . وهكذا رجع الى دمشق مجرداً من ثروته وهلك قهراً بعد قليل . وخلف والذي يتيماً فقيراً فاشتغل لاول امره في صناعة الخياطة ثم بالتجارة ، فأثرى مرات وخسر مرات ، وابتاع في آخر امره مزرعة صغيرة في الغوطة تمزقتها انا واخوتي منذ كنا صغاراً والى الآن .

ولدت في دمشق أواخر صفر سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م ، من أم شركسية ، ولما بلغت السادسة في العمر اخذت بتلقي القراءة والكتابة ومبداي العلوم الاسلامية والحساب والطبيعات في مدرسة كافل سيباي الاميرية ، ونلت شهادتها من الدرجة

الاولى . ثم دخلت المكتب الرشدي العسكري فدرست مبادي التركية ، وكانت دروس الافرنسية ناقصة فأتاني والذي بعلم الى الدار اخذت عنه نحو هذه اللغة وصرفها على الاصول مدة ثلاث سنين ، ويرعت بالترجمة من الافرنسية الى العربية وبالعكس . ولما أحرزت شهادة المدرسة الرشدية من درجة متوسطة ، لاني لم أتمكن على ما يجب من الرياضيات لاصابتي بالحسر وضعف البصر — بحيث لم أكد أتبين عن دمايرسم الاستاذ من أشكالها وخطوطها في اللوحة ، ففانني التجر فيها مع الاسف — عينت مدة ست سنين موظفاً في قلم الامور الاجنبية ، فأخذت في خلالها أنقن آداب التركية . وشرعت أنشيء فيها كما أنشيء بالافرنسية ، وقد اختلفت حولين كاملين الى مدرسة الماسازار بين للاضطلاع بأداب اللغة الافرنسية ، ودرست الطبيعيات ودروس الكيمياء بهذه اللغة لأزبد تمكناً منها .

وقد اقتطعت مع ذلك جانباً من الوقت لدرس الآداب العربية والعلوم الاسلامية وتلقيت اللغة الفارسية حتى حذفها ثم أنسيتها . وفي خلال تلك المدة اتصلت بالأستاذة الشيخ طاهر الجزائري والسيد محمد المبارك والشيخ سليم البخاري واخذت عنهم وعن غيرهم من مشايخ الطبقة الثانية كل ما وسعني قراءته ، من كتب اللغة والآداب والبيان والاجتماع والتاريخ والفقه والتفسير والفلسفة . وكان العامل الاكبر في توجيه ارادتي نحو الدعوة الى الاصلاح الاجتماعي ، والاقدام على التأليف والنشر ، وإشرابي محبة الأجداد والثناء بآثارهم ، والحرص على تراث حضارتهم ، أستاذي الاكبر الشيخ طاهر الجزائري ، فمازلت أؤلمه منذ اتصلت به الى ان ذهب الى ربه سنة ١٣٣٨ هـ حميد الأثر . وكنت بدأت بنظم الشعر فنهاني عن تعاطيه أستاذي المبارك ، وارادني على انقار الانشاء فقط ، وما ينبغي له من الادوات ، لئلا يشغلني الشعر بلذته عن طلب العلم . فصعدت بامرء ، كما كنت قبلت نصيحة والذي ، وانا يافع ، بترك الانشاد بصوت رخيم . لان ذلك كان يعمد في نظره شيئاً ضيقاً كما روى ذلك عن شيخه . وهكذا حرمني والذي الموسيقي ، وحرمني شيخني الشعر . ولولا نصيحتهمما لعنيت بهذين الفنين ، وكانا لي سلوى واي سلوى . ولكن أستاذي المبارك خرجني باللغة والانشاء . والذي ، وكان طامياً بقرب من الأمية ، أنفق عن

سعة ليعلمي . فكانت مدة سنين يدر الرواتب على أساتذتي ، وقد ابتاع لي خزانة كتب كانت تعد في ذلك العهد شيئاً في بلدي .

وأهم ما أوأعت بمطالعتي — بعد درس المطبوع من كتب الأدب العربي وجانب من المخطوط الذي عثرت عليه — كتب الفلاسفة وعلماء الاجتماع ، وأصول الشعوب ومدنياتهم . وطالعت بالفرنسية أهم ما كتبه فولتير وروسو ومونتسكيو وبنثام وسبنسر وفوليه وتين ورنان وسيمون وبوتي ولافيس وهانوتو وبوترو ولوبون و برونثير وبني دي جولفيل ولتر وسانت بوف ، وتدارست المجلات الفلسفية والاجتماعية والتاريخية والأدبية باللغة الفرنسية . وجريت منذ نشأت على قاعدة مطردة لم أتخلف عنها قيد شبر ، وهي ان أقرأ أكثر مما اكتب ، وقلما دونت موضوعاً لم أدرسه في الجملة ولم تنشر به نفسي .

وعهد الي سنة ١٣١٥ هـ . بتحرير جريدة « الشام » الاسبوعية فحررتها ثلاث سنين كانت مدرستي الاولى في الصحافة . وساعدني فيها معرفة التركية والفرنسية . ثم دعيت الى المؤازرة في مجلة المقتطف المصرية اكبر مجلاتنا العربية . فنشرت فيها أبحاثاً جمة في التاريخ والاجتماع والادب مدة خمس سنين . فبدأت لي شهرة في عالم الأدب العربي لمنزلة هذه المجلة اذ ذاك بين أبناء اللغة العربية ، وكثرة من تقع تحت أنظارهم من العلماء والادباء والباحثين . وفي عام ١٩٠١ هبطت مصر للسياحة بقصد الذهاب الى باريز للدرس ، فعرض علي صاحب جريدة « الرائد المصري » نصف الاسبوعية ان أحرر في جريدته ، فلبيت الطلب متكارهاً ، اذ كانت عاقتني عن العودة الى الشام امور قام بها المشاغبون المتجسسون في دمشق . واتهموني تشغيلاً بامور هي من المحرمات في عرف الحكومة العثمانية ، ثم رجعت الى الشام بعد عشرة اشهر . ومن اعظم ما استفدته من رحلتي هذه الاخذ عن عالم الاسلام والاصلاح الشيخ محمد عبده وحضور مجالسه الخاصة والعامة .

وفي شتاء سنة ١٣٢٣ فنشت الحكومة العثمانية داري في دمشق بحجة انه علقت مناشير في شوارع البلدة مكتوبة بلغة سلسة ، وفيها مطاعن في احد الأعيان والوالي ، ومثل هذه العبارة وهذه الافكار لا يحسنها ولا يعرفها غيري ! فظهر للحكومة اقتراح المفترين واكتفت بان شردني اياماً عن داري .

وفي هذه الواقعة نظم صديقي العلامة الامير شكيب أرسلان قصيدة اريطالية يداعيني بها ، ويصف ما حل بي مجسماً قال صاحبه الله :

ألا قل لمن في الدجى لم يتم	طلاب المعالي سمير الألم
ومن أرقته دواعي الهوى	قدوت الذي أرقته الحكم
فكم في الزوايا تنجي فتى	طريد الكتاب شريد القلم
يرى الارض ضيقاً كشق اليراع	ويهوى على ذا الوجود العدم
وكم ذا يجسر من ليلة	على مثل جمر الغضا في الضرم
تغنى الاديب بها ندحة	ولوبات يرعى هناك الغنم
وكم مروة تحت جنح الظلام	كسر بصدر الارب انكتم
يخاف بها حركات الغصون	ويخشى النسيم اذا مانسم
وان تشد ورقاء في أبكة	تورقه في صوثها والنغم
وكم بات للنجم يرعى اذا	أديم السما بالنجوم اتسم
وطالب به الليل حتى غدا	يظن عمود الصباح الفخيم
ومن ذعره خال ان النجوم	لتهدي الى مسكه عن أم
اذا ما السماك بدا راحاً	توهمه نحوه قد هجم
ولولا الدجى لم يتم النجا	وقد امكن الظلم لولا الظلم
ولله در القرى اذ خفته	فما بالسهولة يخفى العلم
«جسرين» «زبدین» و«الاشعري»	ديار بها قد أوى واعتصم
ونحو «المليحة» رام الخفا	وكم بالمليحة من متهم
ديار ابى اهلها غدره	وآواه فيها الوفا والكرم
ولا شك رقوا لاحواله	طريد يعاني الجوى والسقم
ليالي كانون في الاربعين	وبرد العشيات اغلى الفهم
بارض تراها سماء وماء	ف فوق السواقي وتحت الديم
يجول وقد صار مثل الخيال	ودق فلو لاح لم يفتح
وفوق الحدود كلون النهار	وتحت المآقي كلون العنم

وفي كل يوم سؤال وبحث
وقد كانت في كبسهم بيته
فكانت على كتبه غارة
وقالوا سينفي الى «رودس»
وقالوا سيحمله أدهم
وقد قيل «فزان» من دونه
وبعض بسجن عليه قضى
و«كرد علي» غدا عبرة
فيا كرد لا تحزنك الخطوب
ومن رام ان يتعاطى البيان
فذي حرفة القول حريفة
وكم نكتة أعقبت نكتة
ومن بالكتابة ابدى هوى
فيا كرد صبراً على محنة
وصبراً على ورقات لها
وواها لباقات زهر غدوت
ازاهر تسهر في جمعها
وما نم الا بنشر ذكي
فقولوا لواش بكرد علي

وأنى تولى وكيف انهزم
يجلجى قال وقيل عجم
كفارات عرب «الصفاء» بالنعم
وقالوا سيجزى بما قد جرم
بمرفاه لا تستريح القدم
وتلك السموم وتلك الحمد
وبعض بضرب عليه حكم
فقات ومنه الرجاء انصرم
فان المموم بقدر المحم
توقّع ان يتلى بالنعم
وكم أدركت من لبيب وكم
وكم من كلام لقلب كلم
فان الكتابة منها القسم
فكم محنة شبت من لم
عيون المعاني بيكين دم
لها جامعاً يا اخي من قدم
فلا غرو ان فاح عرف فتم
وطيب بفوق عرار الأكم
نشرت الشنا حين حاولت ذم الخ

كان التضييق علي في الشام يزيد كلما استفاضت شهرتي ، والشهرة حقيقة كانت على صاحبها آفة في الدور الحميدي ، فرأيت بعد طول التأمل ان المقام فيه عبثاً ، فأخذت بالاستعداد للهجرة الى مصر لأصدر مجلة المقتبس ، فأصدرتها في اول سنة ١٣٢٤ هـ ، ونوليت معها رئاسة تحرير جريدة الظاهر اليومية ، وبعد سنة عيّنت امين مصر تحرير جريدة المؤيد . والجرائد الثلاث التي توليتها في مصر هي «الرائد المصري» و«الظاهر» و«المؤيد» وكانت من الصحف التي تصدىع بالوطنية

المصرية ، وثنتقد سياسة المحتلين ، ولذلك كثر اصدقائي من الوطنيين المصريين ، فعددت بهم مصر وطني الثاني ، وكادوا هم يعدوني منهم . وقد آذرت في مجلة « العالم الاسلامي الباريزية » التي مازالت تصدر في باريز باللغة الافرنسية الى عهد قريب . حتى اذا حدث الانقلاب العثماني (١٩٠٨ م) رجعت الى دمشق وأصدرت في ١٧ كانون الاول ١٩٠٨ جريدة المقتبس يومية سياسية ، بعد ان صدر المقتبس ثلاث سنين في القاهرة مجلة شهرية علمية ، وعدت الى إصدار المجلة ايضاً .

وكان المقتبس السيامي معتدلاً ببلهجته ، وطنياً بمسلكه ، ينتقد ما يمكنه نقده من مواطن الخلل في الادارة العثمانية ، وما رمى الى الانفصال عن الترك قط ، بل كان يرمي الى استئصال حقوق العرب ضمن الجامعة العثمانية الكبرى ، فلم يرق هذا ايضاً بعض رجال الدور الحميدي ، واخذوا يقاومون المقتبس وصاحبه ، وبقيمون عليه الدعاوي المزورة ، يصدرها الظالمون المرتشون من الموظفين ، ممن دأبنا على الكيد لهم ، والعمل على نفيهم ، حتى جاء زمن وعلى المقتبس عشرات من الدعاوي ، يطلب فيها أصحابها جزاء المفترى على الأكر ، لانهم أبرياء يزعمهم مما نسب اليهم .

ومن أغرب دعوى الوالي الحميدي علي في السنة الاولى لانهامه إياي بالارتجاع ، اي إرجاع عهد عبد الحميد الاستبدادي ، وهو الدور الذي بكيت من أهواله ، وقد هجرت الاهل والوطن فراراً من كابوسه ، ولكن أعمالي في خدمة الحربة سنين طويلة ، كذبت وأشياعه من الحميديين الاتحاديين . وقد اضطررت في هذه الدعوى الى مغادرة الشام ، فركبت البحر الى فرنسا ، واخذ الوالي يهدد القضاة بالعزل اذا لم يحكموا علي بالجناية ، وصرفت الوقت في باريز أدرس مدنياتها وأسفيد من لقاء علمائها وساستها ، ووقفت وقوفاً حسناً على حركتها العلمية والسياسية ، وذلك بواسطة جماعة من أصدقائي علماء المشرقيات ، عرفوني الى الطبقة العليا التي أردت التعرف اليها في عاصمة الفرنسيس ، وفي مقدمتهم فيلسوف فرنسا المرحوم اميل بوثرو . وقد سألته ان يكتسب لي جريدة بأهيات الكتب التاريخية والاجتماعية والادبية والاقتصادية ، فتفضل وكتب لي ما أردت ، فابتهته وطالعته كله مطالعة درس ، ولا أزال الى اليوم أجعل تلك المجموعة المختارة سلوتي في خلوتي وجلوتي .

كتبت خمساً وثلاثين مقالة ومحاضرة في وصف سياحتي ، ولا سيما في وصف عاصمة فرنسا ، وطبعت هذه المقالات في كتاب سميت « غرائب الغرب » وما كان في الحقيقة الا غرائب باريز ليس الا . وبعد ان اتمت ثلاثة اشهر في « كارتيه لاتين » بباريز عدت الى الاستانة عن طريق قينا مبراً مما نسب اليّ . وفي سنة ١٩١٢ اقام تقس الوالي الحميدي دعوى على المقتبس وقبض على مديره المسؤول المرحوم اخي احمد ، واخذ عالماً من علماء المدينة اسمه الشيخ ابراهيم الأسكوي ، وارسلها الى الاستانة فسينا مدة ، وذلك بتهمة ان المقتبس نشر قصيدة لهذا العالم تمس الآل السلطاني . والحقيقة انها تأوهات ونصائح ، وكانت نشرت في جريدة من جرائد الشام قبل ان ننشر في المقتبس بعشرين يوماً . اما انا فتمكنت من الفرار كالمرّة الاولى ، وهبطت مصر عن طريق البر مع تجار الجمال . فدخلت الاسماعيلية بعد سيرة اربعة عشر يوماً ، قطعت فيها الشام من الوسط الى اقصى تخومها الجنوبية . ثم برئت مما نسب اليّ كالمرّة الاولى ، وعدت الى دمشق بعد ستة اشهر ، وعاد المقتبس الى العبدور . الا ان الوالي كان تمكن من اجبار احد اخوتي على بيع مطبعتنا ، فأباعها بثمن بخس ، فأضيفت الخسارة بها الى ما خسرناه في اغلاق صحيفتنا السياسية مرتين . ولم يعرض علينا احد شيئاً مما خسرناه . واكتفى المقتبس الى ذاك الحين باشتراكاته واعدالاته ومطبوعاته فقط . وقد استقبلت يوم عودتي الى دمشق كما يستقبل العظماء ، فضحكت من تبدل الرأي العام ، وبالغ بهض من استقبلوني بالحفاوة ، وهم يزيدون على الفين ، كانوا يوم وقعت في الدعوى ينكرون عملي في انتقاد الحكومة ، ومن قبل كانوا يصفقون ويستحسنون ، وينحنون ويدعون ، فلم ادر وجهاً لرضاهم ولا اغضبهم ، فكتبت الى صديقي المرحوم العلامة رفيق بك العظم اقول له ان القوم لا قوفي في دمشق في هذه المرة كما يلاقون الملوك . فلم افرح لهذا الاقبال ، ولا ساءني ذاك الادبار ، وعجبت لجنون من يتخذ بالجماعات الذين لا يثبتون بحال على افكارهم .

وفي سنة ١٩١٣ زرت ايطاليا وسويسرا وفرنسا والمجر والاستانة ، وكتبت ٣٣ مقالة في وصف مدينة تلك الممالك . وكان الداعي الى هذه الرحلة الثانية البحث عن المخطوطات التاريخية التي نقل عنها التصوير الشمسي صوراً ، الاميرايوني كاتساني

من علماء ايطاليا وعظماؤها . وقبل نشوب العرب العامة ببضعة اشهر وقف والي دمشق المقتبس ، بدعوى انه نشر عبارة في كشف الحجاب ، وهي منقولة عن الصحف التركية ، والحقيقة ان المقتبس كان توفّر على كشف حجاب الاتحاديين ، واصلاهم حرباً عواناً هو وانصاره من رجال البلاد وحملة الافلام فيها ، فأخذوا يخلقون له هذه التهم او يكفّ عنهم . ولطالما نقاضوه ذلك ، وله ان يتحكم في مطالبه الخاصة ما شاء فأبى ، وربما كان رده لم غير جميل لا يخلو من بعض خشونة ، ثم ورد الامر من نظارة الداخلية بعود المقتبس الى الصدور ، فأبى اصداره ، لما رأيت من الحيف والغرض وتربص الاتحاديين الدوائر به وبصاحبه ، وكانوا الحاكمين المتحكمين في السلطنة العثمانية بلا منازع . وألح ارباب الشأن باعادة المقتبس الى الصدور ، فكان جوابي انني زهدت في هذه الصناعة صناعة الصحافة ، مادامت احكامهم غاشمة ظالمة . الا ان الحكومة بقيت تحاذرنني مدة اشهر . واقامت شرطياً امام دارسي يكتب كل يوم اسماء من يدخل عليّ من ارباب الطبقات المختلفة ، حتى اذا خرجت الى منزله او زيارة احد يتبعني الجواسيس حيث مررت . اما كتيبي وجرائدي وبرقياتني فانها كانت تراقب اشد مراقبة ، بل اضحكها وابكها .

وبينا كان حالي كذلك اعلنت الحكومة العثمانية النفير العام ، وجاء الشام والى عاقل عادل اسمه خلوصي بك فنشأت بيني وبينه صداقة ، ولا سيما عقب ان ظهر من انفتيش اوراق قنصل فرنسا انني كنت دائماً الى جانب خدمة العرب ، ولم أمل الى الخروج على الترك ، ولا اسفقت الى خدمة غيرهم ، مع اني أردت على ذلك مرات ، واغلو لي الثمن والجسالة ، فاحقرت كل نفيس في مهبل خدمة المصلحة العامة ، وهذا امر فيحائي من مخالف قنلة الاتحاديين الذين لم يراعوا عظيمياً ولا غيره في الحرب ، وصلبوا من صلّبوا على اعواد المشانق بلا رحمة في مدن دمشق وبيروت وحلب .

ارادني خلوصي بك ست مرات على اصدار المقتبس وانا احاوله واطاوله ، ولكن قنصل المانيا كان يلح على الحكومة المحلية باقناعي لاصداره ، لما ايقن من تأثيره في افكار الشاميين بل في بلاد العرب ، فصحت بعد حين عزيمتي على اصداره ، خصوصاً بعد ان أوحى اليّ احد خلص أصدقائي ، بان القوم يتربصون بي الشر اذا لم أجيبهم

الى إصدار المقتبس ، ولم أخدم الحكومة في تلك الحالة الحرجة . وانني اذا ظلمت على إبائي يخشى ان يحاسبوني عما اجتريته في الماضي حساباً غير يسير ، وتكون حياتي في تهلكة ، فاعتذرت بأن علي المقتبس مبلغاً من الديون بسبب توقفه ثمانية أشهر وبيع مطبعته فقالوا انهم يسددونها عني ففعلوا . وفي خلال ذلك جاء الشام احد أساطين الاتحاديين « احمد جمال باشا » قائداً للجيش الرابع ، وحزني على اشجیل باصدار المقتبس ، وكان كلامه رجاء في الصورة الظاهرة ، وتهديداً في الحقيقة ، فبادرت الى امثال الامر فأصدرته ، وبقيت سنة لا اكتب فيه الا نادراً ، ويتولى اخي سياسته ، حتى تنبه جمال باننا للامر وأرادني على كتابة مقالات افتتاحية باسمي ففعلت ، وكثيراً ما كانت أفكاري ترشح اضطراباً من أفكار القائد العام مباهرة او بالواسطة ، فكانت ارادتي مسلوبة لتهديدي كل ساعة بنشر الحسابات القديمة مع الاتحاديين . وفي اواخر السنة الاولى للحرب أرسلني جمال باشا مع البعثة العلمية من علماء الشام الى الامشانة فجنناق قلعة ، وادعز الي بانشاء رحلة هذه البعثة ، ووضع كتاب في رحلة انور باشا ، وكيل القائد العام وناظر الحربية ، الى الشام والعجاز . ففعلت مضطراً . وظهر هذان الكتابان الاول باسمي وامم ثلاثة من ارباب الصحف في الشام ، والثاني باسمي فقط . وهما من كتب الدعاية السخيفة في الحرب الممقوتة . وفي هذه السنة ايضاً أنشأت الدولة بايعاز المانيا وترتيبها في مدينة دمشق جريدة يومية عربية اسمتها (الشرق) عهدت الي برئاسة تحريرها فوايته مدة ، وضررتني احمد جمال باشا الى رفع اسمي من جريدة المقتبس لتزوج جريدة الشرق التي ظهرت الى اواخر الحرب . وكانت جريدة المانية تركية بمحنة يقصد بها الدعاية والتأثير في العالم العربي خاصة والعالم الاسلامي عامة .

ولما بدأت جيوش الحلفاء تنقدم في جنوبي الشام غادر احمد جمال باشا البلاد ، فأرادني خله جمال باشا المرسيني ان أظل على ما كنت في جريدة الشرق فقلت له : « لم يستعبدني احد في حياتي غير سلفك العالي ولا أريد ان أستعبد مرة أخرى » . وقصدت الى الاستانة للتجارة فناعني الاتحاديون هناك بايعاز من احمد جمال باشا ، ومنعوني من معاطاة أعمال لا أعرفها في الحقيقة . وبينما كنت أفاوضهم بذلك

سقطت دمشق بأيدي الحلفاء ، وانقطعت الطريق بين الشام والامستانة ، فعدت الى دمشق بعد ثلاثة اشهر من سقوطها ، لأعود اصدار المقتبس ، لكن الحاكم العسكري العام وكان من اصدقائي ، الح عليّ ان أنولى رئاسة ديوان المعارف فقبلت متكارهاً ، واخذت في درس حالة المدارس لاصلاحها على ما يلائم روح الامة العربية ، وبدأت بإنشاء دار للآثار وتجهيز دار الكتب الظاهرية بجهاز حديث . ثم حصل خلاف بيني وبين الحكومة فأردت التنحي عن رئاسة ديوان المعارف ، فألحّت عليّ الحكومة بالبقاء ، فقلت ان كان ولا بد فينقلب ديوان المعارف باعضائه ورئيسه الى مجمع علمي ، وتكون علاقته مع رئيس الحكومة مباشرة ، فقبل هذا الاقتراح وشرعت في تأسيس المجمع العلمي العربي في ٨ حزيران سنة ١٩١٩ .

وفي آخر تشرين الثاني سنة ١٩١٩ صدر الامر بدعوى الضيق المالي بصرف رئيس المجمع العلمي واعضائه ، الا عضوين فقط للائتلاف على داري الكتب والآثار . وكان ذلك تشفيماً من بعض الاحزاب التي لم أثنأ ان أسايرها على العمياء . ودمت منعزلاً في داري الى ان عهدت اليّ وزارة المعارف في ٧ ايلول سنة ١٩٢٠ اول دخول السلطة الافرنسية الى المدن الاربع ، وهي الوزارة التي غيروا اسمها بعد مع سائر الوزارات باسم « مديرية عامة » . وفي خلال ذلك اخذت عشرة من الطلاب للاخصاء في العلوم العالية في جامعات فرنسا . وزرتها للمرة الثالثة ، كما زرت بلجيكا وهولاندة وانكلترا واسبانيا والمانيا وسويسرا واطاليا ، وكتبت الرحلة الثالثة في احدى وخمسين مقالة ، وأعدت طمع « خرائب الغرب » وأدخلت فيه الرحلات الثلاث ، فجاء في مجلدين . وكان احد اعوان الجنرل غورو اول مفوض سام للجمهورية الافرنسية في سورية ولبنان نشر على لساني وبدون اطلاعي في احدى المجلات الباريزية عبارة يقصد منها مدح الانتداب الفرنسي الى التي ليس بعدها وتقرىظ غورو واعوانه . فكذبت ما عزي اليّ في الصحف . وكان احد موظفي البعثة الافرنسية في دمشق دسّ ايضاً على لساني في خطبة أردت على القاها باللغة الافرنسية في معرض بيروت التجاري على جماعة من الفرنسيين - جملاً بخصوص العهد الفيصلي لم تخطر لي في بال . فامتعضت مما وقع في المرة الاولى والمرة الثانية ، ولما لم يرق عملي من التكذيب

سك نظر وكيل المفوض استقلت من المعارف ، وبقيت في رئاسة المجمع ، وكنت أديره أثناء وزارة المعارف وبعدها . وكان في ذلك الخير لاني حصرت وكدي في خدمة المجمع وتأسيسه على ما يجب ويقدر ما يساعد المحيط والحالة المالية . وصرحت علي وزارة المعارف في الحكومة الموقفة خلال ثورة سنة ١٣٤٤ هـ فاعتذرت وآثرت الانقطاع الى المجمع وانما كتابي « خطط الشام »

وفي ١٥ شاط سنة ١٩٢٨ م أسندت الي وزارة المعارف في حكومة صاحب السيادة الشيخ تاج الدين الحسيني وبقيت أدير شؤون المجمع العلمي الى الآن . وفي اواسط شهر تموز سنة ١٩٢٨ ندبني دولة سورية والمجمع العلمي لتشييدها في مؤتمر المستشرقين السابع عشر بمدينة اكسفورد فرحلت الى بلاد الانكليز وزرت بلجيكا وفرنسا . وقد اغتنمت فرصة وجودي في وزارة المعارف فأنشأت مدرسة العلوم الادبية العليا جعلتها من فروع الجامعة السورية ، كما هيأت جميع اسباب افتتاح كلية اللاهيات تضاف ايضا الى الجامعة وبذلك تمت لها اربع شعب ، شعبة الطب ، وشعبة الحقوق ، وشعبة الآداب ، وشعبة اللاهيات . واذا انفسح الزمن للعمل في النية اضافة الفرع الاخير من فروع الجامعة وهو الفنون والعلوم .

كان المقتبس عقب الهدنة قد عاد الى الصدور وظل يطرد نشره ، حتى ألفت العصابات لغزو الساحل الشامي وأصبح القول الفصل لأناس من صعاليك العامة واغرار الشبان ، ممن اخذوا يهددوننا سرا وجهراً ان لم نعالجهم على رعايتهم ، في هيج الافكار ودعوتها الى الثورة ، فأثرت توقيف المقتبس على اصداره آلة للفننة بين الناس ، واهراق دماء الأبرياء ليربح المستعبدون . على حين كنت على مثل اليقين ان الاندباب الافرنسي واقع لاعماله . وقد شق علي بعد ان بلوت من السياسة حلوها ومرها ، وكرعت خلها وخمرها ، ان آتي ما يكون وباله علي قبل غيري من رجال الصحافة ، في امر لا فائدة منه الا لمن يستثمرون الثورات لمصلحتهم الخاصة . وبقيت جريدتنا معطلة سنة كاملة حتى دخل الجيش الفرنسي فعادت الى الظهور . وظهرت جريدة المقتبس بتحرير المرحوم شقبي احمد كرد علي تصدر حرة في الجملة ، وطنية الصبغة والمنزع ، فلما ملك أصبح تحريرها العوبة في ايدي أناس ارادوا تسخيرها

في خدمة أحزابهم ، فاضطرت الى اغلاقها في صيف سنة ١٩٢٨ بعد ان خدمت البلاد عشرين سنة .

كان مذهب المقتبس السياسي معاونة الحكومة بالمعقول ، وانتقادها عند الاقتضاء . وتحبذها اذا اتت ماتخذ عليه . بنزع ابداء الى اثاره الافكار ، وبث الملكات الصحيحة ونقوية روح القومية العربية ، وسياسته وطنية ليس فيها شيء من روح الكرامة للاجانب ، ويرمي الى فتح صدر الامة لمعظم ما في المدنية الغربية من اسباب الرقي . ولا يتحزب المقتبس لحزب الا اذا تجلى له غناؤه وبلاؤه في خدمة الامة . فقد دخلت في جمعية الاتحاد والترقي قبل الانقلاب العثماني بنحو اثني عشرة سنة ، وخدمت ما استطعت وساعدت البيئة ، ولم أجدد في الانقلاب للاتحاديين عهداً مع كثرة الحاحهم عليّ . اذ رأيت ذلك حطة وناقضاً في الخطة ، لان مراحي الاتحاديين تجلت بانها تقصد الى تترك العناصر ، ومن اول مقاصدنا الدعوة الى القومية العربية ، وانهاض العرب من كبوتهم .

ولما عبث الاتحاديون بالمقصد الذي رسموه لانفسهم يوم نشأتهم الجديدة ، تألفنا في الشام والاستانة كتلة من العرب والترك ، وألفنا حزب الحرية والائتلاف استغلنا به مدة ، ثم رأينا من المصلحة حله فحللناه . واقترح عليّ زمن الحكومة العربية غير مرة الدخول في الأحزاب فأبيت . ولكن لما انقأ الشر ، واصبحت دمشق عاصمة في الصورة ، والمديرون لها انما راء غراء في الاكثر ، صحت عنيننا مع جماعة من اهل الطبقة العالية مسلمين ومسيحيين وألفنا « الحزب الوطني » معدلاً لامرجة الاحزاب الاخرى . فكان حاجزاً دون اندمات ما يكدر من العوام .

وفي شباط ١٩٠٤ عهد اليّ تدريس الآداب العربية في معهد الحقوق بدمشق ، فرأيت تفاوتاً في عربية الطلبة ، وكان منهم المقتدر الذي يصلح للكتابة والخطابة ، ومهم الضعاف في مبادي النحو والصرف ، لانت مدرستي الحقوق والطب كانتا تحاولان تكثير سواد الطلبة وتقبل عنهم حتى المقصرين في الفروع الهمة ، ولا سيما اللغة العربية انني بعدونها ثانوية ! فاضطرت الى القاء بعض دروس نحوية مختصرة على التلاميذ ريثما يستعدون لتلقي الآداب ، وحاولت تعليمهم الانشاء والخطابة بالعمل

أكثر من النظر . ولم ترق بعض الطلبة العلامات التي نالوها في الفحص العام ، وكان بعض اساتيدهم يشوقونهم من طرف خفي على رفع أصواتهم بالشكوى من المدرس ليضموا درسه الى دروسهم ، ورأى رئيس الجامعة الطيب الكحال السيد رضا سعيد الايتوني استثمار هذه الحركة لمصلحته ، ومصلحته ابدأ في اقضاء ~~الوقت~~ ^{الوقت} ارباب الارادات المستقلة من تداريس الجامعة ، فقام مدفوعاً ايضاً بيد رئيس الحكومة اذ ذاك السيد صبي بركات . وكان هذا مغيظاً محققاً من صاحب الترجمة لان جريدة المقتبس لم تماشه على خطته ، وصعب علي ان أترضاه ، ولو بان اذكر له على الاقل ان لالعلاقة لي بالمقتبس منذ مدة طويلة ، وانني لأأديره ولا أحرره ولا ينطق بلساني . وكانت المؤامرة فاستكتب رئيس الجامعة بعض الصحف للنيل مني ، واعطاها فيما قيل دراهم لتكتب له المطاعن علي بما يفيد في تنقيتي . ومن الرسائل ما كتبه له بعض مستخدميه ممن كان يغضي عن صرفاتهم في مدرسة الطب مقابل هذا التطوع في خدمة اغراضه ، ومنهم طلبة مقصرون في دروسهم كافأهم على ما نشروا له من الطمن بي بان منحهم شهادة الطب ، ومعدرتة انه في حاجة الى من يحسن من جماعته كتابة سطرين بالعربية ، لانه هو ورئيس الحكومة ابن بركات لا يحسنان كتابة سطر واحد ، واذا قرأ آ او قري عليها كلام عربي لا يفهمانه بحال . وهكذا جمع رئيس الجامعة بعض الطلبة المقصرين في دروسهم في دار احد من يدهنون له من اطباء مدرسته ، ولقدوهم كيف يجبرأون على الشكوى من الدرس ويكتبون محضراً بهذا الطلب ، ومن لم يوقعه من الطلبة يُهدد بما يخاف منه على مستقبله . واخيراً نقرر ارسال بضعة من طلبة مدرسة الطب الى درس الخطابة في دار الحقوق لينادوا باسقاط خمسة من الاساتذة من جملتهم مدرس الآداب العربية ، وخطب بحضوري احد الطلبة ، وهو ابن احد اخصاء رئيس الحكومة خطبة ألقنها ، وكوفي عليها بعد هو ووالده ، فخرجت من المدرسة على ان لا أعود اليها ، وتم لبعض الاساتيد ما ارادوه ، فاستأثروا باكثر الدروس الشاغرة ، ولم يعد من الخطوب فيهم الا واحد وهو مدير المعهد السيد عبد القادر العظم الذي استرضى الطلبة وصانع رئيس الجامعة مع انه أضعف الاسانذة المشتكى منهم ولا صلة له بالعالم .

أم المطبوع من كتبي مجلة المقتبس « ثمانية مجلدات وجزآن » صدر منها ثلاث سنين في مصر وخمس في الشام وهي تبحث في الاجتماع والادب والتربية والتعليم والتاريخ ومنها « رسائل البلفاء » و « غرائب الغرب » و « غابر الاندلس وحاضرها » و « تاريخ الحضارة » و « القديم والحديث » و « رواية المحرم البري » و « قصة الفضيلة والرياسة » . واول ما نشرت رواية « بتيمة الزمان » سنة ١٣١٢ هـ . وآخره « خطط الشام » وهو كتاب في مدينة الشام وتاريخه صرفت في تأليفه ثلاثين عاماً ، وظالمت لاجله زهاء الف ومائتي مجلد باللغات الثلاث العربية والتركية والافرنسية ، وأنفقت في سبيل تأليفه نحو الف وخمسمائة جنيه ، ويدخل في ستة مجلدات وربما كان مجعده في اربعة . وعندي من التأليف التي لم تطبع « حرية الوجدان » و « الحرية المدنية » و « الحرية السياسية » معربة عن جول سيمون الفيلسوف الافرنسي . ومنها « كنوز الاجداد » و « مكشفات الاحفاد » و « امراء الانشاء » و « اخلاق المعاصرين » الى غير ذلك من المقالات والأبحاث المنشورة في المجلات والصحف وآخرها مقالاتي وانتقاداتي في « مجلة المجمع العلمي العربي » خلال تسع سنين .

خلقت عصبي المزاج دموية ، مغرمًا بالموسيقى العربية ، محبًا للطرب والانس والدعابة ، عاشقًا للطبيعة والسياحة . وقد كان للزرعة الصغيرة التي اورثنا اباها المرحوم والدنا في قرية « جسر ين » من قري الغوطة اثر ظاهري في تربية ملكتي . وبها استغنيت انا واخوتي لاول امرنا عن طرق الأبواب للتجمل او التسفل للمعاش . ولم أخلُ منذ اشتغلت بسياسة البلاد وحتى بعد ان تجردت للعلم المحض ، من جرائد كانت من جملة أغراضها ثلبي ، وكثير من الكتاب الذين عُرِفوا بالسفاهة كانوا يرزقون الجنيهاً الكثيرة على حساب النيل مني ، والتطاول عليّ ، وما زلت حتى الساعة لا أخلو من أناس يتطاولون عليّ حب الشهرة ، ينالونها من طريق الطعن بين اشتهروا ، ولم يحدث لي ان أجبت احد هؤلاء الطاعنين في وقت من الاوقات . اللهم الا اذا كان هنالك تحريف لحقيقة وطنية او قضية علمية ، فأذكر الواقع بدون اسم المتحامل المخالف . وقد وقع مرة لمجلة ألبسها اصحابها ثوب الدين ، ان سلخت نحو ثلاث سنين تكتب في المقالات والقطع الصغيرة فلم أجبها ، ولم اقرأ اكثر ما كتبت ،

حتى اذا نصبت مادتها من المال والقول ، اجبتها بمقالة نشرت في كتاب « القديم والحديث » باسم « اعداء الاصلاح » وهي من المقالات التي لم تخل من حدة .
 اعشق النظام والتدقيق ، واحب الحرية والصراحة ، وقد اؤثر به جدد ، ومن عاداتي ان اقف بمألفتي عند حد لا اتعداء الى هدم اصل من الاصول المقدسة ، وادور من الاصلاح التدريجي العلمي في دائرة لا تنعدي الثورة في الافكار ، اجاهر في الحق ، واطعن في المنافقين واتجهم لهم ، وأجبه المرشدين والمخربين ، لذلك بكثرت اعدائي من اهل هذه الطبقة . ولطالما كادوا لي وآذوني في مادياتي فلذلي عملي ولم تسوفي نتائجي . اخلص للصاحب واخدمه خدمة خالصة ، واغار على مصلحته . وربما ارفعه فوق قدره ، حتى اذا بدرت منه بادرة سوء نحوي او نحو المجتمع ، الوي وجهي عنه آخر الدهر . ولطالما آخذني بعض اصحابي على اسداء المعروف الى من هم اول من ينكرونه ، واسراعي الى تصديق من حولي ، في زمن يكذب فيه معظم اهله ، دعاني الى الاحسان الى أناس ايسوا احرياء به ، والى الاخذ بايدي فئة كانت الاولى لهم ان يظلوا مغمورين ، ومعظمهم كانوا لمقاصد لم يتخيلونها اول من حملوا علي وعادوني ، فكانت الجواب ، اني احمل الناس على حمل الخير ، فاذا ظهرت تربيتهم الحقيقية ، وتبين اني كنت مغروراً بهم كان جزاؤهم الاعراض ، وهل يجوز العقل ان تعض الكلب الذي يعضك ، والحيوان المفترس الذي يحاول اهلاك ولو اطعمته وسقيته .

اكره الفوضى واتألم للظلم ، واحارب التعصب ، وامقت الرياء ، واذا حاربت لاجل المظلومين وهاجت طغمة المتعصبين ، فانما احارب وهاجم بذوق وفهم على الأغلب ، واميل الى الشدة ، وقد تكون الى الافراط احياناً ، لنفعل البلاغة فعلها في عقول من يراد ارشادهم او اسقاطهم . وثنقبض نفسي منذ الصغر من غشيان المجالس والمجتمعات الغاصة بانواع الناس ، واحرص على الوقت فلا اكاد انفقها الا لمنفعة عامة او خاصة اهـ .

فهرست الجزء السادس
« من خطط الشام »



صفحة	صفحة
٢٢ دور الحديث بدمشق	٣ (التاريخ المدني) « البيع والكنائس
٧٦ مدارس الشافعية بدمشق	والديرة » — بيوت العبادة عند
٩٠ مدارس الحنفية بدمشق	الاقدمين
٩٨ مدارس المالكية بدمشق	٤ منشأ الاديار والبيع
٩٨ مدارس الحسابلة بدمشق	٥ اعظم الكنائس واقدمها
١٠٠ المدارس الخديشة	٩ مبدأ هدم الكنائس
١٠٢ مدارس الطب بدمشق	١٤ كنائس دمشق
١٠٤ مدارس حلب	١٥ كنائس حلب
١١٨ مدارس القدس	١٩ الكنائس والاديار في القدس
١٢٦ بقية مدارس القطر	٢٢ عمل الرهبان والراهبات العظيم
١٣٣ « الخوانق والربط والزوايا » —	٢٥ الأديار في الشام
خوانق دمشق	٤٥ « المساجد والجوامع » — في اول
١٣٨ رباطات دمشق	الفتح
١٤٠ زوايا دمشق	٤٨ مساجد حلب
١٤٤ خوانق حلب وربطها وزواياها	٥٠ جوامع عمالة حلب
١٥٢ ربط القدس وزواياها	٥٢ مساجد الساحل وجوامعها
١٥٥ الربط والزوايا في المدن الصغرى	٥٥ جوامع المدن الساحلية
١٥٧ مراقدة العظماء ربط وخوانق	٦٢ جوامع العاصمة وضمها اليها
١٦١ « المستشفيات والبيمارستانات » —	٦٧ « المدارس » — نشأة المدارس
مستشفيات دمشق	٧٠ دور القرآن بدمشق

صفحة	صفحة
٢٣٠ الكشككة	١٦٥ مستشفى حلب
٢٣٦ المارونية	١٦٦ بقية المتاحف
٢٣٧ البرتستانية	١٦٨ لحفة على المدارس وغيرها
٢٤٥ السنة	١٧٣ « دور الآثار » — المتاحف والعرب
٢٥١ الشيعة	١٧٦ نشأة علم الآثار
٢٥٦ الباطنية	١٧٧ البعثات الاثرية الغربية
٢٦٠ الاسماعيلية	١٧٩ آثارنا وآثار جيراننا
٢٦٥ النصرانية او العلوية	١٨٠ تأسيس دور الآثار
٢٦٨ الدروز	١٨١ متحف دمشق
٢٧٣ البابية	١٨٢ متاحف بيروت والسويداء وحلب
٢٨١ « الاخلاق والعادات	وطرطوس والقدس وعمان
الدمشقيين	١٨٥ « دور الكتب » — نشأة الكتب
٢٨٨ عادات الحلبين	١٨٨ نشأة المكاتب والعناية بحفظها
٢٩٨ عادات لبنان واخلاقه	١٩٦ مصائب الكتب والمكاتب
٣٠٦ العادات في الارحاء الاخرى	٢٠٠ خزائن اليوم واهم ما حوت
٣١٤ عادات القبائل واخلاقها	٢١١ « الاديان والمذاهب » — ادیان
٣٢٢ رأي في الاخلاق الشامية	القدماء
٣٤١ استدراكات وتصويبات	٢١٦ اليهودية
٤١١ حياة محمد كرد علي	٢١٩ السامرة (ذكرت ١١٩ سهواً)
٤٢٧ فهرست الجزء السادس من الخطط	٢٢٥ الارثوذكسية

للمشتركين بخطط الشام

نحمد الله على ان وفقنا لانجاز طبع الكتاب على النحو الذي تعهدنا به لحضرات
المشتركين . ومنعلن بعد حين عن الاشتراك بمجم الخطط وهو في وصف البلدات
والقرى والجبال والاودية والانهر والبحيرات وما الى ذلك من الفوائد التاريخية
والمدينة وغيرها مما لا يستغني عنه كل من يحب الوقوف على حالة هذه البلاد بعم
المولى وحسن توفيقه .

« لجنة طبع الخطط »

بدر الداغستاني	خليل مردم بك	سامي العظم	نصري البار، دي
فوزي الغزي	لطفي الحفار		